

عبد الوهاب بن فنصور

قبائل المغرب

المجلد الأول

(جائزة المغرب 1968)

الجزء الاول



1968 — 1388

المطبعة المسكية - الرباط

عبد الوهاب بن منصور

جائز المغرب

الجزء الاول

(جائزة المغرب 1968)



1388 ~ 1968

المطبعة المصحية. الرباط



صاحب جلالة الملك وحسن الشافعي
ملك المملكة المغربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل النظام القبلى مكاناً مرموقاً فى الحياة العامة للأقطار المغربية واستمر يحتلها ويطبعها بطابعه الى عهد قريب ، فخلال قرون طويلة كانت القبيلة هى المحور الذى تدور عليه فيها جميع الحركات السياسية والتقلبات الاقتصادية والتطورات الفكرية والاجتماعية .

كانت القبيلة هى اعلا قمة فى النظام السياسى والاجتماعى الذى عرفه البربر سكان المغرب الاولون قبل الاسلام ، وقد كانت تبتدىء فى قاعدتها من الخلية الاولى التى هى الأسرة المتركة من أب وزوجة أو عدة زوجات وأولاد يطعمون والدم حق الطاعة ويؤولون جميع تصرفاته تاويلا حسناً وينظرون دوماً اليه بعين الاجلال والاحترام ، ثم ترتفع الى مستوى العشيرة المشتملة على عدد من الأسر تنتمى الى جد واحد وترتبط برابطة القرابة الوشيعة ، ثم ترتقى الى مرتبة العمارة أو البطن الذى تجمع عشائره شتى جوامع الصهر والجوار والمنفعة المشتركة ، وتنتهى فى القمة بالقبيلة التى تحتوى فى الغالب على عدد من البطون تؤلف بينها وحدة الدم والنسب ، وتشمل فى النادر بطناً أو عدة بطون من غيرها انحازت لها وانضافت اليها فى أوقات بعيدة أو قريبة لسبب من الأنساب فأصبحت معدودة منها بحكم الحلف والولاء .

كان لكل قبيلة محيطها الخاص الذى تعيش فيه وتنقلب منعزلة عن غيرها من القبائل أو شبيهة بالمنعزلة ، فلها فى حالة ما اذا كانت مستقرة ترابها الوطنى ، وفى حالة ما اذا كانت راحلة مجالها الحيوى الذى تستमित فى حماة حوزته ، وتمنع بحد السيف غيرها من القبائل أن تنتجع مراعيه أو تستقر فيه ، وشيخ (أمغار) تجتمع عليه كلمتها ، وعراف ينبئها بالغيب ويؤول الاحلام ، ويشرح لها ما فى مظاهر الطبيعة من معان وأسرار ، وجماعة تنظر فى المصالح وتحكم فى

الخصومات ، وتقرر فى شؤون السلم والحرب والصلح والديات ، وقانون يحدد الأحكام، ويبين الحلال والحرام، ولهجة تتميز عن سائر اللهجات ، ومطامر عمومية لخزن الغلال والأقوات ، وأسواق أسبوعية لبيع الفائض منها وشراء المستورد من البضاعة التى تتوقف عليها الحياة ، ومواسم وأعياد تقتزن فى الغالب بالاشتغال الفلاحية ينصب فيها أهل القبيلة خيامهم ، ويظهرون زينتهم ، ويتسابقون فى ميادين الفروسية ، ويتنافسون فى المطاعم والمشارب ، ويتبارون فى حلبات الرقص ومجالس الغناء ، وإذا اجذبت السنة وأمحلت الأرض قوضت القبيلة خيامها وشدت رجالها تجوب البلاد طولاً وعرضاً باحثين عن المراعى الخصبة والبقاع المرعة ، تسير إليها آلاف الأميال لا تشكو تعباً ولا نصباً وتزاحم عليها روادها ولو أدى الأمر الى القتال ، ان كانت قوية استكتفت بنفسها ولم تستنجد بغيرها ، وان كانت ضعيفة تحالفت مع قبيلة أخرى تكون فى الغالب من دمها واستعانت بها على قهر عدوها وبلوغ مآربها .

والفرد فى كل الحالات شديد الاخلاص لقبيلته شدة اخلاص القبيلة له ، هى تمنعه من طالبيه وتدافع عنه بالقوة وتحمل عنه الديون والديات ، وهو يجود بنفسه فى نصرتها ، ويتحاشى معرة خذلانها ، ويتوه بماثرها ، ويشيد بمفاخرها ، ويتغنى بأمجادها ، ويرى لها الفضل على من عداها ، همه الأكبر أن يبصرها عزيزة الجانب منيعة الحوزة ، وأمله الأعظم بعد ذلك أن يشيع بين أهلها ذكره ، ويعرف فى خدمتها نصحه وسبقه ، ويظفر بقلب جميلة من بناتها تنجب له أبناء يطيعون أمره ، ويعلمون قدره ، ويحمون فى الملمات ظهره .

كان للقبيلة عند البربر فى الماضى ما للوطن من معنى عند الأمم والشعوب فى العصر الحاضر ، ولها على أبنائها من حقوق الاخلاص والولاء والدفاع ما للأوطان على ساكنيها من مثل تلك الحقوق ، لا فرق بين أولئك وهؤلاء الا ان قلوب الأولين متعلقة بالقراية المقامة على أسس الدم والنسب ، وان عواطف الأخيرين مائلة الى القراية المبنية على قواعد المواطنة والمصالح المشتركة .

ولما طرأ العرب على المغرب بعد الاسلام فى القرن السابع قابلهم البربر بالترحاب واسلّسوا لهم القياد ، واعتنقوا الدين الذى جاءوا به اليهم ، واقتبسوا اللغة التى سمعوه يتكلمون بها ، وأخذوا عنهم كثيراً من قواعد الحضارة ونظم السياسة ، وساروا واياهم يفتحون الأقطار ويفيمون الدول ، وصاروا واياهم فى ميادين الفضل ومجالات النبل أفراس رهان ، واتصلت منهم فى وقت قصير الأرحام وتلاقحت الدماء وتداخلت الأنساب ، ومث كل فريق بسبب قوى أو ضعيف الى الفريق الآخر ، ولم يكن هذا التداعى مجرد صدفة ولا هذا التجاوب ناتجاً عن غير سبب ، فقد كانت الطبائع الانسانية متشابهة والأمزجة والسجايا متماثلة وان اختلفت طبيعة الأرض العربية عن طبيعة الأرض المغربية ، وامتازت الظواهر الكونية هنا عن الظواهر الكونية هناك ، يضاف الى ذلك ما كان للدين الاسلامى الحنيف من أثر حميد وفعل عجيب فى ترويض العقول الجامحة ، والانة القلوب العصية ، وتآليف الأرواح المختلفة ، ومحو الفروق السلالية والطبقية ، وتوجيه الهم نحو الخير والصلاح وما ينفع الناس ، حتى نشأ عن تمازج العنصرين البربرى والعربى ظهور شعب قوى بايمانه ، جديد فى تركيبه ، قديم فى اصالة اعرافه وعراقة تقاليده ، هو هذا الشعب المغربى القوى الكريم ، الأبى السمع ، الساكن فوق تربته الطيبة وأرضه الجميلة الفاتنة الممتدة من حدود برقة الى البحر المحيط .

ولقد لفت نظرى منذ ثلاثين عاماً خلت أهمية الأدوار التى لعبتها القبائل فوق مسرح السياسة والحكم فى كل مرحلة من مراحل تاريخ المغرب الطويل ووجه من أوجه حياته ومظهر من مظاهر عيشه ، فقد كانت القبيلة تمثل باستمرار أمام عيني خلال مطالعاتى التاريخية وأبحاثى ، وتخطر ببالي كلما حاولت أن أجد للوقائع تعليلاً وللحوادث تأويلاً ، كنت أجدّها وراء قيام الدول وسقوطها ، ونشوب الحروب وخمودها ، وثبوت السلطة وتزعزعها ، وظهور المذاهب وخبوها ، ورخاء المعيشة وشدها ، وانبساط المعرفة وانقباضها ، وبناء المدن وخرابها ، وتحسن الصحة وانتشار الأمراض وازدهار الاقتصاد وتدهور الصنائع ، واستتباب الأمن وشمول الخوف ، وتدخل الأجانب واحتلال الأرض ، فحدانى ذلك الى البحث عن أنساب القبائل المغربية وأصولها ،

والتنقيب عن شعبها وفروعها ، والتعرف على اعرافها وعاداتها ، وتحديد مواطنها ومجالاتها ، وتتبع خطاها وهي تنتقل في دروب المغرب الطويلة وتمشي في مناكبه العريضة عبر الزمان منذ كانت الأكوان ، فوجدتني أمام قبائل عظيمة فوية ، كريمة حفية ، صابرة أبية ، طروبة مرحة ، تتفاخر بالأنساب ، وتعزز بالأحساب ، لا تخاف من الحتوف ، ولا تبخل على الضيوف ، كان فيها انشد أبو قراس :

انا اذا اشتد الزمان وناب خطم وادلهم
الفيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا يبيض السيوف وللندي حمر النعم
هذا وعذا دأبنا يؤدى دم ، ويسراق دم

ووجدت من التمتع بمعرفة أحوالها ، والتلذذ بسماع موسيقاها وأزجالها ، وسائر ألوان فولكلورها الجميل ما كان يغريني بزيادة البحث والتنقيب ، حتى بدأت تراودني فكرة تخصيص (قبائل المغرب) بتأليف أقيد فيه شوارد معلوماتي ، وأدون خلاصة بحوثي ودراساتي ، وأجمع فيه شئنات قراءتي وسماعاتي :

ولما اتضحت الفكرة ، وألحت الرغبة ، وقر القرار وصححت العزيمة ، كان على أن آتي البيوت من الأبواب ، واتصل مع الذين سبقونى الى طرق هذا الموضوع بأسباب ، فأبحث أولا عن الكتب التي ذكر المؤرخون والجغرافيون أنها كتبت في أنساب قبائل المغرب بربريها وعربيها ، مثل كتاب (أنساب البربر) لمحمد بن يوسف الوراق ، وكتاب (أنساب البربر) لعبد الحق بن ابراهيم الصنهاجي ، وكتاب (أنساب البربر وملوكهم) لمحمد بن أبي المجاهد المغيلى ، وكتاب (القصص الفتانة ، في ذكر البربر وزناتة) لمحمد بن أحمد أبو راس الناصري العسكري ، وكتاب (الجوهر المنتخب ، في تنقيح أخبار من بالمغرب من العرب) للشيخ محمد الامام بن الشيخ ماء العينين الادريسي الشنكيطي ، فلم أعثر على واحد منها ، وحرصت كل الحرص على الظفر بكتب نسابي البربر المشهورين مثل كهلان بن أبي لؤي بن يصلاصن ، وسابق بن سليمان بن حراث بن صولات المطماطي ، وهانيء بن بكور الضريسي التي ذكر مؤرخ حديث هو أبو القاسم الزياني أنه طالعها خلال مقامه في القرن الماضي

بقرية العباد ظاهر تلمسان ، فلم أظفر لدى سكان تلك القرية بمن يعرف لها عيناً ولا أثراً ، كما لم أجد في الخزانات العامة والخاصة وفي مقدمتها خزانة الكتب السلطانية التي كلفني جلالة الملك المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه بتنظيمها بعد الاستقلال ما يشفي الغليل في هذا الباب على كثرة ما يوجد فيها من المخطوطات النادرة والكتب النفيسة الغريبة التي لا يوجد لها نظير الا في خزائن الخلفاء والسلاطين العظماء امثال ملوك المغرب الأقصى ، ولكنني ظفرت بدل ذلك بكثير من كتب تراجم الأولياء وأنساب الشرفاء التي اعتنى أهل المغرب قديماً وحديثاً بالكتابة فيها عناية جعلتهم أحياناً يخصون شرفاء حي من الأحياء وصالحيه بتأليف ، فلم تغن تلك الكتب شيئاً كما لم تغن شيئاً الكتب والرسائل الأخرى العديدة التي ألقت في أنساب بعض الأسر النبوية غير الشريفة بالمدن والقرى ، اذ هي مثل بقية كتب التراجم والأنساب لا تفيد كبير فائدة من أراد مثلي أن يطرق الموضوع في عموميه ويتناوله من جميع جوانبه ، غير أنني استفدت الفائدة كلها مما كتبه سيد المؤرخين المغاربة عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي التونسي عن القبائل المغربية ، البربرية والعربية ، في الجزأين السادس والسابع من تاريخه الحافل ، واستترت بما أورده عالم الأندلس وأديبها علي بن احمد بن حزم عن أنساب البربر وتشعب قبائلهم في آخر كتابه (جمهرة أنساب العرب) وكذا بالرسالة المسماة (كتاب الأنساب ، في معرفة الأصحاب) المؤلفة في أنساب أصحاب المهدي بن تومرت داعية الموحدين والقبائل المصمودية والأخرى المضافة التي أيدت دعوته ، كما استعنت بما كتبه الأوروبيون من علماء وسياسيين وإداريين منذ القرن الماضي ، وهو بحر من البحوث والدراسات والتحقيقات لا يدرك ساحله ، ولا يبلغ قعره ، امتزج فيه البحث العلمي الخالص بالتوجيه الاستعماري المشوب ، واقترن فيه التحقيق المنطقي المتند بالخيال الجامح الأهوج ، ولكنه في حالتيه معاً لا يخلو من فائدة كبيرة ، ومادة غزيرة .

وكنت أنوى في البداية أن اقتصر على قبائل المغرب الأقصى وحدها ، ولكنني لم أكد أخطو في العمل خطوات ، وأضع في جداره لبنات حتى أدركت أن من المستحيل على - وعلى أى مؤرخ أو نساب في البلاد المغربية كلها - تخصيص قبائل قطر مغربي بالذكر دون الإشارة الطويلة أو القصيرة الى علاقاته

وارتباطاته بأصولها وفروعها في أقطار المغرب الكبير كافة ، الا أن يجحف بالموضوع ويقصر فيه ولا يستوفيه حقه ، فقد تنبعت القبيلة الواحدة من أقدم عصور التاريخ الى عصرنا الحديث فوجدتها قد مشت في مناكب المغرب وتبوات من جنباته حيث استطابت المقام ، وخلفت في كل بقعة من بقاعه بطناً من بطونها أو عشيرة من عشائرها تحمل اسمها مستقلة عن غيرها ، أو تحمل اسمها مندمجة فيمن يشاكلها ويجانسها من القبائل والبطون ، فلكل من أقطار المغرب الاربعة هواره ولواته ، وصنهاجة وزناتة ، ومطماطة ومغراوة ، ومكناسة وكتامة ، وهلال وسليم ، ودباب ودليم ، فرأيت أن الموضوع لا يطرق مستقصى ، والحديث عنه لا يكون تاماً مستوفى ، الا بالحديث عن جميع القبائل المغربية ، والالام بالكبير من أمرها والصغير ، اقتداء بما فعل امام مؤرخي المغرب ابن خلدون ، وتأكيداً لوحدة أقطاره التي يسعى اليها كل مفكر مخلص في هذا البلد الأمين .

لذلك استعنت بالله وقررت التوسع في الموضوع الذي كنت أريده في البداية ضيقاً ، وتمديده بعدما عازمت على كتابته مقصوراً ، فأقدمت على التحرير غير هباب ولا وجل رغم شعوري بخطورة الأمر وعلمي بما يتطلبه من وقت ويستلزمه من جهد .

ولست أريد أن أطيل على القاريء بذكر ما واجهني من المتاعب في تحرير اسماء الشعوب والاجذام والقبائل والعشائر البربرية وتحديد مواقعها الحالية في بلاد طويلة عريضة كبلاد المغرب ، فقد تعرضت تلك الاسماء للتعريب بعد الاسلام كما تعرضت لتحريف المؤلفين والنساج حتى كتب الاسم الواحد على أوجه عديدة ، وأعطى اللفظ الأصلي صيغاً فرعية جديدة ، وإذا كان من السهل على الدارس المتخصص أن يدرك أن ترهونت وايفشتالين هي رهونة وفشتالة فان من الصعب عليه أن يدرك أن الزناغة هي صنهاجة ، واينگفو صارت هنجافة ، كما يصعب عليه أن يرجع أي هذه الاسماء المنحرفة عن أصل واحد : هنزولة وهيزونة وهتروقة وهترونة وهنزرة هو الصحيح ؟ .

وقد رأيت أن أمهد لموضوع القبائل بمقدمة جغرافية وأخرى تاريخية ،
الأولى تعين على معرفة أقطار المغرب وطن القبائل المغربية وتحديد مساكنها أو
مجالاتها منه ، والثانية تسهل معرفة علاقة الممالك والامارات بالقبائل والعشائر
التي قامت بتأييدها وتمضيدها ، أو عملت على اضعافها وتبديدها ، اما الموضوع
نفسه ، مرضوع قبائل المغرب ، فقد قسمته ثلاثة أقسام :

١ - القسم الأول يتعلق بوجود النوع الانساني على صعيد المغرب
الكبير وذكر هجراته منه واليه وظهور أجناسه وقبائله وبيان أنسابها وتشعبها
وتحديد مواطن اقامتها ومجالات ريادتها وتجمعتها .

ب - القسم الثاني يرتب القبائل حسب التقسيمات الادارية الحالية
لاقطار المغرب العربي مع ذكر ما يوجد تحت كل قبيلة من بطون وعمائر ،
واخذاء وعشائر ، ويقع بالأرض التي تستقر بها من مدن وقرى ومدامر وقصور
ودواوير وبروج .

ت - القسم الثالث يرتب أسماء القبائل وفروعها حسب ترتيب
الحروف الهجائية المغربية فهو بمثابة قاموس لها يمكن من أراد التعرف على
قبيلة أو فرع من فروعها من العثور عليها بسهولة حسب المبنى اللغوي
لاسماها ، والالمام بشيء مما يتعلق بها جغرافياً وتاريخياً واقتصادياً وأدبياً .

وقد تفرع عن القسمين الثاني والثالث قسم آخر يمكن اعتباره معجماً
لبلدان مغربنا الكبير ، فإن كثيراً من أسماء القبائل والعمائر أصبح علماً على
أقاليم ومدن وقرى ومدامر ، فليست غريان ومسراتة وترهونة وزوارة بالقطر
الليبي ، ومطماطة ونفزاوة وسبيلطة وقسطيلية بالقطر التونسي ، وبجاية ولدية
ومليانة وندرومة بالقطر الجزائري ، وغساسة وفضالة وبنى ملال ومحاميد
الغزلان بالمغرب الأقصى في الأصل الا أسماء ذات دلالات سلالية صارت لها فيما
بعد دلالات جغرافية ، لذلك ذكرت السلالى منها في هذا الكتاب ، وخصصت
الجغرافى - مضافاً اليه بقية الاعلام الجغرافية - بكتاب مستقل حررت بعض
مواده وأنوى تحرير بقية المواد بعون الله وحسن توفيقه .

وسلاحظ قارىء هذا القسم أننى ذكرت أسماء بعض القبائل من غير أن أعلق عليها بشيء . والسبب فى ذلك أننى لم أتوفق فى الحصول على معلومات عنها رغم مواصلة المطالعة وطول التجوال وكثرة السؤال ، وأننى لم أتوسع فى ذكر ما تنطوى عليه الأصول من فروع مثل زناثة ومكناسة لأن ذكر الفروع سيرد فى القسمين الثانى والثالث ، كما سلاحظ أننى استعملت بعض الكلمات ذات الدلالات الدقيقة مما يستعمله شعبنا المغربى أو تستعمله شعوب العالم كله ولا يوجد له نظير مشهور فى اللغة العربية ، وأننى أبحث لقلعى التحرر من بعض القواعد اللغوية المشوشة كتأنيث ما ليس مؤنثاً حقيقياً ولا لفظياً ، ويرجع السبب فى ذلك الى اعتقادى أن اللغة العربية يجب تبسيطها الى الحد الذى لا يمس جوهرها ولا يفسد رونقها ، وأنه يجب اغاؤها بالمفردات العلمية والمعنية التى لا تصطبغ بقوميات ولا تحد بحدود التبعيات ليتمكن أن تواصل السير وتواكب قافلة التطور الحضارى ، اذ ليس من المعقول أن يكون أسلافنا اقنيسوا فى أيام عز دولتهم وشروق شمس لغتهم من الفارسة كلمات الأسناد والتلميذ ، والسبورة والطباشير ، والفهرسة والابزيم ، ومن اليونانية الموسيقى والجغرافيا ، والارخبيل والاقليم ، والدرهم والدينار ، ونحجم نحن عن اقتباس كلمات مثل الجيولوجيا والديموغرافيا والتلغراف واللفزيون وسواها من الألفاظ العصرية التى تستعملها أمم العالم وشعوبه .

وبعد ، فهذه أبحاث ودراسات عن قبائل المغرب الكبير أكتبها وشمس النظام القبلى فيه على أطراف النخيل فقد حلت فكرة المواطنة ذات المدلول السياسى الواسع ، وفكرة الجماعة Commune ذات المدلول الإدارى والاقتصادى والاجتماعى الضيق محل العصبية القبلية الموروثة من العصور الانسانية البدائية ، والمنبثقة عن عوامل وظروف عنيقة لا صلة لها بالظروف العصرية والعوامل ذات المفاهيم الجديدة ، وسيأتى يوم تندثر فيه القبيلة بالمرة كما اندثرت فى الأفطار المتحضرة والشعوب المتطورة ، وتبقى محلها العمارة أو الجماعة التى يرتبط أفرادها برابطة المصلحة المشتركة والمنفعة المتداخلة لا برابطة القرابة السببية ، ولا يبقى الا مثل هذا الكتاب يذكر

المؤرخين والنسابين ، والجغرافيين والاجتماعيين بالقبائل القديمة وبلغى أصواء
على شعبها وفروعها ، وعاداتها وأنظمتها .

ويشرفنى فى الختام أن أرفع كتابى الى حضرة صاحب الجلالة أمير
المومنين ابن أمير المومنين **الحسن الثانى** ملك المملكة المغربية ، وفرع الدوحة
المحمدية النبوية ، الذى لا يفتأ يسدى الى من توجهاته ونصائحه ، ويحبونى
بمطايه الكريمة ومناحه ، جعل الله اليمن مفروناً بأيامه ، والنصر معقوداً
بالوئته الخافقة وأعلامه ، وحقق له الآمال ، وأصبحه السلامة فى الحل والترحال .

الرباط - السبت | 2 شوال 1388
عبد الوهاب بن محمد منصور | 21 دجبر 1968

وَطَنُ الْقِبَائِلِ الْمَغْرِبِيَّةِ

نظرة جغرافية عامة

لـ مناصى لمن يريد الكلام على القبائل المغربية من التحدث أولا عن وطنها ، والالمام بشيء من تاريخه ونظمه وتقاسيمه ، ليتسنى له أن يحدد الأماكن التي تقيم بها منه ، ويتعرف على مواطنها الأولى ، ويتبين الجهات التي تقلبت فيها قبل أن ينتهى بها المطاف الى الاستقرار في واحدة منها بصفة مستمرة .

والكلام على المغرب — وطن القبائل المغربية — يقتضى أن يكون عاماً شاملاً غير قاصر على جزء من أجزائه ، لأنه جميعه وطنها جميعا ، عرفها وعرفته خلال مسيرة الزمان الطويلة ، تتقلب في أطرافه ، وتجول خلال وجوده وأغواره ، لا تعوقها حدود ، ولا تصدها حواجز ، لأن صبط النفس وتنظيم الهجرة وقوانين الجنسية وحقوق المواطنة هي أمور لم تعرفها الأقطار المغربية الا في العصور الحديثة .

ومن حسن حظ الشعب المغربي أن الله حباه بوطن يتمتع بخصائص شتى ومزايا عديدة ، من أهمها وحدته الجغرافية التي يرجع الفضل فيها الى سلسلة جبال الأطلس الشامخة ، تلك الجبال التي تشد أطرافه كالحزام شداً محكمًا ، وتقوى أواصر التآخي بين سكانه ، وتجعل الطبيعة والبيئة ووسائل الكسب وطرائق العيش أمامها وخلفها تتشابه في أجزائه كلها .

الاسم : وقد دعى هذا الوطن خلال تاريخه الطويل بأسماء عديدة ،
واليونانيون أطلقوا في الأول كلمة **ليبيا** على شمال القارة الافريقية الذى
يسكنه البيض ، وجعلوها فى مقابل كلمة **الصحرَاء** التى تدل على الاراضى
التي يسكنها الاثيوبيون السود ، والرومان أطلقوا في البداية كلمة **افريقيا**
على مقاطعة تكاد تعادل الشمال الشرقى للجمهورية التونسية الحالية ، ثم
اتسع مدلول الكلمتين فيما بعد ، فأصبح يدل على القارة كلها .

ولما امتد مد الاسلام الى الشمال الافريقى أطلق العرب عليه اسم
جزيرة المغرب و بلاد المغرب أو المغرب مختصراً ، وقد حلل ابن خلدون
في تاريخه (6 : 193) هذه الكلمة فقال انها في أصل وصعها اسم
اصافى يدل على مكان من الأمكنة باضافته الى جهة المشرق ، مثلها في ذلك
مثل كلمة المشرق ، فكل مكان في الأرض مغرب بالاضافة الى جهة المشرق ،
ومشرق بالاضافة الى جهة المغرب ، ثم ذكر أن العرب قد تخصص هذه
الاسماء بجهات معينة وأقطار محدودة كما حدث بالنسبة لكلمة **المغرب**
التي أصبحت علماً قائماً بذاته يدل على جهة معينة من الأرض دون اصافته
الى كلمة أخرى .

وفي العصور الوسطى أطلقت الدول الأوربية البحرية على المغرب
اسم **بارباريا** وعلى أقطاره اسم **الولايات البارباوية** نسبة الى سكانه الأولين
على أحسن الفروض ، ولمزاً لأهله بالهمجية والوحشية على أسوأ
الاحتمالات ، كما بدأ الجغرافيون الأوربيون يسمونه منذ القرن الرابع عشر
الميلادى **افريقيا الصغرى** اشارة الى أنه يشبه فارة صغيرة متداخلة في
أخرى كبيرة ، و **البلاد الأطلسية** اشعاراً بأهمية جباله ، و **افريقيا**
الشمالية و الشمال الافريقى ، ولا داعى لذكر الاسماء الأخرى التى أولع
المستعمرون الأوربيون باطلاقها عليه وترديدها بكثرة على السنتهم
وفى كتاباتهم اثناء حكمهم له ، فقد زالت تلك الاسماء بزوال سيطرتهم كما
زالت الاسماء الأخرى ، ولم يبق منها خالداً الا **المغرب** الذى ارتضاه
له أهله اسماً ، ورضوا أن ينسبوا اليه ويدعوا به ، ذلك الاسم الجميل

الذى ازداد فى العصر الحاضر ذيوغاً وشیوعاً ، وأصبح ينعت مند سواب
المضال التحريرى تارة بالعربى وتارة بالكبير .

الموقع والحدود : كان مدلول كلمة **المغرب** يتسع تارة عند
الجغرافيين العرب فيدل على جميع الأراضى الواقعة بين البحر الأحمر شرقاً
والمحيط الأطلسى غرباً وكذلك الأراضى الاسلامیة الاخرى بالاندلس وجزر
الحوض الغربى للبحر الأبيض المتوسط ، وتارة أخرى كان يضيق فلا
يشمل الا الأراضى الممتدة من النيل الى الغرب ، أما العرف الجسارى بين
المغاربة فلا يدخل فى المغرب اراضى مصر ولا اراضى برقة ، وإنما يخصه
بأقليم طرابلس وما يقع غربه من أقالیم ، وهى الأراضى التى كانت للبربر
موطناً وداراً قبل الاسلام ، وعلى هذا العرف سنقتصر أثناء الحديث عن
قبائل المغرب .

وتحتل بلاد المغرب موقعاً ممتازاً فى شمال القارة الأفريقية والحوض
الغربى للبحر الأبيض المتوسط ، وتتحكم فى طرق المواصلات الوسطى
والغربية لهذا البحر ، لقصر المسافات التى تفصل شواطئها عن الشواطئ
الأوربية عند مضيق صقلية ومضيق جبل طارق ، كما أن وجود واجهة طويلة
لها على المحيط الأطلسى يجعلها مفتوحة على العالم ، يسيرة الاتصال عن طريق
البحر بأوروبا الشمالية والأمريكيتين .

وإذا ألقي الانسان نظرة على مسطح المغرب - كما يحدده العرف
المغربى - من خريطة القارة الامريقية يجده يشتمل على اراضى شاسعة
متباعدة الأطراف ، تبلغ المسافة بين طرفيها الشمالى والجنوبى أكثر من
2000 كلم ، وبين طرفيها الشرقى والغربى أكثر من 3000 كلم ، كما يلاحظ
أن الجغرافيين العرب لم يبتعدوا عن الصواب عندما سموه جزيرة جريباً على
عادتهم فى تسمية شبه الجزيرة جزيرة اذا كان الطرف الذى يتصل به مع
بقية الأرض حاجزاً منيعاً كالصحارى المقفرة والجبال العالية ، فالمغرب
يحيط به الماء من الشمال والغرب وجزء من الشرق ، والصحراء من الجنوب
وجزء آخر من الشرق ، فالحدود التى تضم داخلها جميع أقطاره حدود

طبيعيه : المحيط الأطلسي من الجهة الغربية ، والبحر المتوسط من الجهة الشمالية ، والخط المستقيم الفاصل بين ولايتي طرابلس وفزان وبين ولايه بركة البازل من خليج سرت الى الجنوب من الجهة الشرقية ، أما من الجهة الجنوبية فالجغرافيون والمؤرخون القدامى والمحدثون - وفي مقدمتهم العلامة ابن خلدون - يجعلون للمغرب حدين أقصى وأدنى ، فالأقصى هو الرمال المتهيلة الفاصلة بين المغرب والسودان والمعروفة عند البداءة بالعرق ، ويبدأ العرق من المحيط الأطلسي ذاهباً على سمت واحد الى جهة الشرق حتى يعترضه نهر النيل فينقطع ، وتمتدحه بين الحين والحين أراضي متحجرة تدعى الواحدة منها حمادة ، ومن أشهر العروق وأكبرها عرق ايكينى ، وعرق شيش ، والعرق الغربى الكبير ، والعرق الشرقى الكبير ، والأدنى هو الأراضي التي تجاور مباشرة السفوح الجنوبية لسلاسل جبال الأطلس المسماة قديماً جبل درن ، الممتدة من رأسها الخارج فى المحيط الأطلسي بإقليم سوس الى جبل نعوسة بإقليم طرابلس ، وما بين الحدين الأدنى والأقصى بسائط وقفار (فايجة) يرتادها الأعراب الرحالون ، وما وراء الحد الأقصى من أراضي ينتهى اليها الطوارق فى بعض السنين انتجاعاً للكلا معدود من البلاد المغربية وان كان خارجاً عن الحد ، مثل قرى توات فى جنوب المغرب الأقصى ، وقرى تساييت وتيكورارين فى جنوب المغرب الأوسط ، وقرى غدامس وفزان وودان فى جنوب المغرب الأدنى ، وعلى هذا يمكن أن نعتبر أن المغرب هو مجموع الأراضي الواقعة بين خط الطول العشرين شرقاً ، والمحيط الأطلسي غرباً ، والبحر المتوسط شمالاً ، وخط العرض العشرين الشمالى جنوباً .

ومن البديهي أن هذه الحدود لا تنطبق على الحدود السياسية الحالية للدول والأقاليم المغربية ، ولكن من الواجب أن ترسخ فى أذهان الناشئة المغربية من الآن ، وينظر اليها بعين الاعتبار جميع الذين يعملون لتحقيق الوحدة المغربية فى أشكالها السياسية والاقتصادية والعسكرية .

المساحة وعدد السكان : تبلغ مساحة الدول والأقاليم المغربية أزيد

من 6.000.000 كلم مربع ، موزعة هكذا :

الجمهورية التونسية	125.180	كلم مربع
الجمهورية الجزائرية	2.191.000	كلم مربع (1)
المملكة الليبية	1.759.000	كلم مربع (2)
المملكة المغربية (الجزء المحرر)	550.000	كلم مربع
المملكة المغربية (اقليم موريطانيا)	1.169.000	كلم مربع
المملكة المغربية (الساقية الحمراء ووادي الذهب)	280.000	كلم مربع
ج :	6.074.180	كلم مربع	

يضاف اليها مساحة الجيوب الصغيرة التي تحتلها اسبانيا بفرب
الجزء المحرر من المملكة المغربية (يفتى) وشماله (سبتة - مليلية - حجرة
نكور - حجرة بادس - جزائر ملوية) .

ويبلغ عدد السكان حسب احصائيات سنة 1965 فى الدول الأربع
التي لا غبار على سيادتها نحو 32 مليون نسمة ، أى أكثر قليلا من عشر سكان
القارة الافريقية البالغ عددهم 302 مليون .

أما توزيعهم على الدول المغربية فهو كالآتى :

الدولة	العدد	النسبة المئوية
الجمهورية التونسية	4.675.000	15 %
الجمهورية الجزائرية	12.041.845	38 %
المملكة الليبية	1.622.000	5 %
المملكة المغربية (الجزء المحرر)	13.323.000	42 %
	31.661.845	100

(1) الأقاليم الشمالية 327.000 كلم ، الصحراء 1.864.000 كلم .

(2) ولاية طرابلس 353.000 كلم ، ولاية فزان 550.000 كلم ، ولاية مرقة 855.00 كلم .

وإذا كان عدد السكان في تلك السنة هو ما ذكرنا فمن المؤكد أنه سينصاعف سنة 1985 لأن نسبة الزيادة تبلغ 3 ٪ كل سنة ، أي بزيادة ضعف العدد في كل عشرين سنة على وجه التقريب ، ولهذا ينتظر أن يبلغ سكان الدول الأربع في نهاية هذا القرن 72 مليون حسب التدرج التالي :

سنة 1965	31.661.845	سنة 1985	52.013.000
سنة 1970	35.685.000	سنة 1990	58.543.000
سنة 1975	40.941.000	سنة 1995	65.643.000
سنة 1980	46.304.000	سنة 2000	72.759.000

وتبلغ نسبة توزع السكان على الأرض 22 ساكناً لكل كيلومتر مربع في المناطق المسكونة التي تقدر بنحو الثلث من مجموع البلاد .

وتؤثر الأحوال الطبيعية تأثيراً ملحوظاً في الاختلاف الكبير الحاصل في نسبة توزع السكان على المناطق ، ومن الطبيعي أن توجد أكبر نسبة في المدن والقرى الكبيرة ، ثم في المناطق الزراعية المسقية ، ثم في المناطق البعلية التي تؤتي فيها الفلاحة المعتمدة على المطر صابة جيدة ، ثم تنخفض النسبة في المناطق الجبلية التي يقل فيها الماء وتندعم الفلاحة أو تكاد .

وفي السهول المحاذية للمحيط الأطلسي وفي المناطق الجبلية بوسط المملكة المغربية وشمالها ، وفي مناطق التل بالجزائر وتونس تبليغ كثافة السكان 30 ساكناً في المتوسط لكل كيلومتر مربع ، وقد ترتفع هذه الكثافة إلى 50 و 60 وأحياناً إلى أكثر من 100 في بعض المناطق الخصيبة ، أما فيما عدى ذلك فإن الكثافة تنخفض إلى 5 من السكان لكل كيلومتر ، وأحياناً تنزل إلى ساكن واحد لكل كيلومتر في المناطق الصحراوية .

وتجب الإشارة إلى أن الأحوال الطبيعية ليست وحدها السبب في تفاوت هذه الكثافة ، لأن عدداً من السكان يعيش متنقلاً على عادة العرب الرحل ، على أن عادة الانتجاع والارتباد هي الآن سائرة في طريق الازمحلال .

أما نسبة السكان المقيمين في المدن والمراكز الحضرية بالدول الأربع فهي كالآتي :

تونس	6 ، 35 %
الجزائر	5 ، 32 %
ليبيا	7 ، 22 %
المغرب الأقصى	3 ، 29 %

ويقدر متوسط الحياة للفرد في المغرب بخمسين سنة ، بيد أن هذا المتوسط أخذ في الارتفاع نتيجة التحسن المطرد في السكن والغذاء وأسباب الوقاية والعلاج من الأمراض ، ويمتاز سكان الأقطار المغربية بكثرة العناصر الشابة والفتية ، إذ تبلغ نسبة السكان الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة أزيد من 50 % حسبما يوضحه الجدول التالي :

تونس	5 ، 52 %
الجزائر	8 ، 50 %
ليبيا	7 ، 50 %
المغرب الأقصى	51 %

السطح : يتكون سطح بلاد المغرب من أراض عالية تحجزها المياه والرمال ، وإذا كان سكانها مصلين في عصر ما قبل التاريخ على ما يظن بسكان القارة الأوروبية بواسطة قناطر كانت تجمع بين الشاطئين ، وبسكان وسط القارة الأفريقية عبر الصحراء التي كانت أقل ضراوة مما هي عليه الآن ، فإن انقطاع أسباب الاتصال المباشر بينهم وبين سكان القارتين في العصور التاريخية أدى إلى عزلتهم ، وحال دون تسرب التأثيرات الخارجية إليهم ، وجعل أعراقهم القومية وعاداتهم المحلية تقوى على مر الزمان .

ويتجاوز ارتفاع الأرض في أكثر من نصف بلاد المغرب 800 متر فوق سطح البحر ، ومتوسط الارتفاع في تونس لا يتجاوز 300 م ، ولكنه

ييساعد الى 800 م في المغرب الأقصى و 900 م في الجزائر ، ولا توجد في البلاد المغربية سهول منخفضة نسبياً الا في غرب المملكة المغربية وشرق الجمهورية التونسية ، والأرض فيما عداها مرتفعة ، فحيثما ولي الانسان وجهه لا يرى الا جبالا شامخة أو نجوداً عالية ، حتى قال بعض الجغرافيين : ان بلاد المغرب تقابل الوافد عليها بوجه متجهم .

الجبال : وتخترق البلاد المغربية سلسلة جبال منيعة عرفت في القديم بـجبال درن ، وتعرف في الحديث بـجبال الأطلس ، وهي جبال شاهقة وعرة الدروب صعبة المسالك ، تكمل هاماتها التلوج في فصلي الشتاء والربيع ، وتكثر فيها المناظر الجميلة ، والغابات الباسقة ، والبحيرات اللطيفة ، والشلالات البديمة .

وتنقسم هذه السلسلة الجبلية الى ثلاثة أقسام :

1 - الأطلس الساحلي ، ويبتدىء غرباً من جبال أنجرة على ساحل بحر الزقاق (3) ويشمل جبال غمارة ، والريف ، وبنى يزنان ، وثرارة ، والطهرا ، ويدوغ الخ .

ب - الأطلس التلي ، ويبتدىء من المغرب الأقصى عالياً (قمة تجموعت 4500) ويشمل جبال كندافة ، وكلاوة ، والمدحوس ، وبسادو ، وتلمسان ، وسعيدة وونشريس ، والجرجرة (قمة للاخديجة 2308 م) وينتهي في تونس بـجبال الخمير .

ج - الأطلس الصحراوي ، وامتداده من الغرب الى الشرق كذلك ، ويشمل جبال باني ، ودرعة ، وصغرو ، والقصور ، والعمور ، وأولاد نايل ، ويرتفع كثيراً بأوراس (قمة الشلية 2328 م) وينتهي في تونس بـجبال زغوان ، وفي ليبيا بـجبال نفوسة .

(3) مضيق جبل طارق في الامتلاح الجغرافي المغربي القديم .

وهناك قسم رابع يدعى النجود العليا واقع بين الأطلسين السلي والصحراوي ، وارتفاعه يتراوح بين 700 و 1100 م .

وتفصل هذه الأقسام - بعضها عن بعض - أما ببسائط وأما بمضائق تسمى بأسماء القبائل المجاورة لها .

وبين القسم الثاني والبحر تنبسط عدة سهول زراعية خصيبة مثل سهول الشاوية والغرب وسائس بالمغرب الأقصى ، وسهول ملينة وغريس وشلف ومنتيجة بالجزائر ، وسهول الساحل ووادي مجردة بتونس .

السواحل : وسواحل المغرب طويلة جداً ، والقسم الواقع منها على المحيط الأطلسي متفتح منحدر قليل التضاريس كثير الكثبان ، والقسم الواقع منها على البحر المتوسط صخري متعلق على النقيض من الأول، كثير التضاريس ضيق الخلجان .

والجزر المحاذية لهذه السواحل ليست كثيرة العدد ولا واسعة الرقعة ، كما أنها ليست ذات أهمية اقتصادية أو حربية باستثناء جزيرة قوصرة Pentellaria الواقعة تحت سيطرة إيطاليا بمضيق صقلية ، والجزر الخالدات Islas Canarias الواقعة أمام ساحل المغرب الأقصى تحت سيطرة إسبانيا ، وأهم هذه الجزر - ان كانت ذات أهمية - واقع بالشرق كجزر جربة وقرنة وطبرقة بتونس ، وجزر منصورية والحبيبات ورشقول بالجزائر، وجزائر ملوينة Las Chafarinas وتكور وبادس والمعدنوس بساحل المغرب الأقصى ، وليس أمام الساحل الأطلسي للبلاد المغربية الا جزيرة صغيرة واقعة أمام مرسى الصويرة ، وأرخبيل كناريا .

الأنهار : وبالمغرب أنهار عديدة تدعى أودية حتى ولو كانت غزيرة الماء دائمة الجريان ، وتتفاوت هذه الأنهار أهمية وطولا ، وتغير بتغير الأزمنة والامكنة ، والجغرافيون يقسمونها - كالجبال - الى ثلاثة أقسام :

١ - قسم تتفجر ينابيعه من الجهات العالية التى يكثر فيها المطر والثلج ، فيستمد مياهه من السيول وذوبان الثلج خريفاً وشتاءً وربيعاً ، ومن مياه العيون فى جميع فصول السنة ، وأكثر الأنهار التى تنصب فى المحيط الأطلسى هى من هذا النوع ، كأنهار لكوس ، وسبو ، وأبى رقرق ، وأم الربيع .

ب - وقسم يفيض شتاءً ويفيض صيفاً ، لأنه لا يستمد من ينابيع قوية ولا تغذيه روافد كبيرة ، وأنهاره تنصب كلها فى البحر المتوسط كملوية وتافنا وشلف وسومام ومجردة والمليان .

ت - وقسم ثالث تبتدىء مجاريه من المنحدرات الجنوبية لجبال الأطلس وتنتجه نحو الصحراء وهى تضعف شيئاً فشيئاً حتى تفيض مياهها فى الرمال، ومن أنهار هذا القسم الداورة والساورة والناموس والمية والغرعار .

والى جانب هذه الأودية والأنهار يوجد بالبلاد المغربية عدد من الحمامات والينابيع التى تميد كثيراً فى علاج الأمراض العصبية والجلدية والمعوية . كما توجد بها بحيرات بعضها يبقى مغموراً بالماء طيلة السنة كبهيرة الاشكل بتونس وبهيرة طونكة بالجزائر وبهيرة أكلمان سيدي على بالمغرب الأقصى ، وبعضها تتبخّر مياهه فى الصيف فتستحيل البهيرة الى بحر من الملح ، وتسمى حينئذ بالضاية أو الشط أو السبخة أو زاعز حسب الأهمية والموقع ، ومن أشهر بحيرات هذا القسم : شط الجريد (5000 كلم مربع) ، وشط الحضنة (27.654 هـ) ، وزاغز الشرقى (50.000 هـ) ، وزاغز الغربى (32.000 هـ) ، والشط الشرقى (طوله 150 كلم ، ومساحته 165.000 هـ) والشط الغربى أو شط حميان (طوله 40 كلم ، ومساحته 55.000 هـ) .

الطقس : ليس الطقس متشابهاً ولا متقارباً فى جميع أطراف بلاد المغرب ، لأن منها مناطق موعلة فى الجنوب الى ما وراء خط الانقلاب حيث الطقس الاستوائى الحار ، ومنها مناطق واقعة شمالى ذلك الخط حيث تبتدىء المنطقة المعتدلة .

ويمكن تشبيه الطقس فى المناطق المأهولة بطقس أوروبا الجنوب وبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط .

فالصيف متميز بحرارته ، وهو يخلف فصل الشتاء تدريجيا عبر شهور فصل الربيع ، وتزداد الحرارة كلما ابتعد الانسان عن الساحل وأوغ فى داخلية البلاد ، ولا يزيد متوسط الحرارة فى شهر غشت على 25 درجة فى الساحل الا نادراً كما حدث يوم 19 يوليوز سنة 1967 عندما سجل مقياس الحرارة فى الدار البيضاء الدرجة 47 ، ولكنه الشذوذ الذى يؤك القاعدة ، على أن السواحل اذا امتازت صيفاً باعندال حرارتها فانها تقب برطوبتها ، على العكس من المناطق الداخلية التى تشته فيها وطأة الحرار حتى تصل أحياناً الى 40 درجة أو أكثر ، ولكنها تمتاز بطقس صحى خا من الرطوبة .

أما فصل الشتاء فهو لطيف محتمل ، ولا يكون البرد قساسياً فى المرتفعات الجبلية والنجود العالية حيث ينخفض ميزان الحرارة فـ بعض الأحيان الى ما تحت الصفر .

وبين الجدول التالى متوسط ميزان الحرارة فى بعض المدن :

اسم المدينة	الارتفاع بالمتر	متوسط يناير	متوسط يوليوز
الدار البيضاء	982 ، 15 م	12 م	22 م
الصويرة	6 م	14 م	19 م
مراكش	460 م	11 م	28 م
وهران	80 م	11 م	24 م
الجزائر	118 م	11 م	25 م
فلسطينة	650 م	6 م	25 م
البيضا	1320 م	4 م	26 م
بسكرة	128 م	11 م	35 م
تونس	47 م	10 م	25 م
طرابلس	17 م	11 م	26 م

ويساعد الارتفاع العظيم على تكثف البخار ، وتسقط الرياح التى تهب من المحيط الأطلسى - الأمطار بغزارة كبيرة ، وتنوغل الرياح عبر الممرات الجبلية ، ولكن تأثير البحر يتناقص كلما ابتعد الانسان عن البحر ويزايد تأثير الارتفاع .

وتغزر الأمطار بالسواحل والمرتفعات الأطلسية وتقل فيما عداها ، وتتناقص كلما اتجه الانسان شرقاً أو نزل من المرتفعات الى السهول ولاسيما تلك الواقعة خلف الجبال أو ما يسمى فى ظل المطر ، ويؤثر اتجاه التضاريس بالنسبة للرياح تأثيراً ملحوظاً فى كمية المطر النازل ، فاذا وازت الجبال الرياح قل المطر ، واذا كانت الرياح عمودية على الجبال كثر ، ويبدأ نزول المطر مبكراً فى شهر نونبر على السواحل أكثر من الداخل باستثناء مرتفعات السلسلة الأطلسية ، فلا تقل كمية الأمطار النازلة سنوياً فى أى بقعه ساحلية عن 400 مليمتراً .

ولا تنعقد الثلوج بالسواحل الا قليلا ، ولا يستمر نزولها - اذا نزلت - الا يومين أو ثلاثاً ، ولكنها تنزل على المرتفعات الداخلية وتنعقد فوق الأرض بصفة أسابيع ، وفى جبال الأطلس بالمغرب الأقصى تستمر منعقدة بضعة أشهر ، وغالباً ما يدخل فصل الصيف وقم الجبال الأطلسية ما رالت معممة بالثلج ، ويؤدى ذوبان الثلج الى فيضان الأنهار الخلفية الذى تنعم سكان الواحات نفعا كبيراً ، وتعوضهم بمائها عن ماء المطر الذى حرمتهم منه الطبيعة .

وليس نزول المطر فى البلاد المغربية مضبوطاً فى وقته ولا كميته ، فقد يتقدم موعد نزول المطر أو يتأخر فى سنة عن موعد نزوله فى أخرى ، وقد تزيد الكمية النازلة بجهة ما أو تنقص فى سنة ما عنها فى سنة أخرى ، وهذا يؤدى بالطبع الى استحالة ضبط الانتاج الزراعى ، ففى مدينة جلفة بلغت كمية المطر 99 مليمتراً سنة 1913 بينما بلغت الكمية 775 مليمتراً سنة 1893 ، وفى المغرب الأقصى بلغ المحصول الزراعى $1\frac{1}{2}$ 38 مليون قنطار سنة 1941 ولكنه لم يتعد 4 ملايين قنطار فى سنة 1945 ولهذا أصبح شغل الحكومات المغربية الشاغل فى الوقت الراهن استغلال المياه الأرضية ببناء السدود

واستنباط المياه الجوفية ليتمكنها مواجهة المشاكل الغذائية الناتجة عن النمو الديموگرافي المتزايد .

والجدول التالي يبين متوسط كميات المطر النازلة سنوياً في جهات مختلفة من البلاد المغربية :

المدينة	كمية المطر بالمليتر	المدينة	كمية المطر بالمليتر
طنجة	750 ملم	الجزائر	750 ملم
الدار البيضاء	400 ملم	القل	1798 ملم
بسكرة	200 ملم	صفاقس	150 ملم
مراكش	150 ملم	تونس	390 ملم
البيضا	280 ملم	طرابلس	370 ملم

النبات : يخضع النبات في كل بقعة من بقاع الأرض لأحوال الطقس والموقع كما يخضع للعمل البشري ، فمن الطبيعي - وبلاد المغرب تصافح الصحراء بيد والبحر المتوسط بأخرى - ان يختلف النبات في شمال المغرب عنه في جنوبه .

وفي الشمال الذي يمر في أقصاه الخط السابع والثلاثون من العرض الشمالي توجد جميع نباتات حوض البحر الأبيض المتوسط ، لأن الرياح العكسية التي تتعرض لها مرتفعاته يترتب عنها نزول الأمطار بغزارة في فصل الشتاء ، وهذه تساعد على نمو أشجار وشجيرات مخضرة على الدوام ، كالزيتون والليمون ، كما تساعد على استغلال الأراضي لأغراض زراعية ، وتعين على وجود غابات كثيفة الأشجار .

ومن الثابت تاريخياً أن مساحة الغابات (6.000.000 هكتار اليوم) ببلاد المغرب ضاقت عبر القرون ، ولا يعزى ذلك فقط الى حاجة الانسان الى تحويل مساحات منها الى بساتين وحقول لتلبية متطلبات الحياة الفردية والقومية،

بل يرجع السبب أيضاً الى الأهمال وتطاحن القبائل فى الماضى ، الشيء الذى نتج عنه تلف الأشجار ، وخاصة شجر الزيتون الذى ما زالت معاصر الزيت فى بعض الجهات تدل على وجوده السابق بها .

ولا يوجد من الأعشاب فى بلاد المغرب الا الأنواع الفقيرة التى لا تصلح للبقر ، ولذلك لا يوجد اللبن وبالنالى الزبد والجبن بوفرة ، ويعتمد المغاربة غالباً على زيت الزيتون فى طبخهم ، تلك الشجرة التى تميزت بها بلدان حوض البحر المتوسط .

وتوجد بالغابات المغربية أكثر أنواع الأشجار الغابوية، فالبلوط يوجد فى تونس والجزائر والمغرب الأقصى ، والزان يوجد على ارتفاع 1000 - 1500 م ، والحروب يكثر فى المناطق التى يتراوح ارتفاعها بين 400 و 1500 م ، والعرعار والصنوبر فى المناطق التى يزيد ارتفاعها على 1500 م ، أما الأرز فيوجد فى مناطق يتراوح ارتفاعها بين 1500 و 2500 م ، ومنه فى بلاد المغرب غابسات كبيرة تكاد مساحتها تضارع مساحة لبنان ! .

وفى المناطق المواجهة للصحراء خلف جبال الأطلس وكذلك فى السجود العليا (الظهرا) توجد نباتات ضعيفة من النوع الذى ينسب فى الأراضى التى يسميها الأوربيون السيب Les Steppes وهى تورق شتاء وربعاً وتيس صيفاً ، والأعراب يرتادونها بماشيتهم فتجد فيها غذاء جيداً ، كما توجد فيها الحلفه التى تدخل فى صناعة الورق، وتصدر منها كميات وفيرة الى الخارج .

والى الجنوب من ذلك تبدو الصحراء بوجهها الكالح حيث يقل النبات شيئاً فشيئاً الى ان يتلاشى نهائياً فى صميمها ، وهذه الصحراء تقترب من الساحل فى المملكة الليبية ولا سيما غرب مدينة طرابلس وحول خليج سرت ، وذلك لمسامة ذلك الساحل عرضاً للمناطق الصحراوية فى بقية الأقاليم المغربية .

ويمكن تلخيص القول فى شأن النبات بأن المناطق التى يزيد متوسط المطر السنوى فيها على 300 ملم تنبت نباتات أقطار أوروبا الجنوبية ، وفى

المناطق التي يقل فيها متوسط المطر عن 300 ملم توجد بيانات السبب الهزيله . أما المناطق التي يقل فيها متوسط المطر عن 100 ملم فهي مناطق صحراوية لا تنبت شيئاً .

الثروات الطبيعية : التربة المغربية غنية جداً بما يشتمل عليه ظاهرها وباطنها من ثروات فلاحية ومعديّة ، الا أن الطرق المتبعة في استغلال هذه الثروات اقتصادياً متباينة جداً ، فهناك الطرق العصرية التي تعتمد على الوسائل المالية والتقنية في الانشاء والسيير والتصرف ، وهناك الطرق العتيقة التي تعتمد على اليد بالدرجة الأولى ، ولا تستهدف أكثر من سد الرمق .

وينتج عن هذا الاختلاف اختلاف في طريقة الحياة وتفاوت في مستوى العيش لدى المغاربة ، ولهذا أصبح الهدف الأكبر لقادة البلاد المغربية القضاء على هذا التفاوت والاختلاف باستثمار الثروات الطبيعية استثماراً عصرياً ، والتعجيل بالتصنيع ، ومباشرة جميع أنواع الاقتصاد ، والانشاء المدرجي لاقتصاد متكامل للأقطار المغربية .

ويعتبر القطاع الزراعي من أكبر قطاعات الحياة الاقتصادية المغربية ، ويمثل نحو الربع من الانتاج الداخلي الخالص .

والانتاج الزراعي في المغرب متنوع جداً ، ويمكن توزيعه على سته قطاعات كبيرة .

1 - زراعة الحبوب (القمح - الشعير الخ) ويبلغ المحصول السنوي منها في جميع الأقطار المغربية أزيد من 50 مليون قنطار .

ب - زراعة الحوامض وهي تنمو باطراد ، ويبلغ انتاج الأقطار الأربعة منها 1.200.000 طن يصدر معظمها الى الخارج .

ت - زراعة الحضر وهي أيضاً في طريق النمو والازدهار ، ويصدر معظم البواكير الى الخارج .

ث - الزراعة الصناعية (طابا - القطن - الشمنذر السكرى الخ)
وهى أيضاً تتسع يوماً بعد يوم، وينتظر أن تنمو بسرعة كبيرة لتتمكن من تلبية
الاحتياجات المتصاعدة .

ج - الدالية - تحتل غراسة الكرم مكاناً ممتازاً فى القطاع الزراعى ،
ويبلغ انتاج الخمر أكثر من 20 مليون هكتولتر فى السنة يصدر معظمها
الى الخارج .

ح - تربية الماشية - توجد بالمغرب أكثر أنواع الماشية المعروفة ،
لكنها خاضعة لأحوال الطقس . وتبذل الحكومات جهوداً قوية لتحسين النسل
وتنمية الزراعة الممعدة للعلف .

ويبلغ عدد البقر الآن فى البلاد المغربية 4.500.000 رأس ، وعدد
الغنم (ضأن - معز) 20.500.000 رأس .

أما الثروات المعدنية فبالإضافة الى المعادن التقليدية كالزئبق
والرصاص والنحاس تستثمر الأقطار المغربية عدداً آخر من المعادن مثل
الفوسفات ، والكوبالت ، والمنغنيز التى يتوقف عليها الاقتصاد الحديث .

وقد أدى اكتشاف مناجم الفوسفات فى المغرب الأقصى والجزائر
وتونس خلال الربع الأول من هذا القرن - الى انقلاب حقيقى فى السوق العالمى
لهذه المادة ، كما أحدث انقلاباً آخر فى الاقتصاد المحلى .

أما المكتشفات الأخيرة من البترول والغاز الطبيعى فسيكون لها
أعمق الآثار الاقتصادية والاجتماعية .

وقد تصاعد منتوج الأقطار المغربية من الفوسفات كالاتى :

سنة 1955 : 8.280.000 طن

سنة 1960 : 10.136.000 طن

سنة 1965 : 13.000.000 طن

ويصدر جل الانتاج المغربى من هذه المادة الى الخارج ، ولكن الأقطار
المنتجة شرعت منذ بضع سنين فى انشاء مصانع لتحويله صناعياً ، ومن أعظم

المنشآت التي أحدثت لهذا الغرض مركب آسفي للصناعات الكيماوية بالمغرب الأقصى .

وتأتي البلاد المغربية في مقدمة بلدان العالم المنتجة للحديد ، ويعتبر حديدها من النوع الرفيع (يتراوح المحتوى بين 50 و 60 %) ولا يسبب استخراجها مصاعب كبيرة ، ويبلغ انتاجها السنوي منه 5.000.000 طن .

ويأتي انتاج البلاد المغربية من الزنك والرصاص في طليعة منتجائها المعدنية ، ويبين الجدول التالي انتاجها من المادتين خلال سنوات مضت :

السنة	الزنك	الرصاص
1955	81.300 طن	126.700 طن
1960	93.100 طن	124.600 طن
1965	165.000 طن	151.000 طن

وتوجد البلاد المغربية اليوم في طليعة الدول المنتجة للبترول وهي مجهزة أحسن تجهيز لاستخراجها وتصريفه على وجه يبعث على التفاؤل بمستقبل اقتصادي واجتماعي باسـم .

وقد بلغ الانتاج المغربي من البترول 95.000.000 طن سنة 1965 ، ومخزائنها منه ومن الغاز الطبيعي قوية جداً .

وتبذل حكومات الأقطار المغربية جهوداً كبيرة لتقوية انتاج الكهرباء ونشر شبكاتها في المدن والقرى ومد أسلاكها الى المصانع والمعامل بكل جهة .

وقد قدر الانتاج السنوي من هذا السائل الثمين بـ 2.071.000.000 كيلوات - ساعة سنة 1965 ثم ارتفع الرقم الى 2.742.000.000 كيلوات - ساعة

سنة 1960 وإلى 3.060.000.000 كيلوات — ساعة سنة 1965 ، وينظر أن يرتفع الرقم ارتفاعاً محسوساً في السنتين القليلة المقبلة عندما يتم بناء السدود التي قررت الحكومات بنائها .

الصناعة : يستأثر التصنيع في الأقطار المغربية باهتمام حكوماتها في الوقت الراهن ، وتصرف العناية يجد إلى انشاء صناعات عصرية كبرى وصغرى تستهدف تلبية الاحتياجات المحلية وتصدير ما يزيد على الحاجة من مصنوعات .

ولما كان القطاع الزراعي بما فيه تربية الماشية أهم قطاعات الاقتصاد المغربي فإن المعامل والمصانع التي تقام تستهدف بالدرجة الأولى تصنيع المنتوجات الزراعية من جهة ، وصناعة الآلات والأدوات التي يموقف عليها تجديد ذلك القطاع ونموه وازدهاره من جهة أخرى .

فهناك صناعات كان لها في السابق وجود ، ولكنها سارت في الوقت الراهن أشواطاً في طريق التو والتجديد كالصناعة الغذائية التي تتمثل في المطاحن والمعاصر ومعامل تعليب اللحم والسمك وعصير الفاكهة ، وهناك صناعات اندثرت منذ قرون ووقع إحيائها حديثاً كصناعة السكر التي لن تلبث أن تكفي الحاجة منه وتغني عن استيراده من الخارج .

ولقد كان جميع الانتاج المغربي من الحديد يصدر إلى الخارج ، ولكن التصدير سيقل بالتدريج كلما كثرت مصانع الصلب الضرورية لتجهيز البلاد وإقامة المنشآت .

وقد بدأ بالفعل انشاء معامل للتركيب ومصانع السيارات والجرارات والمجالات نتج عنه انشاء مصانع ثانوية تمد المعامل والمصانع الكبرى بالمواد المعدنية والزجاجية والجلدية والمطاطية اللازمة لها .

ويبين الجدول التالي احتياجات الأقطار المغربية من مصوعات
هذه القطاع :

1970	1965	
32.000	24.350	سيارات
16.000	12.320	سيارات منفعة
750	470	حافلات
1.500	820	سيارات خاصة
2.100	650	جرارات فلاحية سلسلة ..
7.650	3.650	جرارات فلاحية مدرجة

وتطور الصناعة الكيماوية والصيدلية تطوراً مرضياً ، كما تبذل
جهود مهمة لتصنيع نبات الحلقة الذي يغطي مساحة تبلغ 7.500.000 هكتار
يقطع منها سنوياً أزيد من 650.000 طن ، أما صناعة النسيج فهي تنمو نمواً
مطرداً ، ولن تلبث الأقطار المغربية أن تصبح من البلدان المصدرة للمنسوجات
في مستقبل قريب .

الميزانيات : وتعتبر الميزانيات العامة للدول المغربية تعبيراً صادقاً
عن سياسة حكوماتها الرامية الى تجهيز مرافقها وترقية مجتمعاتها .

ومع أنها تلتزم سياسة تقشفية في مصاريفها العامة فإنها تصرف
بسخاء على التجهيزات الأساسية اللازمة للتنمية الاقتصادية ، كما تصرف
بسخاء في القطاع الاجتماعي لتستطيع من جهة تكوين الاطارات الكافية ،
وتحسين أحوال المواطنين ورفع مستواهم عن طريق تعميم التعليم والثقافة
ونشر الرياضة والمستشفيات والمساكن السليمة من جهة ثانية ، وهذه السياسة
تحمل الدول المغربية على تخصيص مبالغ مالية طائلة تفوق أحياناً الربع من
ميزانياتها العامة للتربية والتعليم وحدهما .

وبين الجدول التالي ميزانيات التسيير والتجهيز للدول المغربية
الأربع عن سنة 1967 .

اسم الدولة	ميزانية التسيير	ميزانية التجهيز
الجمهورية التونسية	108.000.000 د . ت	35.000.000 د . ت
الجمهورية الجزائرية	3.332.000.000 د . ج	(التصميم الثلاثي بما فيه سنة 1967 : 863.977.184 د ج)
المملكة الليبية	87.000.000 د . ل	90.900.000 د . ل
المملكة المغربية	2.218.866.347 د . م	863.977.184 د . م

التجارة الخارجية : تؤثر السياسة التي تنتهجها الدول المغربية في ميدان التجهيز تأثيراً قوياً على ميزانها التجاري ، ولهذا اتخذت هذه الدول عدة تدابير لضمان تعادله أو تخفيض عجزه تخفيضاً مستمراً .

وعد التجأت المملكة المغربية والجمهورية التونسية الى فرض فيود على وارداتهما ، اما الجزائر وليبيا فانهما تتمتعان بحالة أفضل من حالة شقيقتيهما نظراً لدخلهما الوافر من البترول .

ويصور الجدول التالي تطور التجارة الخارجية لدول المغربية الأربع من سنة 1963 الى سنة 1965 :

1965		1964		1963		الدولة
صادرات	واردات	صادرات	واردات	صادرات	واردات	
نصف سنة	نصف سنة					تونس (بلايين الدينار)
62.916	129.062	57.304	110.845	52.922	93.148	الجزائر (بلايين الفرنك الفرنسي القديم)
177	161	359	347	374	343	ليبيا (بلايين الدينار الليبي)
282.008	114.416	250.166	104.379	133.535	85.277	المغرب الأقصى (بلايين الدرهم)
2.176	2.291	2.194	2.327	1.943	2.243	

الدخل الكامل : بلغ المنتج الداخلي الكامل لمجموع الدول العربية نحو سبعة ملايين دولار سنة 1964 موزعة هكذا :

الدولة	المنتج الكامل بلايين الدولار	النسبة المئوية
الجمهورية التونسية	955	٪ 14
الجمهورية الجزائرية	2.542	٪ 37
المملكة الليبية	935	٪ 13
المملكة المغربية	2.500	٪ 36
	6.932	100

والمنتج في الأقطار الأربعة واحد ومختلف في نفس الوقت ، والفلاحة في جملته تمثل نحو الربع منه ، والصناعة اليدوية العشر ، والإدارة العمومية العشر ، بينما تمثل المعادن في تفصيله 53 ٪ بالنسبة لليبيا ، و 8 ، 1 ٪ بالنسبة لموس ، ولا تمثل الفلاحة بالنسبة لليبيا الا 4 ، 6 ٪ بينما تمثل أكثر من 29 ٪ بالنسبة للمغرب الأقصى .

ويعطى الجدول التالي توصيحات أكثر عن المنتج الكامل وتشابهه واختلافه وحظ كل قطر مغربي من عموم قطاعاته :

القطاع الاقتصادي	المغرب	الجزائر	تونس	ليبيا
الفلاحة	29 ، 1	20 ، 2	24 ، 8	6 ، 4
المعادن	5 ، 5	18 ، 5	1 ، 8	53 ، 2
الصناعة	12 ، 2	8 ، 9	12 ، 5	3 ، 2
البناء	4 ، 5	4 ، 8	7 ، 8	3 ، 2
الكهرباء والغاز والماء	2 ، 4	1 ، 6	1 ، 8	
النقل . المواصلات . البنوك . الخدمات ..	36 ، 2	34 ، 7	36 ، 0	23 ، 9
الإدارة العمومية	10 ، 1	11 ، 3	15 ، 3	10 ، 1
	100 ، 0	100 ، 0	100 ، 0	100 ، 0

ويظهر ان حظ الجزائر وتونس من السكان يناسب وحظهما من المنتج . فـ سكان القطر الجزائري يعادلون 38 ٪ من مجموع المغاربة ومنتجه يعادل 37 ٪ من المنتج المغربي ، وكذلك الحال فيما يخص تونس التي يبلغ سكانها 15 ٪ من سكان المغرب ومنتجها 14 ٪ من منتجه ، اما حظ المغرب الأقصى من المنتج الذي لا يتعدى 36 ٪ من مجموع المنتج المغربي فهو ضئيل بالنسبة لسكانه الذين يمثلون 42 ٪ من مجموع السكان المغاربة ، بخلاف القطر الليبي الذي يمثل ظاهرة عكسية . فـ سكانه لا يبلغون الا 5 ٪ من مجموع سكان البلاد المغربية ، ولكن منتجه يجاوز 15 ٪ من مجموع منتجها ، ويعد البترول أهم أسباب هذه الظاهرة .

السياحة : تزدهر السياحة شيئا فشيئا في البلاد المغربية ، ويرتفع عدد الوافدين عليها من الأقطار الأوروبية والأمريكية سنة بعد أخرى ، ويسهل قرب الشواطئ المغربية من الشواطئ الأوروبية وتنظيم وسائل النقل البحري والجوي بينهما مجيء السواح بأعداد وفيرة صيفاً وشتاء حيث يجدون كل ما يرغبون التمتع به من أجواء ومناظر ، والتعرف عليه من أمور غريبة .

ولا يحد من نمو السياحة بالسرعة المطلوبة الا ضعف التجهيز السياحي والغلاء النسبي للسكن والمعيشة ، والحكومات المغربية جادة في تلافى النقص وتذليل الصعاب المعترضة في هذا الميدان .

الطرق السيارة : توجد بالبلاد المغربية نحو 50.000 كلم من الطرق السيارة الجيدة ، منها 25.000 كلم في الجزائر ، و 14.000 كلم في المغرب الأقصى ، و 8.000 كلم في تونس ، و 2.300 كلم في ليبيا . يضاف إليها آلاف أخرى من المسالك والطرق القابضة .

وتستجيب الطرق المغربية لمتطلبات السير ، فهي فسي المناطق الخصيبة كثيرة حول المدن والمراسي . كما انها تخرق أكثرية الجبال والنجود العالية وتغلف على الموم طرق القوافل العتيقة .

السكك الحديدية : وإذا كانت الطرق السيارية تنشأ عن داعى الاهتمام بخلق توازن اقتصادى بين الأقاليم فإن الطرق الفطارية لا تنشأ الا لأغراض محلية يظهر فيها القطار أقل كلفة وأكثر نفعاً .

وتحتل السكك الحديدية مكانة ممتازة بين الوسائل التى يلجأ اليها لاستثمار الثروات الطبيعية على أحسن وجه .

ويبلغ طول السكك الحديدية المغربية 8.709 كلم ، منها 4375 فى الجزائر (1029 كلم ضيقة + 3346 عريضة) ، و 1984 كلم فى تونس (484 كلم عريضة + 1.500 كلم ضيقة) و 2.008 كلم فى المغرب الأقصى ، عريضة كلها .

المراسى : ومن مميزات التجارة المغربية أن معظمها يجرى على طريق البحر تصديراً وتوريداً ، وأقلها يجرى على الطرق البرية أو الجوية .

وستؤدى مخططات التنمية التى وضعتها وتضعها الحكومات المغربية الى ارتفاع كبير فى الحركة المرسوية الشىء الذى يستلزم تجهيزات قوية ونفقات طائلة .

على ان الأقطار المغربية تتوفر فى الساعة الراحنة على مراسى عديدة مجهزة أحسن تجهيز ، ومن أشهر المراسى وأهمها :

— الدار البيضاء وأسفى ، وطنجة ، وفضالة ، واكدير بالمغرب الأقصى .

— والجزائر ووهران ، وعنابة ، والفزوات ، وارزيو بالجزائر .

— وتونس ، وبنزرت ، وصفاقس ، وقابس بتونس .

— وطرابلس ، وبنغازى ، وطبرق بليبيا .

المطارات : لم تفتأ حركة النقل الجوى تنمو منذ استعادت البلاد المغربية استقلالها ، فقد انشئت خطوط جديدة ، وأصبحت الشركات الوطنية والأجنبية تربط البلاد المغربية مع بلدان العالم ربطاً منتظماً .

ولما كانت المجهيزات المطارية وافية فى الساعة الراحة بجميع الأغراض فإن العناية منصرفة فقط الى صيانة المطارات الموجودة وتوسيعها لا الى انشاء مطارات جديدة .

الأقسام : قسم الجغرافيون العرب بلاد المغرب الى ثلاثة أقسام باعتبار قربها أو بعدها عن مكان الحج ومفر الخلافة ، ولكنهم لم يحددوا موقع كل واحد من الأقسام الثلاثة تحديداً دقيقاً :

١ - المغرب الأدنى : وبدايته من جهة الشرق الحد الفاصل بين بلاد المغرب واقليم برقة ، أما من الجهة الغربية فالأقاليم مضطربة ، فمن الجغرافيين من يجعل حده الغربى مدينة قسنطينة (4) أو الجبال الواقعة شرقى سهول متيجة ، فيكون المغرب الأدنى يشمل تقريباً اقليمى طرابلس وقران . والقطر التونسى ، واقليم قسنطينة من القطر الجزائرى ، ومنهم من يجعل المغرب الأدنى ينتهى غرباً عند وادى مجمع ؟ الواقع فى منتصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان ، فبدخل فيه اقليم الجزائر (5) .

ويدعى هذا القسم أيضاً **افريقية** ، وكانت قاعدته فى الأول مدينه القيروان ، ثم أصبحت مدينة تونس .

ب - المغرب الأوسط : ويقع غربى الأولى وينتهى عند نهر ملويه (6) أو بلاد تازة (7) حيث تبتدى حدود المغرب الأقصى .

وقاعدة هذا القسم مدينة تلمسان ، ثم الجزائر منذ عصر الاحتلال التركى للجزائر .

ت - المغرب الأقصى : ويبدأ من نهر ملويه أو بلاد تازة على اختلاف التحديد عند الجغرافيين والمؤرخين ، وينتهى غرباً بالمحيط الأطلسى .

(4) المذهب فى تلخيص أخبار المغرب ص 215 طبعة سلا .

(5) الاستبصار ، فى عجائب الامصار ص 176 .

(6) الاستبصار ، لأخبار دول المغرب الأقصى ٤ : 76 طبعة الدار البيضاء .

(7) الاستبصار ، فى عجائب الامصار ص 176 .

وهذا القسم معروف عند أهله بالاسم المذكور أو باسم المغرب فقط ، وقد بدأ الشرقيون منذ أول هذا القرن يسمونه مراکش وهي ترجمه حرفيه لكلمة Maroc و Marruecos التي يسميه بها الأوربيون ، ولكنها تسمية مجهولة عند أهله ، اذ مراکش عندهم اسم لمدينة من مدنه لا للقطر كله .

وقاعدة هذا القسم كانت في الغالب مدينة فاس الى ان انتقم منها الفرنسيون اثر ثورة اهلها عليهم يوم 17 ابريل سنة 1912 بمساعدة الجيش الوطني ، فنقلوا الادارة الى الرباط .

وقد جرى الجغرافيون والمؤرخون منذ خمسة قرون على اطلاق اسم المغرب الأدنى على امارتي تونس وطرابلس ، والمغرب الأوسط على اماراة الجزائر ، والمغرب الأقصى على المملكة المغربية ، رغم ان الحدود السياسية لهذه الدول تختلف عن الحدود الجغرافية لتلك الأقسام ، ونحن في هذا الكتاب سنجاړهم فيما ساروا اليه ، فسيعدل المغرب الأدنى مملكة ليبيا والجمهورية التونسية ، و يعدل المغرب الأوسط الجمهورية الجزائرية ، و يعدل المغرب الأقصى المملكة المغربية بحدودها السياسية الحالية .

حب المغاربة للمغرب : وقد أثر عن المغاربة حبهم الشديد لوطنهم ، وتفصلهم اياه على ما عداه من البلاد ، وحدا هذا الحب أدباءهم ومؤرخيهم الى اختراع الحكايات اللطيفة عنه ، وربط الوقائع الدينية التي حدثت بالشرق ببعض مدنه وقراء ، ونسبة أحاديث الى النبي صلى الله عليه وسلم في بيان فضله وشرف أهله .

فمن ذلك الحديث المتواتر بينهم الذي يرويه سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق لا يضرمهم من خالفهم حتى تقوم الساعة) . والحديث الذي روى عن سفيان ابن عيينة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (ان بالمغرب باباً للتوبة مفتوحاً مسيرته أربعون خريفاً لا يفلقه الله تعالى حتى تطلع الشمس من مغربها) .

وكما نسبوا هذه الأحاديث الى النبي في بيان فضله جملة نسبوا اليه أحاديث أخرى في بيان فضله تفصيلا . فمن ذلك الحديث الذي رواه أبو عبد

الرحمان الحلي في فضل افریقیة من أقاليمه ، وهو قوله عليه السلام (يقطع
الجهاد من البلدان كلها ، فلا يبقى الا بموضع من الغرب يقال له افریقیه ،
فبينما القوم بأزاء عدوهم ، نظروا الى الجبال قد سیرت ، فيحرون لله تبارك
وتعالى سجداً ، فلا ينزع أخلاقهم الا خدمهم بالجنة) ! والحديث الوارد في
فضل المنستير : (بساحل قمونية باب من أبواب الجنة يقال له المنستير ،
من دخله فبرحمة الله ، ومن خرج منه فعمو الله) . والحديث الذي وجد في
كتاب دراس بن اسماعيل الوارد في فضل فاس ، وهو قوله (ستكون بالمغرب
مدينة يقال لها فاس ، أقوم أهل المغرب قبله ، وأكثرهم صلاة ، أهلها قائمون
على الحق لا يضرهم من خالفهم ، يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة) .

ومن الحكايات المستملحة في هذا الباب ما حكاه محمد بن حمادو
البرنسي السبتي في كتاب **المغرب** له عن الجرجاني وزير الطاهر لاعزاز دين
الله أحد ملوك العبيديين ، أن الطاهر قال لوزيره : اني أريد أن أسمع كلام
المغاربة فقال له : هنا شيخ يعرف بأبي مسلم الدقي ، فقال له . أسمعني
كلامه ، فجلس الطاهر خلف حجاب وأحضر وزراء دولته ، ووجه عن الدقي .
فلما وصل سلم وقعد وتكلم معه بأشياء أضحكه بها الى أن قال له الوزير . بغضا
أن الدنيا شبهت بطائر ، فالمشرق رأسه ، واليمن جناحه الواحد ، والشام
حاحه الآخر ، والمغرب ذنبه ، فقال له أبو مسلم : صدقوا والطائر طاووس !
وضحك الطاهر وقال حسبه وانصرف .

وقد استخرج بعض الشعراء دلائل حسن المغرب من اسمه فقال

الغرب شيء مليح	ولسى دليل عليه
البدر يرقب منه	والشمس تسمى اليه !

ولما قال بعض المشاركة يهجو المغرب هذه الأبيات :

تجنب بلاد الغرب ما عشت انها	بلاء وهم دائم وحروب
وخيم بارض الشرق تدرك بها المنى	وتنجو فلا تدنو اليك خطوب
ففى الشرق من أجل الشروق مزية	وفى الغرب من أجل الغروب كرب

اجابه شاعر مغربي بقوله :

تحب بلاداً بدى الشر باسمها وذاك دليل أنها بلد الحرب
تكارب الأديان فيها فلم يكن لدين الهدى الا الرحيل الى الغرب !
وأجابه آخر بقوله :

خليلى لا تركزن الى الشرق انه مشوم وفي اسم الشرق ناه لذي اللب
الم تنظر الشمس المنيرة لم يطب لها الشرق فارتاحت الى جهة الغرب
ولشعراء المغرب قصائد كثيرة أطنبوا فيها في وصف المغرب كله
أو جهة من جهاته ، وأشادوا بمحاسنه التى جعلته فى نظرهم احسن بلاد
الدنيا ، فمن ذلك قصيدة ابن حبيب الشهيرة التى مطلعها :

أحب بلاد الغرب والغرب موطنى الا كل غريبى الى حبيب
وقصيدة ابن سعيد التى تشوق فيها الى المغرب من أرض مصر
والتي أولها :

هذه مصر فأين المغرب مذ نأى عنى فعينى تسكب
فارقتى النفس جهلا انما يعرف الشيء اذا ما يذهب

والحق أن محبة المغاربة لوطنهم ، ومبالغاتهم في وصف محاسنه ،
وتفضيلهم أياه على ما عداه شيء لا يعاب عليهم ، مع العلم بأن من بين بلاد الله
بلاداً تهوى المغرب حسناً وجمالاً وأخرى تساويها وأخرى تقل عنها ، ولكن الله
سبحانه جعل النفوس البشرية انما تميل الى موطن الطفولة ومراتب الصبا
وقديماً قال ابن الرومي :

وحب أوطان الرجال اليهم ما رُب قضاها الشباب هنالك
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فعنوا لذلك

وقبله قال شاعر عربي :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يالغسه الفتى وحينئذ أبداً لأول منـزل

المغرب الأدنى

(1) المملكة الليبية

موقعها وحدودها

تقع المملكة الليبية - التي هي القسم الشرقي من المغرب الأدنى - بين خطي العرض 20 و 32 شمال الاستواء، وخطي الطول 25 و 9 شرقي كريبوتش، وتحدها الجمهورية العربية المتحدة شرقاً ، والجمهوريتان التونسية والجزائرية غرباً ، والبحر المتوسط شمالاً ، وجمهوريات التشاد والنيجر والسودان جنوباً .

مساحتها

وتبلغ مساحتها 1.759.000 كلم مربع ، منها 353.000 كلم مربع في ولاية طرابلس ، و 550.000 كلم مربع في ولاية فزان ، وهما اقليمان مغربيان بلا خلاف ، و 855.000 كلم مربع في ولاية برقة .

سطحها

وتتكون المملكة الليبية من اراض سهلة في الشمال مرتفعة في الجنوب ، باستثناء المرتفعات التي يتكون منها الجبل الأخضر بشمال برقة ، وخلف مدينة طرابلس توجد منطقة نجدية يبلغ ارتفاعها 700 م فوق سطح البحر ، وفي هذه الهضبة يوجد جبل نفوسة الشهير ، يليها منخفض سهل حفارة ،

وفى شرق هذا السهل توجد منطقة مستوية تصلح لغراسة الأشجار أكثر مما تصلح لها تربة ولاية برقة ، ويرجع الفضل فى ذلك الى وجود مياه جوفيه وفيرة بولاية طرابلس .

وبجانب الساحل الذى يبلغ طوله 1800 كلم تمتد كثبان رملية تتخللها منخفضات لا تخلو من بحيرات وسبخات ملحة ، والتربة فى سهل جفارة تتكون من مفتتات الرمال ، وهى خشنه حسنة التهوية ، وتضيف اليها المجارى المائية أتربة رسوبية ، والتربة فى الساحل جيرية رملية ، وتربة الكثبان الرملية الثابتة والمتنقلة عبارة عن رواسب قارية وأخرى بحرية ، والتربة من وراء الشطوط والمستنقعات الساحلية ملحية .

وولاية فزان مضرسة بها تلال صخرية وكثبان رملية وأودية جافة ، ويتراوح ارتفاع معظم أجزائها بين 500 و 1.000 م ، ف . س . ب . وتنتج مياه هذه الولاية نحو الجنوب ولا تنصب فى البحر مثل مياه أودية المناطق الشمالية . وتوجد فى فزان بحيرات كثيرة مختلفة الأحجام ما هى فى الحقيقة الا الأجزاء المكشوفة من الطبقة المائية القريبة من سطح الأرض ، ونسبة الملوحة عالية فى أجزائها المعرضة للتبخر ، لكن يمكن الحصول بسهولة على ماء عذبة بواسطة حفر آبار قليلة العمق على أطرافها .

طقسها

والمناخ فى المملكة الليبية متأثر بموقعها وهبوب الرياح الشمالية عليها وانخفاض سواحلها عدى اقليم برقة ، فالحرارة تشتد صيفا فتصل الى الدرجة الأربعين فى المناطق الداخلية ، وما يقارب هذه الدرجة فى المناطق المنخفضة القريبة من الساحل ما بين خليج سرت ومدينة طرابلس يخفف من حدتها هبوب نسائم بحرية علية فى بعض الأحيان ، والحرارة فى مدينة طرابلس محتملة ، يبلغ متوسطها فى الصيف 24 درجة وفى الشتاء 14 درجة . اما فيما عداها فالحرارة لا تكاد تطاق لبعدها عن التأثيرات البحرية الملطفة ، بالإضافة الى طبيعة الأرض الصخرية أو الرملية التى يشتد اكتسابها للاشعاع الشمسى .

ولا تسقط أمطار عزيرة سببيا الا فى شمال افليم برفه وحول مدينه طرابلس ، وتبلغ كمية المطر السنوية النازلة على هذه المدينه حوالى 400 مليسمر ، وتقل الأمطار فى الجهات الواقعة فى غربها لوقوعها فى ظل المطر ، وتبلغ نسبه الرطوبة أقصاها صيفاً بنأير البحر الذى يمتد الى الداخل مسافة 15 كلم . ويقل المطر بالتدريج كلما امتدت الأرض نحو الجنوب ، حتى تقل كميته السنوية فى المناطق الجنوبية عن 50 مليسمر ، وتكثر سنوات الجفاف ، ويقدر أن يقع عام ممطر بين ست أو سبع سنوات عجاف .

وتشتد الحاجة الى المياه فى المملكة الليبيه نظرا لقله المطر ، سواء مياه العيون أو مياه الآبار ، لأنها ضرورية لاستقرار السكان وازدهار العمران وسمو الزراعة ، ولا توجد أنهار ولا أودية يجرى فيها الماء بصفه مسنمرة الا فى الجبل الأخضر ، وفى جبال ولاية طرابلس ، وهى أودية ضعيفة قصيره تعديها مياه المطر فى فصل الشتاء والينابيع فى بقية الفصول ، وينصب بعض الأودية شمالا فى البحر ، وبعضها يفيض جنوباً فى رمال الصحراء ، وفى ولاية طرابلس توجد مياه جوفية على شكل آبار عادية وآبار أرتوازية وعيون ، فالأولى كثيره بولاية طرابلس ، ويعتمد عليها بالدرجة الأولى فى الانتاج الزراعى ، ولا يزيد عمق الطبقة التى بها هذه الآبار عن بضعة أقدام ، وهى المورد الرئيسى للماء على طول الساحل خصوصاً فى منطقة الكتبان ، وهناك طبقة أخرى تمتد الى عمق 20 - 25 متراً ومياهها أغزر وأقل ملوحة ، وأنقى من الطبقة السطحية الأولى ، وهى التى تمتد بمياه الشرب مدينه طرابلس ومعظم مدن ولايتها . وتساهم بالنصيب الأكبر فى عمرانها وتعين على التنمية الزراعية فى بعض المناطق مثل سهل جفارة . والثانيه بدىء بحفرها حديثاً ، ويصل عمق البئر الى 300 م ونتاجه 125 متراً مكعباً فى الساعة ، وهى كمية تكفى لسقى 16 هكتاراً ، وليس عدد هذه الآبار الأرتوازية كثيراً ، فهو لا يتجاوز فى ولاية طرابلس 120 بئراً ، لأن الحفر يستلزم نفقات طائلة ، الشئ الذى لا تطيقه الا الحكومات والهيئات التعاونية . أما العيون فيوجد معظمها فى قيعان الأودية والحافات الجبلية ، ومياهها أصلح للشرب من مياه الآبار ، لكنها تقوى وتضعف بحسب السنين التى يكثر فيها المطر أو يقل .

عدد سكانها

ويبلغ سكان المملكة الليبية 1.620.000 نسمة ، وهم جميعاً مسلمون ديناً عرب لغةً ، وفي ليبيا جوالى عربية معدودة من أهلها وأخرى غير عربية يتكون معظمها من بقايا المستعمرين الايطاليين (حوالى 45.000 سنة 1960) .

أقسامها الادارية

وتنقسم المملكة الليبية الى عشر محافظات : طرابلس ، وبنغازى ، وسبها ، وصبراتة ، والزاوية ، والبيضاء ، وغريان ، والحمس ، ودرنة ، ولوبارى ، وتشتمل كل محافظة على عدد من المتصرفيات ، وفي كل مصرفية عدد من الدوائر البلدية والقروية .

انتاجها الزراعي

والزراعة فى المملكة الليبية هى المورد الوحيد لعيش سكانها ، والمورد الرئيسى لخزينة الدولة قبل ظهور النفط . ولا تنبت الأرض الا فى الجبل الأخضر ببرقة والمناطق المشاطئة للبحر من ولايه طرابلس ، وبيسن الولاياتين منطقة قاحلة تمتد من خليج سرت 500 كلم الى الجنوب ، وهى تكون حاجزاً طبيعياً وبشرياً لا بين الولاياتين فحسب ، ولكن بين المغرب العربى والمشرق العربى أيضاً . كما تمتد خلف الجبل الأخضر والشريط الساحلى الحصب اراضى قاحلة الى اللانهاية ، وقد قدر سنة 1951 انه من بين 174 مليون هكتار لا توجد الا أربعة صالحة للزراعة فى ولاية برقة ، و 10 فى ولاية طرابلس ، وأن هناك نحو 200 ألف هكتار مغطاة بالأشجار والأحراج ، و7 ملايين هكتار صالحة للرعى .

والشريط الساحلى تمكن زراعته على المطر شناء ، ولكن لابد أن يسقى من الآبار صيفاً ، وفى ولاية طرابلس يزرع 1.200.000 هكتار قمحاً

وشعيراً ، وتنبت في هذه المساحة الأشجار التي تنبت عادة حول حوض البحر الأبيض المتوسط كالزيتون والكرم والتين والمشمش واللوز والبرتقال والليمون ، وكثيراً ما تزرع الحبوب والخضر بين الأشجار ، وقد ترك المعمرون الايطاليون بعد انسحابهم من ليبيا مزارع تبلغ مساحتها 200 ألف هكتار تستغل استغلالاً آلياً عصرياً ، وتستنبت فيها بعض النباتات الصناعية كالطابا والأشجار الخشبية .

وبجانب الزراعة يشتغل جانب من السكان بالرعى وتربية الأغنام .

ومهما كانت الجهود المبذولة في الميدان الزراعي فانه ليس من المنتظر حصول تنمية زراعية تلبي احتياجات السكان في القريب العاجل .

ثروتها المعدنية

وكانت الثروة المعدنية في ليبيا محدودة الى عهد قريب لا تعمدي الفوسفات والملح ، ولكن عوض هذا النقص ظهور البترول سنة 1958 في ولاية فزان أولاً ثم في مناطق أخرى من ولاية طرابلس بعد ذلك ، ويتمتع برول ليبيا بمزايا عديدة كوفرة احتياطيه وقربه من الساحل وأن آباره غير عميقة .

وتقوم بالبحث عنه واستثماره شركات أجنبية عديدة تخضع كلها لقانون البترول الليبي الذي ينص على أن تقتسم الأرباح بينها وبين الحكومة مناصفة ويحتم دفعها العوائد والرسوم الجمركية على ما تستورده من مواد وأدوات مع استثناءات بسيطة ، الشيء الذي يرفع استفاد الحكومة الليبية الى 70 ٪ من أرباح الشركات . ولا شك ان هذه الثروة البترولية الطائلة أصبحت ذات تأثير عظيم في تطور المجتمع وتنمية الاقتصاد وارتفاع مستوى العيش في ليبيا ، كما صارت مورداً فياضاً يدر على خزينتها أموالاً طائلة تفنيها عن طلب السلف من الدول الأجنبية مقابل غض الطرف عما لها من قواعد عسكرية في ترابها . وقد مكنت هذه الثروة حكومة ليبيا أن تتخذ

مرارات جريته بعد الاعتداء اليهودى على الأقطار العربية يوم الاثنين 5 يونيو 1967 ، فمنعت تصدير البترول الى الدول التى ساندت العصابات اليهودية فى عدوانها . وطلبت افساخ القواعد العسكرية الانكليزية - الامريكية المقامة فوق التراب الليبى .

وقد دلت الأبحاث التى أجريت فى طول ليبيا وعرضها على وجود رواسب للحديد فى وادى الشاطئ بقران ، ورواسب كثيرة من الجبس فى سهل جفارة ، ورواسب النثرون الى جانب البوتاس فى مرادة بصحراء سرت ، كما اكتشف الكبريت والمنغنيز وفحم الاجنيت وحجر الشب والزجاج وكربونات السوداء فى جهات كثيرة .

صناعتها

والصناعة الليبية ضعيفة جداً تكاد تنحصر فى الصناعات البسيطة التى تلبي الاحتياجات المنزلية والغذائية ، كعصر الزيتون واستخراج الملح ودبغ الجلد ونسج الزرابى والأغطية الصوفية وتعليب السمك وعصر العواكه .

تجارتها الخارجية

وكان ميزان التجارة الخارجية غير متعادل الى سنوات قليلة ، ففى سنة 1960 قدرت الواردات بـ 59.000.000 ليبره سترلينية ، والصادرات بـ 4.000.000 ليبرة سترلينية فقط ، ولكن الميزان انقلب رأساً على عقب بعد ذلك ، وسجلت كفة الصادرات رجحاناً كبيراً ، حتى حققت ليبيا سنة 1964 فائضاً فى ميزانها التجارى يقدر بـ 140.000.000 ل . س بالنسبة لمنطقة السترليني ، و 3.000.000 ل س بالنسبة لمنطقة الدولار ، و 133.000.000 ل . س بالنسبة لمناطق العالم الأخرى ، مع العلم بأن هذه التقديرات يستبعد منها واردات شركات البترول .

وأهم صادرات ليبيا البترول الذى تبلغ نسبته 99 ٪ من مجموع الصادرات ، وزيت الزيتون ، والفول السوداني ، والجلد ، والصوف والشعر

وبدور الحروع والبرتقال والاسفنج ، وأهم الأقطار التي تصدر اليها هي ألمانيا الغربية وآنكلترا وإيطاليا وهولاندا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية . أما أهم الواردات فالسيارات والأدوات الكهربائية وأنابيب الصلب والحديد التي تستعمل فى استثمار البترول ، والمواد الغذائية والملابس ، وأهم الأقطار المستورد منها هي الولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا وآنكلترا وألمانيا الغربية .

طرقها

ويقع معظم المدن الليبية على الساحل ، وتربط بعضها ببعض شبكة من الطرق الجيدة ، كما تمتد الطرق الى مرزوق مقر السلطة بفزان ، وإلى مدن الجبل الأخضر ، وبها مراسى كبيرة ومطارات عظيمة لا تنقطع حركتها ، ومن أشهر مدنها طرابلس الغرب التي هي عاصمة المملكة ومرساها الأول ، وينبع سكانها 200.000 نسمة ، وبنغازى مقر السلطة بإقليم برقة ، وممراته ، وسرت ، وطبرق ، وبالدخل واحات غات وغدامس بإقليم طرابلس ، وواحات خضوب والكفرة بإقليم برقة ، وواحات سبها ومرزوق وودان بإقليم فزان .

نظامها

وليبييا دولة ملكية دستورية ، أعلنت استقلالها فى 24 دجنبر سنة 1951 بعد نضال طويل خاضه شعبها الأبى بشجاعة واستماتة لاستخلاص حريته من يد المستعمر الفاصب ، وهى عضو فى منظمة الأمم المتحدة وسائر المنظمات الأممية الجهوية . وملكها هو صاحب الجلالة الملك إدريس الأول السنوسى المولود بزاوية جفبوب من إقليم برقة يوم الجمعة 12 مارس سنة 1890 م (30 رجب عام 1307 هـ) .

(2) الجمهورية التونسية

موقعها وحدودها

تقع الجمهورية التونسية التي هي الشطر الغربي من المغرب الأدنى بين خطي العرض 30 و 37 شمال الاستواء ، وخطي الطول 5 ، 7 و 5 ، II شرق كرينويتش ، ويحدها البحر المتوسط وليبيا والجزائر من جميع الجهات ، وهي فريدة من أوروبا لا يفصلها عنها الا مضيق صقلية الذي لا يتجاوز عرضه 137 كلم .

مساحتها

وتبلغ مساحتها 125.180 كلم مربع .

سطحها

ويمكن تقسيم سطح القطر التونسي أفاقياً على أساس مرتفعات عربية وسهول شرقية ، ولكن يظهر من المناسب تقسيمه عمودياً الى خمسة أقسام

1 - المنطقة الجبلية ، وتقع في الشمال الغربي والغرب ، وهي في الحقيقة بقية الجبال الجزائرية ، وتمتد جبالها من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ، ويبلغ متوسط الارتفاع فيها 700 م ، لكن علو الجبال يتجاوز شمالا 1.000 م في جبال الخيير وتبرسق ، ويصل الى 1.544 م جنوباً في جبل الشعانبي .

وتتعامد هذه الجبال في الشمال الشرقي حتى تصبح من أكبر عوامل حماية المراسي الواقعة فيه ، وتحصر بينها وبين البحر سهلاً ضيقاً لا يتسع الا حول خليج تونس ، كما تحصر بينها سهولاً مرتفعة مثل سهل سرس ، وتبدأ الجبال في الانخفاض كلما اتجه الانسان شرقاً .

وينبع من هذه المنطقة وادي مليان الذي يصب جنوبى تونس .

ب - المنطقة السهلية وهي واقعة الى الشرق على ساحل البحر ، وتسمى اقليم الساحل ، ويبلغ طولها 300 كلم وعرضها يتراوح بين 20 و 80 كلم . والتربة في هذه المنطقة مستوية خصيبة ، ويوجد بها سبخات قليلة .

ت - منطقة النجود العليا - وتقع خلف المنطقة السابقة ، وفيها جهات منخفضة وأخرى مرتفعة غرباً ، وتنحدر منها أودية ذات تصريف داخلي مثل وادي مرسالة ووادي زروود ، وفي هذه المنطقة كانت توجد طرق المواصلات المتينة الرابطة عبر القيروان وسبيطلة بين سواحل البحر الأبيض المتوسط وسهول اقليم قسنطينة .

ث - منطقة الشطوط وتقع الى الجنوب من المنطقتين السابقتين ، وتنخفض الأرض فيها الى مستوى سطح البحر بالقرب من الحدود التونسية - الجزائرية ، فتكون بحيرات ومستنقعات واسعة تدعى الشطوط من أهمها شط الجريد ، وشط الفرسة ، وشط فجاج ، وفي شرق هذه المنطقة توجد مرتفعات مطماطة التي تتحول الى كنان في الصحراء .

ج - والى الجنوب من هذه المنطقة الأخيرة توجد الصحراء الفسيحة الحالية الا من حراس الأمن ومراقبي الحدود ، لكن توجد في غربها سلسلة جبلية تدعى جبال القصور (جبل الدويرات 662 م) وتمتد هذه الجبال على شكل هلال عبر الحدود التونسية - الليبية وتنتهي بجبل نفوسة في اقليم طرابلس ، وبينها وبين البحر المتوسط ينبسط سهل جفارة الشهير .

ساحلها

ويبلغ طول الساحل التونسي على البحر الأبيض المتوسط 1.200 كلم وهو على العموم صخري في الشمال رملي في الشرق ، وتحاذيه في الشمال سهول ضيقة تقطعها تضاريس تتيح للسفن من الرأس الأبيض الى رأس أدار (الطيب) ملاجئ آمنة في كل الأوقات ، ومن هذه الجهة تسربت

حصارة الحوص الشرقي للبحر الأبيض المتوسط الى بلاد المغرب ، وبعد ذلك يفتح خليج الحمامات الجميل ، وتمتد جنوبه من السلاسل الجبلية الوسطى نتوءات صحرية ساعدت على اقامة مراسى أمينة بسوسة ومسنير والمهدية وصفاقس .

والى الجنوب من ذلك يفتح خليج قابس الذى تحاذيه سهول منخفضة خالية من التضاريس ، والساحل هنا غنى بأسماكه ، ويحتضن جزائر قرقنة وجزيرة جربة القريبة من البر .

طقسها

ويختلف الطقس فى شمال تونس عنه فى وسطها وجنوبها ، وهو يشبه الى حد كبير طقس الجزائر الشرقية ، ويزيد عليها بالارتفاع الذى يجلب أمطاراً غزيرة جداً ، وتمتد فى شمال الجبال التونسية منطقة ممطرة واسعة تصل كمية المطر النازلة على عين الدراهم منها الى 1.698 ملم ، أما فى السهول الجنوبية لتلك الجبال فان الطقس الصحراوى هو الغالب ، ولكن ذلك لا يمنع تونس الوسطى من تلقي كميات وفيرة من المطر (الكاف : 543 ملم) ، والى الجنوب من ذلك تهب الرياح الجافة بكثرة ، وتكون هذه الرياح شديدة اذا هبت مباشرة من الجنوب ، وعندما تهب ريح السموم يرتفع ميزان الحرارة أحياناً الى الدرجة 50 فى تونس العاصمة ، ولا تتلقى منطقة الساحل كميات من المطر أوفر مما تتلقاه المناطق الداخلية ، ولكنها تستميض عن قلة المطر (200 - 400 ملم) بجو رطب نظراً لقربها من البحر ، وليست الأيام الممطرة كثيرة فى بقية البلاد (79 يوماً فى تونس العاصمة) والأمطار الغزيرة تنزل عادة فى شهر نونبر ، وفى شهر يناير ويناير ، وقد ينجم عنها سيول وفيضانات عارمة ، ومع ذلك فان العادة قد تتخلف ، وهذا ما يجعل ضبط الشؤون الزراعية وتقدير المحاصيل الفلاحية أمراً عسيراً .

نباتها

ويتبع النبات الطقس فى كل الجهات ، فهو متوسطى فى سهول السلاسل الجبلية ، وتمتد فوق جبال الخمير غابات كثيفة حميلة تصل الى

الجهات الغربية من بنزرت ، والى الجنوب من تلك الجبال توجد المنطقة الوسطى التى تشتمل على جهات تنتشر فيها أشجار وأخرى تنتشر فيها نباتات ضعيفة ، وفى بعضها كدى خصيبة يغطيها الكرم والزيتون ، ولكن سرعان ما يبدأ الخصب فى النقصان والقحولة فى الزيادة كلما اتجه الانسان نحو الجنوب حتى ينعدم النبات بالكلية عند ظهور الصحراء ، ولا ترى خضرة الا فى واحات مبنوثة هنا وهناك .

عدد سكانها

وبلغ عدد سكان تونس سنة 1965 - 4.675.000 نسمة ، يدينون بالاسلام ويتكلمون اللغة العربية ، وهم ينمون بمعدل 3 ٪ كل سنة ، وقد كان عدد الأحناب واليهود كثيراً ، ولكنهم قلوا بعد استرجاع الاستقلال واجلاء القوات الأجنبية .

أقسامها الادارية

وتنقسم الجمهورية التونسية الى ثلاث عشرة ولاية ، هى ولايات تونس ، وباجة ، وبنزرت ، وجندوبة ، والكاف ، ومدنين ، ونابل ، وصفاقس . وقابس ، والقصرين ، وقفصة ، والقيروان ، وسوسة ، وتنقسم كل ولاية الى معسديات تشتمل كل واحدة منها على عدد من الدوائر البلدية والقروية .

إنتاجها الزراعي

والقطر التونسي - مثل سائر الأقطار المغربية - هو قطر زراعى قبل كل شئ ، وتعتبر الحبوب والزيت والخمر من أهم منتجاته ، يضاف اليها بعض المصنوعات المصرية والعتيقة ، والانتاج المعدنى وفى مقدمته الفوسفات . وتبلغ المساحة المنزرعة 8.500.000 هكتار أى ما يعادل 72 ٪ من مجموع مساحة الأرض التونسية ، ولكن المزروع منها لا يعدو الثلث (2.800.000 هـ) .

وأكثرية الأراضي التونسية ملك للقبائل والأحباس والدولة ، ولا يملك الأفراد منها الا القليل ، فبينما تبلغ مساحة الأملاك المشاعة بين القبائل ، والأملاك المحبسة على المساجد وأملاك الدولة 4.400.000 هكتار (القبائل : 2.800.000 هـ + الأحباس : 1.200.000 هـ + الدولة : 400.000 هـ) لا يملك الأفراد الا 1.600.000 هكتار .

وقد اتخذت الحكومة التونسية عدة تدابير في ميدان الاصلاح الزراعي ، واعتبرت الملكية الزراعية على الخصوص وظيفية اجتماعية ، فنزعت ملكية الأراضي من ملاكها المهملين . واستردت من المعمرين الفرنسيين الأراضي الخصبة الشاسعة التي كانوا يملكونها والبالغة مساحتها 600.000 هـ ووضعتها بين أيدي الفلاحين الوطنيين .

كما بذلت مجهوداً كبيراً في ميدان السقي واعادة التربة التوسيه من جميع الكمية المطرية النازلة كل سنة ، فهناك سد بني مطير المقام على وادي مجردة والذي يستطيع خزن 75.000. 000 متر مكعب من الماء ، ويمون العاصمة التونسية بـ 100.000 متر مكعب من الماء النقي الصالح للشرب ، وهناك سد ملاق الذي يستطيع خزن 300.000.000 متر مكعب من الماء ، بالاضافه الى عدد آخر من السدود الصغيرة المبنية فعلاً أو هي في طريق البناء ، ومشروع استصلاح وادي مجردة الذي سيتمكن من الانتفاع من 60.000 هـ واقعة على الوادي المذكور .

ويتعاطى زراعة الحبوب أكثر الفلاحين التونسيين في مساحة تبلغ 1.300.000 هـ ولكن الصابة منها غير منتظمة ، ففي بعض السنين تبلغ الصابة من القمح 4.000.000 قنطار لا يتجر الا في الثلث منها . وفي سنين أخرى لا تبلغ الا مبلغاً ضئيلاً ، فلذلك صار لزاماً على الدولة أن تجلب القمح من الخارج لمواجهة الاستهلاك السنوي الذي لا يقل عن 1.500.000 قنطار ، واعداد الزريعة الضرورية للفلاحين . ومثل ما فيل عن صابة القمح يقال عن صابة الشعير التي تصل هي أيضاً في السنوات

الطبية الى 4.000.000 قنطار . وتكاد زراعة الحبوب فى الصيع النسي كانت بإيدى الأجانب تعطى غسالات مماثلة للغلات التى تعطىها زراعة الحبوب فى الأراضي الأخرى ، مع أن المساحة المخصصة لزراعة الحبوب من تلك الضيع لا تتعدى 230.000 هـ ويرجع السبب فى ذلك الى جودة التربة من جهة ، وقوة الوسائل الآلية والتفنية المستعملة فى استثمارها من جهة أخرى .

وتنتشر بساتين الدالية فى المناطق السهلية ، لاسيما فى الجهات الغربية من تونس والوطن القبلى ، وكانت غراسنها وفقاً على المعمرين الأجانب ، كما كانت المساحة المغروسة كرمًا تبلغ 36.000 هـ سنة 1954 ويعصر العنب النونسي فيعطى خمراً قوياً ، ويبلغ متوسط الصابه السنوية منه 650.000 هيكولتر ، ولكن شهرته شهرة محلية ، ويجد المسؤولون صعوبات كبيرة فى تصديره الى الخارج ومزاحمة الخمور الأخرى به فى الأسواق العالمية .

وبالإضافة الى المساحات المغطاة بدالية الخمر توجد 4.000 هكتار مغروسة بالدالية التى تغل العنب المعد للأكل ، وبساتين هذا النوع من الدالية منتشرة برفراف قرب بنزرت ، وبالوطن القبلى خاصة بين نابل ومزل أبى زريعة والحمامات ، وبالقرى التى تحيط بالعاصمة مثل سكرة ومرناق ومنوبة .

والزيتون من أكبر ثروات تونس الطبيعية ، وهو مغروس فى كل جهة ، خاصة فى الشرق والشمال الشرقى ، وقد تضاعفت أشجاره مرات عديدة منذ نحو مئة سنة حتى تجاوزت الآن 26.000.000 شجرة ، ومنه غابات غثيقة بالمنطقة التالية ترجع الى ما قبل الاسلام ، وأخرى حسنة بالساحل ، وثالثة بديعة بناحية صفاقس حيث تستعمل أحسن الطرق العصرية للفرس والتعهد والاستثمار ، وتبلغ المساحة التى تغطيها أشجار الزيتون 700.000 هـ ، ويقدر متوسط صابة الزيتون بـ 400.000 طن فى السنة تعطى 80.000 طن من الزيت أكثر من 60 ٪ منها زيت جيد صاف صالح للطبخ وترتب تونس فى الدرجة الخامسة بين الدول المنتجة للزيت ، والثانية بين الدول التى تصدره ، ولكنها تحتل المرتبة الأولى من حيث جودة النوع ، لأن

معاصر الزيت السى تفوق الألفين هى فى غالبيتها فى النوع الجيد المجهز أحسن تجهيز .

وتكثر فى الجهات القريبة من تونس - العاصمة زراعة الخضر والفواكه وتقل فى غيرها، وتوجد بشط الجريد غابات نخل يبلغ عدد أشجارها 2.500.000 ، منها 500.000 نخلة تنتج من التمر النوع المعروف بدكة النور ، وهو من ألد التمر وأحلاه ، وتصدر منه تونس 3.000 طن فى كل سنة .

وليست للزراعة الصناعية الا أهمية ثانوية ، والغابات تغطى 1.096.212 هـ ويقطع شجرها فيستخرج منه الخشب وعوارص السكك الحديدية ، وأعمدة المناجم ، وكميات من الفرشى بلغ ما صدر منه سنة 1955 خاماً ومصنوعاً 10.299 طن قيمتها 696.000.000 فريك ، أما الحلفة فهى تغطى 1.200.000 هـ ، ومنذ اكتشاف فنى انكليزى سنة 1864 أنه يمكن صنع الكاغيط منها صارت انكلترا أكبر مستورد لها ، وتختلف الصابة منها باختلاف السنوات ، ويرتفع الصادر منها وينخفض تبعاً لذلك ، وقد ارتفعت الكمية المصدرة منها سنة 1951 الى 171.000 طن ، ثم انخفضت سنة 1955 الى 50.000 طن فقط .

وتربية الماشية من أهم قطاعات الاقتصاد التونسى ويحل اساحها الرتبة الثانية فيه بعد انتاج الحبوب وقبل انتاج الزيتون والمناجم بكثير ، وتقدر قيحة الفنم وحده بستين مليار فرنك ، لكن بدأ يلاحظ نقصان تدريجى فى عددها يعزى السبب فيه من جهة الى استقرار القبائل وتخليها عن عادة الانتجاع ، والى تقلص مساحة المراعى أمام مساحة الزراعة من جهة اخرى ، وفى سنة 1954 كان يوجد بالفطر التونسى 3.215.000 رأس من الفنم ، و 2.000.000 رأس من الممز ، و 456.000 من البقر ، و 150.000 من الابل ، و 120.000 من الخيل ، و 57.000 من البغال ، و 200.000 حمار ، لكن أهمية هذه الأخيرة بدأت تتضاءل بسبب انتشار الوسائل الآلية المستعملة فى الأشغال الزراعية والنقل .

والصيد البحري هو أيضاً قطاع اقتصادي مهم ، ونساعد الطبيعة في الشواطئ التونسية ولا سيما في خليج قابس والساحل الشرقي عموماً على تولد السمك بكثرة ووجود أنواعه العديدة . وتنتشر في عرض البحر أمام الشاطئ زوارق أسطول الصيد التي تعود في كل خرجة بصيد وفير ، كما تقطع من قعر البحر كميات من الأسفنج تقدر بنحو 200 طن في السنة يصدر معظمها إلى الأقطار الصناعية الكبرى مثل فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية .

ثروتها المعدنية

وتحتل الثروة المعدنية المرتبة الثانية في الاقتصاد التونسي من حيث الأهمية بعد الثروة الزراعية التي تحتل بالطبع المرتبة الأولى ، وقد أدى اكتشاف عدد من المعادن واستغلالها منذ أواخر القرن الماضي إلى إدخال تطور كبير على الحياة الاقتصادية بالعصر التونسي ، كما أدى إلى انتشار السمك الحديدية التي تدرع البلاد طولاً وعرضاً لنقل المواد المعدنية إلى المراسي حيث تشحن في البواخر إلى المصانع بأوروبا وأمريكا .

ويوجد خام الحديد بالقرب من سلاطة على الحدود الجزائرية ، ونعزه بالعرب من بنزرت ، ويصدر منه سنوياً نحو 100.000 طن ، يوسق معظمها إلى انكلترا ، وقد بلغ الإنتاج منه 1.057.046 طن سنة 1955 ، كما بلغ الإنتاج الرصاص 42.902 طن ، وإنتاج الزنك 9175 طن، ويستخرج من الربة التونسية أيضاً كميات ضخمة من البيريت والباريت والفلورين، ويستخرج ملح الطعام من ملاحات صفاقس وسوسة والمنستير ومقرين ، وتصدر إلى الخارج أربعة أخماس الكميات المستخرجة التي بلغت 165.000 طن سنة 1955 ، أما الفوسفات الذي يوجد في جهات عديدة من وسط تونس وجنوبها فإنه يحلها الرتبة الرابعة بعد الولايات المتحدة والمملكة المغربية والاتحاد السوفياتي - بين البلدان التي تنتجه ، وأكبر مناجمه موجود قرب قفصة والمتلوي ، ويصدر أكثره من مرسى صفاقس ومرسى سوسة إلى فرنسا وانكلترا وإيطاليا وغيرها . ويقدر الإنتاج التونسي من الفوسفات بعشر الإنتاج العالمي ، وقد بلغت الكمية التي صدرت 2.500.000 طن سنة 1957 ثمنها 6 ملايين فرنك قديم .

وتقدر صادرات تونس من المعادن بـ 80 ٪ من مجموع صادراتها ومبيعاتها منها بـ 25 ٪ من مجموع مبيعاتها للبلاد الأجنبية ، وتتراوح قيمة المصدر سنوياً منها بين 10 و 15 مليار فرنك قديم، ويسهم الحديد والفوسفات وحدهما بـ 50 ٪ من مجموع الانتاج .

ونظراً لما للمعادن من أهمية في تطور البلاد أنشأت الحكومة التونسية سنة 1962 الديوان القومى للمناجم ، وأناطت به مهمة البحث عن المعادن والتنقيب عنها ، وقد اكتشفت مناجم الفلورين ، كما تبذل جهود للبحث عن النحاس والمنغنيز والبوتاس والزنابق، فضلاً عن البترول الذى اكتشف بالجنوب.

صناعتها

والصناعة المصرية فى تونس ما زالت فى طريق النمو ، وقد سبب تخلفها فى الماضى الحكم الأجنبى الذى كان يحرص على بقاء تونس قطراً زراعياً كما قلل من نموها انعدام القوى المحركة ، وتوجد صناعات محلية تعتمد على المنتجات الموجودة فى البلاد مثل الفوسفات ، والصناعات الخاصة بأعداد مواد البناء كصناعة الاسمنت الذى تصدر منه تونس سنوياً 200.000 طن ، والصناعات الغذائية كمطاحن الحبوب ومعاصر الزيتون والعنب ، ومعالب اللحم والسمك والفاكهة . وهناك صناعات تعتمد على المواد المستوردة من الخارج كمصانع طابا الذى يزرع محلياً على قلة ، ومصانع الفزل والنسيج التى تلبى ربع الاحتياجات المحلية ، ومصانع الأحذية والمواد الكيماوية والصباغات والمنتجات الزراعية . وكلها صناعات صغيرة يقصد بها مواجهة الحاجيات المحلية بالدرجة الأولى لا التصدير الى الخارج .

والى جانب الصنائع الميكانيكية المصرية توجد بتونس صناعات يدوية عتيقة اشتهرت بجمالها ولطافتها كصناعة الزرابى والنسيج والفخار التى بدأت تنتعش فى السنين الأخيرة بعد شعور الناس بنفاستها وضرورة تشجيعها لأنها مظهر من مظاهر حضارتهم العريقة .

وقد أحصى بونس 23.000 معمل للصناعة العتيقة ، منها 8.800 معمل للنسج ، و 4.800 لصنع الثياب ، 2.200 لصنع الجلد ، و 3.300 لصنع الخشب ، و 500 للصناعات الغنية ، وتشغل هذه الصناعة 90.000 صانع يضاف اليهم 50.000 من الصناع يخدمون ببيوتهم ، فيكون مجموع الصناع التقليديين مئة وخمسين ألفاً .

والصناعة السياحية هي سائرة بدورها في طريق النمو والازدهار ، وقد بلغ عدد السواح 218.817 سائحاً سنة 1965 أى بزيادة 32 ٪ بالمسبة لعددهم في السنة التي سبقتها ، وبلغ مستفاد تونس من الحركة السياحية في تلك السنة 27 مليون دولار .

وقد أخذت تونس بمبدأ التخطيط ، واستعانت بما تسلمه ايامها الدول الأجنبية الصديقة . وبلغ ما اقترضته منها 138 مليون دينار خلال سنتي 1960 - 1961 .

تجارتها الخارجية

وتصدر تونس الى الخارج منتجاتها الزراعية والمعدنية بالدرجة الأولى ، ثم مصنوعات العصرية والأخرى ذات الطابع الفني العتيق ، وتستورد ما تحتاج اليه من مواد مصنوعة ، ويسجل ميزانها التجارى عجزاً لزيادة قيمة الواردات على قيمة الصادرات .

وأكثر التجارة الخارجية لتونس يجرى مع فرنسا وأقطار امبراطوريها السابقة ، وكانت فرنسا الى سنة 1958 تحتكر 66 ٪ من الواردات و 51 ٪ من الصادرات ، ولكن المسؤولين التونسيين يسعون جادين في فتح أسواق لمنتجاتهم بكل الأقطار ، والتعامل مع الدول على أساس المساواة ومراعاة المصالح التونسية .

وقد بلغ حجم التجارة الخارجية لتونس سنة 1953 - 99 مليار فرنك ، منها 60 مليار قيمة الواردات (48 مليار من منطقة الفرنك + 3 مليار من منطقة

الدولار + 2 مليار من منطقة السترليني) ، و 39 مليار قيمة الصادرات
(26 1/2 الى منطقة الفرنك + 5 مليار الى منطقة السترليني) .

ويبين الجدول التالي أنواعاً من الصادرات والواردات التونسي
وفيتمتها بملايير الفرنك سنة 1957 .

الصادرات		السواردات	
القيمة بملايير الفرنك	نوع السلعة	القيمة بملايير الفرنك	نوع السلعة
7 ، 9	زيت الزيتون	3	السكر
6 ، 7	خمر	3	مصنوعات حديدية
5 ، 9	فوسفات	3	قمح
4 ، 5	حديد	2 ، 9	منتجات قطنية
3 ، 9	قمح	2	بتروول
2 ، 7	رصاص	2	ملابس
1 ، 6	اسمنت	1 ، 9	شاي
11	اسبارتو		

ويلاحظ ان السكر كان يحتل مكانة كبيرة سنة 1957 في واردا
تونس ، ولكن الحكومة التونسية أنشأت مصنعاً للسكر بباجة دشن يوم 1
يوليوز 1962 تبلغ طاقته الانتاجية 20.000 طن من السكر المستخلص من
الشمندر السكري الذي تغطي زراعته مساحة تقرب من 6.000 هـ .

والمصنوعات تمثل أهم الواردات ، ولفرنسا - بحكم ارتباطها ،
تونس في الماضي - مكان الصدارة من بين الدول التي تجلب منها تونس
وارداتها تليها إيطاليا ثم الجزائر ثم بريطانيا العظمى .

وقد بلغت قيمة الصادرات 150 مليون دولار سنة 1960 ببلغ نسبة
الحمر فيها 40 / والزيوت 32 / والفوسفات 14 % والحديد 6 / والرصاص
5 % والفحم 1 % .

وتتعامل تونس مع مجموعة بلدان السوق الأوروبية المشتركة ،
فتستورد منها مواد مصنوعة ونصف مصنوعة ، كالملابس والثياب والمصنوعات
الحديدية وأدوات التجهيز ، وتصدر إليها الحديد والفوسفات والرصاص
والمنتجات الزراعية .

ومعظم التجارة التونسية يجرى عن طريق البحر ، وتتلقي مدينة
تونس وحدها ثلاثة أرباع الواردات ، وهي أهم مدينة تجارية ، ومركز جميع
الأبناك ، ومقر أكثر الشركات والوكالات التي تعنى بشؤون الاقتصاد .

طرقها

وترتبط مدن تونس وأقاليمها بشبكة جيدة من الطرق السيارية
والقطارية ، ويبلغ طول السكك الحديدية 2038 كلم ، منها 1538 كلم تملكها
الدولة ، و 500 كلم تملكها الشركات المستثمرة للفوسفات ، وتمتد هذه السكك
إلى الجزائر والمغرب الأقصى حتى مراكش وطنجة غرباً ، ولكنها تقف جنوباً
عند قابس فلا تصل إلى المملكة الليبية .

وبتونس عدد من المطارات التي تنتظم منها أسفار داخلية وأخرى
دولية ، من أشهرها مطار العوينة بتونس الذي هو من أهم مراكز الاتصال
الجوى بين أوروبا وإفريقيا ، والأقطار الواقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط
والأخرى الواقعة في غربه .

كما تقوم السفن التجارية بأسفار منتظمة بين الشواطئ التونسية
والشواطئ الأوروبية .

نظامها

وقد استعادت تونس سيادتها وحررتها سنة 1956 واضطرب بنضالها المستميت القوات الفرنسية الى الجلاء عن القواعد التي كانت تحتلها بترابها سيما قاعدة بنزرت العظيمة سنة 1963 ، ونظامها جمهوري دستوري رئاسي منذ سنة 1957 ، ورئيسها الحالي هو صاحب الفخامة السيد الحبيب بن محمد بورقيبة المولود بمدينة المنستير يوم 3 غشت سنة 1902 .



المغرب الأوسط

(الجمهورية الجزائرية)

موقعها وحدودها

المغرب الأوسط - أو الجزائر - هو قلب البلاد المغربية ، يقع بين خطي العرض 19 و 15 ، 37 شمال الاستواء ، وخطي الطول 10 شرقي كرينويتش و 2 غربيه ، ويحده من الشرق المغرب الأدنى (تونس - ليبيا) ، ومن الغرب المغرب الأقصى ، ومن الجنوب الصحراء الكبرى ، ويطل من الشمال على البحر الأبيض المتوسط بساحل بديع يبلغ طوله 1200 كلم .

مساحتها

وتبلغ مساحة القطر الجزائري 2.191.000 كلم مربع ، منها 327.000 كلم في الأقاليم الشمالية ، و 1.864.000 كلم في الأقاليم الجنوبية .

ساحلها

ويمتد الساحل الجزائري على خط مستقيم من الحدود التونسية الى الحدود المغربية ، وهو صخري تترامى عليه الأمواج مرغبة مزبدة ، وليس به خلجان عريضة ولا جزر مهمة ، والمراسي الطبيعية غير موجودة فيه ، وقد بذلت جهود عظيمة لحفرها وحمايتها بسدود صناعية تجعلها في مأمن من التيارات القوية والرياح العاصفة التي تهب من مضيق جبل طارق ، واكثرها محفور

وسط خلجان صغيرة محمية صناعياً أو على جوانبها اليسرى . تأميناً للسفن
الراسية فيها من أخطار تلك التيارات والرياح .

سطحها

وسطح الأرض الجزائرية مرتفع في مجموعه ، ولكن ليس به من
الجبال العالية ما بالمغرب الأقصى ولا من السهول المنخفضة ما بتونس ، فأعلا
قممه لا يزيد ارتفاعها على 2327 م ، وأكبر سهوله لا تزيد سمعتها على 50 كلم ،
وإذالقى الإنسان نظرة على مسطح القطر الجزائري من الشمال الى الجنوب
وجده يشتمل على منطقة تلية في الشمال تتكون من سهول وجبال ، ومنطقة
نحديه في الوسط يجاوز ارتفاعها 800 م فوق سطح البحر ، تليها منطقة
صحراوية تشتمل أيضاً على جبال جرداء ، وسهول رملية قاحلة ، ومرتفعات
صخرية صلبة في أقصى الجنوب .

وتعتبر جبال المنطقة التلية - بما فيها الجبال الساحلية والأخرى
الداخلية - امتداداً لسلاسل جبال المغرب الأقصى ، وهي ترتفع بصورة واضحة
في شرق الجزائر وغربها ، ففي الشرق ترتفع جبال الجرجرة والبايور والبيبان ،
ويبلغ ارتفاع الأولى 2300 م ، وارتفاع الثانية 2000 م وارتفاع الثالثة 1800 م ،
وأعلا قمة في جبال الأطلس التلي هي قمة للا خديجة (2308 م) بجبال
الجرجرة ، أما في الغرب فيبلغ ارتفاع جبال تلمسان 1800 م وتبلغ أعلا قمة
في جبل ونشريس 1985 م وتسمى عين الدنيا .

والجهات القريبة من الساحل في هذه المنطقة هي أحسن جهاتها
غنى وجمالاً ، بل هي أحسن جهات القطر الجزائري على الإطلاق وأكثرها مطراً
وأشدّها عمراناً ، وتفتح الى جانب البحر عن سهول عديدة أهمها سهل عنابة ،
وسهل الجزائر المسمى بسهل متيجة ، وسهل وهران ، كما يفتح الأطلس
التلي الواقع خلفها عن سهول زراعية خصيبة مثل سهل بلعباس وفحص زيدور
قرب تلمسان ، وتمتاز المنطقة كلها بطقس معتدل وسماء صافية ومجاورة

لبحر أزرق بديع ، وهى أرض الأشجار المثمرة والزهور الجميلة والعوالكه المبكرة ، وثلاثة أرباع سكان الجزائر يعيشون من خيراتها الزراعية ، وعلى البحر منها تقع المدن والمراسى العتيقة مثل عنابة وبجاية ودلس والجزائر وشرشال وتنس ووهران ، كما تقع فى داخليتها الحواضر التاريخية الكبرى مثل قسنطينة وتلمسان .

اما منطقة النجود العليا التى تلى الأطلس التلى جنوباً فهى على عكس المنطقة التلية - منطقة مقفرة خالية تقريباً من السكان ، ترتفع 800 م فوق سطح البحر ، وليست بها أشجار بأسفة ولا مياه جارية الا فى النادر القليل .

وينتجع الأعراب بمواشيهم هذه المنطقة فى فصل الربيع ، ويقتلع منها نبات الحلفة صيفاً وهو نباتها الوحيد المستغل اقتصادياً . وتكثر فيها السباخ الكثيرة المالحة ، فان كانت كبيرة سميت الشط ، وان كانت صغيرة دعيت زاغز ، من أهمها فى الجهة الشرقية والوسطى شط الحضنة ، وزاغز الشرقى ، وزاغز الغربى ، وفى الجهة الغربية الشط الشرقى والشط الغربى أو شط حميان .

وخلف هذه النجود العليا توجد سلسلة جبال الأطلس الصحراوى وهى أيضاً ممتدة من الغرب الى الشرق ، تبتدىء بجبال القصور والعمور وتنتهى بجبال أوراس ، واذا انحدر الانسان منها جنوباً وجد نفسه أمام الصحراء التى يخالها الانسان بسيطاً فسيحاً من الرمل يمتد الى اللانهاية . وما هى فى الحقيقة بسيطاً كلها ولا رملا جميعها ، بل ترتفع شيئاً فشيئاً حتى تصل الى 1.900 م فوق سطح البحر فى جبال هكار بأقصى الجنوب ، كما ان منها جهات متحجرة تدعى الحمادة وأخرى رملية تدعى العرق ، ولا تخلو الصحراء الجزائرية رغم ضراوتها وقسوتها من واحات جميلة يرتفع نخلها فى عنان السماء تصهر رأسه الشمس المحرقة وتسقى جنوره المياه الدافقة ، وينتج تمراً شهياً شهيراً فى العالم بجودته وحلاوته .

طقسها

والطقس في القطر الجزائري مماثل للطقس في الأقطار المغربية الأخرى ، فهو في الساحل معتدل يشبه طقس بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط ، ويظهر اعتداله على الخصوص في المنطقة الواقعة بين مدينة الجزائر ومدينة القالة ، وكلما تنخفض درجة الحرارة في فصل الشتاء الى ما تحت الصفر (المتوسط الشتوي الأدنى + 8 د) . وعلى عكس الساحل داخلية البلاد ، فالطقس فيها لا يتسم بالاعتدال ، والبون شاسع جداً بين الدرجات العليا والدنيا للحرارة صيفاً وشتاء . ففي الشتاء يشتد البرد وينزل الثلج ويهبط ميزان الحرارة الى الدرجة العاشرة تحت الصفر بالنجود العليا . وفي الصيف تشتد الحرارة وترتفع حتى تصل الدرجة الأربعين فوق الصفر بمدينة الأصنام ووادي شلف ، على أن المدن الواقعة في الجبال القريبه من الشاطئ كجبال تلمسان وتساله وونشريس تتمتع بطقس معتدل شبيه بالطقس الساحلي لارتفاعها ووصول النسيمات البحرية العلية اليها ، اما في المناطق الصحراوية فالاختلاف شديد جداً بين برودة الليل وحرارة النهار ، وترتفع الحرارة صيفاً حتى يسجل ميزانها أحياناً الدرجة السبعين فوق الرمال . وذلك شيء طبيعي في كل منطقة ملاصقة لخط الانقلاب .

وتهب على القطر الجزائري في فصل الشتاء الرياح الغربية العكسيه بأمطارها وأعاصيرها ، ويبدأ نزول المطر عند دخول فصل الخريف ، ويستند ابتداء من نونبر ، ويستمر ستة أشهر مع فترات صحو ، ويبلغ متوسط الكمية النازلة في المناطق الشمالية 450 ملم . وهو في الجهة الشرقية المرتفعة (القل 1798 ملم) أغزر منه في الجهة الغربية (وهران 463 ملم) التي تسلب الرياح الشمالية الغربية الهابة عليها شتاء من رطوبتها عند مرورها بإسبانيا ، وتتلقى منطقة الجزائر الواقعة بين الجهتين متوسطاً مطرياً قدره 733 ملم ، وهو متوسط يبعث على الدهشة اذا ما قورن بالمتوسط المطري السنوي الذي ينزل على باريس (561 ملم) ، ولكن المطار يبدأ في تسجيل درحات تنخفض شيئاً فشيئاً كلما امتدت الأرض جنوباً ، ففي النجود العليا

يسجل متوسطاً سنوياً يتراوح بين 300 و 200 ملم ، والى الجنوب منها تعمل الكمية النازلة عن القدر اللازم للفلاحة ، وذلك تدير بظهور الصحراء القاحلة .

نباتها

ويتغير النبات بتغير الطقس ، وتعتبر منطقة التل التى تنزل فيها امطار كافية منطقة الأشجار المخضرة باستمرار ومنطقة الغابات التى تتكاثر فيها اشجار البلوط والخروب والصنوبر والعراعر والأرز ، وهى أيضاً منطقة الزراعة والغراسة الكبرى حيث تمتد حقول القمح والشعير والقطاني بجانب بساتين الزيتون والكرم والليمون ومختلف أنواع الأشجار المثمرة والصناعية، أما النجود العليا فان الأشجار تختفى فيها ويحل محلها الشيع والحلقة وبعض الأشجار الشوكية القصيرة ، وإذا كانت الطبيعة حرمتها من الثراء الزراعى فعد عوضها بالثراء الحيوانى . اذ جعلت منها منطقة للرعى تكثر فيها قطعان الابل والبقرة والغنم ، أما المنطقة الصحراوية فهى أرض الجفاف والقحولة ، وتحللها بين المسافة والأخرى واحات جميلة تغطيها غابات النخيل الذى يساعد ظله على غرس أشجار مثمرة وزرع بعض الحبوب والخضر .

أقسامها الادارية

بقى القطر الجزائرى عشرات السنين مقسماً الى عمالات ثلاث موجودة فى الشمال هى عمالات الجزائر وقسنطينة ووهران ، تضاف اليها اراضى الجنوب العسكرية التى أسست فى 4 دجنبر 1902 وكانت من الوجهة القانونية مستعمرة فرنسية خاصة لها ادارتها وميزانياتها وأملاكها وان كانت موضوعة تحت سلطة الحاكم الفرنسى العام بالجزائر ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أعيد تنظيم التراب الجزائرى تبعاً للتطورات السياسية الداخلية من جهة ، والتخطيطات الاستعمارية البعيدة المدى من جهة أخرى ، فأصبحت بذلك مقسمة الى ثلاث عشرة عمالة شمالية هى عمالات : الجزائر ، والأصنام ، وباطنة ، وتلمسان ، وتيزى وزو ، وتيهرت ، والمدية ، ومستغانم ،

وعنابة ، وسطيف ، وسعيدة ، وقسنطينة ، ووهران ، وحولت أراضي الجنوب العسكرية الى عمالتين تدعى احدهما الساورة ، والاخرى الواحات ، وقد حوفظ على هذا التقسيم بعد اعلان الاستقلال .

وتنقسم العمالات الى دوائر، كل دائرة تشتمل على عدد من البلديات .

سكانها

تعرض سكان الجزائر خلال أيام الاحتلال التركي ثم الفرنسي لعدد من أعمال القمع والتشريد جعلت عددهم في نقصان مستمر ، ولما جرى أول احصاء رسمي سنة 1856 لم يكن عدد المسلمين يزيد على 2.307.000 نسمة ، وزاد هذا العدد نقصاناً بعد ذلك ، ثم بدأ يرتفع في نهاية القرن الماضي وأول هذا القرن حتى بلغ 7.721.678 مسلماً سنة 1948 يضاف اليهم 960.107 من المستوطنين الفرنسيين وسائر الأوربيين المتفرنسين ، وفي سنة 1954 صار العدد عشرة ملايين ، تسعة أعشارهم من المواطنين المسلمين والعشر الباقى من الفرنسيين والمتفرنسين ، وخلال حرب التحرير التي جرت في فاتح نونبر من تلك السنة واستمرت الى بداية سنة 1962 خسرت الجزائر مليون شهيد من أبنائها ولكنها ربحت بدلهم حريتها وسيادتها ورحيل الأجانب جماعياً من ترابها ، وقد صار عدد سكانها بعد ثلاث سنوات من استقلالها (1965) - 12.041.845 نسمة ليس بينهم الا اقلية ضئيلة من الأجانب .

وأهل الجزائر - كسائر المغاربة - مسلمون ديناً ، عرب أو متعربون أصلاً ولغة ، واللغة الفرنسية منتشرة في سائر أوساطهم بسبب الحكم الأجنبي السابق ، كما توجد قبائل في بعض الجهات تتكلم الى جانب العربية لهجات بربرية . لكن اللغة العربية صارت تستعيد مكانتها بعد ما جعلتها الجزائر المستقلة لسان الدولة الرسمي، وقررت استعمالها وحدها في التعليم الابتدائي.

اتّاجها الزراعي

كان عدد الأملاك العقارية المسجلة بالجزائر قبل الاستقلال يبلغ حوالي 21.000.000 هـ منها 5.000.000 هـ من أملاك الدولة ، و 4.200.000 من أملاك البلديات ، و 9.200.000 هـ من أملاك المسلمين ، و 2.400.000 من أملاك المعمرين الفرنسيين ، ولاكن مساحة الأراضي المنزرعة منها لم تكن تتعدى 10 ملايين هكتار .

وأجود الأراضي كان بيد المعمرين الفرنسيين ، انتزعه الاستعمار من الوطنيين بمختلف الوسائل ، ولم يبق لهم الا الأراضي التي يقل نفعا ويكثر تعبها .

والفلاحة هي أهم الثروات الطبيعية ، ويعمل فيها أكثر من 75 ٪ من السكان ، وقد قدرت قيمة منتجاتها بـ 185 مليار فرنك سنة 1953 ، وبلغت نسبة المصدر منها في تلك السنة 84 ٪ من مجموع الصادرات بينما لم تعد نسبة المستوردات الزراعية 6 ٪ من مجموع الواردات ، وتعتبر الزراعة في الجزائر مثالا يحتذى لا في الدول المتخلفة فحسب ، ولكن في بعض الدول المتقدمة أيضاً ، ويرجع السبب في ذلك الى الوسائل الآلية والتقنية المستعملة فيها .

وقد انشئت سنة 1941 مصلحة خاصة للتنمّيج وحماية التربة ، كما أنشئت سنة 1946 مصلحة التجديد القروي لتعميم استعمال الوسائل العصرية في الفلاحة ، وأنشئت سدود عديدة في طول الجزائر وعرضها لخزن مياه الأمطار واستعمالها في سقي الحقول والبساتين ، وقد وضع سنة 1920 مخطط لبناء جملة من السدود فانشئ سد بني بهدل على نهر تافنا جنوبي تلمسان ، وسد وادي الفضة أحد روافد نهر شلف ، وسد غريب . كما وضع سنة 1946 مخطط آخر يستهدف سقي ناحية غليزان (سد وادي التحت) وناحية سيك (سد وادي سارنو) وناحية الزيبان (سد الوادي الأبيض) ،

والغرض من هذا السد الأخير بالخصوص حماية ناحية بسكرة باغلاق مسح (فم الفرزة) وهو أول مستودع صحراوي للمياه .

وتحتل زراعة الحبوب 3.165.000 هـ تحث قمحاً وشعيراً وذرة وخرطالا ، وتختلف كمية الانتاج في سنة عنها في سنة أخرى ، وكان متوسط الانتاج السنوى خلال العشرين سنة الماضية 18 مليون قنطار ، وبلغ انتاج الحبوب 21 مليون قنطار سنة 1967 ، بينما لم يبلغ الا نصف ذلك العدد في السنة التى قبلها بسبب تاخر نزول المطر ، الشيء الذى اضطرت معه الحكومة الجزائرية الى استيراد القمح من الخارج لسد العجز الناتج عن سوء الصابة ، والى جانب زراعة الحبوب التقليدية بدأت تتسع مساحة زراعة حبوب جديدة لا عهد للجزائر بها من قبل كالارز والذرة الهيريديية والبشنة .

وقد بلغت كمية القطنى التى أنتجتها الجزائر سنة 1953 580.000 قنطار قيمتها 2.135 مليون فرنك .

وتمتاز الجزائر بسعة المساحة المغروسة دالية وبوفرة انتاجها من الخمر ، وقد كانت الكروم سنة 1952 تغطى 400.000 هـ بلغ انتاجها فى السنة التى تليها 18.500.000 هكتولتر من الخمر الشهى الذائع الصيت المستاغ كثيراً فى فرنسا وسويسرا وبلجيكا والبلدان الأوربية على العموم .

والجزائر غنية بأشجارها المثمرة ، والزيتون أوفر هذه الأشجار عدداً وهو يغطى مساحة 100.000 هـ وعدد أشجاره يفوق 11.000.000 ، ويبلغ متوسط ما ينتجه من الزيت 500.000 هكتولتر ، وترتب الجزائر فى الدرجة السابعة بين البلدان المنتجة لزيت الزيتون ، اذ يبلغ انتاجها منه 2 ٪ من مجموع الانتاج العالمى . وتبلغ أشجار التين 10 ملايين ثقل أكثر من مليون قنطار من التين وباكوره ، وتغطى أشجار الحوامض 30.000 هـ انتجت سنة 1954 أكثر من 3 ملايين قنطار من البرتقال والليمون والماندريسن والكليمانتين والبابليموس ، أما غابات النخيل الموجودة فى الجنوب فعدد أشجارها لا يقل عن 7 ملايين شجرة ثقل سنوياً أكثر من 1.150.000 قنطار

من السمور الجيدة الشهية التي تؤكل محليا ويوسق النوع المسمى منها
بدكلة النور الى الخارج .

وتزدهر في المنطقة التلية ولاسيما في الجهات القريبة من الساحل -
زراعة الخضر والبواكر كالبطاطا والقوق (الخرشف) وماطيشة والجزر
واللوبيا والجلبان ، وقد بلغ الانتاج منها أكثر من مليون طن سنة 1953 .

وتنسو الزراعة الصناعية باطراد، كالطابا (30.000 هـ - 260.000 ق)
والقطن ، والنباتات العطرية والكتان (2.600 هـ - 10.000 ق) . والشمنندر
السكرى الذي أنتج 25.000 ط سنة 1953 .

وبالإضافة الى ذلك تفل الأرض الجزائرية علات طبيعية أخرى ،
كالهلفة وسبيب الدوم والمنتجات الغابوية ، فالحلفة تغطي 4.000.000 هـ
وهي مصدر غنى سكان جنوب الأقاليم الغربية ، ولاسيما سكان الناحية الواقعة
بين سعيدة والمشرية ، وقد أنتجت سنة 1953 - 140.000 ط صدر معظمها الى
الخارج ، وصنع طرف منها في مصانع الكاعيط والسليلوز بالجزائر وبجاية ،
أما الغابة فتغطي هي أيضاً مساحة 2.400.000 هـ وتنتج خشباً صناعياً وحطباً ،
كما تنتج 450.000 ط من الفرشى الذى يستعمل كمادة عازلة وتوسع منه
سدادات القنينات والزجاجات . ومعظم الفرشى الجزائرى يوسق للخارج وأقله
يصنع داخلياً .

ويعتنى الفلاحون الجزائريون بتربية الماشية ، ويقدر عددها في
الساعة الراهنة بعشرة ملايين رأس ، لكن انتشار الفلاحة العصرية يحول دون
زيادتها ، كما ان القحط الذى تتعرض له البادية بسبب قلة المطر في بعض
السنين يعرضها لنقصان كبير ، ففي سنة 1945 كان عددها يبلغ 9 ملايين ،
وفي السنة التي تليها انخفض العدد الى أقل من 3 ملايين بسبب الجفاف ، ثم
بدا يرتفع فيما بعد ، ومن بين العشرة ملايين رأس يوجد 3.200.000 من المعز ،
و 866.000 من البقر ، و 241.000 من البغال ، و 341.000 من الحمير ، أما الخيل

التي يبلغ عددها 216.000 رأس فهي في نقصان مستمر بخلاف الإبل (182.000) التي يزيد عددها في الصحراء .

اتاجها المعدني

الجزائر غنية بما يشتمل عليه باطن تربتها من معادن ، وزاد في غناها ظهور البترول بصحرائها سنة 1956 . وكانت صادراتها من المعادن سنة 1953 تمثل 11 ٪ من مجموع قيمة صادراتها البالغة في تلك السنة 154 مليار فرنك .

ومن أقدم المعادن المستغلة في الجزائر الحديد المستخرج بالخصوص من الوزرة وجبل زكار وناحية بني مصاف ، ويقدر الاحتياطي منه بـ 2.500 مليون طن، وكان متوسط الانتاج السنوي منه يبلغ 3 ملايين طن، (3.372.000 ط سنة 1953) ، ولكنه انخفض فيما بعد بسبب اندلاع حرب التحرير فلم يتجاوز 1.924.000 ط سنة 1959 ويعتقد أن الانتاج الحالي لا يتجاوز نصف المتوسط القديم .

والموسفاط من نروات الجزائر المعدنية (531.000 ط سنة 1959) ويستخرج من التخوم الجزائرية - التونسية جنوبي مدينة تبسة ، وكذلك الرصاص (15.300 ط سنة 1959) والزنك (62.900 ط سنة 1959) والبريت وسلفات البريت والزئبق .

وكان يعتقد ان التربة الجزائرية لا تتوفر على مواد وقودية تمكن من انشاء صناعات كبيرة ، ولكن هذا الاعتقاد تغير بعد اكتشاف مناجم الفحم الحجري بالقنادسة (بشار) التي شرع في استغلالها منذ سنة 1917 وهي تؤمن للجزائر ثلث احتياجها منه (295.000 ط - سنة 1953) ، كما اكتشف البترول سنة 1956 بعد ابحاث جرت على نطاق ضيق منذ سنة 1952 بناحية الحضنة وتبسة ، وأشهر الأحواض التي يستخرج منها حوض حاسي مسعود بوسط الصحراء الذي تمتد منه الى مرسى بجاية أنابيب تبلغ طاقتها

10 ملايين طن في السنة . وحوض حاسي الرمل وهو أيضاً بوسط الصحراء ، وحوض زارزيتن ، وحوض عجيلة على الحدود التونسية الذي تمتد منه أنابيب الى مرسى الصخيرة القريب من مرسى قابس بتونس ، ويقدر احتياطي الجزائر من البترول بـ 500 مليون طن ، وهو تقدير قابل للزيادة ، وبلغ الانتاج منه 25.000.000 ط سنة 1965 .

ويوجد الغاز الطبيعي في وسط الصحراء ، وفي منطقة حاسي الرمل وينقل في أنابيب الى الساحل بمعدل 1.500.000 م مكعب في اليوم .

وقد نتج عن اكتشاف البترول انبعث الحياة في الصحراء وانشاء الطرق والمطارات لربطها بالأقاليم الشمالية ، وفتح امكانيات التصنيع على مصراعيها أمام الدولة الجزائرية .

انتاجها الصناعي

كانت السياسة الفرنسية تستهدف ابقاء القطر الجزائري قطراً زراعياً والحيلولة دون اقامة صناعة ثقيلة به رغم وجود مقوماتها الأساسية من حديد وحديد ومواد أخرى ، ولم تكتف بذلك بل تعمدت قتل الصناعات العتيقة التي اشتهرت الجزائر باتقانها والتي كانت مورداً لعيش سكانها، والصناعة الوحيدة التي ابحاثها هي الصناعة التي لها ارتباط بالقطاع الفلاحي والأدوات المستعملة فيه .

ولما احتل الألمان فرنسا سنة 1940 بدأ الفرنسيون يفكرون بدافع فرنسي محض - في تصنيع بلدان امبراطوريتهم التي نجت من احتلال الألمان ، فوضعوا - فيما يخص الجزائر - مخططاً للتصنيع شرع في تنفيذه سنة 1946 باتخاذ عدد من الاجراءات التي تسهل استثمار الراسمیل لأغراض صناعية في التراب الجزائري ، ووسعوا نطاق المدارس الصناعية وأنشأوا عدداً من الوحدات السكنية ونفذوا قوانين الضمان الاجتماعي المطبقة في فرنسا ،

كما بذلوا أكبر جهد لتنمية الطاقة الكهربائية (1.307.000.000 كليوات - ساعة سنة 1960) .

وهكذا دخل القطر الجزائري منذ سنة 1946 في عهد التصنيع ، فانشئت فيه الأفران التي تصهر الحديد والمعادن الصلبة ، وانشئت مصانع ومعامل لصنع الزجاج والخزف والكاغيط المستخرج من الحلفة والكارطون ، وأخرى لصنع الصابون والمطاط والحامض الكبريتي ، والمغازل والمناسج ومعامل الزرابي ومعاصر الزيت والخمر ، والمطاحن والمعالب ، ومصانع السكر والأرز ومعامل صنع الصمامات من الفرشي وتعبئة المياه والمشروبات .

وقد زودت البلاد بمخازن ثلجية لحفظ الخضر واللحوم والمواد التي تفسد بسرعة مما يجعل الجزائر تراث اليوم منشآت صناعية مهمة ان أحسنت استعمالها والمحافظة عليها وعملت على تنميتها وتصريف منتوجاتها فستدر عليها الربح الوفير والخير الكثير .

طرقها

يبلغ طول الطرق المسلوكة 60.000 كلم منها 8.450 كلم من الطرق الوطنية الكبرى ، والباقي طرق اقليمية وثنائية ، وتمتد السكك الحديدية الواسعة والضيقة 4.078 كلم وتوفر الجزائر على عدد من المراسي الكبيرة المجهزة أحسن تجهيز بلغ عدد السفن التي دخلتها سنة 1960 - 6.977 سفينة حمولتها الصافية تزيد على 10 ملايين طن . اما مطاراتها فمن أكبرها مطار الدار البيضاء قرب الجزائر ومطار السانية قرب وهران وعدد آخر من المطارات المدنية والعسكرية التي تستعمل في النقل الجوي الداخلي والآخر الدولي .

تجارتها الخارجية

كانت الجزائر في عرف القانون الاستعماري جزءاً من التراب الوطني الفرنسي الى سنة 1962 فلم تكن هناك حدود جمركية بينها وبين فرنسا ،

كما كانت حركة النقل بينهما لا تتم الا على بواخر فرنسية ، فصارت فرنسا المتعامل الأول مع الجزائر بيعاً وشراء : تحتكر ما بين 75 - 80 ٪ من صادراتها و 78 - 85 ٪ من وارداتها .

وبسبب هذا الاحتكار الاستعماري ظلت الجزائر تعاني باستمرار نقصاً في ميزان تجارتها الخارجية ، لأن قيمة الواردات (624.000.000 فرنك سنة 1960) تفوق دوماً قيمة الصادرات (194.000.000 سنة 1960) .

ولما استقلت الجزائر شرعت في تنظيم تجارتها الخارجية على أسس سليمة يعطى فيها لمصلحتها الاعتبار الأول ، وهكذا انخفضت نسبة التعامل مع فرنسا من 75 ٪ عام 1962 الى 65 ٪ عام 1964 .

وعقدت الجزائر مع عدد كبير من الدول اتفاقيات للتبادل التجاري ، وأدى استثمار البترول وتصديره بوفرة الى القضاء على العجز الحاصل في ميزان الأداءات .

وتصدر الجمهورية الجزائرية منتوجات الصناعة الغذائية ، من خضر وفواكه وخمور ، ومنتوجات المعادن من حديد وورصاص وزنك وفوسفات وبترول ، وكذلك بعض المصنوعات العصرية ، وتستورد مواد التجهيز والمواد المصنوعة والمواد الغذائية بصفة عامة .

نظامها

رزحت الجزائر تحت نير السيطرة الاستعمارية 132 سنة أظهر شعبها خلالها من ضروب المقاومة وأنواع التمرد ما سارت بذكره الركبان ، ومن أشهر ثوراتها ثورة 1 نونبر 1954 التي شارك فيها الشعبان المغربي والتونسي مشاركة فعلية وساندتها جميع الدول الاسلامية والعربية والأخرى التي تناصر مبدأ تحرر الشعوب وحققها في تقرير مصيرها ، وقد استمات

الشعب الجزائري في القتال وصحى في الممارك التي دامت أزيد من سبع سنوات بأكثر من مليون شهيد ، حتى اضطر فرنسا الى الاعتساف بحريته وسيادته فولدت الدولة الجزائرية يوم 5 يوليوز 1962 . وانخرطت بعد ذلك في منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الاقليمية والمتخصصة .

ونظام الدولة في الجزائر جمهورى دستورى رئاسى ، ومنذ شهر يونيو سنة 1966 أصبحت مقاليد الدولة بين يدى مجلس الثورة الذى يرأسه العقيد أبو مدين الهوارى أحد قادة جيش التحرير الجزائرى .



المغرب الأقصى

(المملكة المغربية)

موقعها وحدودها

المملكة المغربية – أو المغرب الأقصى – هي أوسع البلاد المغربية مساحة وأكثرها سكانا ، تقع في غربها الأقصى بل في أقصى غرب القارة الأفريقية بين الجزائر والصحراء الكبرى والبحر المتوسط والمحيط الأطلسي .

وليس لها في الوقت الحاضر حدود قسارة الا الحدود الطبيعية بالشمال والغرب حيث البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، اما من الجهتين الشرقية والجنوبية فهي مثار جدال ، لأن الشعب المغربي وحكومته يرفضان التسليم بالتخطيط الاستعماري للحدود ، والرضا بما فعلته فرنسا واسبايا ابان حكمهما من بتر كثير من أطراف المغرب الأقصى وتضييق رقعته حتى أصبح البون شاسعاً بين حدوده الحقيقية القديمة وحدوده المصطنعة الحديثة .

وقد حددت المعاهدة المعقودة بين فرنسا والمغرب بقرية للا مغنية سنة 1845 والمفروضة عليه اثر هزيمته في معركة يسلي – الحدود بتدقيق ما بين مصب وادي كيس على البحر الأبيض المتوسط وثنية الساسى جنوبى مدينة وجدة ، اما الحدود فيما عدى ذلك فقد وضعتها فرنسا وحدها دون مشاورة المغرب ولا موافقة حكومته الشرعية ، وهي تمتد من ثنية الساسى جنوباً حتى تسامت واحة فكيك ، ثم تميل الى الغرب شاققة الواحة المذكورة

باركة بنى ونيف خارج الحد وجبل عنتر داخله ، وتسير على خط مسقيم حتى نلتقى بمجرى وادي المرة جنوبى قرية تلزازه ، فتسير مع مجراه الى ان يلتقى بمجرى وادي كير فتسير مع مجرى هذا الوادى الأخير حتى تصل الى نقطة تبعد 15 كلم الى الشمال من قرية يكل ، ومن هناك يمتد خط الحدود مستقيماً فى اتجاه جنوبى غربى حتى يلتقى مع الدرجة 40 . 27 من العرض الشمالى التى هى الحد الجنوبى لاقليم طرفاية ، وحتى خط الحدود هذا لم يحترمه الفرنسيون بعد استقلال المغرب الأقصى وقيل انتهاء حكمهم للجزائر ، ففسد اجتازوه ووضعوا أيديهم على بعض المناطق الواقعة غربه وشماله لأغراض استراتيجية أثناء محاربتهم للشوار الوطنيين الجزائريين ، فخلق هذا التعدى حالة توتر على الحدود بين المغرب والجزائر المستقلة أدى الى نشوب خلاف مسلح بينهما فى شهر اكتوبر سنة 1963 ، ذلك الخلاف الذى صدر بشأنه تصريح بساماكو فى 30 أكتوبر 1963 وتألفت لفضه لجنة خاصة منبثقة عن منظمة الوحدة الافريقية .

مساحتها

تبلغ مساحة المملكة المغربية فى حدودها التاريخية حوالى 3.000.000 كلم مربع . ولكن البتر المتوالى لأطرافها من جانب الاستعمار جعل الرقعة التى ينبسط عليها السلطان الشرعى منها لا تتعدى 550.000 كلم .

سطحها

يمتاز سطح المملكة المغربية بارتفاعه وامتداد مجموعة من السلاسل الجبلية فوقه امتداداً أفقياً تتخللها أو تنبسط قربها سهول واسعة ونجود عليا .

وتكون الجبال فى المغرب العربى وحدة متماسكة ، ولكنها فى المغرب الأقصى ارفع منها فيما عداه ، وكانت قديماً تسمى جبال درن . ثم صارت فى العصر الحديث تدعى جبال الأطلس . وهو اسم محلى على ما يظهر ، دعى به فى الأول جبال المغرب الأقصى ثم عمم اطلاقه فصار يدل على جبال البلاد المغربية كلها .

وإذا أردنا أن نتكلم على هذه الجبال متدرجين من الشمال الى الجنوب فسنجد في البداية سلسلة **الأطلس الساحلي** المشرفة على البحر الأبيض المتوسط الممتدة من جبل موسى (856 م) المحاذي لسبته الى نهر ملوية ، ويسمى الجغرافيون الأوروبيون هذه السلسلة **الأطلس الريفى** (8) وهى ترتفع كثيراً فى الوسط قرب تركيستم (جبل تيدغين 2452 م) وشفشاون (جبل تيسوكة 2120 م) .

وخلف هذه السلسلة توجد منحدرات يظن انها كانت مغمورة بماء البحر فى الزمن القديم ، وهى تتسع شيئاً فشيئاً من جهة الشرق حتى تتفتح عن سهول وادى ملوية والمغرب الشرقى ، مثلما تتسع من الجهة الغربية حتى تتفتح عن بسيط سايس وسهول الغرب .

وتعتبر كدية الطواهر الواقعة غربى تازة هى العقدة التى تصل الأطلس الساحلى بالأطلس المتوسط ، وبها يمر الطريق العتيق الذى يربط تلمسان وما خلفها من قرى وأمصار بفاس وما بعدها من قرى وأمصار .

والى الجنوب من تلك السهول والمنحدرات توجد سلسلة جبال **الأطلس المتوسط** التى تنفصل فى جبل حيان (3.000 م) عن الأطلس الكبير ، وتمتد من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى حتى تصل الى جبل تزكة المطل على (مجاز تازة) من الجنوب بعد ما يكون ارتفاعها بلغ فى جبل بوييلان 3.200 م وفى جبل موسى وصالح 3.219 م وتنتهى فى أعالى ملوية ، ويمكن إضافة **الجبيلات** الواقعة شمال مدينة مراكش الى هذه السلسلة .

ويمتد **الأطلس الكبير** وراء الأطلس المتوسط على مسافة تزيد على 800 كلم من مبتداه بأعلى وادى كبر الى منتهاه برأس غير، ويتراوح عرضه ما بين

(8) شاع اطلاق الريف منذ ثورة سكانه على المسمومين الفرنسيين والاسبانيين (1919 - 1926) على الشمال المغربى من نهر ملوية الى المحيط الأطلسى ، والحقيقة ان ذلك مجرد خطأ ، فالريف فى عرف أهله وعرف المغاربة قاطبة هو منطقة صغيرة واقعة فى وسط شمال المغرب تمتد من قبائل قلعبة شرقاً الى قبائل غمارة غرباً ، واكبر مدنه وقراته مدينة المزمة (الحسيمة) ، وما عدى تلك المنطقة فليس من الريف .

60 و 80 كلم ، وجباله أبرز جبال المغرب وأرفعها ، وتتجاوز قمم جبال العياشي ومكون وتوبقال 3.500 م بل تتجاوز 4.000 م .

وخلف الأطلس الكبير يوجد **الأطلس الصغير** الذي يلتقى وایاه في جبل سيروة (3.300 م) وتمتد هذه السلسلة من جبل صفرو شرقاً سائرة في اتجاه جنوبى غربى الى المحيط الأطلسى عالية احياناً الى 2.000 م (جبل فيردوست) و 2.512 (جبل اكليين) .

وتنيسط ما بين هذه السلاسل الجبلية والمحيط الأطلسى سهول واسعة منخفضة تسمى باسماء القبائل المستقرة فيها كسهل الشاوية وسهل عبدة ، وسهل دكالة ، ويتراوح ارتفاعها ما بين 150 و 200 م في الجهات القريبة من البحر ، وقد يصل ارتفاعها الى 300 م وأحياناً الى 700 م في الداخل .

ويدعى السهل الواقع بين مثلث طنجة - فاس - الرباط **سهل الغرب** وأكبر أنهاره نهر سبو . كما تدعى المنحدرات الواقعة بين المحيط الأطلسى والسفوح القريبة من الأطلس الكبير والأطلس الصغير **سهل سوس** ، وبلغ طوله 200 كلم وعرضه 40 كلم .

ويحيط حزام السلاسل الأطلسية في أقصى الجنوب بساحة جديدة يبرز منها في جهات درعة جبل بانى ، وإلى الشرق منها تتواء سلسلة **الكور** القديمة ، وخلف ذلك كله توجد الصحراء .

طقسها

ينغير الطقس في المملكة المغربية بتغير المناطق والفصول ، فهو متوسطي في الشمال ، أطلسي في الغرب ، صحراوي في الجنوب ، قاري في داخل البلاد ، وقد حملت تقلباته وتناقضاته بعض الجغرافيين على القول بأن المغرب الأقصى قطر حار جداً وبارد جداً ورطب جداً وجاف جداً ! .

وتتأثر الجهات القريبة من مضيق جبل طارق بالتيارات البحرية الباردة نسبياً المسماة بتيارات كناريا ، كما تتأثر الجهات الغربية بالمحيط

الأطلسى الذى يلطف من حرارة الصيف ويخفف من حدة برد الشتاء ، أما الجهات الجنوبيه فى الداخل فليست فى مأمن من التأثيرات الصحراويه لأن جبال الأطلس الكبير لا تحول فى كل مكان دون تسرب طقس الصحراء اليها .

وأغلب الرياح التى تهب شتاء ترد من الغرب والجنوب الغربى ، وأكثر ما تهب صيفاً من الشمال الشرقى ، وفى مضيق جبل طارق يشتد هبوبها وتقلبها نتيجة اصطراع الطقس بين البحرين المجاورين ، ورياح السموم أقل هبوباً فى المغرب الأقصى منها فى القطر الجزائرى ، ولكن الشرقى الذى يهب من نجد الأقاليم الوهرانية حاراً جافاً يكون له فى غالب الأحيان ما لرياح السموم من مميزات وآثار : فكلامها ينفل الجو ، ويرفع درجة الحرارة فى وسط النهار بالساحل وتشتد وطأته - عندما يهب - على الإنسان والحيوان والنبات بالداخل .

وتبعاً لذلك يختل نظام المطر ، فهو يقل كلما امتدت الأرض من البحر المتوسط الى الجنوب ومن المحيط الأطلسى الى الشرق ، ويمكن تقسيم المغرب الأقصى بسبب ذلك الى ثلاث مناطق مطرية :

1 (منطقة غزيرة المطر تتعدى الكمية النازلة منه سنوياً فوفها 800 ملم ، وتشتمل هذه المنطقة على ناحية جبالة وجهات الأطلس الكبير والأطلس المتوسط المعرضة للرطوبة الغربية .

2 (منطقة متوسطة المطر تشتمل على القسم الشمالى من السهول الغربية ، وعلى نواحي فاس ومكناس وتازة ، والجهات العالية فى وسط وغرب الأطلس الكبير ، وتغوى الكمية السنوية النازلة عليها منه 400 ملم .

3 (منطقة قليلة المطر لا تتعدى كميته فى السنة 200 ملم تشتمل على القسم الجنوبى من السهول الغربية والقسم الشمالى من المغرب الشرقى ، وعلى الأراضى الواقعة فى السفوح الجنوبية الشرقية لسلاسل جبال الأطلس .

وهناك منطقة رابعة تكاد تكون عديمة المطر ، تنزل عليها منه سنوياً كمية تقل عن 200 ملم ، وهي تشتمل في الوسط على منطقة واقعة بين مراكش وآسفى ، وعلى النواحي الصحراوية والشبهية بها .

وأغزر المطر ينزل في الجهات المجاورة للمحيط الأطلسي ، وهو يتحكم في الزراعة والنبات على العموم تحكماً قوياً ، وينزل الثلج على علو 600 - 1.000 م قوياً أو ضعيفاً حسب موقع الأرض وتعرضها للمطر والهواء ، ويبقى جامداً بضعة أيام أو أسابيع على ارتفاع 1.000 - 2.000 م ، ومن 6 الى 9 أشهر (أكتوبر - يونيو) اذا تجاوز ارتفاع الأرض 2.000 م .

ويمكن تقسيم السنة الى فصلين : أحدهما رطب ممطر من نونبر الى أبريل ، وثانيهما حار جاف من مايو الى أكتوبر .

أما الجو فانه يكون لطيفاً ومعتدلاً بالسواحل ، ولكن يبدأ تفاوته بمجرد ما تمتد الى الأرض الى الجنوب ، ولا يعرف الجليد فيما تحت الجديدة ، ويبلغ متوسط درجة الحرارة في الساحل 19 في الصويرة والجديدة ، و 20 في آسفى ، و 17 في الدار البيضاء والرباط وطنجة ، وفي الداخل تشتد العروق بين حرارة النهار وبرودة الليل ، وبين حرارة الصيف وبرودة الشتاء ، والليالي باردة على العموم ، فمتوسط درجة الحرارة بمكناس (علو 500 م) 18 درجة ، وبفاس (علو 376 م) 19 درجة ، مع درجة 1 دنيا في شهر يبرابر ودرجة 44 عليا في شهر غشت ، وفي مراكش التي يبلغ علوها فوق سطح البحر 45 م تنزل درجة الحرارة الدنيا في شهر يناير الى ما تحت الصفر ، وتصل الدرجة العليا الى 45 في شهر غشت .

مياها

وكما تختلف أحوال الطقس بحسب المناطق تختلف حالة المياه تبعاً لها ، فهي غير متناسقة في جميع جهات المملكة المغربية ، غير أنها هنا أكثر منها في المغربين الأوسط والأدنى مجتمعين ، ويرجع السبب في ذلك

الى ارتفاع الجبال ، وغزارة الأمطار ، ونزول الثلج بوفرة وانعقاده شهوياً
عديده فوق الجبال حيث يبقى ذوبانه يغذى باستمرار مجارى أودية وأنهار
يوجد حفافها أينما صبت - الخصب والحياة .

وتمثل أنهار المغرب وأوديته أهمية بالغة فى حياته الاقتصادية ،
ويقدر متوسط الكمية الجارية فيها جرياً متواصلاً بنحو 310 متر مكعب فى
الثانية ، وهى تستغل فلاحياً وتستخرج منها الطاقة الكهربائية ، ولكنها رغم
ذلك لا تبلغ من الأهمية ما يبلغه أحد الأنهار المتوسطة بأوروبا .

والأنهار التى تصب فى المحيط الأطلسى هى أطول أنهار المغرب
وأعزرها ماء ، منها نهر لكوس الذى ينبع من منطقة جباله ويصب بالعرائش
بعد ما يقطع 100 كلم سيراً ، ونهر سبو الذى ينبع من الأطلس المتوسط
ويحمل فى بدايته اسم وادى كيكو ، ثم يسير مسافة 600 كلم متعرجاً متصخماً
بما ينصب فيه من روافد حتى يصب عند المهدية بعد ما يصبح عرضه 300 م
وتبلغ كمية المياه الجارية فيه أيام الفيضان 2.000 متر مكعب ، ولكنها تنقص
حتى تصل الى 15 م مكعب فقط فى أيام الصيف ، وهو النهر الوحيد الذى
بنى عليه مرسى داخل فى المغرب (القنيطرة) ، ويتحدث المؤرخون ان السفن
كانت تصعد فيه الى فاس . ونهر بو رقراق الذى ينبع من منطقة زيان ويصب
بين الرباط وسلا بعد ما يقطع مسافة 250 كلم ، ونهر أم الربيع الذى هو أكبر
أنهار المغرب وأكثرها انتظاماً ، ينبع من جبل حيان بالأطلس المتوسط ويمر
بخنيفرة وتادلة ، ويتضخم بالروافد التى تنصب فيه مثل وادى العبيد ووادى
تيساوت ، ويصب عند أزموور بعد ما يقطع 550 كلم ، وواد نسيقة (تنسيقت)
الذى ينبع من الأطلس الكبير ، ويسير مسافة 270 كلم حتى ينصب بين أسفى
والصويرة ، ووادى سوس الذى ينبع من الأطلس الكبير ويمر برودانة
(ترودانت) ويصب قرب أكدير وقد بلغ طوله 200 كلم .

أما الأنهار التى تصب فى البحر المتوسط فهى أقل من الأولى أهمية .
أكرمها نهر ملوية الذى يبلغ طوله 480 كلم وينصب غرب جبال بنى

يزناسن ، تليه أودية صغيرة مثل وادي كرت ووادي غيس ووادي نكور
ووادي لاو ووادي مرتيل .

وهناك أودية وأنهار تعتبر صحراوية وإن كان مصب بعضها في
المحيط الأطلسي تنبع من المنحدرات الجنوبية للأطلس وتتجه مجاريها نحو
الصحراء فتفيض مياهها في الرمال ، أكبرها وادي دوعة الذي يبلغ طوله
1.200 كلم ، ووادي غريس ووادي زوين اللذان يتكون من التقائهما وادي
الداورة ، ووادي كير ووادي زوسفانة اللذان يتكون من التقائهما وادي الساورة
الشهير الذي تقع عليه واحات اقليم توات .

وقد بنيت على بعض أودية المغرب سدود لخزن المياه
اللازمة للسقي وتوليد الطاقة الكهربائية ، مثل سد القنصرة المقام على وادي
بهت الذي يخزن 227 مليون متر مكعب من الماء ويسقى 37.000 هـ من الأراضي
الخصبة بناحية سيدي قاسم وسيدي سليمان ، وسد بين الويدان المقام على
وادي العبيد الذي يخزن مليار و 300 مليون متر مكعب من الماء ، ويسقى 150
ألف هكتار من سهول تادلة ويولد 560 مليون كيلواط من الكهرباء ، وسد
ايمفوت المقام على وادي نفيس الذي يخزن 46 مليون متر مكعب من الماء
ويسقى 146.700 هـ من سهول عبدة ودكالة ، وسدي مشرع حمادي ومشرع
القليلة المقامين على وادي ملوية اللذين تقدر دائرتهما السقوية بـ 60 ألف
هكتار من أراضي بني يزناسن وقلعية بالمغرب الشمالي الشرقي .

وبكل جهات المغرب الأقصى آبار وعميون وبحيرات وضائيات وشطوط
يمكن اعتبارها جزءاً من الشبكة الهيدرولية التي ينتفع بها المغاربة في معاشهم
ومكاسبهم الزراعية والصناعية ، تضاف إليها أنهار وجداول باطنية تسقي منها
بعض القرى بجبال الأطلس والواحات بالصحراء .

سواحلها

للمملكة المغربية واجهتان بحريتان ، احدهما شمالية على البحر
المتوسط في مقابلة السواحل الإسبانية ، يبلغ طولها 468 كلم ، وهي صخرية

منصرسه تفتح بين المسافة والمسافة عن فرضيات تشبه أقواساً لا تحمل السفن التي ترسو فيها في حرز حريز من التيارات المائية والمواصف الهوائية الآتية من مضيق جبل طارق، ويعبر الاتصال بين هذا الساحل والداخل بسبب السلسلة الجبلية المعترضة خلفه ، ويربط ساحل المغرب المتوسطي بساحله الأطلسي بحر الزقاق المسمى حديثاً بمضيق جبل طارق الذي لا تزيد المسافة الفاصلة بين شاطئيه الإسباني والمغربي عن 17 كلم في بعض النقاط ، وقد ازدادت أهمية هذا المضيق بعد حفر قناة السويس اذ أصبحت تمر به آلاف السفن غادية رائحة بين مختلف القارات ، وفي أقصى طرفه الغربي توجد مدينة طنجة كما توجد في أقصى طرفه الشرقي مدينة سبتة ، وإلى الشرق منها يوجد مرسى الحسيمة ومرسى مليلية ، وتتخلل المرتفعات الجبلية والرموس الخارجية في البحر من هذا الساحل بعض الشطوط الرملية الجميلة التي يقصدها الناس من الداخل والخارج للاصطياف ، مثل شط سمير Restinga وشط مرتبل وشط السعيدية .

والواجهة الثانية غربية تمتد على المحيط الأطلسي في الجزء المحرر من المملكة مسافة 835 كلم من رأس شبرتال Cap Spartel الذي هو أعلا نقطة بالساحل الغربي للقارة الأفريقية إلى رأس جوبي Cap Jobi بجنوب إقليم طرfaة ، وهو ساحل رملي منخفض تبرز من قسمه الأوسط والجنوبي بين الحين والحين رؤوس بحرية منطلعة من الجبال الداخلية ، ولا توجد فيه مراسي طبيعية آمنة ، ويصل هذا الساحل مع داخل البلاد بسهولة بواسطة طرق جيدة وسكك حديدية ، وعليه توجد المراسي المغربية الكبرى مثل الدار البيضاء وفضالة وآسفي وأكدير والقنيطرة (داخل) ومراسي أخرى دونها أهمية مثل العرائش والجديدة والصويرة وطرfaة .

تربتها

تقل التربة المنبينة في السلاسل الجبلية التي تكثر فيها الشعاب - أو تنعدم بالمرّة ، لأن هذه الشعاب لا تمكن مياه الأمطار من الاستقرار والنفوذ إلى باطن الأرض . بل تحولها إلى سيول - تقوى وتضعف حسب قوة المطر

وصعفه - تنحدر بسرعة جارفة معها التربة والحجارة والأشجار ، ولكن السهول والأودية على عكس ذلك تغطيها باستمرار طبقة من التراب أو الرواسب التي تخلفها السيول النازلة من الجبال ، وفي المغرب أنواع من التربة يدعى كل منها باسم عربي أو محلي حسب نوعه ولونه ، فالتربة السوداء التي تتشقق أثناء يابسها البطيء تدعى **التيرس** وهي أخصب تربة بالمغرب ، وتوجد في سهول الغرب والشاوية وعبددة ودكالة ومراكش ، والتربة الحمراء التي تيبس بسرعة تدعى **الحمري** وأكثرها جيد لما يخالطها من مواد مقوية كالجير والحامض الفوسفوري ، والتربة الرملية تدعى **الرمل** وهي دون التريبتين السابقتين خصوبة لقلة المواد المقوية المختلطة بها وعدم ثبوتها . والتربة الرسوبية تدعى **الدهس** ، والتي يخالطها الحصى بكثرة تدعى **الحروشة** ، وجميع هذه الأنواع منزرع لكن درجة الخصوبة ترتفع في بعضها وتنخفض في البعض الآخر .

نباتها

يقع النبات تحت تأثير الطقس والتربة والموقع ويتكيف تبعاً لها ، وكلما غزر المطر وطابت التربة وحسن الموقع نما وبسق وأعطت الفلاحة غلات وفيرة ، وكلما نزر المطر وخبثت التربة وساء الموقع نكد وتضاءل وقلت الغلات والمحاصيل الزراعية .

وينسجم النبات مع اعتدال الحرارة أكثر مما ينسجم مع وفرة الماء ، فإذا ارتفعت درجة الحرارة تبخر الماء بسرعة وعجز النبات بالتالي عن النمو ، ولهذا نرى منطقة تادلة تكاد تكون قاحلة من شدة الحر رغم أنها من المناطق التي تنزل عليها كميات وفيرة من المطر .

وقد أحصى العلماء الطبيعيون نحو 4.000 نوع من النبات في المغرب ، أغلبها من الأنواع المعروفة في أقطار البحر المتوسط ، وأقلها وهو الذي ينبت على أبواب الصحراء خلف جبال الأطلس - يمت بالنسب والقربى إلى نبات المناطق الانقلابية والاستوائية .

وتوجد في المغرب خمس مناطق نباتية :

1 (المنطقة الجبلية الشمالية المجاورة للبحر المتوسط الممتازة باعتدال هوائها ووفرة مياهها ، وفيها يكثر الشجر المثمر كالزيتون والليمون والكرم والتين والجوز واللوز والرمان وغيرها . والشجر الغابوي كالخروب والبلوط والصنوبر والأرز والعرعار ، وفي السهول والنجود التي تتخلل جبال هذه المنطقة تزرع أنواع الحبوب والقطاني والخضر ، وعلى جوانب أوديتها وشعابها تنبت أنواع عديدة من الحشائش والبقول التي تنالق أنوارها وتعبق أزهارها .

2 (المنطقة الساحلية الغربية وهي أخصب مناطق المغرب الطبيعية وأكثرها سكاناً ، مطرها غزير ، وحوها يارد شتاء معتدل صيفاً ، تبت فيها الحبوب والأشجار المثمرة على اختلافها وتحيط بمدنها وقراها غابات الزيتون ، كما تنتشر في سائرها غابات عادية كثيفة الأشجار مشابكة الأعصان ، من أهمها غابة المعمورة بين نهري سبو وأبي رقراق التي يبلغ طولها 60 كلم وعرضها 40 كلم ومساحتها 135.000 هـ .

3 (منطقة الجبال الأطلسية ، وهي منطقة يشند فيها البرد فيؤثر على النبات . ففي مرتفعاتها التي يزيد علوها على 3.000 م لا تعيش أشجار الزيتون والفواكه ، وإنما يوجد في وهادها وشعابها أشجار العرعار والجوز والنباتات العطرية والصيدلية كالزعتر والحناء والورد . وتكفل الأطلس المتوسط والأطلس الصغير غابات الأرز والصنوبر فتكسبهما خضرة وجمالاً وهذه المنطقة غزيرة الأمطار ، منها ينبع جل أودية المغرب ، وتقع بينها نجود عالية بعضها يزرع وبعضها ترعاه الدواب .

4 (منطقة المغرب الشرقي ، وهي منطقة يشند حرها صيفاً وبردها شتاء ويقل مطرها بصفة عامة ، وتمتاز بوفرة الأعشاب وكثرة المراعى التي تسرح فيها أنواع الماشية من غنم وبقر وخيل وإبل ، وتغطي الحلقة

مساحات شاسعة منها ، ويعتنى سكانها بالسعى نظراً لاختلال نزول المطر في الموسم الفلاحي .

5) المنطقة الصحراوية وهي عبارة عن نلال وجود ومعاوز رملية قاحلة يشتد حرها ويقل مطرها ، فلذلك انعدمت فيها الزراعة وقل النبات الا بعض الأعشاب والشجيرات الشوكية ، وتوجد فيها واحات جميلة يكثُر فيها النخل وأنواع من الشجر المثمر ويزرع فيها القمح والشعير وبعض الخضر على قلة ، ويعتمد أهلها في معاشهم على تربية الأبل ونقل السلع والمنتجات بين مدن الصحراء وقراها .

وقد استنبتت بالتربة المغربية نباتات بقلية وشجيرة عديدة مسنورده من الخارج فنبت في حالات مماثلة لنباتها في موطنها الأصلية ، ومن هذه النباتات الجديدة شجر الكاليتوس المستورد من أوسنراليا والصبار المسنورد من أمريكا ، والقطن والرز والبنان ، واستنبت الكاكاو بناحية أصله فسب وأعطى غلاب وفيرة ، كما جربت زراعة الشاي في نفس الناحية بنجاح .

غاباتها

تغطي الغابات في المملكة المغربية 3.500.000 هـ ، وهي موجودة في كل جهة ، لكن بعضها منفصل عن بعض ، كما أن كل غابة تنفرد بنوع من الشجر ، وقليلة هي الغابات التي تتعدد فيها أنواعه .

وينبت شجر الفرشي (العلين) على علو 100 - 800 م وتغطي غاباته 250.000 هـ من أراضي زمور وزعير وزيان .

وتوجد غابات الأرز الجميلة في الأطلس الساحلي (كتامة) والأطلس المتوسط جنوبي فاس ومكناس خاصة في مرتفعات تيكريكرة وكيكو ، وهي تنمو على علو 1100 - 2300 م ويبلغ طول بعضها أزيد من 50 كلم .

ويوجد الصنوبر والعراعر بجهاث كثيرة من الأطللس كما يوجد شحر الهركان ، وهو نوع من الزيتون الوحشى ينبت بالجنوب ما بين وادى درعة ووادى نسيفة (تسييفت) ، وتغطى عاباته ما بزيد على 700.000 هـ .

وتغل الفابات المغربية كل سنة 100.000 م . م من الخشب الصالح للنجارة ، و 2.000.000 م . م من الحطب ، و 52.000 ط من الفحم ، و 50.000 طن من الفرشى .

ويمكن عد منابت الحلقة من الفابات ، وهى تغطى بالمغرب الشرقى 2.000.000 هـ تغل سنوياً أزيد من 120.000 طن .

وتبذل الدولة مجهوداً كبيراً للمحافظة على الغابة وتوسيع مساحتها وريائها من الحريق وتجرب عرس أنواع جديدة من الشجر بها (2.994.862 شجرة من محلب الأنواع سنة 1963) ، كما تنظم استغلالها للصالح العام من جهة وصالح السكان المجاورين لها من جهة أخرى .

فلاحتها

المملكة المغربية فطر فلاحي قبل كل شيء ، يعمل 80 ٪ من سكانه فى الفلاحة وينميشون منها ، لذا تسناثر التنمية الزراعية والشؤون الفرويه على الموم يحظ وافر من اهتمام الحكومه والمصالح المركزيه والجهويه .

وتبلغ المساحة المنزرعة بها 11.000.000 هـ يزرع نصفها فقط ، وأطيب الجهات التى تجود فيها الزراعة هى جهات الغرب وحوض سبو والشاوية ودكالة وعبيدة وحوز فاس وحوز مكناس (سهل سايس) وحوز وحدة (أنكاد) وسهول تادلة .

وقد بلغت صابة المغرب سنة 1964 - 8.894.000 ق من القمح ، و 3.064.000 ق من الفرينة (القمح الطرى) ، و 11.684.000 ق من الشعير ، و 3.197.000 ق من الذرة ، و 639.000 ق من البشنة ، و 2.149.000 ق من

القطناني (الفول والحمص واللوبياء والجلبان والعدس) وبلغت صابته من الرز الذي نجحت زراعته بناحية القنيطرة 195.000 ق سنة 1963 .

وتنتشر زراعه الخضر بالقرب من المدن والقرى الكبيرة ، وفي المزارع العصرية التي تتوفر لها وسائل النقل السريع ، وقد بلغ سنة 1963 مجموع الانتاج منها 1.100.000 طن . منها 225.300 طن من البطاطا ، و 175.000 طن من الماطشة ، و 84.100 طن من الفول الطرى .

وتزرع بالمغرب نواره الشمس التي تعصر بذورها زيتاً ، والقطن (89.600 ق سنة 1964) والعلابا (8.400 طن سنة 1963) والشمندر السكري (181.000 طن سنة 1964) الذي يذهب الى مصانع السكر المحلية .

وتغطي حقول الدالية 25.000 هـ بلغ ما أنتجته من العنب 417.000 طن سنة 1963 ويقدر انتاج المغرب السنوى من الخمر بمليونى هيكتولتر ، ولكن الدولة تجد مصاعب فى تصريفه فى الخارج رغم جودته بسبب القنود التي فرضتها فرنسا على دخوله اليها وهي التي كانت أكبر مستورد له .

ومما يعتنى الفلاحون المغاربة باستنبات النباتات التي تدخل فى الصناعة العطرية ، كالورد وزهر الليمون والتارنج والعطرشة والنعناع والفلفل والقرنفل والياسمين، وكذلك النباتات الأخرى التي تدخل فى الصناعة الصيدليه.

وينبت بالمغرب الأقصى حل الأشجار التي تنبت بأوروبا الجنوبية والوسطى ، ويوجد به من الزيتون 12.700.000 شجرة أنتجت سنة 1963 - 145.000 طن من الزيتون و 8.800 طن من الزيت ، ومن الأشجار الحامضة (البرتقال والليمون والمندرين) 2.276.000 شجرة أنتجت 481.000 طن سنة 1962 ، ومن اللوز 13.288.000 شجرة أنتجت 9.200 طن سنة 1963 ، ومن المشمش (16.200 طن) والتين (61.000 طن) والجوز (5.625 طن) والتفاح والاجاص والبرقوق والخوخ والرمان الشئ الكثير ، أما النخل الذي يبلغ عدد شجره 4.885.000 فقد جنى منه سنة 1963 ما وزنه 79.500 طن .

حيوانها

يوجد بالمغرب أنواع الحيوان المعروف باقطار حوض البحر الابيض المتوسط ، سواء منه الطائر في الفضاء والسباح في الماء ، والماشى أو الزاحف على الأرض ، ومن الثابت تاريخياً أن أنواعاً كثيرة من الحيوان انقرضت فسى عصر ما قبل التاريخ بسبب التقلبات الجوية ، وان أنواعاً أخرى انقرضت فى العصور التاريخية بسبب القنص والصيد ، ومنذ خمسين سنة فقط كسان بالمغرب الأسد والنمر والفهد وأنواع أخرى من السباع شجعت الحكومة على القضاء عليها لفتكها بالناس والدواب .

وللمغاربة ولوع بتربية الحيوان الأنيس سواء منه الذى يؤكل أو الذى يستعمل فى الأشغال الزراعية أو الذى يستغل تجارياً ، وقلما يوجد بالأرياف دار أو خيمة خالية من حيوان يربى ، ومن المغاربة **كسابون** لا يشتغلون بغير تربية الحيوان . وقد كانوا يتولون ذلك حتى بالمدن داخل زارثب مخصصة لذلك .

لكن يلاحظ أن هؤلاء الكسابين لا يخدمهم الحظ باستمرار ، ويرجع السبب فى ذلك الى اختلال نزول المطر من جهة ، وعدم العناية بتوفير العلف والخطائر من جهة أخرى ، لذلك تسعى الادارة المغربية جاهدة لتوفر المراعى وارشاد الكسابين الى أقوم الطرق التى يجب اتباعها لتربية الحيوان تربية تجعل عدده ونوعه فى المستوى المطلوب .

وفى سنة 1963 كان عدد الحيوان بالمغرب يقدر كما يلى : 15.000.000 رأس من الغنم ، و 7.4.00.000 رأس من المعز ، و 2.900.000 رأس من البقر ، و 100.000 من الخيل ، و 200.000 من الابل بلغ ما انتجته 186.000 طن من اللحم ، و 16.500 طن من الصوف و 520.000.000 لتر من الحليب .

اما الطيور فهى وفيرة ، وتعرض فى الأسواق للبيع بكثرة وكذلك بيضها ، وقد أنشئت فى السنين الأخيرة خطائر لاستفراخها وتربيتها بالطرق الآلية ، كما أنشئت الخلايا الصناعية لتربية النحل واستخراج العسل منه ، وتربية دود الغز الذى يفلى حريراً .

صيدھا

والبحر هو أيضاً مجال من مجالات الكسب ومصدر من مصادر الثروة للمقاربة ، فالشواطئ المغربية ولاسيما الأطلسية منها تزخر بما يولد فيها من أنواع السمك والحيوانات البحرية ، لهذا يقصدها الصيادون بزوارقهم وسفنهم من فرنسا واسبانيا والبرتغال مثلما يصطاد بها المقاربة أنفسهم ، وقد أنشئت في السنين الأخيرة أحواض خاصة بزوارق الصيد في مراسي فضالة وآسفي وأكدير زيادة على الأحواض التي كانت موجودة من قبل بالدار البيضاء وطنجة وغيرها . كما أحدثت بها أسواق لبيع السمك ومعامل لتعليبه ، ويعد مرسى آسفي أول مرسى سردينى في العالم اذ تنزل به زوارق الصيد في كل موسم ما لا يقل عن 80.000 طن من السردين تغذى معامل التعليب الموحدة فيه (127 مليون درهم 1963) ، ولا يقصر الصيد على الشواطئ بل يشمل أيضاً الأودية والأنهار السى يوجد بها أيضاً سمك كثير .

معادنها

ليس استخراج المعادن في المملكة المغربية بالأمر الجديد ، فمنذ قرون طويلة جرى استخراجها بالطرق البدائية وتصنيعها في مصانع داخلية أو وسفها الى البلدان الأجنبية لتصنع هناك .

وقد نظم ظهير 19 يناير 1914 والظواهر التي عدلته شؤون البحث عن المعادن واعتبرت باطن التربة ملكاً للدولة ، كما أنشئ في 15 دجنبر 1928 مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية الذى كلف في البداية بالتنقيب - لحساب الدولة - عن المعادن والمناجم باستثناء الفوسفات ، ثم اتسع نطاق عمله فيما بعد فأصبح يشمل الاستغلال والتحويل والنقل والاشتراك مع الغير فى أعمال التنقيب والاستثمار .

وفى سنة 1963 انتجت مناجم الفحم الحجري بجرادة وحاسى بلال (المغرب الشرقى) 404.000 طن من الانتراسيت ، واستخرج من آبار النفط

بجبل سلعات (سيدى فاسم) 150.000 طن ، ولم يجر استغلال المعط الذى عثر عليه بسيدى عانم (الصويرة) لضعف احتياطه ، ولهذا ظل المغرب يعتمد فيما يخص الوفود السائل - على ما تكرره مصافى المحمدية من شروول مستورد من الخارج .

وفى السنة نفسها استجت معادن المنغنيز 266.000 طن من المواد المعدنية و 69.000 طن من المواد الكيماوية ، واستخرج من معادن الرصاص والزنك المختلطين 106.000 طن من الرصاص و 59.000 طن من الزنك .

ويوجد بالمغرب النحاس بجبل صفرو وقرب أمزميز ولكن انتاجه ضعيف كما يوجد الكوبالت والانتيموان والايتان والفلورين والفضة ، وغالباً ما تكون هذه المواد مختلطة بمعادن الرصاص .

أما الفوسفات الموجود بين خرييقة ووادى زم فقد استخرج منه 10.118.562 طن سنة 1965 وسق معظمها الى الخارج ، والمغرب يحتل المرتبة الثانية بين الدول المنتجة له بعد الولايات المتحدة الأمريكية .

وبالإضافة الى هذه المعادن الصلبة توجد بالمغرب عيون معدنية يؤمها الناس من الداخل والخارج للاستشفاء من الأمراض الجلدية والعصبية والمعموية ، من أشهرها حمة سيدى حرازم وحمة مولاى يعقوب (فاس) وحمة ولماس (الرباط) .

صناعتها

اشتهر المغاربة باتقانهم للصناعات اليدوية من قديم ، وكانت المصانع والمعامل المنتشرة بالمدن والقرى تلبى جميع الاحتياجات الوطنية وطرفاً من احتياجات الأقطار المغربية والأفريقية ، أما الصنائع العصرية التى تعتمد على الآلات الضخمة والقوى المحركة البخارية والوقودية فإنها لم تعرف بالمغرب الاقصى الا فى مطلع هذا القرن باستثناء بعض المطاحن والمطابع التى أنشأها الأحناب بالمدن الساحلية، وبعض المعامل الحربية التى أنشأتها الدولة بالداخل.

وقد عرقلت معاهدة الجزيرة الخضراء المنعقدة في 7 أبريل 1906 السمية الصناعية لأن الحرية التجارية التي أقرتها والرسوم الديوايه (الجمركية) المنخفضة التي نصت عليها جعلت من المؤكد عجز أى صناعة تنشأ في المغرب عن الصمود أمام البضائع المصنوعة التي ترد من الخارج ، لكن نشأت - مع ذلك - بعض الصناعات العصرية التي لها ارتباط بالزراعة والتغذية والبناء ، فأقيمت المطاحن والمعاصر في مختلف الجهات ، ومصانع الاسمنت والصابون والزجاج ومعالب اللحم والخضر والفواكه .

ولما استعاد المغرب الأقصى حريته سنة 1956 كان التصنيع في طليعة القضايا أولتها الحكومة المغربية عناية فائقة وشجعتها بمختلف الوسائل ، فازدهرت الصناعات الغذائية وصناعات الأدوات المنزلية مثلما ازدهرت صناعة الفزل والنسيج وصناعة التحويل ، وأقيمت مصانع السكر ومصانع المواد البلاستيكية والصيدلية ، ومصانع الكارطون وعجين الكاغيط والزجاج والفخار والأصباغ ومعامل تركيب السيارات والجرارات والآلات الكهربائية والايكترونية ومركب للصناعات الكيماوية بآسفي ومصافي البترول والزيوت النبائية والزفت والمدايق والمطابع ومعامل صنع الأحذية والزرابي وأفران صهر المواد الحديدية والمعدنية ، وتدرس الحكومة الآن مشروع بناء مركب للصلب قرب مدينة الناظور سيكون شروعه في العمل بداية عهد التصنيع الثقيل في المملكة المغربية .

تجارتها الخارجية

وكما حالت معاهدة الجزيرة الخضراء دون تصنيع المغرب حالت دون تعادل الميزان التجاري ، لأن الحرية التجارية التي أقرتها بالنسبة لجميع الدول جعلت أبوابه مفتوحة على مصاريحها أمام الواردات الأجنبية ، فكانت قيمة الواردات بسبب ذلك تفوق دائماً قيمة الصادرات .

ويجرى جل العمليات التجارية على طريق البحر جلباً ووسقاً ، وأقلها يجرى عبر الحدود البرية ، ومن أشهر المراسي المفتوحة في وجه التبادل

التجارى مع الخارج مراسى السدار البيضاء والقنيطرة وآسمى وطنجة
أكدير والصويرة والجديدة والمحمدية ، وقد قدرت قيمة التجارة الخارجية
بـ 150 مليون فرنك سنة 1912 وارتفع المبلغ الى 3 ملايين و 629 مليون فرنك
(3.170.000 ط) سنة 1938 وإلى 421 مليار و 500 مليون فرنك (14.980.000 ط)
سنة 1963 منها 227 مليار و 100 مليون فرنك (2.582.000 ط) قيمة الواردات ،
و 194 مليار و 400 مليون فرنك (11.943.000 ط) قيمة الصادرات .

وتتكون الواردات على الخصوص من المواد المصنوعة كالآلات
والسيارات وأدوات التجهيز والبتروول ، وتشتمل الصادرات على الفوسفات
والحبوب والقطاني والبواكير والحوامض ومحفوظات السمك والجلد والصوف
والثياب والزراى والمصنوعات الجلدية والمواد المستخرجة من المعادن
والمناجم .

عدد سكانها

بلغ عدد سكان الجزء المحرر من المملكة المغربية 12.560.000 نسمة
حسب احصاء سنة 1963 منهم 130.000 يهودى مغربى ، و 295.000 أجبسى
معظمهم من الفرنسيين والاسبانيين ، ويزداد المغاربة 400.000 نسمة فى
السنة ، بينما ينقص سنة بعد أخرى عدد الأجانب الذين تضعف المصالح
الاقتصادية والادارية التى كانت بين أيديهم باستمرار ، وكذلك عدد اليهود
الذين يعادرون المغرب للاستقرار النهائى فى فرنسا وكندا وفلسطين المحتلة .

وأهل المغرب مسلمون ديناً ، عرب أو متعربون لغة ، يتبعون فى
العقائد مذهب أبى الحسن الأشعرى ، وفى الفقه مذهب مالك بن أنس ،
ومنهم قبائل تتكلم الى جانب العربية لهجات بربرية ، وتنتشر اللغة الفرنسية
فى الجنوب واللغة الاسبانية فى الشمال .

أقسامها الادارية

تنقسم المملكة المغربية الى ثلاث عمالات وتسعة عشر اقليماً ، هى عمالة
الرباط ، وعمالة الدار البيضاء البحرية ، وعمالة الدار البيضاء ، وأقاليم أكدير ،

وآسفى ، وبنى ملال ، وتازة ، وتطوان ، والجديدة ، والحسيمة ، وخريبفة ،
وطرفايه ، وطنجة ، ومراكش . ومكناس ، والناطور ، وفاس ، والقنيطرة
وقصر السوق ، وسطات ، ووجدة ، وورزازات .

وينقسم كل اقليم الى عدد من الدوائر ، وكل دائرة الى عدد من
الجماعات البلدية والقروية .

طرقها

يبلغ طول الطرق السيارية بالمغرب 50.000 كلم ، منها 6079 كلم
طرق رئيسية جيدة تربط كبريات المدن . و 4224 طرق ثانوية
تربط المدن بالقرى ، والباقي طرق محلية . ويبلغ طول الطرق القطارية
1780 كلم جميعها سكك عريضة بعضها مكرب وبعضها مضعف ، وهذه الطرق
والسكك تربط اطراف المغرب الدانية والقاصية ، كما تربطه بالقطر الجزائرى
وسائر الأقطار المغربية .

وبالمغرب مطارات عديدة يستعمل بعضها فى الأسفار الداخلية
والخارجية ، وبعضها يستعمل فى الأغراض العسكرية الصرفة ، وهناك
مطارات أخرى مغلقة فى الساعة الراهنة لعدم الحاجة إليها ، وأكثرها من
المخلفات التى تركتها القوات الأجنبية بعد رحيلها .

أما المراسى فتنتشر على طول السواحل الأطلسية والمتوسطية
وهي مرتبطة بالمراسى الأوروبية والافريقية وغيرها ارتباطاً منتظماً بواسطة
سفن لنقل المسافرين وأخرى لنقل السلع ، وقد دخلها وخرج منها سنة 1960 -
19.000 سفينة بلغت حمولتها 26 مليون طن ، ولا يدخل فى هذه الأرقام عدد
السفن التى وردت على مرسى مليلية ومرسى سبتة الخاضعين للسيطرة الاسبانية.

أشهر مدنها

وبالمغرب الأقصى مدن كبيرة ساحلية وداخلية ، اشتهر بعضها
بمميزات دينية أو علمية أو ادارية أو اقتصادية ، من أهمها مدينة فاس

(216.133 نسمة) عاصمة المغرب السياسية والثقافية والاقتصادية الى سنة 1912 ، و **مراكش** (243.134 نسمة) عاصمته التاريخية الثانية ، و **الرباط** (227.445 نسمة) العاصمة الحالية ، و **الدار البيضاء** (965.277 نسمة) أكبر مركز صناعى وتجارى ، و **تطوان** (101.352 نسمة) و **طنجة** (141.714 نسمة) و **مكناس** (175.943 نسمة) و **وجدة** (128.645 نسمة) .

نظامها

نظام الدولة فى المغرب ملكى دستورى ، والملك فى المغرب رئيس للسلطة الدينية (امام - أمير المؤمنين) والدنيوية ، والملك الحالى هو صاحب الجلالة الملك **الحسن الثانى** المولود بالرباط يوم الثلاثاء 9 يوليوز سنة 1929 م (1 صفر عام 1348 هـ) .

أقاليمها السلية

تعرض المغرب الأقصى خلال خمسة قرون لحملات وغزوات عديدة ما زال يتجرع مرارتها ، ويكابد غصتها ، ففى البداية شنت عليه الدولتان النصرانيتان اسبانيا والبرتغال غارات مكنتهما من احتلال جل شواطئه ، وكانتا مدفوعتين فى عملهما بوازع دينى ، وفى نفس الوقت بدأ الأتراك العثمانيون الذين ثبتوا أقدامهم فى الجزائر يسعون فى اخضاع أقاليمه الشرقية لحكمهم مستغلين انشغاله بمقاومة الغزاة الاسبانيين والبرتغاليين وكانوا فى سعيهم مدفوعين بحب السيطرة والتوسع ، وفى القرن الماضى بدأت فرنسا واسبانيا فتوحاتهما الاستعمارية التى انتهت بعد كفاح مريس طويل باستيلائهما التام عليه .

واذا كان المغرب الأقصى استطاع أن يسترد جميع المراسى التى استولت عليها اسبانيا والبرتغال فى الأول حتى لم يبق منها الا مرسى مليلية ومرسى سبتة وبعض الجزر الصغيرة المتناثرة أمام ساحله الشمالى ، واستطاع

أن يصد الأتراك الى ما وراء نهر تافنا ويتفقوا ياهاهم على جعل النهر حداً فاصلاً بين الأيباليين فإنه وجد صعوبات كثيرة بعد استقلاله سنة 1956 في استرجاع المناطق التي اقتطعتها من ترابه الدولتان المستعمرتان فرنسا وإسبانيا والحق بعضها بالأقطار المجاورة له بينما اصطنع لبعضها كيان دولي قانوني بدون استشارته ولا موافقته .

وتشتمل الأطراف المسلوقة من المملكة المغربية على مناطق وأقاليم في الشرق والجنوب الشرقي ضمتها فرنسا الى مستعمرتيها السابقتين بالجزائر ومالي ، وأخرى بالجنوب ضمتها في الأول تحت اسم (موريطانيا) الى مستعمراتها بأفريقيا الغربية الفرنسية السابقة ثم أنشأت منها دولة سميت (الجمهورية الإسلامية الموريطانية) ، كما تشتمل على المدن والجزر والقطاعات والأقاليم التي تستمسك بها إسبانيا بغير حق الا الحق الذي تمسك به انكلترا جبل طارق .

وفيما يلي بيانات جغرافية واقتصادية عن بعض هذه الأقاليم .

1) جزائر ملوية :

ثلاث جزر صخرية صغيرة عديمة الأهمية تقع أمام رأس كبدانة Cabo de Agua غير بعيدة عن مصب نهر ملوية التي تضاف اليه ، تطلع الإسبانيون الى احتلالها بعد هزيمة المغرب في معركة يسلم سنة 1844 وقاموا باستطلاعات عسكرية حولها في نفس السنة ، ولما علموا باستعداد الجيش الفرنسي في الجزائر لاحتلالها سنة 1848 أرسلوا اليها حملة تجريدية أبحرت من مالقة تحت قيادة الخنرال سيرانو فوصلت اليها ورفعت عليها العلم الإسباني قبل وصول الأسطول الفرنسي ببضع ساعات .

وقد أنشأ فيها الإسبانيون معسكراً لجنودهم وفناراً لارشاد السفن وسجناً للمجرمين .

(2) مليلية :

مدينة جميلة على ساحل البحر المتوسط بتراب اقليم الناطور احتلتها اسبانيا فى شهر شتنبر 1497 وحصنتها وشحنتها بالجنود لصد الهجمات التى لم يفتأ المغاربة يشنونها لطردهم منها ، ولم يزالوا يوسعون رقعة احتلالهم حتى صارت المساحة التى يسيطون عليها سيطرتهم 12 كلم .

وقد جعلوا منها منطقة حرة تجارية منذ سنة 1863 وألحقوها ادارياً باقليم مالقة ، سكانها 100 ألف نسمة جلهم من الاسبانيين .

(3) حجرة نكور :

جزيرة صغيرة واقعة على مرمى السهم من مرسى المزمة (الحسيمة) احتلتها اسبانيا فى عهد كارلوس الثانى يوم 28 غشت 1673 وأنشأوا بها معسكراً تقيم به حامية عسكرية باستمرار .

(4) حجرة بادس :

جزيرة صغيرة جداً تقع أمام ساحل قبيلة بقوية من اقليم الحسيمة على بعد منه متر من مرسى بادس القديم ، ويصلها بالبر عند انحسار الماء ذارع رملى ، احتلها القائد الاسبانى بييدرو نافارو يوم 23 يوليوز 1508 واسترجعها المغاربة سنة 1522 ثم أعادت اسبانيا احتلالها سنة 1564 وأنشأت بها معسكراً تقيم به حامية عسكرية باستمرار ، وسجناً للمجرمين .

(5) سبتة :

مدينة شهيرة كانت من أهم مراكز الحضارة والثقافة بالمغرب ، وجه الدون جواو الأول ملك البرتغال لاحتلالها أسطولا يتركب من 200 سفينة ويحمل على متنه 50.000 مقاتل بقيادة الدون ألفونسو كنت برسيلوس فوصل أمامها يوم 21 غشت 1415 ونزل إليها جنوده فاحتلوها واحتفظوا بها رغم ما

كبدهم احتلالها من نكبات ، ولما احتل الاسبانيون البرتغال سنة 1580
ألقوها بملكاتهم وبقيت بأيديهم منذ ذلك التاريخ رغم ما بذل المغاربة
لاسترجاعها من جهود وتحملوا من تضحيات .

تبلغ المساحة التي تبسط عليها اسبانيا سيطرتها بسبب وضواحيها
19 كلم مربع ، ويبلغ عدد سكانها 120 ألف نسمة ، وهي ملحقة ادارياً باقليم
قادس من اسبانيا .

(6) يفنى :

منطقة واقعة باقليم اكدير على الساحل الأطلسي احتلتها اسبانيا سنة
1934 بمساعدة فرنسا ، وقد كان طولها يبلغ 90 كلم في عرض 25 كلم ، ولكن
الثورة التي أوقد أهل تلك المنطقة نارها ضد المستعمر الاسباني سنة 1957
ضيق رقعته حتى صارت المسافة التي التي ينبسط عليها نفوذ الاسبانيين
خارج مدينة سيدى يفنى لا تتعدى 5 كلم .

(7) الساقية الحمراء :

منطقة فسيحة واقعة بين اقليم طرفاية واقليم الداخلة (وادى الذهب)
المحتل على المحيط الأطلسي ، بدأت اسبانيا احتلالها في بداية هذا القرن
خرقاً لجميع الاتفاقيات الدولية المصرحة بمغربيته . تبلغ مساحتها 82.000
كلم ، ومقر ادارتها الاستعمارية في مدينة العيون .

(8) وادى الذهب :

يعرف هذا الاقليم في الوقت الراهن باسمه الاسباني وادى الذهب
Rio de Oro واسمه العربى الداخلة ، وهو يمتد جنوب المنطقة السابقة
مسافة 690 كلم على المحيط الأطلسي . وتبلغ مساحته 185.400 كلم مربع .

احتلته اسبانيا وحددت حدوده باتفاق مع فرنسا أثناء تفاهمهما على
توزيع (الغنيمة) المغربية .

9 موريتانيا :

هو الاسم الاستعماري الذي أطلقه الفرنسيون على إقليم شنكيط
المغربي وما زال يحمله حتى الآن . ويمتد هذا الاقليم الفسيح الذي تبلغ
مساحته 1.169.000 كلم من المحيط الأطلسي غرباً الى مالي شرقاً ، ومن منطقة
تندوف شمالاً الى نهر السنغال جنوباً .

بدأ الفرنسيون احتلاله في أول هذا القرن ، وسلكوه في سلسلة
مستعمراتهم بأفريقيا الغربية الفرنسية السابقة تحت اسم (موريتانيا) ثم
اصطنعوا له كياناً دولياً سنة 1961 وسموه الجمهورية الإسلامية الموريتانية .



مراجع هذا الفصل (9) :

- الاستبصار ، في عجائب الأمصار - تأليف كاتب مغربي مجهول .
- الاستقصا ، لأخبار المغرب الأقصى - تأليف أحمد بن خالد الناصري .
- تونس الجديدة - تأليف صلاح الدين التلاتلي .
- جغرافية المدن المغربية - تأليف حسان عوض .
- جنى زهرة الآس ، في بناء مدينة فاس - تأليف علي الجزائى .
- الجغرافية المصورة للمغرب الجديد - تأليف عمر السباعي .
- جغرافية المغرب وسائر الوطن العربي - تأليف ابراهيم حرركات .
- جغرافية الوطن العربي - تأليف الدكتور فيليب رقله وأحمد سامسي مصطفى .
- دائرة المعارف الفرنسية .
- كتاب الجزائر - تأليف أحمد توفيق المدني .
- كتاب العبر (تاريخ ابن خلدون) - تأليف عبد الرحمان بن خلدون .
- المعجب ، في تلخيص أخبار المغرب - تأليف عبد الرحمان النسيبي السمراكشي .
- المغرب في عشر سنوات من الاستقلال - وزارة الأنباء المغربية .

- Algérie - Tunisie (Les Guides Bleus) .
- Le Grand Maghreb Arabe - Comité Permanent Consultatif du Maghreb .
- Maroc (Les Guides Bleus) .
- Population Légale du Maroc (Le Recensement Démographique Juin 1960) .

(9) لا يضمن الثبت أسفله الا أهم المراجع ، والحقيقة ان الفصل المتقدم اعتمد في تحريره على عشرات من الكتب والنشرات الجغرافية والاقتصادية والاحصائية التي ألفت عن أقطار المغرب العربي ، وكذلك الوثائق والمستندات التي أصدرتها حكوماته ، وعلى المعلومات الخاصة .

عصوَرُ التَّارِيخِ المَغْرِبِي

لا ننوئ أن نُؤرِخَ في هذا الفصل بتطويل لأقطار المغرب العربي ، لأن هذا التاريخ أكبر من أن يقوم به فرد وأوسع من أن يسنوعبه عمر إنسان ، وإنما ننوئ أن نستعرض باختصار الدول والأسر التي حكمتها منذ بدء الخليقة إلى الآن ، وكذلك الفزوات الأجنبية التي تعرضت لها خلال تاريخها الطويل ومكنت بعض الدول والشعوب والجماعات الآتية من البر أو البحر أن تسيطر عليها - كلا أو بعضاً - فترات من الدهر طويلة أو قصيرة خلقت آثاراً عميقة أو سطحية في حياتها السلالية والاجتماعية .

وقد يبدو هذا الاستعراض زائداً في كتاب لا يؤرخ لبلدان المغرب وإنما يعرف بقبائله . ولكنه سيظهر ضرورياً كالفصل الجغرافي المتقدم ، إذ لا مدوحة لمن يريد التعرف على أنساب القبائل المغربية ومواطنها ومروعها وأصولها من الألام بشيء من جغرافية وطنها وتاريخه .

ويمكن لكل مؤرخ - وطني أو أجنبي - أن يقسم تاريخ الأقطار المغربية إلى عدد من العصور حسب اجتهاده أو حسب ميوله وأهوائه ، وقد ارتأيت أن أقسمها في هذا الكتاب إلى ثلاثة عصور أثرت تأثيراً كبيراً في التطور السياسي واللغوي والسلالي والاجتماعي للأمة المغربية ، وهذه العصور هي :

(1) عصر ما قبل الإسلام الذي يبتدىء من بداية التاريخ إلى بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب سنة 643 م (22 هـ) .

(2) العصر الإسلامي ويبتدىء من الفتح الإسلامي سنة 643 م إلى غزو الجيش الفرنسي للجزائر سنة 1830 (1246 هـ) .

3) العصر الحديث . وهو مندمج فى العصر الذى قبله باعتبار ان البلاد المغربية بقيت محافظة على طابعها الاسلامى - العربى ، ولكنه يمتاز بخروج المغرب من ظلام القرون الوسطى ودخوله فى عهد جديد وصله بأسباب المدنية المعاصرة عن طريق الدول الاستعمارية التى بسطت سيطرتها بالتدريج عليه ، ثم انزاحت تلك السيطرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، ويبتدىء هذا العصر من سنة 1830 وهو مستمر الى الآن .

ولست بغافل عن عصر رابع هو عصر ما قبل التاريخ ، ولكنه عصر يدل اسمه على أن العقل البشرى لم ينفذ بعد الى اغواره ، لذلك لا نريد فى هذا الفصل أن نضيع الوقت فيما لا طائل وراءه من احتمالات وتقديرات .

عصر ما قبل الاسلام

814 ق . م - 643 ب . م

يشتمل هذا العصر على تاريخ ورود الفينيقيين على المغرب وقيام دولة قرطاجنة البونيقية . ثم استيلاء الرومان عليه وتنظيمه ، ثم عبور الواندال اليه وتخريبهم لمعالم الحضارة البونيقية والرومانية ، ثم مجئ الروم البيزنطيين واستقرارهم به الى ظهور الاسلام ، مع ما صاحب ذلك كله من قيام ممالك وامارات بربرية .

دولة قرطاجنة البونيقية

814 ق . م - 146 ب . م

يبتدىء تاريخ المغرب بمجئ الفينيقيين اليه واستقرارهم بسواحله وانشائهم لدولة قرطاجنة العظيمة التى هي اول دولة حاكمة معروفة فيه ، والفينيقيون شعب شرقى من شعوب الأمة الكنعانية السامية . ينتسبون الى

وطنهم فنيقيا الواقع في ساحل الشام بين جبل لبنان والبحر ، واشهر مراسيه طرابلس الشام وبيروت وصيدا وصور ، وقد كانوا قوماً تجاراً يعتمدون على البحر في كسب قوتهم نظراً لضيق رقعة وطنهم ووعورة أرضه واحاطة الاعداء بهم ، فكان لهم أسطول كبير يسافرون به الى الاقطار القاصية والدانية متجرين ، واستمروا على ذلك الى ان بدأت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد أمم بحرية جديدة تزاحمهم في التجارة عبر البحار ، فشرعوا يفكرون حينئذ في الهجرة الى المغرب أو تحويل مراكز نشاطهم التجاري الى شواطئه على الأصح ، ولم يمض زمن طويل حتى صار لهم نحو 500 مركز تجارى بساحل البلاد المغربية وداخليتها .

وفي سنة 814 (10) قبل الميلاد فرت الأميرة جونو (IX) أرملة اسرباس رئيس كهنة صور من ظلم أخيها بيغماليون المستبد بالملك دونها والمستأثر بثرات زوجها ونزلت بساحل المغرب الذي كانت سبقتها اليه طوائف من قومها الفنيقيين ، واشترت قطعة من أرض جبل برصة قرب تونس ، وبنت بها مدينة أضيفت الى اسمها فعرقت في الأول باسم قوت - جونو أي قرية جونو الذي تحرف الى قرطاجنة فيما بعد . ولما شاع خبر تأسيسها قصدتها الناس من فنيقية وسائر سواحل البحر الأبيض المتوسط ، فانتشر بنيانها ونما عمرانها وكثر سكانها حتى بلغ عددهم 300 ألف ساكن على أقل تقدير ، وأصبحت قرطاجنة منذ ذلك التاريخ حاضرة الحوض الغربي للبحر المتوسط وأكبر مراكزه التجارية ، وعاصمة دولة شرقية الأصل بأرض مغربية الموضع .

وكان من الضروري للدولة الجديدة التي نشأت بقرطاجنة أن تؤسس حكومة تدبر أمورها وتحفظ أمنها وتدافع عن حدودها ، فانشأت نظاماً جمهورياً تحت رئاسة شيخين ينتخبهما الشعب من أسرتين مختلفتين لمدة سنة أحدهما

(10) تختلف الروايات التاريخية في تحديد زمن ورود الفنيقيين على المغرب ، فمنهم من يجعله في سنة 880 ق . م ومنهم من يجعله في غير تلك السنة ، ويبدو من الروايات المتعددة أن التاريخ الذي أئتمناه أقرب الى الصواب .

(11) تسميها روايات تاريخية أخرى عليشة ديمو .

يسوى الأمور المدنية والآخر يتولى الأمور العسكرية ولكن من غير أن يكون لأى منها الحق فى إبرام أمر أو نقضه الا بالاتفاق مع صاحبه حتى ولو كان منه الأمور الخاصة به ، كما كان بجانبها فى الأول ثلاثة مجالس : واحد للنواب ، وثان للشيوخ ، وثالث للقضاء ، وقد اختصرت هذه المجالس الثلاثة فى القرنين الأخيرين من حياة قرطاجنة الى مجلسين فقط ، أولهما يدعى مجلس الثلاثين الذى من اختصاصاته فرض الضرائب ، وثانيهما مجلس العشرة ويختص بالأمور الدينية ، وبهذا النظام الاستشارى اشتهرت قرطاجنة بأنها أول دلة سنت نظام الحياة النيابية فى العالم ، أما الجيش الذى كان يبلغ عدده خمسين ألف جندى فقد كان يتركب من مرتزقة البربر والمأجورين من مختلف الأجناس ، لأن القرطاجنيين - ككل التجار - لم تكن تستهويهم الأمجاد العسكرية والمغامرات الحربية ، بل كان همهم منصرفاً الى الاستغناء عن طريق التجارة والنقل البحرى .

وقد كان الحكم القرطاجنى ليناً سمحاً ، ولم يكن من خطه قرطاجنة تأسيس إمبراطورية بالقوة وبسط النفوذ بالعنف ، ولهذا اكتفت بحكم ما جاورها وحاور مراكزها التجارية على الساحل ، وتركحت حكم داخلية البلاد للملوك والأمراء البربريين ، وقد استمال هذا التسامح قلوب كثير من هؤلاء الملوك والرؤساء فكانوا يتصاهرون مع القرطاجنيين ويقتبسون منهم الحصاره والثقافة ويقلدونهم فى طرق المعيشة ، حتى أصبح الامتزاج تاماً بين العنصرين وكونوا وحدة كاملة فى كل شىء وصار من العسير التفرقة بين مغربى من أصل فنيقى ومغربى من أصل بربرى كما حدث بين العرب والبربر فيما بعد ، ويرى بعض المؤرخين أن السبب فى ذلك يرجع الى وحدة السلالتين أو تقاربهما فى الغالب .

وقد اجتازت قرطاجنة من نشأتها الى تخریبها بعدة أطوار كانت فى بعضها مجرد تابع لأمها صور ، وفى بعضها عاصمة دولة قوية مزدهرة وفى بعضها الآخر عاصمة وهن عظم قوتها وتآلب عليها أعداؤها وخصومها واخذت القرائن تدل على انها سائرة فى طريق الانهيار .

فخلال قرنين ونصف تقريباً (814 ق . م - 574 ق . م) كانت قرطاجنة أكبر مركز تجارى فنيقى بغرب البحر المتوسط يبعد السياسة التى يخططها حكام صور عاصمة الوطن الاصلى ، وكانت هذه السياسة تستهدف المحافظة على سيادة الفنيقيين بالبحار الغربية وتوجيه نشاط الاساطيل ونشاط جميع المراكز التجارية .

ولما سقطت مملكة صور فى قبضة البابليين ودخلت تحت نفوذ ملكهم بختنصر سنة 574 ق . م انتقلت السيطرة على الاساطيل والمراكز التجارية من فنيقية الى المغرب ، وصارت لقرطاجنة فى ذلك التاريخ اكبر قوة بحرية وتجارية بغرب البحر المتوسط ، وهى قوة ورثتها فى البداية عن فنيقية ثم نمتها بوسائلها الخاصة على عهد الملك ملقيس والماقونيين من بعده .

وكان اليونانيون يسيطرون فى ذلك الوقت على اقليم برقة من ليبيا وبلاد الغال (فرنسا القديمة) وجزيرة كورسيكا وايطاليا الجنوبية ، بينما كان القرطاجنيون يسيطرون على السواحل المغربية من خليج سرت الى المحيط الاطلسى ، وعلى النصف الغربى من جزيرة صقلية ، وقد أدى التماس بين اليونانيين والقرطاجنيين الى نشوء حالة حذر بالحدود الفاصلة بين مناطق نفوذهم أفضت الى حدوث احتكاكات بين قواتهم ، ولم يؤخر هجوم اليونانيين على القرطاجنيين الا تحرش الفرس الذين استقروا بساحل الشام بهم ، وعقدهم محالفات مع البونيقيين والأتوريين (ايطاليا) لتطويقهم وعزلهم ، ولكن اليونانيين استطاعوا بذكاثهم ومهارتهم الصناعية والتجارية الاطاحة بذلك التحالف ، ووجهوا للبونيقيين ضربة عنيفة فى هيمار بجزيرة صقلية سنة 480 ق . م ، كما هزموا الفرس فى واقعة سلامين البحرية فى نفس السنة ، وكسروا الأتوريين سنة 474 ق . بمدينة كومة الواقعة فى جنوب ايطاليا .

وبعد انهزام البونيقيين فى واقعة هيمار طلبوا الصلح من اليونانيين فنالوه بعد لاي من الملك جيلون الاغريقى الصقلى ، فانكمشت قرطاجنة على نفسها وسلكت سياسة تقشفية بعد أن أغلقت أسواق الحوض الشرقى للبحر المتوسط أمام أساطيلها وتجارتها ، وادخلت عدداً من الاصلاحات على نظمها

الدستورية والاقتصادية ، والتفتت لأول مرة الى الأرض الافريقية الى كانت كأنها تعيش خارجها لانشغالها بأمور البحر ، وأقبلت على الزراعة لتتخلص من المجاعة والفقر ، وأرسلت بعثات استكشافية مكنتها من ارجاع ذخائرها المعدنية التي ألحقت بها هزيمة صقلية أضراراً فادحة . وقد وصلت بعثة خيميلكن الاستكشافية الى سواحل بلدان أوروبا الشمالية كإنكلترا والدنمرك ، كما وصلت بعثة حنون الاستكشافية الى سواحل افريقيا الوسطى .

واستمرت قرطاجنة تستجم وتتربص دوائر السوء بأعدائها الاغريق حتى سنحت لها الفرصة سنة 409 ق . م فجهزت حملة سارت الى صقلية تستفزها عواطف الانتقام وأخذ النار فاسترجعت مدينة هيمار ، ونكسبت باليونانيين تنكيلا فظيماً ، وبعد ذلك بدأ القرطاجنيون يقوون اقتصادهم ويوطدون علاقاتهم بالدول الأخرى ، فأبرموا معاهدة مع روما سنة 348 ق . م ، وانفتحت طرق الشرق في وجوههم من جديد ، بل عادوا الى مراكزهم السابقة ببلاد الاغريق التي أصبحت تنخبط في أزمة اقتصادية ، ولكن هذه النهضة الجديدة لم تدم طويلا ، لأن استيلاء قرطاجنة على كامل جزيرة صقلية بعد انتصارها على اليونانيين لفت نظر روما اليها ، فبدأت بينهما الاحتكاكات التي أدت الى نشوب ثلاث حروب عرفت في التاريخ بالحروب البونيقية ، استمرت أولاها من سنة 264 الى سنة 241 ق . م ، واستمرت الثانية من سنة 219 الى سنة 201 ق . م ، ودامت الثالثة من سنة 149 الى سنة 146 ق . م ، وانتهت بتخريب قرطاجنة والقضاء على الدولة البونيقية ، وقد بدأت هذه السلسلة من الحروب عندما شرع الرومان سنة 264 ق . م في مهاجمة مراكز قرطاجنة في جزر البحر المتوسط حتى استخلصوها لأنفسهم واستولوا على صقلية كلها سنة 241 ق . م ، ثم انتهزوا فرصة انشغال حكومتها بأخماد نار الشغب الذي أحدثه المرتزقة فيها فاحتلوا جزيرتي كورسيكة وسردانية ، وفي هذه الأثناء تولى قيادة الجيش القرطاجني ياسبانيا القائد الشهير حنيبل (هنيسال) بن أملكار ، وكان شديد الحقد على الرومان فعزم على غزوهم في عقر دارهم ، واحتاز اليهم جبال البيريني (البرانس) وجبال الألب وبدأ في محاصرة روما ، ولكن الرومان نقلوا الحرب الى قرطاجنة نفسها مستعينين

بعض أمراء نوميديا ، فاضطر حنيبعل الى رفع الحصار عن روما والعودة الى قرطاجنة مضجياً في سبيل انقاذها باسبانيا وبعض المراكز التجارية بسواحل المغرب ، ولما رجع ورأى الحزب المعارض لسياسته يتغرب من الرومان هاجر الى سوريا حيث تجرع كأساً من السم سنة 183 ق . م ليتخلص من الجواسيس الذين كانوا يقتفون أثره .

وكان مسينيسا أحد أمراء نوميديا من البربر المتعاونين مع الرومان يجهز يومئذ على نفوذ قرطاجنة ويتوسع على حسابها حتى اضطر حكومتها الى الاعتراف بسلطته وقبول أداء جزية سنوية له ، وكان مسينيسا الذي أذهلت فتوحاته روما يستهدف القضاء على كل سيطرة أجنبية ، ولكن روما فكرت في القضاء النهائي على قرطاجنة . فأرسلت سنة 149 ق . م جيشاً عمرماً يشتمل على 80.000 جندي بقيادة سيبيون ايميليان Scipion Emelian فنازل الرومان المدينة سنة 147 وقاوم القرطاجنيون سبعة أيام تحت قيادة القائد أسد روبال ، ثم اضطروا الى الاستسلام بعد ان لم يبق بين أيديهم شيء يدافعون به ، فاحتل الرومان المدينة ، ثم بدا لهم فأحرقوها سنة 146 ق . م ففضوا على حاضرة من أكبر الحواضر وعلى دولة من أعظم دول الأرض مدنية .

وقد كانت البلاد المغربية في العصر البونيقي مقسمة الى عدد من المناطق والأقاليم يدعى كل منها باسم خاص ، فعلاوة على التراب الوطني الذي كان يشمل قرطاجنة والأراضي القريبة منها كانت هناك مقاطعة نوميديا الممتدة منه الى وادي شلف غرباً ، وكانت نوميديا مقسمة الى طرف شرقي يسمى ماسيليا ، وقسم غربي يسمى ماميسيليا ، وفي غرب نوميديا كانت توجد مقاطعة موريطانيا الممتدة من وادي شلف الى المحيط الأطلسي ، اما المناطق الصحراوية التي تقع خلف هذه المقاطعات فانها كانت تدعى جيتوليا التي يزعم بعض المؤرخين انها محرقة عن اسم جدالة .

الحكم الروماني

146 ق . م - 439 ب . م

ينتسب الرومان الى رومولوس ملك اللتين باني روما ومؤسسها سنة 754 ق . م . وهم أمة آرية تتكون من شعوب عديدة وأجناس مختلفة ، كانوا يسكنون في الأول سهول ايطاليا وجبالها ثم علا أمرهم فصاروا في بعض العصور سادة الدنيا وحكام المعمور .

كانت بداية اتصالهم بالبلاد المغربية في القرن الرابع قبل الميلاد عندما عقدوا مع الدولة البونيقية بقرطاجنة معاهدة تعاون وسلام ، ثم كان الاتصال يزيد كلما ازدادت روما قوة ونظاماً الى أن نشأت بينهم وبين قرطاجنة منافسة أدت الى نشوب الحروب البونيقية التي انتهت بتخريبها سنة 146 ق . م . ويظهر أن الرومان لم يكونوا في البداية يفكرون في الحلول محل قرطاجنة بجميع البلاد المغربية ، فقد اكتفوا في الأول باحتلال الاراضي المجاورة لقرطاجنة وفصلوها عن الامارات الوطنية بحدود هي عبارة عن خندق يمتد من طبرقة الى ناحية صفاقس وألحقوها تحت اسم افريقيا بالجمهورية الرومانية ووضعوا على رأسها حاكماً رومانيا يقيم في أوتيكا Utica الواقعة شمال تونس .

ولم يكن الحكم الروماني سمحاً ولا متساهلاً كالحكم القرطاجني ، بل كان حكماً قاسياً يتسم بالفطرسة والظفیان ، كما كانت سيرة الحكام الرومانيين فاسدة وسلوكهم سيئاً ، ولذلك ناصبتهم الامارات والقبائل البربرية العداء وشنت عليهم الهجمات ، ومن أشهر مقاوميه من البربر في السنوات القليلة التي تلت استقرارهم بالبلاد المغربية القائد البطل يوغورطة حفيد الملك مسينيسا ، فقد قاد الثورة ضدهم سنة 110 ق . م وهزمهم قسرب مدينة قالمة في المعركة الشهيرة بوقعة سوتول ، وكرر عليهم الهزائم ، فلجأ الرومان الى الحيلة للتخلص منه ، وداخلوا بعض أمراء البربر في القبض عليه ، فتم لهم ما أرادوا بواسطة صهره بوكوس ملك موريطانيا الذي اعتقله سنة

106 ق . م وأسلمه اليهم فذهبوا به الى روما حيث مات أسيراً في أحد سجونها
سنه 104 ق . م ، وكافأ الرومان الملك بوكوس بأن سمحوا له بالحاق نوميديا
بمملكته الموريتانية .

ومع أن بوكوس ظل وفياً لروما فان عرشه تعرض لهزات عنيفة لم
يكن الرومانيون اجنبيين عنها ، حتى اذا مات حوالى سنة 80 ق . م اقتسم ولداه
بوغود وبوكوس الثانى مملكته ، فكان للأول قسمها الغربى الذى يبتدىء من
نهر ملوية وعاصمته مدينة تينجيس (طنجة) وكان للثانى ما وراء ملوية شرقاً
الى حدود افريكا الرومانية .

ولما اضطربت الحالة بين الحزب الملكى والحزب الجمهورى بروما
كان أمراء البربر بين مشايخ ومحايدين ، وقد أدى ذلك الى نشوب حرب بين
الأخوين بوغود ملك موريتانيا وبوكوس الثانى ملك نوميديا انتهت بقتل الأول
والحاق بمملكته بمملكة الثانى .

وخلال تلك الاضطرابات والحروب كان النفوذ الرومانى ينتشر ببلاد
المغرب حتى أصبحت تعيش فى نظام يشبه نظام الحماية على عهد الملك
البربرى جوبا الثانى ، فلما توفى هذا الملك سنة 23 م خلفه الملك بطوليمى ،
وفى عهده تار بنوميديا زعيم من البربر يسمى تاكفاريناس وشن الغارة على
الرومان وهزمهم فى وقائع عديدة ، ولكنهم كانوا يعيدون الكرة عليه حتى قتل
بالجزائر ، ولم ينج الملك بطوليمى من بطش الرومانيين رغم أنه ظل مسالماً
لهم خلال ثورة تاكفاريناس فقتلوه سنة 41 م واذا ذاك ثارت نائرة البربر
فهاجموا المراكز الرومانية فى كل مكان ، ولكن الرومان الذين كانوا فى ذروة
القوة والنظام تغلبوا عليهم وفرضوا عليهم نظام الحكم المباشر سنة 42 م .

وكان الرومان شرعوا قبل فرضى الحكم المباشر فى تنظيم المغرب
ادارياً ، فقسموه الى ثلاث ولايات : افريكا ، ونوميديا ، وموريتانيا ، وفى سنة
27 ق . م أدمجوا طرفاً من نوميديا فى افريكا القديمة وصارت الحدود تمتد من
الوادي الكبير قرب جيجل الى اقليم برقة ، ولما وضع الامبراطور كلوديوس

بلاد المغرب تحت الحكم الروماني المباشر أطلقوا عليها جميعا اسم موريتانيا ، وقسموها الى موريتانيا قيصرية نسبة الى عاصمتها سيزاريا (شرشال) . وتشمل الجزء الشمالى من أرض الجزائر وتونس ، وموريتانيا طنجية نسبة الى عاصمتها تينجيس (طنجة) وتشمل الأرض الواقعة بسين وادى ملوية والبحر المحيط .

وكانت العاصمة الرومانية الأولى بالمغرب هى عوتيقة ، ثم انتقل منها حاكم الامبراطور الى جنونيا التى هى قرطاجنة ، وكان لهذا الحاكم (البروقنصل) النظر المطلق فى الشؤون المدنية والعسكرية ، وكانت ولايته تستمر سنة ، فان أحسن التصرف مد أمدها سنة أو سنتين أو أكثر ، وان أساء التدبير عزل وعوقب ، وكان الموظفون يتقاضون رواتبهم من الضرائب والجبايات المستخلصة من الشعب بواسطة الأعيان ، أما الجند فكان عدده لا يزيد على 15.000 جندى فيهم الروماني والبربرى والاسباني وغيرهم من المرتزقة ، وهو عدد قليل بالنسبة لسعة البلاد التى كان ينيست عليها الحكم الروماني ، ولكن قلة عدده تدل على دهاء الولاة ومهارتهم فى ضبط الرعية وتصريف الأمور ، وكان القانون الروماني يقسم الناس الى طبقتين : طبقة الأحرار وطبقة العبيد ، للأولى كل المغانم ، وعلى الثانية جميع المغارم . وقد بدلت محاولات لتسوية الناس أمام القانون من طرف بعض الحكام المصلحين فكان الفشل حليفها بسبب تعنت طبقة الأحرار المستبدين .

وتوالى الولاة على المغرب منذ عهد الامبراطور كلوديوس ، ونعمت أقطاره على عهد الأسرة الأنطونية بفترة هدوء واستقرار ونظام ، وكان أفراد هذه الأسرة التى دشنت حكمها على يد الامبراطور طراخان (97 - 117 م) كلهم من المقاطعات التابعة لروما ، ولما تولى عرش روما الامبراطور هادريان (117 - 138 م) قرب اليه اليه المغاربة وأشركهم فى الحكم المحلى والمركزى ولم يحد عن سياسة أسلافه فى تأليف قلوبهم وسلوك جانب الرفق بهم الا آخرهم الامبراطور كومود الذى كان متعجرفا بليداً ، فلما اغتيل سنة 198 م انتقل الحكم المركزى الى أسرة القساة Les Sévères التى انتهت سنة 235 م من

غير أن تطول مدتها ، وبعدها نشبت بين الرومان أنفسهم فى روما وبلاد المغرب فتن وثورات استمرت الى سنة 285 كان سببها التنافس على الحكم .

وفى عهد الديوليكييون Diolecion (285 - 305) عدل الرومان النظام الادارى المتبع فى المغرب . وأصبحت موريتانيا الطنجية تابعة لاسقفية اسبانيا تحت نظر قومنس محلى ، فلما تولى الملك قسطنطين الكبير (306 - 337) صارت تحت نظر والى الغال (فرنسا) الذى كان يعين مندوباً عنه لحكمها ولجنة من خمسة أشخاص لادارة شؤونها المالية .

وقد كان هذا الامبراطور مشهوراً بعزمه وحزمه وعدله وتسامحه ، وهو الذى اعتنق النصرانية واعلا من شأنها وجعلها ديناً رسمياً للدولة وأمر ببناء المعابد والكنائس بجميع جهات الامبراطورية الرومانية ، ولكنه لم يلزم أحداً من الرومان ولا من رعاياهم بالدخول فيها ، بل أصدر المرسوم المعروف بمرسوم ميلان الذى يمنح به الحرية فى الاعتقاد ولقد عاشت هذه الحرية مدة حياته ، فلما توفى ألقى الرومان - وقد صاروا جميعاً نصارى - ذلك المرسوم وسنوا بدله قوانين صارمة للضرب على أيدي الوثنيين والمارقين !

واجتاحت الامبراطورية الرومانية بعد موت قسطنطين الأكبر موجة من الاضطرابات السياسية والخلافات الدينية ، واختل النظام وسامت سيرة الولاة بروما وشمال أفريقيا ، وكان ذلك كله نذيراً بانهيار روما وزوال سلطانها ، وكان يحكم بلاد المغرب يومئذ القائد الرومانى الشهير الكونت بونيفاس من مقر حكمه بمدينة سبتة ، وقد سعى به أعداؤه لدى الامبراطورة (بيلا سيديّة) فعزلته سنة 427 م ، ولكنه لم يبال بقرارها واستمر فى مكانه الى أن هاجمته جيوش روما سنة 429 م فصمد لها وانتصر عليها ثلاث مرات ، ولما شعر بوهنه استجاش بالفندال أصهاره ، ووعدهم بالتنازل عن جميع غرب المملكة الرومانية لقاء مساعدته ، فعبروا البحر لنجدته تحت قيادة رئيسهم جنسريق فى شهر مايو سنة 429 م وكان عددهم 80.000 واكتسحوا السواحل مخربين مدمرين ، ولما رأى الكونت بونيفاس سلوكهم الوحشى

ندم على ما صدر منه والتمس بكل قواه المغفرة من الامبراطورة بواسطة العديس أوغسطين وعتفت عنه وانقلب على الفندال يحاربهم فهزموه بناحية قاله من المغرب الأوسط ففر الى هبونة (غناية) ، واستمر الفندال يشنون اقدامهم ببلاد المغرب ويبسطون عليها سلطانهم ويستحلصونها من ولاة الرومان وجندهم حتى صفت لهم بفتح قرطاجنة عنوة يوم 19 أكتوبر سنة 439 م فطوبت بذلك الفتح صفحة الحكم الروماني للشمال الافريقي بعد أن ظلت مفتوحة مدة 576 سنة .

وإذا ألقى الانسان نظرة عامة على الوجود الروماني بالبلاد المغربية وما كان له فيها من آثار فسيبرى أن الحكم الروماني لم يشملها جميعاً ، وإنما كان قاصراً على السواحل والمناطق المجاورة لها ، ولقد ضبط الرومان مناطق نفوذهم بخط (الليميس) الذي هو عبارة عن طريق معبد أو خندق عميق أو سلسلة من المعسكرات المعدة لاقامة الجند المحارب المكلف بحفظ الأمن والظام . وكان هذا الخط يمتد من طرابلس الغرب الى نهر أبى رفسراق ، ولم ينبت تاريخياً أن الرومان تجاوزوه أو أنشأوا لهم مراكز حربية أو تجارية على ساحل المحيط الأطلسي فيما دون الرباط ، فاحتفظ جل البلاد المغربية ولاسيما المناطق الجبلية بحريته واستقلاله ، بينما خضع الجزء المحتل لنظام عسكري تصفى يهدف الى استغلال خيراته وتزويد روما بها مع استعمال وسائل العنف والشدّة لاجبار الأهالى على القيام بالأعمال اللازمة لذلك ، فكانت كراهية الوطنيين للرومان بسبب ذلك شديدة ، وحتى النصرانية التي اعتنقها بعضهم على أيديهم كانت سطحية لم تنفذ الى أعماق قلوبهم ، ولذلك ارتدوا عنها بسرعة اثر زوال حكمهم ولا سيما بعد مجيء الاسلام المبنية قواعده على التسامح مع الأديان وعدم اكراه الواقعين تحت ذمته على ترك دياناتهم واعتناقه ، على أن هذا لا يمنع من القول بأن بعض حكام روما انتهجوا أو حاولوا أن ينتهجوا سياسة عدل ورفق مع الأهالى ، وأن البلاد المغربية نعمت بفترات سلم وهدوء واستقرار ، وانها استفادت كثيراً مما سنته المبقرية الرومانية من نظم سياسية وإدارية وأقامته من منشآت عظيمة تدل على علو كعب الرومان فى المدنية وبراعتهم الفائقة فى الصناعة . ولا تزال آثارهم بكل جهة من جهات

المغرب ناطقة بعظمتهم ، شاهدة على قدرتهم على التفنن والابداع ، فمن وليلي بالمغرب الأقصى الى طرابلس وما وراءها من المغرب الأدنى يوجد أكثر من ستين مستعمرة رومانية ما بين مدن وقرى وحصون كانت كلها على جانب كبير من الرقي والحضارة والعمران ، وكان لكل بلدة منها ساحة عمومية (فوروم) لعقد الاجتماعات واقامة الحفلات ، ومسارح وملاعب وهياكل للعبادة وحمامات وسفائيات وسواقى لجلب الماء كما كانت تربطها شبكة طرق معبدة وجسور محكمة ، ويمكن القول باختصار ان التأثير الرومانى فى البلاد المغربية وأهلها يأتى فى المرتبة الثانية بعد التأثير الاسلامى - العربى .

الحكم الفندالي

429 م - 534 م

الفندال شعب قديم من شعوب الأمة القوطية الغربية التى سكنت شمال نهر الدانوب ، وكانت مواطنهم فى القرن الثالث قبل الميلاد بشمال جرمانيا ما بين نهر الفيستولا ونهر الأودير على سواحل البحر البلطيقى ، وهم منحدرون من السلالة السلافية ، وبعد ما انتشر هذا الشعب فى جنوب ألمانيا فى القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد زحف على أوروبا الغربية فاستولى على بلاد الغال (فرنسا) واجتاز جبال البرينى متحدرًا الى اسبانيا سنة 409 فاحتلها ونزل بجنوبها فى نواحي غرناطة وجيان واشبيلية وقرطاجنة ، فنسبت البلاد كلها اليهم وصارت تسمى فاندلوسيا أى بلاد الفندال ، وهو الاسم الذى جاءت منه كلمة (أندلس) التى أطلقها العرب على اسبانيا فيما بعد .

ولما كانت بلاد الشمال الافريقى خصيبة والحياة فيها هينة يسيرة فان دعوة الكونت بونيفاس الوالى الرومانى لهم وجدت منهم آذاناً صاغية ، وهكذا اكتسحوه بسرعة عجيبة ساعدهم عليها تضعف الحكم الرومانى من جهة واعانة البربر الذين كانوا ينتظرون مجيئهم أو مجيئ غيرهم لتخليصهم من المطالم والمغارم الرومانية من جهة ثانية ، وبعد سنتين فقط من عبورهم

أسسوا بالمغرب دولة ملكية سنة 431 م . ثم استولوا على ولاية تونس (البروقنصلية) ودخلوا قرطاجنة سنة 439 م ، وبعد ذلك عبروا البحر الى جزيرة صقلية فأصبحت روما نفسها مهددة منهم بخاطر محقق .

وكان الفنداليون أثناء زحفهم على الشمال الافريقي ومطاردتهم لفلول الجيش الروماني يخربون المباني ويحرقون الزروع ويقطعون الأشجار ، كما كانوا يطاردون أتباع مذهب دونات Donat ولذلك تقتصر ذكريات حكمهم بصور الخراب والدمار حتى صار اسمهم نفسه يدل على الهمجية والوحشية ، ورغم أن الرومان استجمعوا قواهم وقبوا حامياتهم العسكرية بسردانيا وطرابلس ومصر وساحل عنابة فان جنسريق ملك الفندال استطاع ان يحطم تلك القوى في كل مكان واجهها فيه ، واضطر حكام روما سنة 476 الى الاعتراف بسيادته على عدة أقطار من الشمال الافريقي ، فكان ذلك مؤذنا بانتهاء الامبراطورية الرومانية الغربية نفسها . اذ لم تفض سنة على ذلك الاعتراف حتى انتقلت السلطة منها الى امبراطور القسطنطينية .

أنشأ الفنداليون دولة ببلاد المغرب توارث عرشها ستة ملوك من آل جنسريق ، وكانت عاصمتهم الأولى مدينة هبونة (عنابة) سنة 431 ثم انتقلوا منها الى مدينة صلداى (بجاية) ثم انتقلوا مرة أخرى الى قرطاجنة سنة 455 م .

ولم يكن نفوذهم يشمل البلاد المغربية بأسرها ، فمن المؤكد تاريخيا ان موريتانيا الطنجية (المغرب الأقصى) نجت من حكمهم ، وحتى نزولهم بها عند عبورهم الى المغرب مشكوك فيه ، أما الجهات الأخرى فانهم مروا بها كالأعصار ، ولم يكن لهم مستقر ثابت الا في شرق الجزائر وولاية تونس .

ولما مات الملك جنسريق سنة 477 تولى الملك ابنه هونريك الذى أحرق خصومه وعذب الكاثوليكين ، وبعد وفاته سنة 484 أضرم البربر نار الثورة ضد المحتلين ، كما حدثت بين الفندالين أنفسهم منازعات على الملك أدت الى تدخل الأمبراطور جوستينيان ملك الامبراطورية الرومانية الشرقية لفائدة الملك الفندالى هيلديريك وضد خلفه الملك جيليمير ، ووجه البيزنطيون أسطولهم الى

بلاد المغرب تحت قيادة القائد بليزير ، فوقفت قطعه البالغ عددها 500 قطعة امام سوسة وقرطاجنة ، ثم نزلوا الى البر واحتلوا قرطاجنة وسائر المراكز الفندالية ووقع الملك جيليمير نفسه فى قبضتهم فنقلوه الى بيزنطة واتموا بعده عملية الفتح حتى صفت لهم البلاد فى شهر دجنبر سنة 534 بعد ان دام حكم الفنداليين لبعض جهاتها 103 سنين .

لم يخلف الفنداليون بالبلاد المغربية آثارا تذكر بهم ، ولا أنشأوا بها نظاما ولا سنوا أحكاما على غرار ما فعله الرومان من قبلهم ، بل كانوا قوما قساة مضطهدين ، لا يخضعون لنظام ولا يتقيدون بقانون ، وقد واجهوا خلال القرن الذى تسلطوا فيه على بعض البلاد المغربية ثورات القبائل البربرية ومقاومة الامبراطورية الرومانية ، ولم يكادوا يفلحون الرومان حتى نشبت بينهم النزاعات والحصومات التى أفضت الى تدخل البيزنطيين وقضائهم على ملكهم ، ولهذا لم يكن لهم تأثير على المغرب الا الفساد الذى صاحب وجودهم فيه .

الحكم البيزنطي

534 م - 643 م

يعرف البيزنطيون فى الكتب العربية القديمة باسم الروم ، وهم منسوبون الى بيزانس رئيس الماغريين (1200 ق . م) مؤسس مدينة بيزنطة التى جدها فيها بعد الامبراطور قسطنطين الكبير واتخذها عاصمة له وسماها القسطنطينية ، ثم سماها الاتراك العثمانيون عند ما فتحوها فى القرن الخامس عشر مدينة الاسلام (اسلام بول = اسطنبول) ، وليسوا يرجعون الى ارومة واحدة ، بل هم مزيج من الرومان واليونان والسلاف واللتيين .

ولما رسخت أقدامهم فى بعض المناطق الساحلية من تونس تقدموا الى الجهات الغربية يحاولون فتح مدنها وقراها ، وقد استطاعوا بالفعل فتح هبونة (عنابة) وسيرته (قسنطينة) وقالمة ، ووصلت وحداتهم الاستطلاعية

الى بواحي أوراس والحضنة والزاب ، ونزلوا الى بعض المراكز الماهولة بوسط الجزائر وغربها ، ولكن لم يثبت لهم وجود بالمغرب الأقصى الا ما يردده بعض المؤرخين من غير تأكيد من أنهم وصلوا الى سبتة وطنجة ، كما لم يثبت لهم وجود فى داخلية البلاد ولا سيما الجهات البعيدة عن السواحل التونسية .

وقد عين الأمبراطور جوستينيان بعد القضاء السريع على الفندال القائد سالمون حاكماً على المنطقة المفتوحة ، وجعل مقر حكمه فى مدينة قرطاجنة ، ولكن لم يكن فى وسعه ولا فى وسع الحكام الذين جاءوا من بعده تمهيد البلاد واستئلاف سكانها رغم ما تظاهروا به فى الأول من رفق ولين ، فقد كان البربر يضيّقون عليهم الخناق فى كل مكان وجدوهم فيه ، ومما أعان على تألب البربر عليهم محاربتهم للمعتقدات والمذاهب الدينية التى كانت سائدة فى الشمال الافريقى ، ومحاولتهم اجبار الناس على اعتناق المذهب الكاثوليكي الذى صيره الملك جوستينيان المذهب الوحيد للامبراطورية سنة 535 م ومن أكبر قادة النضال ضد البيزنطيين فى البلاد المغربية الزعيم البربرى (يابداس) رئيس قبائل جبل أوراس الذى كان يشد عضده الزعيمان (كوتسينا) و (أورناباس) فقد النف حولهم 40.000 من البربر ساروا تحت قيادة يابداس فغزوا نوميديا وسلبوا ونهبوا وأحرقوا البلاد وخرّبوا العمران ، وانهزم البيزنطيون امامهم وحاولوا انشاء خطوط دفاعية يتقون بها هجمات البربر على قلاعهم وحصونهم ، ولكن ذلك لم يثن من غزيرة البربر على القضاء على حكم الاجنبى الدخيل ، فما زالت الانتصارات تواكبهم حتى وصلوا ابواب قرطاجنة فضربوا عليها الحصار سنة 597 واضطر الروم الى عقد هدنة معهم صاغرين ، ولكن سرعان ما نكثوا العهد ومكروا بهم ففت ذلك فى عضد البربر ، حتى اذا كانت سنة 610 اعتلى هرقل عرش بيزنطة وكان رجلاً حكيماً اعتنق فكرة التوحيد التى بلغته أصداؤها من جزيرة العرب حيث ظهر النبى الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يدعو اليها . وقد نعمت المقاطعات البيزنطية فى افريقيا على عهد هذا الامبراطور بشئ من الهدوء والرخاء ، ولكن العرب بدموا يكتسحون الامبراطورية البيزنطية منذ سنة 632 على عهد الخليفة أبى بكر الصديق ، كما كان الجيش البيزنطى يعانى مرارة التفرق ، وكان على هرقل أن يواجه صراعاً

جديداً في الشمال الافريقي حيث أعلن البطريق كريكوريوس الثاني الذي يسميه العرب جرجير ثورته على الحاكم العسكري الذي كان يشاركه في الحكم (607) وقطع صلات الشمال الافريقي ببيزنطة وتحصن بسبببطله ابتعاداً عن حصومه بفراطجنة ، ولم ينقذ البلاد المغربية من الفوضى التي عمتها ويمد إليها الاستقرار المادي والاطمئنان النفساني الا ظهور الاسلام بها على يد الجيوش العربية التي جاءت تحمل إليها الهدى والنور .

العصر الاسلامي

643 م - 1830 م

العرب حنس من البشر يسكن شبه الجزيرة المنسوبة اليهم بجنوب غرب الفارة الآسيوية ، وهم من شعوب الأمة السامية ومن أقدم الأمم وجوداً وأعرفها أصولاً وأكثرها في فم الزمان ذكراً ، ولغتهم لغة غنية جميلة غزيرة الماده تساعد على التعبير عن ألطف خلجات النفس وأدق المحسوسات والمرئيات لوفرة العاطفا ومرونة اشتقاقها ، وقد اشتهرت هذه الأمة بخصال حميده وسجايا كريمة ، وعرف عنها حبها الشديد للحرية وأنعتها من الدل ومقاومتها للاستعباد .

ورغم انها كانت أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب - كانت تجل العصحاء ، وتحترم الحكماء ، وترفع منزلة الشعراء والخطباء ، وكانت قبائل منها تحترف التجارة وتسير القوافل بين الشام واليمن ناقلة بضائع أحدهما الى الآخر ، وأحرز بعض أبنائها ثروات طائلة بسبب ذلك كما اكتسبوا التجارب وخبروا الحياة .

وعند ما بعث الله عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم سنة 610 من ميلاد المسيح كانت الأمة العربية متهية لأن تقوم بأكبر دور قامت به أمة في التاريخ ، فبعد مقاومة للنبي استمرت عدة سنوات خالطت بشاشة الاسلام

قلوب أبنائها فأذعنوا لشريعته ، وأظهروا حمية وحماساً في نصرته ، وأبدوا استعدادهم لنشره خارج جزيرتهم وتبليغ هديه الى أبعد البلدان وأقصاها عن بلدهم ، ولم يكد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتحق بالرفيق الأعلى (632 هـ) حتى شرع الخليفة الأول أبو بكر الصديق بعد ما قضى على فتنة المرتدين - في توجيه الجيوش الإسلامية الى خارج الجزيرة العربية ، فامكنها في آخر أيام خلافته وأثناء خلافة عمر بن الخطاب (634 - 644) أن تتغلب على دولتين من أكبر دول الدنيا يومئذ : فارس والروم ، وتلحق بهما الهزيمة ، وتستولى على الأقطار التي كانت تحت سيطرتهما وتفتح بلاد فارس نفسها ، وتصل بعد بضعة سنوات فقط من شروعهما في الفتح الى بلاد الأرمن والترك بآسيا الوسطى ، وتصبح سيدة الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط .

ولما قدم عمر بن الخطاب الجابية من أعمال دمشق سنة 639 (18 م) أتى اليه عمرو بن العاص أحد قواد الجيوش التي فتحت الشام ووصف له مصر ووصف خبير لما كان له من معرفة سابقة بها أيام الجاهلية عندما كان يتردد عليها تاجراً ، واستأذنه في فتحها مبيناً له ضرورة استيلاء المسلمين عليها تأميناً للجناح الغربي للجيوش الإسلامية الضاربة ، فتردد الخليفة أول الأمر ، ولما ألح عليه عمرو في الطلب وهون عليه أمر القبط والروم استأنس برأيه وأذن له بالسير اليها في أربعة آلاف جندي ، فانطلق عمرو بن العاص اليها في نفس السنة وكأنما نشط من عقال ، ففتح العريش واحتاز صحراء سيناء متوغلاً في أرض مصر ، فأمده الخليفة بأربعة آلاف أخرى فأكمل فتحها وعامل المسلمون أهلها بالرفق والحسنى فأسلم كثير منهم وأصبحوا من خيرة المسلمين .

بداية الفتح العربي لبلاد المغرب

643 م - 701 م

وكان من الطبيعي أن يتابع المسلمون فتوحاتهم ببلاد المغرب بعد ما أتموا فتح مصر ، كما كان على القائد المحنك عمرو بن العاص أن يؤمن ميسرة

الجيوش الاسلاميه العامله بها ويخميها من كل هجوم مخمّل يقوم به البيزنطيون من ممتلكاتهم بشمال افريقيا . ولهذا لم يكّد عمرو بن العاص يفرغ من فتح الاسكندرية في النصف الثاني من شهر شتنبر سنة 642 حتى شرع بعد العدة لفتح برقة ، كما كان جنوده وقد ثلّوا من خمره النصر يتشوفون الى متابعة الغزو ومواصلة الفتح ورغبة في الأجر وطمعاً في المغنم ، بل ان منهم من ذهبوا في غارات استطلاعية الى الواحات الغربية المجاورة لأرض مصر ، فلم يجدوا مقاومة من السكان .

ويذكر بعض المؤرخين أن بربر برقة لما بلغتهم أخبار انتصارات عمرو بن العاص بمصر بعثوا اليه قبل أن يخلص من فتحها رسلا منهم يعرضون عليه الدخول في الاسلام ، ولما أفهمه الترجمان كلامهم أرسلهم الى الخليفة عمر بن الخطاب الذي احتفى بمقدمهم واستقبلهم بترحيب ، وسألهم عن بلادهم وسكانها وعاداتهم وعلاماتهم فأجابوه بتفصيل ، فبكى الخليفة لأن النسي (ص) تنبأ بفتح بلاد تنطبق على أهلها تلك الصفات . ثم ردهم الى عمرو بن العاص محملين بالهدايا وأمره أن يقدمهم على الجند .

وكانت الأراضى الواقعة بين مصر وبرقة تسكنها قبيلة لواتة البربرية الشهيرة ، كما كانت تسكن واحات الصحراء الليبية بطون من قبائل هواره وعبوسة وجرمه ، فلما أتم عمرو بن العاص استعدادده أرسل سريه من الجيش تحت قيادة عقبة بن نافع الفهري الى أرض برقة سنة 643 (22 هـ) ففتح بعض مدنها وحصونها دون مقاومة تذكر ، وقابل بربر لواتة المسلمين بفرح كبير ، فلما وصلت الى عمرو أنباء عقبة المشجعة قرر الذهاب بنفسه لاتمام الفتح ، فسار على رأس جيش كبير فيه عدد من الصحابة وكبار التابعين ففتح مدينة انطابلس وصالح أهلها على الجزية . ثم أرسل عقبة بن نافع لفتح الواحات الصحراوية تأميناً لمسيرته ، وسار هو على طريق الساحل حتى نزل على طرابلس محاصرها شهراً ثم فتحها من جهة البحر ، ثم أرسل بعثاً لفتح صبرة (سبرت) فدخلها على غفلة من أهلها ، ووجه بعثاً آخر تحت قيادة بسر بن أبي أرطاة لفتح ودان والمناطق الداخلية فأذعنّت نفوسة لحكم الاسلام وعقدت مع المسلمين معاهدة .

ومن هناك كتب القائد الاسلامى الى الخليفة عمر يخبره بما فتح الله على المسلمين ، ويطلب منه توجيه المدد ويستأذنه فى فتح افريقية ، ولكن الخليفة أبى عليه ذلك ومنعه من التمداد فى الفتح محافظة على ارواح المسلمين ، وكان مما ورد فى كتابه عن افريقية : انها ليست بافريقية ، ولكنها المفرقة ، غادرة مقدور بها ، لا يفزوها أحد ما بقيت ، وكان الخليفة فى جوابه يصدر عن شعور بالمسؤولية ، ويتصرف تصرف حكيم لا تستهويه الانتصارات الأولى ، فلذلك لم يرد التفرير بالمسلمين ، ورفض الاذن لهم بالتوغل فى بلاد لا خبرة لهم بها ، ولا مراس لهم بقوة اهلها على الممانعة والمصاهرة على القتال ، فلم يسع عمرو بن العاص بعد وصول جواب الخليفة واياه من مجيئ المدد الا التخلي عن المناطق التى افتتحها من اقليم طرابلس والعودة الى مصر بعد ما رتب شؤون اقليم برقة الذى كان النفوذ الاسلامى استتب به ، وترك عقبه بن نافع على رأس الجيش العامل به ، والحقه ادارياً بولاية مصر .

ووقف الزحف العربى بقية أيام خلافة عمر ، فلما توفى سنة 644 (ذو الحجة 23 هـ) وتولى الخليفة الثالث عثمان بن عفان أسند ولاية مصر الى أخيه من الرضاع عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وكان عبد الله قائداً عبيرياً ووالياً حازماً لا ينقص من قدره وعظمة الأعمال التى قام بها لخير الاسلام والعروبة بمضى موافقه المشوبة فى بداية الاسلام ودعايات خصومه السياسيين ضده ، فبدأ الوالى الجديد يستعد لاعادة الكرة على المغرب ، وكان يبعث المسلمين فى جرائد الخيل الى افريقية فيصيبون من أطرافها ويفنمون ويكتب بذلك الى الخليفة عثمان لفتاً لنظرة اليها واستدراجاً لاذنه بفتحها ، ثم استأذنه صراحة فى ذلك محذراً من وجود احتشادات للروم بالقرب من مراكز المسلمين . وبعد ما استشار الخليفة كبار الصحابة صرح عزمه على تلبية طلب ابن أبى سرح ، وبدأ يحشد الجيش فى الجرف على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة ، وفرق السلاح ووزع الاعطيات وأعان الجيش بألف بعير من ماله الخاص يحمل عليها ضعفاء الناس ، وانضم الى هذا الجيش عدد من كبار الصحابة واولادهم حتى عرف بجيش المبادلة ، ولما كمل الاستعداد خرج الخليفة الى الجرف فخطب فى الحنود مرغياً فى الجهاد ، وودعهم فارتحل الجيش من المدينة فى أكتوبر

سنة 647 (محرم 27 هـ) فاصدا مصر تحت قيادة الحارث بن الحكم ، وكس الخليفة الى عبد الله بن سعد يخبره بانفصال الجيش ويسند اليه قيادته عند ما يصل اليه ويأذن له في فتح افريقية وبلاد المغرب .

ولما وصل الجيش الى مصر تولى القيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح كما أمر الخليفة ، وكان أخذ في الاستعداد والتأهب لما بلغه أن الخليفة استجاب لمطلبه وشرع يحشد الجيش في الجرف ، فلم يمض الا زمن قصير حتى كان الاستعداد تاما ، فانفصل ابن أبي سرح بالجيش الذي أصبح يتألف من 20.000 جندي فيهم عرب الجزيرة وقبط مصر وبربر المغرب ، ولما وصل الى برقة انضم عقبة بن نافع اليه بمن كان معه فيها من المسلمين ، ثم قدم بين يديه الطلائع وبث السرايا في كل ناحية ، فلما وصل طرابلس وجد أهلها منحصنين وراء أسوارها فأقام يحاصرها أياما ثم أمر الناس بالرحيل مخافة أن يشغله حصارها عما قصد اليه من غزو افريقية ، وسار حتى بلغ فابس فوجد أهلها قد تحصنوا فانصرف عنها حتى وصل الى قمونية أو قمودة فاستقر هناك ، وبدأت المفاوضات بينه وبين البطريق جريجوريوس (جرجير) حاكم افريقية المستبد المستقر بسببيلة ، وكان المسلمون أصابهم شيء من الفئور بعد ما قطعوا هذه المسافة الطويلة ولما طلبوا المدد من الخليفة أمدهم ببعثة عبد الله بن الزبير التي هزلوا لها وكبروا وتحمسوا لمقاتلة الروم ، فتقدموا نحو قمونية حيث كان جرجير متربصا مع 120.000 مقاتل ، فدارت المعركة بين المسلمين وبينهم على مقربة من حصن عقوبة الذي يبعد عن سببيلة 36 كلم فقتل جرجير في المعركة وانهزم الروم شر هزيمة ، وانعقد الصلح بين الطرفين بعد ذلك وانتشر المسلمون بأطراف افريقية ، وتغلب الفاتحون فلول المنهزمين الى حصن الجهم (العجم) في الشرق فغلبوهم وفتحوا الحصن ، واثار ذلك أجمع رؤساء البربر على طلب الصلح ، فاشتراط ابن أبي سرح عليهم أن ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم ، وما أصابوه بعد الترداد رد عليهم ، فوقع الاتفاق على ذلك ، وقسمت الفنائم بين الغزاة ، وجاء الأسطول من مصر لنقل أنفال المسلمين ، وعاد ابن أبي سرح الى مصر بعد غياب خمسة عشر شهرا من غير أن يستخلف بافريقية أحدا وأسرع عبد الله بن الزبير

الى المدينة ليفص خبر الفتح من فوق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين .

وتجهل الأسباب الحقيقية التي جعلت عبد الله بن أبي سرح يقنع بالفنائم والأسلاب ويرجع عن افريقية بعد ما سحق الروم سحقاً في وقعة سببلة ووقعة الجم ، ولذلك صوب كثير من المؤرخين سهام النقد اليه ، ولا جرم أنه كانت له أعذار وجيزة لم يسط التاريخ عن وجهها النقاب حتى الآن . وإياً كان فإن الحالة ساءت بافريقية بعد رحيله ، واشتد ارهاق الروم لأهلها حتى حدثت بين الفريعيين معارك دامية ، كما ساءت الحالة في المشرق آخر خلافة عثمان بن عفان وطيلة أيام الخليفة الرابع على بن أبي طالب ، ولما استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان سنة 661 (41 هـ) ، اتفق أن التجأ اليه القائد جناحسه Ghanaba الذي أقامه البربر بعد وفاة جرجير مقامه ، وذلك لما ناله وبال الأفارقة عن عسف البيزنطيين فحرضه على عودة العرب الى افريقية على أن يكون هو دليلهم على عورات القوم كما جاءه الصريخ من زعماء البربر يستحثونه على انقاذهم مما هم فيه ، وفي النهاية أصدر معاوية الأمر الى معاوية ابن خديج عامله على مصر بالعودة الى افريقية بعد غيبة استمرت 17 سنة ، فخرج اليها سنة 666 (45 هـ) في عشرة آلاف مجاهد فيهم كثير من الصحابة والتابعين ، وكان دليله في البداية القائد جناحسه الذي مات في الطريق ، وسار ابن خديج حتى اتى افريقية ففتح بعض مدنها ومعقلها مثل جربة وسوسة وجلولاء وبنزرت ، ثم عاد الى مقر ولايته من غير سبب معقول .

وفي سنة 670 (50 هـ) عين معاوية عقبة بن نافع والياً على افريقية وهو من القواد العرب الأولين الذين دخلوا اليها عند بداية الفتح ، وكان خبيراً بشؤونها مطلقاً على أحوالها وثيق الصلات بمن أسلم من قبائلها أو ركن من غير اسلام الى ذمة المسلمين ، فسار اليها على رأس جيش قوامه 10.000 جندي ، وانضم اليه كثير من مسلمي البربر ، وتمكن في أمد قصير من فتح تونس ، ثم نظر في أحوال افريقية نظر الحاذق البصير فرأى انه لا يستقيم فيها أمر الا باستقرار المسلمين فيها بصفة نهائية وقال : ان افريقية اذا دخلها امام

تعموا بالاسلام ، فاذا خرج منها رجع من كان اسلم بها وارند الى الكفر ،
وأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تجعل فيها عسكرياً وتكون
عز الاسلام الى آخر الدهر ، فبنى لهم مدينة القيروان ، واشتغل ببنائها عن
الغزو فقلت الغنائم التي يبعث بها الى ولاية المشرق . وكانت كثرتها هي المقياس
الذي يقاس به اجتهاد القائد في قيادته ، ولما سمع والى مصر مسلمة بن مخلد
بشروع عقبة في بناء مدينته داخلته الفيرة ، فسمى به لدى الخليفة فعزله
بعد خمس سنوات من ولايته وعين أبو المهاجر دينار مولى مسلمة قائداً للجيش
العربي بافريقية ، فوصل اليها وأسس تيكروان التي تبعد ميلين عن القيروان
وجعل بها مركز قيادته ، ثم سار الى جبال أوراس حيث يخيم ملك البربر
كسيلة ، فحقق انتصارات باهرة سنة 678 (59 هـ) ونقل مركز قيادته
الى مدينة ميلة وبنى بها دار الامارة وأقام بها سنتين ، وتابع بعد ذلك
فتوحاته عرباً حتى وصل الى حوز تلمسان ، وظفر فيه بكسيلة ، معرض عليه
الاسلام فأسلم محافظة على نفسه . وحينئذ خلى عنه أبو المهاجر وأبقاه معه ،
ثم عاد الى المغرب الأدنى فحاصر الروم بقرطاجنة فنزلوا له عن شبه
جزيرة شريك .

وفي سنة 682 (62 هـ) عزل الخليفة يزيد بن معاوية القائد أبا المهاجر
وأعاد عقبة الى سابق عمله ، فجاء الى افريقية وبدأ عمله باصلاح القيروان وتوجه
الى فتح ما بقى من البلاد في 15.000 جندي ، ففتح ياغاية ، وقاتل السروم
بلمبيس ، ثم دخل الزاب وفتح قراه البالغ عددها 360 ثم ذهب الى تيهرت ومن
هناك انحدر الى السهل الساحلي وسار الى المغرب الأقصى ففتح تلمسان ودخل
طنجة واحتل المدن والقرى حتى وصل ساحل المحيط الاطلسي فأدخل فرسه
في الماء حتى بلغ لبه ، وشهر سيفه ورفع بصره الى السماء وقال بأعلا صوته :
اللهم اني لم أخرج بطراً ولا أشراً ، وانك لتعلم اني أطلب السبب الذي طلبه
عبدك ذو القرنين وهو ان تعبد ولا يشرك بك ، اللهم لو كنت أعلم وراء هذا
البحر أرضاً لخضت اليها في سبيلك ! .

وأعاد عقبة بعد ذلك أدراجه ، وقدم بين يديه أكثرية الجيش وقد
دانت له البلاد . وكان يستصحب معه الزعيم البربري كسيلة موثقاً في الحديد

في مهانة وذل . وكان أبو المهاجر كثيراً ما ينهزم عن ذلك وينصحه باستئلافه ومعاملته بالحسنى . فلما وصل إلى تهودة وكان في نحو الثلاثمئة من جنوده اعترضه كسيلة الذي كان تمكن من الفرار في جموع البربر فاستلحمه وأصحابه بالمكان المعروف اليوم بسيدي عقبة من أرض الزاب سنة 683 (63 هـ) وقاتل أبو المهاجر دور عقبة حتى قتل ، وختمت بذلك حياة هذا القائد الفذ الذي يعتبر الفاتح الحقيقي للبلاد المغربية .

وبعد ذلك توجه كسيلة في جموعه إلى المغرب يريد احتلال مقرر الولاية والقيادة الاسلاميتين بالقيروان ، وكان عقبة خلف به مساعده ورفيقه في الجهاد منذ بداية الفتح الاسلامي القائد زهير بن قيس البلوى مع حامية صغيرة من الجند عدتها 5000 جندي ، فلما وصلته أخبار استشهاد عقبة بتهودة عزم على القتال وأخذ يتأهب له ولكن القائد حنش الصنعاني ومن معه من الجنود المصريين خالفوه وعادوا إلى مصر ، فاضطر زهير إلى الجلاء عن القيروان سنة 684 (65 هـ) ولم يبق بها الا أصحاب الأتقال والفرارى من المسلمين ، فلما وصل كسيلة طلبوا منه الأمان فأمّنهم .

وكان لزاماً على الخليفة عبد الملك بن مروان أن يثأر لشهداء تهودة ويستعيد ولاية المغرب التي أسلم عدد كبير من قبائلها ، وأصبح للمسلمين بها قيروان وربط ومساجد . ورغم الخطر الذي كان يواجهه من جراء ثورة عبد الله ابن الزبير فإنه أمر زهير بن قيس الذي كان يقيم ببرقة بعد انسحابه من القيروان بالعودة إلى المغرب سنة 688 (69 هـ) وأمدّه بأربعة آلاف جندي فقاد ذلك الجيش عن طريق الساحل بعدما انضم إليه ألفان من مقاتلة البربر ، وسار حتى وصل إلى القيروان فتخلى له كسيلة عنها ، ورحل إلى ممش فتبعه زهير إليها فدارت بين الفريقين معركة حاسمة انجلت عن مقتل كسيلة وكثير من أنصاره ، وبعدما تفقد زهير أعمال القيروان عاد مسرعاً إلى برقة ، ولسى الطريق أبصر جنود اسطول بيزنطى نزلوا إلى البر وأسروا جماعات من المسلمين فسار لانتقاذهم وقاتل حتى استشهد هو وأصحابه دونهم في حومة الوغى .

ولم يصرف مقتل زهير الخليفة عبد الملك بن مروان عن المعكير في اعاده الكرّه على المغرب ، حتى اذا خلص من متاعبه سنة 695 (76 هـ) أعد جيش قوامه 40.000 جندي أسند قيادته الى القائد حسان بن النعمان ، فسار به الى المغرب وهو أكبر جيش اسلامي يدخله ، وكان عدده ينضخم اثناء الطريق بانضمام متطوعة البربر اليه ، فاجاز ببرقة وطرابلس ، وسار أولاً الى القيروان ، ثم توجه لاختضاع قرطاجنة التي كانت لا تزال بأيدي البيزنطيين فاختصمها وطرد الروم منها ، ثم سار الى الكاهنة اميرة قبيلة جراوة بجبل أوراس فهزمتها بوادي نينى قرب مدينة مسكيانة واسرت 80 من رجاله ، وتبعه جنودها حتى اخرجوه من افريقية ، فتقهقر الى برقة وأقام بها ثلاث سنوات ، وخلال ذلك امرت الكاهنة جنودها بتخريب البلاد المغربية تأسيساً للعرب منها بزعمها ، فاطلقوا يعيشون فيها فساداً : يخربون المدن وينسفون الحصون ويقطعون الأشجار ، وأثارت هذه السياسة الخرفاء أحقاد السكان فبعثوا الى العرب مسفيثين ، فعاد حسان - وقد وصله المدد - الى المغرب سنة 700 (81 هـ) ، ولما أحست الكاهنة بدنو العرب منها استأمنت لولديها بواسطة خالد بن يزيد القيسي الذي كان أسيراً لديها وعيناً لحسان بمجلسها ، وبعد ذلك حرت الحرب التي انتهت بمقتلها فتم بموتها فتح المغرب بصفة نهائية ، واسلم الربر وانخرط كثير منهم في سلك الجندية ، وكان ذلك في أكتوبر سنة 701 (رمضان 82 هـ) .

وبعد ذلك ساد افريقية وبلاد المغرب كلها الهدوء والاستقرار ، وانصرف حسان الى توطيد أركان الاسلام والعروبة فيها ، وادخل كثيراً من النظم والاصلاحات الادارية والمالية ، وأنجز عدداً من الأعمال العمرانية التي منها بناء مدينة تونس وانشاء مصنع للسفن (دار الصناعة) ، ثم أعفى من منصبه سنة 704 (85 هـ) وعين موسى بن نصير اللخمي والياً على المغرب وقائداً للجيش الاسلامي المرابط فيه ، فجاء اليه وقد أسلم أهله واطمانوا للحكم العربي ، وعم الأمن وساد الهدوء ، ولكن موسى عزم مع ذلك على اتمام فتح بعض المراكز المنعزلة التي لم تشملها بعد سلطة الوالي ، فاستمال اليه حاكم سبتة يوليان الفماري (الكونت جوليان) وأوطأ خيله وادى درعة وتخوم

الصحراء الغربية ، ثم أرسل طارق بن زياد الليثي الى المغرب وأنزل معه بطنجة 27.000 من العرب ، وأمره بعبور البحر لفتح الأندلس فاجتاز اليها يوم الاثنين 27 ابريل سنة 711 (5 رجب عام 92 هـ) على رأس جيش يتألف من 12.000 بربري وبضع مئات من العرب . وكان في نية موسى أن يستمر في فتح اوربا حتى ينتهي الى القسطنطينية وينصل عن طريقها بعاصمة الخلافة ، ولكن الخليفة الوليد بن عبد الملك استقدمه سنة 715 (96 هـ) ، وتوالى بعده الولاة على بلاد المغرب وقد حسن اسلام أهلها ، وبعث اليهم بعض الخلفاء من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين .

ولم تنج البلاد المغربية بعد ما تم اسلامها من فتن وتوارث قام بها البربر سكانها الأصليون والعرب الطائرون عليهم الذين أصبحوا يشعرون أنهم مواطنون . وقد نشأت بعض هذه الثورات احتجاجاً على جور بعض الولاة وتعسفهم وشططهم في سلب الرعية ما لها من أهل ومال ومتاع ، ونشأ بعضها الآخر عن امقال عدوى الخلافات السياسية والمنهية التي ذر قرنها بالمشرك الى المغرب ، ولاسيما المذهب الخارجي الذي تسرب اليه على يد أتباعه الآتين مع الجيوش الاسلامية ؛ ووجد من البربر قبولا واستحسانا فاعتنقته قبائل كثيرة منهم عن حسن نية وقاتلت دونه بحماس وحمية ، وساعد على تأجيج نيران الفتن والنورات ضعف الخلافة الأموية وبعدها عن المغرب ، وانقسام العرب الى قيسية ويمنية وما نشأ عن ذلك من خلاف وشقاق ، وتشوف المغاربة الى الاستقلال بشؤونهم انسياقاً مع جبلتهم التي فطروا عليها ، وقد تمكنوا من ذلك في النهاية ، فانفصلوا عن الخلافة العباسية . وأنشأوا ممالك وامارات مغربية صرفة زاحم بعضها الخلافة في المشرق بالمناكب وتطلع الى اسلحاق بعض ولاياتها .

كان الفتح الاسلامي للمغرب فاتحة عهد جديد لقحت فيه الأمة المغربية بدم جديد ، واعتنقت فيه ديناً سمحاً تألفت به قلوب أبنائها ، واقتبست لغة توحدت بها ألسنتهم وتقاربت مفاهيمهم ومقاييسهم ، وأصبحت تتوفر فيهم الصفات التي لا تكون أمة بدونها ، فانطلقوا بعد ذلك يتنون ويشيدون ،

ويؤيدون المبادئ السامية للإنسانية وينصرون مثلها العليا بقلوب مومنه وعقول واعية وعزائم قوية ، فأنشأوا حضارة جديدة وخلقوا ثقافة متينه استمدوا لهما من حضارات الأمم التي سبقتهم وثقافاتها وزادوا عليها بعدما نقحوها وجددوها ثمار قرائحهم ونتاج عقولهم فكانت مثل الحضارات وفضل الثقافات ، استنار بها قروناً طويلة هذا البلد الطيب وما حفر به من بقاء واصقاع .

دول المغرب الأقصى :

الدولة الادريسية

788 - 985

فر ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب صحبة مولاه راشد الى المغرب سنة 786 (169 هـ) بعد انهزام أخيه محمد النفس الزكية في معركة فح القريية من مكة أمام الجيوش الساسيه ، ولما وصل اليه نزل على اسحاق الوري شيخ قبيلة وربة (أوربة) في يوم السبت 9 غشت 788 (أول ربيع الأول 172 هـ) ، ولم تلبث القبائل البربرية ان عرفت فضله وقربه من النبي ، فالتفت حوله وبايعنه ملكاً على المغرب ، فخرج بها الى أريافه بمهد الأمن وينشر الدين حتى بلغ الى ماسة بجيوب اقليم سوس ، ثم سار مشرقاً حتى بلغ تلمسان ونزلت جيوشه خارجها فبايعه أميرها محمد بن خزر المفراوى ومن هناك من القبائل فدخل تلمسان واستقر بها ، ولما بلغت اخباره الخليفة هارون الرشيد اغتم وخشى أن يمتد نفوذه الى الشرق فبعث من اغتاله في شهر غشت 793 (منسلخ ربيع الثاني 177) وخلف ادريس جارية بربرية حبلى في السابع من أشهر حملها ، فولدت ولداً ذكراً سمي باسم أبيه . وفام مولاه راشد بالوصاية عليه وتدبير شؤون الدولة الى أن بلغ الحادية عشرة من عمره ، فأخذ له البيعة في يناير 802 (ربيع الأول 186 هـ) فقام على صغر سنه بالأمر أحسن قيام يعينه مستشاروه من عرب وبربر ، ولما

كبر سلطانه وتوطد ملكه وفد عليه الناس من افريقية والأندلس ، وجماعات من القبائل العربية كقيس والأزد والخزرج ويحصب والصدف وطوائف أخرى من الفرس ، فاعتز بهم ادريس ورفق منازلهم وجعلهم بطانه ، وانصرف الى تنظيم الدولة فأسس فاس عاصمتها الجديدة في يناير 808 (ربيع الأول 192 هـ) وبعد ما رتب الحكومة والادارة بدأ يتجول في البلاد ولاسيما في جبال الأطلس الكبير الذي كانت لا تزال فيه بقية من البربر على فطرتها الأولى فبلغها الدين ، ووطد بينها أركان الأمن ، ثم سار الى تلمسان في شهر شتنبر 814 (محرم 199 هـ) فأقام بها ثلاثة أعوام أصلح خلالها أسوارها وجدد الجامع الذي بناه والده باكدير منها ثم رجع الى فاس وقد تهدنت البلاد ، فلم يزل مقيماً بها الى ان توفي في 20 مايو 828 (أول ربيع الأول 213 هـ) . فولى بعده ابنه محمد الذي قسم المملكة بين اخوته بإشارة من جدته كنزة فافتتح بذلك باب فنة أصعقت الدولة وأذهبت الهيبة . ولما توفي سنة 836 (221 هـ) خلفه ابنه على الملقب بحيدرة الذي حسنت الأحوال في عهده ، وبعد وفاته في يبرابر 849 (رجب 234 هـ) تولى الملك أخوه يحيى بن محمد الذي كثرت في عهده العمارة بفاس وبني جامع القرويين وجامع الأندلس ، وبعد انقل ملك الأدارسة من بني محمد بن ادريس الى بنى أخيه عمر بن ادريس فكثرت الفتن وساءت الأحوال ، وبدأ الأمويون بالأندلس والعبيديون بافريقية يتدخلون في الشؤون المغربية مستعينين ببعض أمراء البربر ، وقد استطاع هؤلاء أن يفضوا على الدولة الادريسية بفاس ويضطهدوا ملوكها وأمراءها ، فأنجازوا الى الشمال واعصموا بقلعه حجر النسر ، وكان من أشهر أمرائهم القاسم كنون بن محمد ابن القاسم بن ادريس الذي دعا للعبيديين ، وابنه أبو العيش الذي دعا للأمويين ثم الحسن بن كنون الذي لفظت الدولة الادريسية انعاسها بوفاته سنة 985 (375 هـ) .

كانت المملكة الادريسية مملكة واسعة الأطراف ، امتدت من المحيط الأطلسي الى نهر شلف (I2) فشملت المغرب الأقصى والنصف الغربي من

(I2) واد يتبع في وسط القطر الجزائري خلف جبال ونشريس ، ثم يسير الى الشمال والشمال لغربي مازا بوعاري ، وغيبس مليانة والاصنام حتى يصب في البحر المتوسط شمال مسنم ، وهو من أهم أودية الجزائر وأطولها ، وحوضه من أحصأ أراضيها .

الحزائر الحالية باستثناء أربع امارات صغيرة هي امارات بنى عصام بسنة (13) وبنى صالح بنكور (14) وبنى مدرار بسجلماصة (15) وبنى رستم بنيهرت (16) ورغم وجود هذه الامارات فان فضل الدولة الادريسية على الوحدة المغربية عظيم ، لأنها استطاعت أن تنظم في سلك الطاعة قبائل عنيدة شديدة المراس تحتل بلاداً شاسعة الأطراف لم يسبق لقوة من القوى ان أخضعتها لسلطه مركزية واحدة ، ويذكر التاريخ أن محمد بن ادريس الثاني قسم المملكة بين اخوته ، ولكنه لم يكن الا تقسيماً ادارياً اقطاعياً ، لأن فاس ظلت هي مصدر الحكم وينبوع السلطان ، ومع ذلك فان ما فعله محمد ابن ادريس يواخذ عليه في عرف السياسة ، لأنه وان لم يجرىء المملكة الى ممالك جر اليها ضعفاً أدى في النهاية الى التدخل الأجنبي في شؤونها والقضاء عليها .

ولقد كان شرف نسب الأسرة الادريسية وقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم عاملاً قوياً لنشر الدين الاسلامي واخماد نائرة بعض المذاهب المتطرفة التي تسربت من المشرق الى المغرب ، ولم يتمتع على الادارسة الا قبيلة برعواطة التي كانت تسكن منطقة تامسنا (17) فقد ظلت هذه القبيلة تمارس طقوساً دينية غربية كصوم يوم الخميس وأداء عشر صلوات في اليوم والامتناع من أكل البيض ولحم الديك ورؤوس السمك .

(13) بنو عصام أسرة بربرية استقلت بحكم سبعة سنة 741 (123 هـ) وظلت تحكمها حتى استولى عليها الناصر الأموي بعد قرنين ونصف .

(14) بنو صالح بن مصور أسرة حكمت بعض القبائل المغربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ، وهم الذين بنوا مدينة تكور القرية من المزمة (الحسنة الحالية) ، واستمر حكمهم لتلك الساحة حتى قضى عليهم الفاطميون في بداية القرن الرابع الهجري .

(15) أشبا عيسى بن يزيد المكناسي مدينة سجلماصة سنة 757 (140 هـ) وأشبا بها امارة خارجية انتقل ملكها بعد حين الى ابي العاسم سمون بن يرلان الزناتي الملقب بالمدرار المتولي في يوليو سنة 813 (آخر ذي القعدة 197 هـ) فتوارثها عشرة من أبنائه آخرهم محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله الذي أرسل اليه مدد من اسماعيل المبيدي قائد جوهري فحاصره بسجلماصة ثلاثة أشهر ثم ملكها سنة 960 (349 هـ) .

(16) امارة شارجية أسسها بمدينة تيهرت القاضي عبد الرحمان بن رستم الأباضي سنة 776 (160 هـ) ودامت الى سنة 909 (296 هـ) وسنحسها بالذكر لدى الكلام على دول المغرب الأوسط .

(17) إقليم مغربي قديم كان يستند من نهر أبي رقراق الى وادي أم الربيع ، وقد اشتهر اليوم بهذا الاسم ونفى ما يذكر به كباب تامسنا بالرباط ، والنسبة اليه (مسناوي) .

كما سارت البلاد المغربية على عهد الإدارة في طريق التعريب ، وذلك بوفادة القضاة العربية على المغرب للإقامة أو للعبور الى الأندلس وتنظيم الحكومة على أساس عربي ، وإنشاء مدن ذات طابع عربي ، وبناء المساجد والمدارس والمعاهد وترتيب الفقهاء والعلماء بها لتعليم القرآن وأحكام الدين وقواعد اللغة العربية ، ومن أعظمها جامع القرويين ، وقد بدأ التاريخ يسجل لنا في هذا العصر الثمر والخطف والمراسلات ، فكان ذلك بداية لنشوء أدب عربي مغربي .

ولا يقل دور الإدارة الحضارية والعمرانية عن دورهم السياسي والديني فقد تمصرت في عهدهم أصيلة وزاوية ويلي (زهون) ، ووجدت أسوار تلمسان وبنى جامعها الكبير يومئذ ، وبنت جراوة (18) وترنانة (19) وأرشمكول (20) وقلعة حجر النسر (21) والبصرة (22) ، أما فاس فهي أكبر منشأتهم ، بناها إدريس الثاني دفينها فأحكم بنيانها وكثر مرافقها وأنشأ بها وحولها المصانع والفروس وشجع بها الزراعة والتجارة فلم يمض على تأسيسها خمسون سنة حتى صارت مدينة من أكبر المدن في غرب العالم الإسلامي .

18) مدينة بناحية بني يرباسن ما زالت أطلالها موحدة قرب وادي كيس ، بناها المسلمانيون أبناء عم الإدارة وولاتهم بتلمسان سنة 871 (257 هـ) كانت لها أربعة أبواب وخمسة حمامات ومساجد عديدة منها مسجد جامع من خمس بلاطات .

19) مدينة أسست في العهد الإدريسي بجال ترارة . لا تزال أطلالها ماثلة الى اليوم على بعد بضعة كيلومترات من مدينة تدرومة .

20) مدينة أسست في العهد الإدريسي على الضفة الشرقية لوادي تافنا شمال تلمسان ما زالت آثارها موجودة بقبيلة ولهاصة ، وتنسب اليها جزيرة صغيرة واقعة أمام مصب وادي تافنا في البحر المتوسط .

21) قلعة في الشمال الغربي للمغرب الأقصى أسست في العهد الإدريسي سنة 929 (317 هـ) لا تزال أطلالها موجودة الى الآن بأرض قبيلة سوماتنة .

22) مدينة في الشمال الغربي للمغرب الأقصى كانت تعرف ببصرة الألبان ، وبصرة الكتان ، أسست في أواسط القرن الثالث الهجري .

ولا يعاب على الإدارة إلا شدة اعتمادهم على شرف نسلهم وأعمالهم
لأشياء جيش قوى يقضى بالمرّة على شقاق بعض الطوائف فى الداخل وبحمى
الدولة من أن نمس إليها أنظار الاطماع من الخارج . كما يعاب على بعض
ملوكهم ظلمهم للرعية وأربالهم على الملذات والشهوات ، الشيء الذى جعل
الرعية تثور فى وجه جورهم ، وسهل على القوى الخارجية أن تتدخل فى
شؤون دولتهم وتحتل عاصمتهم وتضيق على من التجأ منهم الى الجبال المنيعّة
ثم تقضى فى النهاية عليهم .

الامارات الزناتية

أو

المغرب بين المروانيين والعبيديين

لا يمكن للمؤرخ أن يعد الامارات التى أنشأها بالمغرب يربر زناته
من أعقاب دولة الإدارة الى قيام دولة المرابطين — دولة لها ما للفظ الدولة
من مدلول فى الاصطلاح السياسى القديم والحديث ، لأنها لم تكن فى الحقيقه
إلا امارات ضيقة تخضع لزعامات قبلية متنافسة ، ويغلب عليها طابع النقل
والارتحال الذى تمتاز به حياة القبائل الزناتية ، يضاف الى ذلك انها لم تكن
فى غالب أيامها مستقلة بالتصرف ولا منعددة بالتدبير ، فقد كان أمراؤها
لا يستقلون بأمورهم حيناً حتى يدخلوا أحياناً فى طاعة العبيديين أو المروانيين.

واشتهر من هذه القبائل الزناتية فى بداية القرن الرابع ثلاث
قبائل : مكناسة ، و بنو يفرن ، و مغراوة .

أما مكناسة فكانت مواطنها فى سهول وادى ملوية ، وكانت تتجمع
إذا داعبها خطب فى الجبال القريبة من تازة ، ولا تزال بغية منها هناك الى
اليوم معروفة باسمها ، وقد تقدم أنهم أسسوا دولة بنى مدرار بسجلماسة ،

وفي بداية القرن الرابع كان يتزعم القبيلة موسى بن أبي العافية ، ولما قدم المغرب مصالة بن حبوس قائد عبيد الله الشيعي سنة 917 (305 هـ) واستولى على فاس تقرب اليه موسى بن أبي العافية وهاداه ، فلما انصرف الى القيروان ولاء على المغرب فازداد أمره عظمة ونعوذ قوة ، ثم عاد مصالة الى المغرب بعد سنتين وقبض على الأمير يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس الثاني ملك فاس وولى عليها عند رجوعه ربحان المكناسي ، ولكن الأدارسة استردوها بعد ثلاثة أعوام سنة 922 (310 هـ) واستقام بها وبالمغرب أمر الأمير الحسن بن محمد الملقب بالحجام الذي خرج في السنة الموالية لقتال موسى ابن أبي العافية فهزمه وقتل من جيشه عدداً كبيراً ، وعاد الحسن الى فاس منتصراً ، ولكن عامله بها حامد بن حمدان الهمداني غدر به وحبسه ، وارسل الى موسى يستغفمه ليتمكن من المدينة . فجاءها واستولى عليها وعلى جميع بلاد المغرب ، وتبع الأدارسة فلما وتشريداً ، ثم استولى على تلمسان ونواحيها ونكور وسائر بلاد الريف ، ولما تم له الأمر بايع عبد الرحمان الناصر الأموي وقام بدعوته ، فبعث اليه عبيد الله الشيعي سنة 932 (320 هـ) فائده حميد بن يصيلتين الكتامي في 20.000 فارس فالتقى الجمعان بفحص المسون قرب نهر ملوية وانهمز موسى واعتصم بعين اسحاق من بلاد النسول، فاحل حميد فاس وتنفس الأدارسة المحصورون بقلعة حجر النسر الصعداء وطرّدوا حنود موسى المحاصرين لهم ، وضيق قواد العبيديين الخفاف على موسى وبنيه حتى قتلوه ببعض بلاد ملوية سنة 952 (341 هـ) وضعف أمر أسرته من بعده .

أما بنو يفرن فقد كانت مواطنهم الأولى بافريقية ، ثم ما بيسن تلمسان وتيهرت واشتهر منهم في بداية القرن الرابع أبو يزيد مخلد بن كيدان اليفرني الذي ثار ضد العبيديين وهددهم في القيروان ، ويعلى بن عبد الله بن بكار الذي دعا لعبد الرحمان الناصر الأموي ، وبني مدينة فكان (23) واستولى على وهران وفاس بعد ما ضعف أمر بني أبي العافية ،

(23) بين معسكر وسيدى بلعباس من عمالة وهران على بعد 25 كلم من الأولى . تعرف اليوم بعين فكان ، وكانت تدعى في العهد الزناتي أفكان .

ولما قدم القائد جوهر الصقلي الى المغرب سنة 958 (347 هـ) انضم اليه يعلى وقطع دعوة المروانيين ، ولكن جوهر السدي لم يكن يتق بالزناتيين دبر مكيده لاغتياله فى وادى شلف ، فاخفى ولده يدو وترقى شمل اليفرنيين وأجاز كثير منهم الى بلاد الأندلس ، ولم يظهر يدو بن يعلى اليفرنى على مسرح السياسة والحرب من جديد الا عند ما قدم الحسن بن كنون الادريسي سنة 983 (373 هـ) بجيش من افريقية يحاول استرداد ملكه ، فلما قتل الحسن سنة 985 (375 هـ) حدثت بينه وبين منافسه على ملك المغرب زيرى بن عطية المفاوى فتن وحروب ، وكان كل منهما يستولى على فاس مدة ثم يتخلى عنها ليستولى عليها الآخر ، واستمر الأمر بينهما كذلك الى ان قتل يدو بن يعلى سنة 993 (383 هـ) فانسحب بنو يفرن الى ناحية شالة وتادلة حيث واصلوا صراعهم مع بنى عمهم المفاويين .

أما مفاوة فقد كانت مواطنهم بالمغرب الأوسط كسائر زناتة ، وكانوا شيعة لبنى أمية منذ أسلم جدهم صولات بن وزمار على يد الخليفة عثمان بن عفان ، وعندما قدم بلكين الصنهاجى سنة 980 (369 هـ) وفك بزانة انحاروا مع بنى عمهم اليفرنيين الى المغرب الأقصى ، وكانت رئاسه مفاوة آلت الى زيرى بن عطية ، فدعا لهشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبى عامر ، واستولى على جميع بوادى المغرب ودخل فاس سنة 987 (377 هـ) وجعلها مقر ملكه ، فعلا أمره وعظم سلطانه ، ثم خرج لحرب أبى البهار الصنهاجى بأمر المروانيين ، فاستولى على تلمسان ووهران وجبال ونشريس وأنبسط سلطانه بالمغرب من السوس الأقصى الى الزاب ، وبعد ما قضى على منافسه يدو بن يعلى اليفرنى سنة 993 (383 هـ) لم يبق له فى المغرب منافس وهابته الملوك ، وفى غشت 994 (رجب 384 هـ) اختط مدينة وجدة وجعلها عاصمة ملكه لكونها واسطة مملكته ، ثم سمت نفسه الى الاستقلال بأمر المغرب فطرد عمال المروانيين وأجلاهم الى سبتة واقتصر على الدعاء للخليفة وحده فوق منابر مملكته ، فجهزوا اليه الجيوش من الأندلس ودارت بين الفريقين حرب كانت فى الأول سجالا ثم انهزم زيرى أمامهم فى النهاية فتخلى لهم عن المغرب الأقصى وانسحب الى المغرب الأوسط حيث توفى محاصراً

لأشهر سنة 1002 (391 هـ) فول بعده ولده المعز فضبط قومه خير ضبط ونام بالملك أحسن قيام ، وصالح المروانيين ودعا لهم فعمدوا له على فاس وسائر المغرب سنة 1003 (393 هـ) وعم المغرب بعد ذلك الهناء والرخاء الى ان توفى في مايو 1031 (جمادى الأولى 422 هـ) فتولى بعده ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية ، فثار عليه بسلا الأمير تميم البفرني وانتزع منه فاس في مايو 1033 (جمادى الأخرى 424 هـ) ففر الى وجدة ، ثم حشد قبائل مغراوة في مدينة تنس وأعاد عليه الكرة سنة 1040 (431 هـ) فطرده من فاس ، واستمر حمامة ملكاً بها الى ان توفى سنة 1048 (440 هـ) فولى بعده ابنه دوناس وكانت ايامه ايام رخاء وهناء ، ولم يشغل بشيء غير البناء والشبيد الى ان توفى في نوفمبر 1060 (شوال 452) ، فخلفه ابنه فتوح بن دوناس ، وحدثت بينه وبين أخيه عجيسة فتن وحروب الى أن قضى عليه ، فلم يزل الفتوح ملكاً على فاس الى أن ضيق عليه المرابطون بالحصار والغارات فدخل عليها في غشت 1065 (رمضان 457 هـ) لابن عمه معنصر بن المعز بن زيري بن عطية المغراوي ، وقضى أيامه في محاربة المرابطين الى أن قعد في بعض الوقائع سنة 1068 (460 هـ) فدخل يوسف بن تاشفين فاس بالأمان ، وترك بها عامله مع مئة فارس وخرج لجمال غماره ، ولكن الأمير تميم بن معنصر خالفه اليها وقتل من بها من لمتونة ، وأقام بها وضبطها ، فعاد اليها المرابطون ودخلوها عليه بعد قتال شديد سنة 1070 (462 هـ) وانتهت بذلك أيام هذه الامارات الزناتية بعد ما حكمت المغرب نحو قرن .

لم تكن أيام مغراوة وبنى يفرن حرباً كلها ، ولا فتنه وفوضى جميعها ، فقد نعم المغرب فيها رغم ما صاحبها من اضطرابات وتقلبات بفترات هدوء واستقرار طويلة انصرف فيها الأمراء الى البناء والتشييد والتعمير وتنشيط الأعمال التجارية والفلاحية والصناعية ، وفي أيامهم تحضرت فاس وزيد في جامعها الأندلسي والقروى زيادات كبيرة ، وبنيت مدينة وجدة ، وكثر الاتصال والتنقل ما بين الأندلس والمغرب فكان لذلك تأثير كبير على تطور الحضارة والثقافة بالبلاد المغربية ، كما كثر الاختلاط والاندماج ما بين قبائل المغرب الأقصى وقبائل المغرب الأوسط ، وما بينها وبين العنصر

العربي الذي أصبح يقوى شيئاً فشيئاً ، وضعفت في أيامهم دعوة الشيعة والخوارج على السواء ، وتلاشت نحلة برغواطة . وانتصر مذهب الامام مالك بن أنس ، ولم تفسد الحالة الا في أواخر أيامهم لما جاروا على الرعية وأخذوا الأموال وسفكوا الدماء بغير حق ، فانقطعت الموارد وكثر الخوف واتصل الجوع والفلاء ، فآذن ذلك بزوال حكمهم وظهور دولة أخرى قوية تمهد الأمن وتضمن للرعية العدل والرخاء .

الدولة المرابطية

1038 - 1147

خرج الفقيه عبد الله بن ياسين من الصحراء المغربية بفبائل منهاجة بعد ما نشر فيها الدين وبين الأحكام وأقام الحدود الشرعية وأنشأ ربط الجهاد على نهر السنغال وتخوم السودان ، واتجه نحو الشمال ليضع حداً للمظالم التي كانت فاشية ببعض المدن المغربية التي كاتبه أهلها ، وبفضى على العقائد الفاسدة المنتشرة يومئذ في بعض القبائل ، وكان هو يقوم بدور المرشد الديني الذي يأمر باسم الدين فيطاع ، فافتتح سجلماسة واستولى على منطقة درعة سنة 1055 (447 هـ) ، ثم أخضع إقليم سوس وأمر به مذهب الامام مالك بن أنس ، وبعد ذلك قطع بقبائله حبال الأطلس الكبير وانحدر الى السهول الواقعة في شمالها فاطاعته أغمات ثم تنبع أميرها لقوط الغمارى الى تادلة ففتحها سنة 1057 (449 هـ) ثم مال غرباً الى اقليم تامسنا لمحاربة برغواطة التي كانت تنتحل ديناً محلياً غريباً فمات في المعركة سنة 1059 (451 هـ) وواصل جيشه مقاتلة البرغواطيين حتى رضوا أن يتخلوا عن معتقداتهم ويدعنوا للإسلام .

كانت امارة المرابطين ساعته للامير أبى بكر بن عمر من قبيلة لمتوة ، وكانت القيادة العامة للجيش مسندة الى ابن عمه القائد العظيم يوسف بن تاشفين الذي أصبح ملكاً فيما بعد ، فبعد ما تم لهم تمهيد الاقاليم

الكبرى الثلاثة : الحوز و تادلة و تامسنا أقام الأمير أبو بكر بن عمر مسدة بأغمات ، ثم بلغته أباء حدوث فتن بالصحراء بين قبائلها فانصرف إليها لتهدينها سنة 1060 (452 هـ) وخلف بأغمات ابن عمه يوسف بن تاشفين الذى شمر عن ساق الجد لتنظيم الأقاليم والجهات المفتوحة ادارياً وعسكرياً ولما عاد أبو بكر وجد الأمر قد استقام ليوسف والشعب ملتفاً حوله فرجع الى الصحراء وظل بها ينشر الاسلام بين قبائل السودان الى أن توفي سنة 1087 (480 هـ) .

أصبح يوسف بن تاشفين ملكاً على البلاد منذ سنة 1061 (553 هـ) وكانت عزمته قوية ونظره بعيداً ، فاختط مدينة مراكش سنة 1062 (554 هـ) لتكون عاصمة ملكه ، وواسطة بين الأقاليم القريبة والبعيدة من المملكة المغربية . ثم أنشأ جيشاً كبيراً من قبائل صنهاجة وزناتة والمصامدة بلغ عدد فرسانه 100.000 زحف به من مراكش لفتح ما بقى من حواضر المغرب الأقصى وأقاليمه خارجاً عن سلطته ، فاستولى على جبال قازاز (الأطلس المتوسط) وجبال الريف ، وفتح فاس الفتح الأول والثانى فتم له احصاء المغرب سنة 1070 (462 هـ) ولم يبق خارجاً عن طاعته الا طنجة وسببه اللتين خضعتا بدورهما سنة 1078 (470 هـ) ، وبعد ذلك توجه قائده مزدل لفتح المغرب الأوسط فاستولى على تلمسان وملك المدن والقرى الواقعة حول نهر شلف .

وما كاد الأمر يستتب ليوسف بن تاشفين وصيته يذيع وينتشر حتى بدأت أنظار المسلمين في الأندلس تتطلع اليه وقد كانوا فى ضيق شديد من النصارى الذين احتل ملكهم الفونسو السادس طليطلة سنة 1085 (478 هـ) وأخذ يهدد الحواضر الاسلامية الأخرى ، وبعد ما استصرخ بيوسف مسلمو الأندلس وأمراء طوائفها جاز إليها على رأس الجيوش المغربية وهزم النصارى هزيمة كبرى سنة 1086 (479 هـ) فى سهل الزلاقة القريب من بطليوس . ثم عاد الى المغرب ، وجاز مرتين أو ثلاثاً أخرى الى الأندلس تمكن خلالها من صد عادية النصارى وضم الأندلس الى المغرب ، وما كاد يموت سنة 1107

(500 هـ) حتى كانت أحكام المرابطين سارية من وسط السودان الى وسط الأندلس ، ومن جزائر بني مزغنة (الجزائر) الى المحيط الأطلسي .

وتولى الملك بعده ولى عهده على بن يوسف ، وكان ضابطاً حازماً وفقياً أدبياً ، بذل قصارى جهده فى الدفاع عن الأراضى الإسلامية بالأندلس وإنشاء المباني وتشجيع الحركة العلمية ، ولكنه ابتلى فى آخر أيامه بظهور دعوة الموحدين على يد الفقيه محمد بن تومرت الهرغى وتلميذه عبد المؤمن بن على الكومى ، فلما توفى سنة 1143 هـ (537 هـ) خلفه ابنه تاشفين . وكان أمر الموحدين عظم واشتد ، ودارت بين المرابطين والموحدين معركة فاصلة تلمسان انهزم فيها المرابطون وفر ملكهم تاشفين الى أحد الحصون البعيدة على وهران فقتل به فى 23 مارس 1145 هـ (27 رمضان 539 هـ) وهو ينتظر ورود قطع الأسطول التى ستنقله الى الأندلس أو المغرب ، فتولى الملك بعده ولى عهده ابراهيم ، ولكنه كان عاجزاً عن التدبير فخلعه المرابطون وولوا مكانه عمه اسحاق بن على ، ولكن الموحدين لم يتركوا لهم مهلة يستجمعون فيها أمرهم ، فقد استولوا على فاس سنة 1145 هـ (540 هـ) ، ثم زحفوا على مراكش فدخلوها عليهم فى مارس 1147 هـ (شوال 541 هـ) .

لقد كان أثر المرابطين فى الحياة السياسية والاجتماعية المغربية عظيماً ، فهم الدين أنشأوا بالمغرب الأقصى على انقاض الامارات الزناتية الصغيرة المتنازعة مملكة قوية جمعت شمل أهله وحدث كلمتهم ، ناستطاعوا فى فترة قصيرة أن يسيطروا السلطة والنظام فى جزء هام من المغرب الأوسط ، ويصدوا غارات النصارى على بلاد المسلمين بالأندلس ، ويقضوا على امارات الطوائف التى شجعت بتفرقها وتخاذلها على ذلك فصارت العدوتان (24) وطناً واحداً ، ولقد كان لهذا التوحيد فائدته فى زيادة التمازج والتعارف والتبادل بين سكان هذه المملكة ، كما كانت له فائدته فى انتشار الثقافة العربية وازدهار الحضارة الإسلامية واختفاء كثير من النحل والبدع التى كانت

فاشية بين السكان ، وما يذكر للمرابطين من المآثر تأسيسهم لحاضرة مراكش التى هى ثانية عواصم المغرب واحدى كبريات قواعده ، وكذلك تأسيسهم لتلمسان العليا (تكرارت) التى أصبحت منذ أيامهم مركز الادارة والجيش ومقر الأسر الوجيعة ، وإيثارهم جانب العدل وجنوحهم الى اللين والرفق وتوقفهم عن الاضطهاد وسفك الدماء ، ومع ان كل هذه الصفات أمالت اليهم قلوب الرعية حتى سلمت البلاد على سعتها فى أيامهم من الفتن والثورات ونعم أهلها بالهدوء والاستقرار فان تقديرهم للفقهاء وتحسين الظن بجميع تصرفاتهم جراً عليهم الفقيه محمد بن تومرت مهدي الموحدين وخليفته عبد المومن بن علي اللذين قوضا ملكهم باسم الفقه وقضيا على حكمهم تحت شعار الدين .

الدولة الموحدية

1147 — 1262

عاد الفقيه بن تومرت الهرغى الذى عرف فيما بعد بمهدي الموحدين الى المغرب سنة 1116 (510 هـ) بعد ما قضى فى المشرق عشر سنوات طالباً للعلم ، وفى طريق رجوعه التقى بالفتى عبد المومن بن علي الكومي فتوسم فيه الذكاء والنجابة فاصطحبه معه الى بلاده وكان كلما دخل قرية أو مدينة اسكب بالمساحد والأسواق العمومية للوعظ والارشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأقبلت عليه العامة لما وهب من قوة حجة وسهولة اقناع وفطرة على التعبير باللسانين العربى والبربرى ، ولما ضاق سلاطين المرابطين به ذرعاً جمعوا لمناظراته الفقهاء والعلماء فاجمهم وأعجزهم وبكى السلطان أمام المجلساء متأثراً من كلامه ، وعندما أحس ابن تومرت بما يدبر له فى الخفاء التحق بقبيلته فى جبال المصامدة (الأطلس الكبير) وأسس هيئة للدعاة وشرع فى قتال المرابطين الذين سماهم المجسمين بينما سعى أنصاره الموحدين ، وما زال أمره يعظم حتى حاصر مراكش سنة 1123 (517 هـ) ولكن المرابطين هزموه وقتلوا عدداً من أصحابه ، ولما بلغه ذلك قال . (ما بقى عبد المومن فلم يهلك أحداً) ! .

وفى سنة 1130 (524 هـ) توفى ابن تومرت ودفن بسمل ، فخلفه فى قيادة الموحدين تلميذه عبد المومن ، فما زال ينتقل بهم من نصر الى نصر حتى قفى على خصومه واستولى على عاصمتهم مراکش سنة 1147 (541 هـ) وحينئذ اطاعته البلاد كلها ، وجاءته البيعات من الصحراء والأندلس والمغرب الأوسط ، وبعدما قضى فترة تمكن فيها من تنظيم الدولة الجديدة خرج بجيش كثيف الى المغرب الأوسط ، فاستولى على الجزائر سنة 1151 (546 هـ) ثم استولى على بجاية وقسنطينة وقلعة بنى حماد ، ولما عاد ترك ولده عبد الله والياً على المغرب الأوسط فضيق على مملكة الصنهاجيين بافريقية ثم استولى عليها سنة 1158 (553 هـ) وفى السنة التالية خرج عبد المومن بنفسه الى المغرب الأدنى فاتم فتحه ، وأطاعته طرابلس وبرقة ، وازداد نفوذه قوة بعدما استرجع المهديّة من أيدي النورمانديين سنة 1160 (555 هـ) ، واثرها عاد الى المغرب وشرع فى ادخال الإصلاحات المالية والإدارية والعسكرية ، ولكن المنية عاجلته سنة 1163 (558 هـ) فبويغ ابنه يوسف الملقب بالعسرى الذى بذل جهوداً مشكورة فى الدفاع عن الأندلس الإسلامية حتى استشهد بشنترين من أرض البرتغال سنة 1184 (580 هـ) فبويغ لابنه يعقوب الملقب بالمنصور الذى بلغت الأمة المغربية والدولة الموحدية فى عهده أوج عظمتها ، وهو الذى أدخل العرب الهلاليين الى المغرب ، وأتم بناء مدينة الرباط ، وهزم الاسبانين يوم 19 يوليو 1195 (9 شعبان 591 هـ) عند حصن الأرك ، وازدهرت فى عهده الثقافة واشهر العمران ، وكانت وفاته سنة 1198 (595 هـ) فخلفه ابنه محمد الملقب بالناصر الذى سار على نهج سلفه فى حماية حوزة المملكة وتوفير الهناء للشعب ، ولكن الحظ خانته فى عزوة العقاب (1209 — 609) التى هزمه فيها نصارى الأندلس ، فاغتم لذلك وفسدت طباعه وعاجلته المنية فى السنة الموالية ، وبعد وفاته وولاية ابنه يوسف المستنصر بدأ الضعف يدب الى الدولة ، فاقبل السلاطين على ملذاتهم وأهملوا النظر فى الأمور ، واشتد التنافس بين الأمراء واستعانوا على بعضهم بقواد الجيش وولاة الأقاليم ، فكثر النوار ، واستقل بعض الولاة بولايتهم ، وتشوفت قبائل زناتة الى التملك من جديد رغم أن قبيلة كومية التى تنتمى اليها الاسرة الملكية الموحدية واحدة

منها مكان لها ما أرادت ، واحتل بنو مرين منها مراكش سنة 1270 (668 هـ) وانقضى أمر الموحدين من المغرب بعدما استمر فيه أزيد من قرن ، وقامت على انقاض دولتهم بالمغرب العربي أربع دول : الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى ، والدولة الزيانية المبد الوادية بالمغرب الأوسط ، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى ، والدولة النصرية الاحمرية بالأندلس .

كان من أبرز أعمال الموحدين جمع شتات الأقطار المغربية والأندلسية تحت راية واحدة وإنشاء دولة قوية أنقذت المغرب الأدنى من فتن العرب الطائرين وتهديد النصارى التورمانديين ، كما صدت غارات الممالك والإمارات الأسبانية على الأندلس الإسلامية وأقفت الى حين تقدمها ، ومما لا يجادل فيه مؤرخ انه لولا تدخل المرابطين ثم الموحدين واستماتة المقاربة فى الجهاد لسقطت الأندلس مبكرة فى أيدي النصارى وكان مصيرها ومصير صقلية المسلمة واحداً .

وقد عاشت البلاد المغربية على عهد الموحدين أحسن عصورها الثقافية والحضارية ، وكانت متمتعة بنظام حكومى وإدارى متين سواء على الصعيد الحكومى أو الصعيد الإقليمى ، وأنشأ سلاطين الموحدين الدين تلقبوا لعظمتهم بالخلفاء جيشاً قوياً وأسطولا مرهوباً وأحدثوا بكل مكان الأبنية العظيمة والمنشآت الرفيعة التى منها مدينة الرباط وقصبة المهدية وفرة تينمل ، وعدد لا يحصى من المستشفيات والمساجد والقصبات والربط ، ولا تزال أبنيتهم العظيمة كصومعة الخيرالدة باشبيلية وجامع الكتبيين بمراكش وجامع حسان بالرباط تشهد بعظمتهم وشدة اهتمامهم بالعمارة ، أما الحركة العلمية والثقافية فانهم أخذوا بضمها وشجعوا هيأتها ورجالها ، وكان بلاطهم يفص بمئات من الفلاسفة والأطباء والفقهاء والكتاب والشعراء الذين ألفوا فى كل الفنون والعلوم ، وكان من بين خلفاء الموحدين وأمرائهم من شارك بنفسه فى الحركة العلمية والثقافية وكانت له آراء واجتهادات كما كانت له أشعار وترسلات .

وفى عصر الموحدين ازداد تمازج العناصر المتساكنة فى ملكتهم من بربر وعرب وأندلسيين ، وقطعت البلاد المغربية مراحل أخرى فى طريق تعربها باستقرار القبائل العربية الهلالية والسليمية فى جميع جهاتها وانتشار الثقافة العربية بين أهلها ، وقوى التبادل الاقتصادى بين أقاليمها الدانية والقاصية من جهة ، وبينها وبين البلاد الأوربية والعربية والأفريقية من جهة ثانية .

أما الوضع الدينى والمذهبى فانه استمر كما كان فى عهد المرابطين ، وقد حاول بعض خلفائهم ان ينشروا فى الأول المذهب الظاهرى من خلال التحمس للكتب الفقهية والمقائدية التى وضعها (الامام المعصوم ، المهدي المعلوم) محمد بن تومرت ، ولكنه فشل ، وتخلى خلفاؤهم الأخيرون عن القول بعصمة المهدي ، فاستمرت البلاد سنية كما هى الآن ، تتبع فى الأصول مذهب أبى الحسن الأشعرى ، وتعتمد فى العرود مذهب مالك بن أنس .

الدولة المرينية

1270 - 1465

نزع بنو مرين فى بداية القرن السابع الهجرى من مواطنهم الأصلية بين تيهرت وتلمسان الى الجنوب الشرقى من المغرب الأقصى حيث أقاموا فيه يتجمعون ويمتارون على عادة البدو الرحل ، وكان ملوك الموحدين كثيراً ما يستعينون بهم فى الخدمات المخزنية (الحكومية) ويجيزونهم الى الأندلس للجهاد ، فلما دب الوهن الى الدولة الموحدية بعد وقعة العقاب تشوف بنو مرين الى الملك ، فبدؤوا يشنون الغارات على أطراف المغرب ، ودام الصراع بينهم وبين الموحدين من سنة 1216 (613 هـ) الى سنة 1270 (668 هـ) .

وكانت زعامتهم فى بداية أمرهم لبطلهم عبد الحق بن محيو ، فلما تولى توارثها أربعة من أبنائه ، أشهرهم وآخرهم يعقوب بن عبد الحق الذى

أصبح سبطاناً للملكة بعد القضاء على آخر خلفاء الموحدين بمراكش وتلقب
بأمير المسلمين ، وقد انصرف في السنين الأولى لخلوص الملك له الى تنظيم
الدولة وكان من أول ما عمله بناء فاس الجديد (21 مارس 1276 - 3 شوال
674 هـ) واتخاذها عاصمة للدولة الجديدة ، ثم أخضع الإمارات والمناطق التي
ظلت خارجة عن حكمه ، وكبج جماح بنى عمه عبد الواد ملوك تلمسان ، ثم
استجاب لصريح مسلمى الأندلس وحكومتها ، وجاز اليها أربع مرات
انتصر في كل مرة منها انتصارات عظيمة ذكرت بإيام يوسف بن تاشفين
ويعقوب المنصور ، ولما توفي سنة 1286 (685 هـ) كانت الدولة في أوج
المجد وغاية التنظيم . وخلفه ابنه يوسف بن يعقوب الذي كان مثل أبيه كرماً
وشجاعة ومحبة في العلم واهتماماً بأمور الشعب ، وسار على خطه في انجاد
الأندلس الاسلامية وامتدادها بالأقوات والرجال ، ولما غاظته تحرشات بنى
عبد السوادي غزا تلمسان عدة مرات بسى خلالها ربساط تازة ، وحصن
تاويريرت ، ووجدة ، وشحنها بالمقاتلة ، ثم حاصر تلمسان الحصار الكبير
الذى استمر من سنة 1299 (698 هـ) الى سنة 1307 (706 هـ) ، غارتاله
فيها أحد عميده بعدما أطاعته مدن المغرب الأوسط وقبائله وبسبى بظاهر
تلمسان مدينته المنصورة التي بقيت عاصمة للدولة ثمانية أعوام ، فبوسع
حفيده أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف فارتد الى المغرب واستقدم
الحاميات العسكرية من المغرب الأوسط وأسلم البلاد لبني عبد الواد ، وبعد
سنتين من ولايته توفي مسموماً . فتوالى الملوك من نسل عبد الحق على ملك
المغرب ، وكان من أشهرهم السلطان أبو الحسن (1331 - 1351) الذى أعاد
للبلاد المغربية وحدتها القديمة ، وابنه أبو عنان (1351 - 1358) الذى خلف
آثراً عظيمة في جميع جهات المغرب ، وخلال ذلك كانت الحالة تسير فسى
طريق السوء رغم ما كان يظهر على البلاد من مظاهر الرخاء الاقتصادى والازدهار
الثقافى ، فقد كثر الشقاق بين أمراء البيت المالك ، واستبد الوزراء على الملوك
فأخذوا يتصرفون التصرف الحقيقى باسمهم ، وواصل النصارى غاراتهم على
ما بقى من المملكة الاسلامية بالأندلس واجتزاء مدنها وقراها مدينة بعد مدينة
وقرية بعد قرية ، وتفاقم الأمر في بداية القرن الرابع عشر عندما شرع البرتغاليون

والاسبابيون في احتلال الشواطئ المغربية (25) واستهان السلاطين بعواطف الشعب حتى ولى عبد الحق المرينى الوزارة وأمانة المال لليهود ، فثار عليه الشعب سنة 1465 (869 هـ) وقتله ، وانقرض بموته الفرع العبد الحقى من دولة بنى مرين .

ورث المرينيون عظمة الدولة الموحدية وبذخها ولكنهم لم يعرفوا كيف يحتفظون بذلك ، ورغم المحاولات التى بذلها فى الأول السلطان يعقوب بن عبد الحق وابنه السلطان يوسف ، والمحاولات التى بذلها فى الوسط السلطان أبو الحسن وابنه السلطان أبو عنان فانهم لم يستطيعوا المحافظة على وحدة الاقطار المغربية كما لم يستطيعوا ايقاف الزحف النصرانى على الأندلس فى النهاية ، وقد كان من الممكن أن تبلغ المملكة المغربية مي عهدهم مبلغاً رفيعاً لو ان البلاد سلمت من الثورات المتوالية والفتن المتواصلة التى كان يصرم نازها فى الغالب أمراء البيت المالک ، ومما أنهك قوى المرينيين حروبهم التى لم تنقطع مع ملوك تلمسان الزيانيين العبد الواديين ، تلك الحروب التى استمرت ثلاثمئة سنة وكان الرابع فيها خاسراً ، ولم يسجل التاريخ المغربى دولة سفلت فيها الدماء وسبق الملوك والأمراء والوزراء فمن دونهم الى المدايح سوق الاعنام كما سجل ذلك فى العهد المرينى . ومع كل ذلك - تعتبر الدولة المرينية من أعظم الدول المغربية وأطولها أياما ، وقد تحققت خلالها بالمغرب الأقصى والمغرب الأوسط كثير من الأعمال العمرانية كبناء المدن والمساحد والمدارس والحمامات والسقايات التى بلغت منتهى الروعة والجمال ، كما سنت فيها كثير من القواعد الحكومية والمعادات الاجتماعية التى لا تزال تطبع الدولة والمجتمع فى المغرب الى الآن ، ومما تمتاز به الدولة المرينية نشاط الحركة العلمية والأدبية والدينية ، واحتضان ملوكها لعدد لا يحصى من الشعراء والكتاب والعلماء والمفهاء الذين خلصوا وراهم ثروة طائلة من المؤلفات طرقوا فيها كل باب من أبواب العلم والفن ، فهى دولة عبد العزيز الملووزى ،

(25) ابتداء احتلال المراسى المغربية باستيلاء البرتغاليين على سبتة يوم 21 غشت سنة 1415 وتتابع الغزو بعد ذلك حتى لم يبق منه الا مرسى الرباط ومرسى سلا .

وابن أبي زرع ، وعبد الرحمان بن خلدون ، ولسان الدين بن الخطيب ، وأبي الحسن الصغير ، والخطيب ابن مرزوق . والقاضي محمد المقرئ ، ولم تكن الحركة الاقتصادية بأقل من الحركة الثقافية ازدهاراً ، فقد قوى الاتصال بين المغرب والاقطار الأوربية والافريقية وكثر التبادل التجاري بينه وبينها ، مما أدى الى ظهور عدد من الصنائع التي كانت تلبى الاحتياجات المغربية والأجنبية .

الدولة الوطاسية

1465 - 1549

بنو وطاس فرقة من قبيلة بني مرين المتقدمة ، تولوا ملك المغرب بعد الفصاء على العرع العبد الحقى منها فلذلك يعد بعض المؤرخين إمام الفريمين واحدة ، وينسبون دولتيهما الى الأصل الكبير فيدرجونهما معاً تحت اسم الدولة المرينية .

كانوا بنو وطاس شديدي المنافسة للملوك من بنى عمهم عبد الحق ، وكان هؤلاء يترضونهم باسناد الوزارة اليهم تأليفاً لقلوبهم واتقاء لعصيانهم ، فلما آل الملك الى السلطان عبد الحق آخر ملوك بنى مرين أسند وزارته الى أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي ، ثم الى ابن أخيه علي بن زيان ولما توفي سنة 1459 (863 هـ) استوزر السلطان ابن عمه يحيى بن يحيى المتقدم ، ثم لم يلبث ان بطش به وبقومه بعد 70 يوماً ، ولم ينج من القتل الا أخوا الوزير : محمد الشيخ الذي فر الى جهة أصيلة ، وأخوه محمد الحلو الذي اختفى أيام البطش .

ولما نجا الى السلطان عبد الحق ان الناس نعموا عليه ايقاعه بالوطاسيين لج في عتوه وغلوائه ، وأسند الوزارة وبيت المال الى يهوديين من خاصته ، ماغتاظ العامة والخاصة وخلعوا بيعته وقلوه في 23 مايو 1465 (27 رمضان

869) وبأيعوا محمد بن علي العمراني الإدريسي نقيب الشرفاء . ولكن لم يلبث محمد الشيخ الوطاسي الذي كان هرب الى أصيلة ان جاء الى فاس واستولى عليها وأسس بها الدولة المرينية التي أصبحت تعرف في عهدها الجديد هذا بالدولة الوطاسية ، واستمر محمد الشيخ يواجه الشدائد والأزمات من فتن بالداخل وأطماع برتغالية وإسبانية بالساحل ، وفي عهده استولى النصاري على مدينة غرناطة آخر معقل للإسلام بالأندلس . والنجا اليه أميرها أبو عبد الله بن الأحمر آخر ملوك بني نصر الأندلسيين ، واستمر محمد الشيخ ملكاً على المغرب الى ان توفي سنة 1505 (910 هـ) فخلفه ابنه محمد المعروف بالبرتغالي ، ثم أخوه علي بن محمد الشيخ المعروف بأبي حسون للمرة الأولى سنة 1526 (932 هـ) ولكن ابن أخيه الأمير أحمد بن محمد البرتغالي خلعه بعد أشهر من توليه واستمر ملكاً الى ان أسره محمد الشيخ السعدي سنة 1549 (956 هـ) وقتله بعد ذلك فعز أبو حسون المتقدم الى المغرب الأوسط واستصرخ الأتراك الذين كانوا استقروا به فأجابوه الى مطلوبه وبعثوا معه جيشاً احتل به فاس سنة 1554 (961 هـ) فعاد السلطان محمد الشيخ السعدي الى فاس واستولى عليها في نفس السنة وقتله ، وبموته انتهى ملك الوطاسيين .

كانت أيام بني وطاس أيام فتن وحروب تدهور فيها المغرب وذهبت هيئته وتكالب عليه أعداؤه من كل جهة ، ورغم أنهم كانت لهم رعية صادقة في الجهاد وإصلاح الأحوال فان الظروف التي كانت تحيط بهم وبالعالم الإسلامي كله لم تساعدهم على تحقيق مرغوبهم ، وقد احتل الأسبانيون والبرتغاليون في عهدهم جل شواطئ المغرب ، وألح الأتراك العثمانيون الذين استقروا بالجزائر على الأقاليم المغربية الشرقية والشمالية بالقتال ، ونفت نابغة السعديين بالجنوب فكانت قاصمة الظهر بالنسبة لهم ، ولم يسجل التاريخ لهم ماثر عمرانية ذات بال، أما الحالة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية فكانت سيئة الى أقصى حدود السوء ، ومن الملاحظ ان عناصر بشرية جديدة قوية انحازت من الأندلس الى المغرب في آخر أيام المرينيين وأيامهم وكان لها تأثير عظيم على الصناعة والفلاحة والحضارة والعمران .

الدولة السعدية

1549 - 1562

ينتمي السعديون الى النسب النبوي الشريف ، وكان خصومهم يطعنون في انتسابهم الى الرسول عليه السلام ويقولون انهم من بنى سعد ابن بكر بن هوازن ، ولم يزلوا منذ قدموا الى المغرب من ينبوع النخل مقيمين بدرعة الى استولى البرتغاليون على بعض المراكز الساحلية باقليم سوس ، وكان نفوذ الوطاسيين يومتد فيه اسماً ، فبحث السوسيون على امير تجتمع عليه كلمتهم ، ويجاهدون تحت رايته عدوهم ، فعثروا بتاكمدرات من اقليم درعة على الشريف محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن مخلوف بن زيدان الذي لقب فيما بعد بالعائم بأمر الله فبايعوه ملكاً عليهم حوالي سنة 1510 (915 هـ) فشرع في تنظيم امارته واستولى على الاقليم السوسي وهاجم المراكز البرتغالية من غير جدوى ، وفي سنة 1516 (922 هـ) تجاوزت جنوده جبال الأطلس الكبير الى الشمال فأخضعت قبائل حاحة والشياطمة وعبدية ، واستولت على مراکش ، ثم ولي عهده ولده الأكبر الأمير أحمد الملقب بالأعرج ، واستخلف بسوس ولده الأصغر محمد الملقب بالشيخ . وانتقل الى أقال من بلاد حاحة فلم يزل مقيماً بها مسموع الكلمة الى ان توفي سنة 1517 (923 هـ) فبويص أحمد الأعرج الذي واصل التضييق على البرتغاليين وحقق بعض الانتصارات عليهم ، مثلما انتصر على الوطاسيين الذين هالهم ما أصبح له من السمعة العظيمة والصيت الكبير فجاءوا لمحاربته . ولم يلبث أخوه الأصغر محمد الشيخ الذي كان بقى والياً على اقليم سوس منذ عهد أبيه ان شق عليه عصي الطاعة بعد ان دخل الوشاة بينهم فقلبه واعتقله ، وأصبح محمد الشيخ سلطاناً بعد ان كان والياً فقط وتلقب بالمهدى وذلك سنة 1539 (946 هـ) ، فشرع على ساق الجد لطرد البرتغاليين من السواحل المغربية فطردهم من حصن فونتي سنة 1540 (947 هـ) ومن مدينة آسفى سنة 1542 (948 هـ) وتخلوا له عن أزموور وأصيلة فيما بعد ، وبعدما أنشأ مرسى اكدير (1543 - 949 هـ) ونظم شؤون دولته بمراكش نهض الى فاس ففقد على الوطاسيين سنة 1549

(956 هـ) وتناثرت نفسه إلى طرد الأتراك من الجزائر فجهز جيشاً عظيماً ذهب به إلى تلمسان فاحتلها في 9 يونيو 1550 (23 جمادى الأولى 957 هـ) وانشر حكمه في أعمالها إلى وادي شلف ، ثم كر الأتراك عليها واستردوها ، ولما رآه الأتراك خطراً يهدد أملاكهم في المغرب الأوسط ، وحجروا عشرة يحول دون تحقيق أطماعهم في الاستيلاء على المغرب الأقصى أرسلوا إليه طائفة من جواسيسهم اغتالوه في 23 أكتوبر 1557 (29 ذى الحجة 964 هـ) فولى بعده ابنه عبد الله الملقب بالغالب بالله الذي صد الزحف التركي على المغرب في السنة الموالية ، ومع أنه حاصر مدينة البريجة (الجديدة اليوم) حتى كاد يستردها من البرتغاليين فإن خوفه من الأتراك أداه إلى مصالحة الأسبان والسماح لهم باحتلال بعض المراسي بشمال المغرب ، وكانت وفاته سنة 1574 (981 هـ) وخلفه ابنه محمد المتوكل الذي خرج عليه عمه عبد الملك بن محمد الشيخ ، واستعان بالأتراك على انتزاع الملك منه ، فذهب المتوكل إلى البرتغال وتطارح على ملكها الدون سيبيستيان لكي يعينه على استرجاع ملكه فأجابته إلى طلبه ، وخرج ملك البرتغال على رأس جيشه صحبة السلطان المخلوع فدارت بين البرتغاليين والمغاربة معركة بوادي المخازن قرب مدبرة القصر الكبير هزم فيها البرتغاليون هزيمة كبرى يوم الاثنين 4 غشت 1578 (30 جمادى الأولى 986 هـ) وقتل ملكهم والسلطان المخلوع محمد المتوكل . كما مات السلطان عبد الملك من مرض أصابه في الطريق والمعركة دائرة ، ولهذا تسمى هذه المعركة عند النصاري بمعركة الملوك الثلاثة ، وبويع في ساحة القتال خليفته بفاس أخوه أبو العباس أحمد الملقب بالمنصور وبالذهبي . فعاش المغرب في عهده سنين مجيدة تمكن فيها من استعادة وحدته وتقوية كيانه وبسط سيطرته على ممالك السودان ، كما ازدهرت في عهده الحركة الأدبية والعلمية التي خبت شعلتها منذ العصر المريني المتوسط ، وشيدت المباني الرفيعة كقصر البديع بمراكش ، ودخلت تجديدات على المخزن (الحكومة) والإدارة والجيش أكثرها مقتبس من النظم التركية التي كان السلطان أحمد المنصور مفتوناً بها ، بيد أن بوادر الانحلال بدت في آخر حياته إذ شق عليه عصا الطاعة ولده المأمون ، ثم سمه ولده زيدان أو طعن

مماث يوم الاثنين 24 غشت 1603 (16 ربيع الأول 1012) فانطلقت المسة بين أبنائه من عقابها . واصطلت البلاد بنيران حروب أهلية مريعة كان من نتيجتها اسبيلاء الاسبانيين على العرائش سنة 1610 (1019 هـ) والمعمورة سنة 1614 (1023 هـ) وظهور رؤساء محليين أقوياء جزءوا المملكة الى مناطق نفوذ ، من أشهرهم المجاهد محمد العياشي ، والفقير أحمد السجلناسي المعروف بابي محلي ، والرئيس يحيى بن عبد المنعم الحاحي ، والمرابط أبو حسون السملالي ، ولكن لم يبلغ أحد من هؤلاء ما بلغه مرابطو زاوية الدلاء وشرفاء سبجلماسة العلويون من الشفوف والظهور ، وقد كتب النصر في النهاية للشرفاء العلويين فعادت بهم وحدة المغرب الأقصى الى سالف عهدهما كما سنراه فيما بعد .

ان المتتبع لأيام السعديين يراها امتداداً لأيام من تقدمهم من منأخرى المرينيين والوطاسيين المطبوعة بالفتنة والعوضى والتدهور المادي والأدبي واشتداد التدخل الاسباني والبرتغالي والتركي في الشؤون المغربية ، باستثناء أيام السلطان أحمد المنصور الذهبي التي تعد بحق أياماً ذهبية انتعشت فيها الأمة وامتدت آفاق الدولة وازدهرت الحركة العلمية حتى ظهر في المغرب من جديد علماء وشعراء وكتاب ومؤرخون وفقهاء مبرزون يعدون أداة الربط بين الماضي والمستقبل ، ويمتاز العصر السعدي أيضاً باستئناف الأعمال العمرانية التي وقفت منذ عهد بني مرين، وغو العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين المغرب والممالك النصرانية ودخول عناصر اسبانية وسودانية كثيرة العدد الى المغرب ، وورود عدد كبير من القبائل العربية والبربرية (شراقة) التي لم ترض بحكم الأتراك للمغرب الأوسط عليه، وأعظم ما يحفظ للسعديين من المآثر السياسية بالاضافة الى وقعة وادي المخازن - صدهم للأتراك العثمانيين وإيقاق زحفهم على المغرب ، فاحتفظت البلاد بذلك بطابعها الاسلامي العربي المغربي المميز ، ولم تصب الثقافة العربية فيها بنكسة كما أصيبت بها كل الاقطار الاسلامية الأخرى التي خضعت للحكم التركي .

الدولة العلوية

1659

استقر الشرفاء العلويون بسجلماسة منذ نزح إليها جدهم الحسن بن قاسم الملقب بالداخل سنة 1266 (664 هـ) من بلدة ينبوع النخل بأرض الحجاز وأقاموا في قصورها موفوري الفضل مشهورى الصلاح الى أن تقدموا لجمع الكلمة وتوحيد البلاد بعد ما عراهما من تفرق وانقسام اثر وفاة السلطان السعدى أحمد المنصور الذهبى .

واشتهر من هؤلاء الشرفاء فى النصف الأول من القرن السابع عشر مولاي الشريف بن علي الملقب بأبى الأملك ، وكان رجلا وجيهاً يقصده الناس فى الملمات ويستشفعون به فى الأزمت ، ويهرعون اليه فى الجليل والحقير من الأمور ، وقد حدثت بينه وبين أبى حسون السلالى المكنى بأبى دميعة المسولى على اقليم سوس - عداوة بسبب سعاية أهل تبوعصامت ، فقبض عليه ونقله الى سوس واعتقله باحدى قلاعها ، فأثف ابنه مولاي محمد (بنفح الميم) من ذلك وجمع جيشاً من أهل سجلماسة وأعمالها سنة 1635 (1045 هـ) وشرع فى تحريض العامة على سلطة أبى حسون ، وفى سنة 1640 (1050 هـ) تابعه أهل سجلماسة واستتب فيها أمره وامتد سلطانه الى منطقة درعة ، وبعدما امتدى والده من أبى حسون بمال كبير التفت الى الأقاليم الشمالية التى كانت خاضعة لنفوذ الزاوية الدلائية ، ودارت بينه وبين الدلايين وقائع كثيرة تغلبوا عليه فيها فى النهاية فانسحب الى بسيط أنكاد من شرق المغرب ، فبايعه عرب معقل وأخصع بنى يزناسن وقضى على شيعة الترك بوجدة ، ثم شن الغارات على تلمسان وأحوازا وأوقع بالحاميات التركية ، واثّر ذلك توغل بجيشه فى الصحراء ووصل الى الاغواط وعين ماضى ، ولما ضاق به الأتراك ذرعاً بعثوا اليه مع اثنين من علماء الجزائر وأعيانها رسالة استعطاف (26) مؤرخة فى 10

(26) نشر نص هذه الرسالة فى عدد من الكتب التاريخية ، منها كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى 7 : 22 . أما جوابها فقد عثرنا عليه بعد جهد جهيد فى مجموع محفوظ بخرابة القصر الملكى بالرباط تحت عدد 4485 وتاريخه أواخر شعبان عام 1064 . وهو من ابناء محمد بن مبارك بن حفيد الحسنى بشهادة الفقيه أحمد التاجموتى والقاضى أبى نعيم رصوان بن عد الملك .

بوسو 1654 (15 رجب 1064 هـ) وبعد مفاوضات اتفق الطرفان على الصلح وجعل وادي تافنا حداً فاصلاً بين الأيالتين . واثناء ذلك ظهر أخوه مولاي رشيد بن الشريف . وكانت القلوب مالت اليه بسبب قتله لليهودي ابن مشعل وتخليص الرعية من جورهم واهاناته ، وتحارب الأخوان حرباً قتل فيها مولاي محمد يوم 2 غشت 1664 (9 محرم 1075 هـ) فانحشرت جموعه الى جموع أخيه المولى الرشيد الذي بويج بالملك البيعة العامة ، ومازال ينتقل من نصر الى نصر حتى استولى على فاس في السنة الموالية وجعلها عاصمة ملكه ، ثم فتح زاوية الدلاء في 18 يونيو 1668 (8 محرم 1079 هـ) وغرب أهلها الى فاس وتلمسان ، وعندما قضى على امارة الشبانان بمراكش ، وامارة السملاليسن بسوس ، وعندما تمهدت له البلاد ودانت الرعية استأنف أعمال البناء والتشييد التي كانت توقفت منذ وفاة المنصور الذهبي ، وأنشأ جيشاً نظامياً من قبائل تلمسان التي نزعت اليه كبنى عامر وأشجع (الشجع) ومديونة وهوارة وبني سنوس ، وأرسل الطلائع الأولى لمهاجمة النصارى المحتلين لمراسى الساحل . ولكنه توفي فجأة في حادثة فروسية يوم 11 ابريل 1672 (11 ذى الحجة 1082) فتولى بعده أخوه وخليفته بمكناس السلطان العظيم المولى اسماعيل بن الشريف الذي بسط السلطة وفرض النظام طيلة عهده الذي استمر أكثر من نصف قرن ، وحقق انتصارات عظيمة على المحتلين الأوربيين بالساحل ، فطردهم من المهدية (1681 - 1092 هـ) وطنجة (1684 - 1095 هـ) والعرائش (1689 - 1101) وأصيلة (1690 - 1102 هـ) وكاد يفتح مدينة سبتة ، ومن منجزاته العظيمة تجديد مدينة مكناس ، وبناء عدد لا يحصى من المساجد والمدارس والأضرحة والقصبات والحصون ، وبعث الحركة العلمية من مرقدها ، وتنشيط الأدب والشعر والمكافأة على التأليف ، وإنشاء جيش عتيد من عرب الوداية وعبيد (البخارى) وسعيه في افتكاك وهران من أيدي الأسبانيين وقمع التمردات التركية بالحدود الشرقية والصحراوية وتأكيد الاتفاقيات السابقة معهم بشأن جعل وادي تافنا حداً بين الأيالتين . وفتح المراسى للتصدير والتوريد وإقامة علاقات دبلوماسية محكمة مع الدول الأجنبية ، ولم يلتحق بالرفيق الأعلى في 21 مارس 1727 (28 رجب 1139 هـ) حتى كانت المملكة

المغربية تنعم بالاستقرار والهناء وعزة الجانب ، ولكن الفترة التي تلت موته عادت بها الى حالة الفوضى بسبب تنازع أبنائه على الملك وتدخل قواد الجيش في الشؤون السياسية ، وقد انقضت هذه الفترة بوفاة السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل في 10 نونبر 1757 (27 صفر 1171 هـ) وتملك ولده السلطان سيدى محمد بن عبد الله الذى كان عالماً كبيراً وسياسياً عظيماً استطاع بحسن سياسته وشدة حزمه أن يهدئ البلاد ويقضى على تنطع القواد العسكريين ومن اعماله العظيمة استرجاع البريجة (الجديدة) من أيدي البرتغاليين (10 مارس 1769 - 2 ذى القعدة 1182 هـ) وبناء الصويرة وأنفا (الدار البيضاء) وفضالة (المحمدية) وانشاء أسطول قوى وتقوية العلاقات الدبلوماسية مع الدول الاسلامية والدول الأوروبية وارساله السفراء الى البلاد النصرانية لاكتساح الأسارى المسلمين واستخلاص الكتب الاسلامية من خزائنها ، وهو أول رئيس دولة فى العالم اعترف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية ، ولما مات سنة 1790 (1704) خلفه ابنه اليزيد ، ثم أخوه المولى سليمان بن محمد بن عبد الله (1792 - 1206) الذى كان عالماً تقياً ، وهو الذى أعاد الترك الى نهر تافنا سنة 1796 (1211) بعد ان كانوا تجاوزوه أيام الفترة ، وفى عهده ثارت تمسان والعمالة الوهرانية كلها على الترك (1805 - 1220 هـ) وبإيعاه أهلها وأرسلوا ويودهم حاملين بيعاتهم الى فاس ولكن المولى سليمان الذى كان حريصاً على احترام الاتفاقيات المعقودة مع الاتراك أرسل قائده عياد بن أبى شعرة الودى الى تمسان لاصلاح ذات البين بين أهلها وبين العثمانيين ، واذاك لم تر كثير من الأسر التلمسانية وقبائل الواسطة (27) مندوحة من الهجرة الى المغرب والاستقلال بعلم سلطانه فراراً من مظالم الأتراك ، وفى سنة 1822 (1238 هـ) توفي السلطان المولى سليمان فخلفه ابن أخيه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام وكان ملكاً حازماً سعى جهده فى تمهيد البلاد وتهديد الرعية ، وكاد ينجح فى اعماله الاصلاحية لولا ان ابتليت البلاد المغربية بغزو الفرنسيين لواسطتها (1830 - 1246) وما تلا ذلك من دخول القسم الغربى من الجزائر

(27) كان الجزائريون يعرفون قديماً فى المغرب بأهل الواسطة والنسبة اليها واسطى ، وذلك لتوسط بلادهم بين المغربيين الأدنى والأقصى .

فى طاعة السلطان ، وتوجيه خليفة سلطاني وجيش مغربي الى تلمسان سم
انسحابه عنها تحت الضغط الفرنسى ، وانصراف السلطان وجميع رعاياه الى
مساندة كفاح الشعب الجزائرى تحت قيادة الأمير عبد القادر بن محيى الدين
ضد المحتلين ، وقد نتج عن اندحار الأمير عبد القادر واندحار الجيش المغربى
فى معركة يسلى (1844 - 1260) ان خسر المغرب الأقصى جزءاً من ترابسه
الوطنى ، وهاجرت من المغرب الأوسط اليه أسر كثيرة وقبائل عديدة فاستقرت
به وصارت معدودة من أهله ، ثم توفى سنة 1859 (1276 هـ) وتولى بعده ابنه
المولى محمد بن عبد الرحمان فكان أول ما واجهه فى ملكه اعلان اسبانيا الحرب
على المغرب واحتلالها لتطوان ، ثم انسحابها منها بعدما حصلت من المغرب
على غرامة مالية وتنازلات ترابية . وابتداء من هذا التاريخ كثر تدخل الدول
الأوربية فى شؤون المغرب وحصولها على امتيازات سياسية وقضائية وتجارية صيرت
رعاياها القاطنين فيه غير خاضعين لسلطته الشرعية . وقد حاول السلطان
مولاي الحسن الأول (73 - 1894 - 1290 - 1311 هـ) أن يحد من هذه التدخلات
ويدخل اصلاحات عصرية على مملكته تجعل أهلها ينعمون بمزايا التطور الصناعى
والاجتماعى الذى استفادت منه أوربا كثيراً ، ولكن أوربا القوية سارت قدماً فى
تنفيذ سياستها الخاصة بالمغرب ، ثم اتفقت دولها على القضاء على استقلاله
وتمزيق وحدته ، ففرضت عليه فرنسا واسبانيا معاهدة الحماية (1912 -
1330 هـ) وقسمته الى مناطق نفوذ ، وألحقها بعض أجزائه بمستعمراتهما
الامريكية ، فانطلق الشعب المغربى يقاومهما بما أوتى من قوة فلم تنفلبا عليه
بصفة نهائية الا سنة 1934 ، وقبل ان تنتهى المقاومة العسكرية كانت البلاد
تشهد ميلاد المقاومة السياسية وقد بلغت هذه المقاومة ذوتها خلال السنين
التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية حتى جن جنون الاستعمار الفرنسى
فنفى ملك البلاد وقائد نهضتها جلالة الملك المرحوم محمد الخامس وسمو ولي
عهده (جلالة الملك اليوم) الأمير مولاي الحسن وسائر الأسرة الملكية الى
جزيرة كورسيكا ثم الى جزيرة مدغشقر (1953) ولكن فرنسا اضطرت الى
ارجاعه الى بلده وعرشه (نونبر 1955) تحت ضغط المقاومة الشعبية ، ثم
اعترفت هى واسبانيا باستقلال المغرب (مارس 1956) وواصل الملك محمد

الغامسي بعد ذلك تنظيم الدولة المغربية على أسس جديدة تضمن الأمن والعدل والرخاء والعزة لشعبه الى ان توفي يوم الأحد 26 يبرابر 1961 فحمل المشعل بعده جلالة الملك العظيم **الحسن الثاني** الذي دخلت البلاد في عهده الميمون في طور التنمية الحسية والمعنوية .

أوقف تربع العلويين على العرش تدهور الدولة وانحلالها ، فأعاد الى البلاد وحدتها وحفظ كيائها وأوجد فيها حكومة شرعية تنطق باسمها وتدود عن حوزتها ، ورغم المصاعب التي واجهت الملوك العلويين من الداخل والخارج استطاعوا أن يصدوا الغارة المشنونة على الشواطئ المغربية ويظهروها من الاحتلال البرتغالي والاسباني والانجليزي باستثناء مدينتي سبتة ومليلية وجزيرتين صغيرتين بساحل الريف ، كما حالوا بين الأتراك وبين أى توسع على حساب المغرب في أقاليمه الصحراوية والشرقية ، وقد أنشأوا جيوشاً نظامية وسعوا سعيًا متواصلًا لتزويدها بأحسن الأسلحة ، وشيدوا واحد من مصلحيهم السلطان الحسن الأول مصنعاً عصرياً بفاس لصنع أسلحة الجيش من بنادق ومدافع وذخيرة ، كما أنشأوا أسطولاً مرهوباً لحماية الشواطئ وصد كل هجوم عليها ، وكان اتصالهم بالشعب وثيقاً . فلم يفتأوا يتجولون عبر مملكتهم متصلين بالرعية مستمعين لتظلماتها مستجيبين لرغباتها تستوى في ذلك الجهات القاصية والدانية حتى قيل عن عروشهم انها على صهوات أفراسهم ، وكان لهم تمسك شديد بالدين ومحافظة فويه على السنة . واشتهروا بحلقات العلم التي تعقد بين أيديهم ومشاركتهم فيها بأنفسهم . كما اشتهروا بما يسروا من أسباب العلم على طالبيه ، أما العمران فلهم فيه يد بيضاء لا نجعد ، فحيثما رلى الانسان وجهه يرى آثارهم من مدن أحدثوها ، وأخرى جددوها ، وقصبات شيدوها ، وبروج أفانوها ، ومساجد ومدارس ومكتبات علمية أنشأوها ومرافق عمومية من حمامات وسقايات ومياضي وقناطر سهلوا بها على شعبهم الحياة ، وإذا كان المغرب حلت به نكبات واكتنفته أزمات منذ منتصف القرن الماضي فان ذلك كان نتيجة حتمية للتدهور الذي بدأت الأمة الاسلامية تتردى فيه قبل ذلك بقرون ، ولشروع الدول الأوربية في تنفيذ مخططاتها الاستعمارية وعجز المغرب وسائر الشعوب المتخلفة عن مواجهة تفوقها الصناعي وتقديمها العلمي ،

ومما يسجله التاريخ بمداد الفخر للملوك العلويين أنهم كانوا دوماً محلّصين لشعبهم محافظين على الأمانة الموضوعة بين أيديهم ، ولم يثبت أنهم فكروا في ساعات العسرة في أنفسهم أو تأمروا - كما حدث لملوك آخرين بأخطار أخرى - على مصير بلادهم ، بل كانوا يعملون على توفى الأخطار وتخفيف الأضرار ما استطاعوا واغتنام الفرص لتقوية كيان بلادهم ووضع الآصار عن شعبهم كلما بدرت بادرة موآتية أو لاحت لهم بارقة ملائمة ، ولقد عملوا منذ هزيمة يسلى (1844) على ادخال عدد من الاصلاحات على الحكومة والادارة والجيش والمالية ، كما عملوا على افادة الأمة المغربية من مزايا التقدم المادى وساروا قدماً فى ذلك ، ولكن أوربا الطاغية بتفوقها الصناعى والمنفعة بدافع التعصب المسيحى كانت تجهض بمؤامراتها وتدخلاتها وافتياتها على السيادة المغربية جميع الأعمال الاصلاحية التى قام بها الملوك العلويون حتى تم لها ما أرادت من احتلال المغرب وتقسيمه الى مناطق نفوذ واقتطاع أجزاء هامة منه ، ذلك الاحتلال الذى لم تلبث الأمة المغربية أن خلعت نيره تحت قيادة الملك الشعبى المجاهد محمد الخامس رحمه الله .

دول المغرب الأوسط :

الدولة الرستمية

776 - 909

هى أول دولة مستقلة أسست فى الجزائر بعد الاسلام ، أسسها القاضى عبد الرحمان بن رستم الفارسى الأصل بمدينة تيهرت سنة 776 (160 هـ) لتكون موئلا للخوارج الأباضيين ، فوجدوا فيها الطمانينة والأمن وأشبعوا نهمهم الى اقامة دولة على قواعد مذهبهم ، ولما توفى القاضى عبد الرحمان الذى أصبح بعد مبايعته يلقب بالامام سنة 787 (171 هـ) خلفه ابنه الامام عبد الوهاب ، وكان مثل والده متضلعا فى علوم الشريعة والفقه .

كما كان على جانب كبير من الدهاء والحزم ، وقد واكب تربيته على كرسى الإمامة ظهور الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى وانبساط سلطنتها على تلمسان وغرب الجزائر الى نهر شلف ، ولما توفي سنة 805 (190 هـ) خلفه ابنه أفلح بن عبد الوهاب الذى طالت أيامه خمسين سنة ، وكانت كلها أيام رخاء ويسر ، إلا ما كان من تضيق أغلبية تونس عليه وتأسيسهم لمدينة العباسية بقرب تيهرت ، الشيء الذى اضطره الى مصادمة المروانيين فى الأندلس ، ولما توفي سنة 854 (240 هـ) تولى الإمامة ابنه أبو بكر بن أفلح الذى كان جواداً كريماً سهل الخلق ميالاً الى الدعة والرفاهية مهملاً للنظر فى الأمور ، فقامت الفتن والثورات فى وجهه حتى اضطر الى الهروب من تيهرت سنة 855 (241 هـ) فتولى زعامة الأباضيين ببعض جهاتها أخوه أبو اليقظان بن أفلح وبقي يتجول بهم سنين الى ان أعانته اباضية نفوسة على الرجوع اليها فاستقر بها اماماً الى ان وافته المنية سنة 894 (281 هـ) وفى هاتيك الأثناء كانت البلاد المغربية تصطرم فتنة . كما كانت الحالة الاجتماعية سيئة لاشتداد المجاعة ومنك الوبئة بالناس ، ولما خلفه ابنه أبو حاتم كانت الإمامة مشرفة على الانهيار ، فعاد نار عليه عمه يعقوب وأخرجه من تيهرت ، ولم يتغلب عليه أبو حاتم الا بعد سنين ، ولكن مناقسيه من أسرته بقوا يتربصون به الدوائر السيئة حسى اغتالوه سنة 906 (294 هـ) فخلفه أخوه اليقظان الذى قتله أبو عبيد الله الشيعى فى يونيو سنة 909 (شوال 296 هـ) وانتهت بموته الامارة الرسمية .

كانت الدولة الرسمية امارة أو امامة صغيرة لا يتعدى نفودها أسوار تيهرت فى غالب الأحيان ، والمنطقة المحيطة بها فى أقل الأحيان ، فقد كان يراوحها ادارة المغرب الأقصى وأغلبية تونس من كل جانب ، ولكن نفوذها الروحى كان يعم جميع الطائفة الأباضية المتفرقة جماعاتها بين تيهرت والصحراء وجبل نفوسة ، فكانت هذه الجماعات تمدّها بالزكاة الشرعية ومختلف الاعانات . وقد خرج الأئمة الرستميون فى بعض ايام قوتهم لنجدتها وتفقدتها كما التجأوا اليها كلما حزبهم أمر فوجدوا لديها ما ييفون من عون ومدد ، وما يسجل للرستميين بمداد الفخر أنهم كانوا على جانب كبير من العلم والأدب والميل الى العدل والرفق بالرعية، ولكن كان ينقصهم الحزم والدهاء

والأخذ بوسائل السياسة التي تكون في غالب الأحيان غير شريفة ، فلذلك قصرت مدة امامتهم ولم تستقم لهم الأمور .

الدولة الحمادية الصنهاجية

1014 — 1153

هي ثاني امارة نظامية تنشأ بالمغرب الأوسط أنشأها حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي الذي كان في بداية أمره عاملاً من قبل ابن أخيه باديس بن المنصور بن بلكين أمير المغرب الأدنى — على مدينة أشير ونواحيها منذ سنة 997 (387 هـ) ثم طمحت نفسه الى الاستقلال بجهته ، فبنى القلعة المنسوبة الى أسرته (قلعة بني حماد) سنة 1007 (398 هـ) وأتم تحصينها في عامين ، وبعد منازعات بينه وبين السلطة الشرعية بالقيروان أعلن حماد انفصاله عنها سنة 1014 (405) فانقسم بنو زيري يومئذ الى فرقة بني باديس بالقيروان ، وفرقة بني حماد بالقلعة ، وقد حدثت بين الفريقين حروب تلتها المصالحة والمهادنة .

وفي سنة 1028 (419 هـ) مات حماد فخلفه ابنه المسمى القائد وكان مثل أبيه حصيف الرأي حسن التدبير ، اشتغل عنه بنو عمه باديس بزحف الاعراب الهلاليين بينما زحف عليه حمادة بن المعز بن عطية المغراوي أمير فاس فهزمه ورجع خائباً ، وفي سنة 1041 (432 هـ) خلع القائد دعوة بني عبيد ، ودعا لبني العباس ، ولكنه عاد الى اظهارها بعد ستة أعوام ، فأنعم عليه الفاطميون بلقب شرف الدولة . ثم عاد فنقض بيعتهم وباع العباسيين واستمر على ذلك الى ان توفي سنة 1054 (446 هـ) فخلفه ابنه محسن بن القائد وكان شديداً قاسياً ، ثارت الفتنة بينه وبين أعمامه ، ولاسيما عمه يوسف الذي خرب مدينة أشير واستباح أموالها ، وبعد سنة من ولايته قتله عمه بلكين بن محمد بن حماد الذي احتل القلعة ليلاً ودعا لنفسه قبايعة الناس وكان شجاعاً فاتكاً سفاكاً للدماء حتى ملته الرعية لكثرة حروبه وكرهته الخاصة فقتله ابن عمه الناصر بن علناس سنة 1062 (454 هـ) الذي بويع اميراً على القلعة ، وكان

حواداً كرساً وفانكاً كميّاً ، بنى المباني العجيبة ، وشيد المدائن العظيمة ،
وفى أيامه اسسولى المرابطون على تلمسان ووهران وتنس وجبال ونشريس
ومدائن شلف وصارت حدودهم تمتد من مدينة الجزائر الى الغرب ، ودخل
الاعراب الهلاليون الى المغرب الأوسط وزاحموه فى موطن عزه ودار امارته
حتى اضطر الى الالتجاء الى مكان حصين على ساحل البحر بتراب قبيلة بجاية
فبسى فيه مدينة سماها (المحمدية) واستمر الناس يسمونها باسم القبيلة
المذكورة (بجاية) وجعلها عاصمة امارته ، ولم يزل مقيماً بقصره خارجها حتى
توفى سنة 1088 (481 هـ) فخلفه ابنه المنصور بن الناصر وكان اديباً
شريف النفس عالى الهمة ساس الرعية بحكمة وحصافة ، واتم ما بدأه
والده من اعمال عمرانية ، ومن أعظم ما نره بالقلعة قصر الملك وقصر المسار
وقصر الكوكب وقصر دار السلام ، وببجاية قصر اللؤلؤة وقصر أميون ، وهو
الذى أقطع دلس لبنى صمادح أمراء المرية بعد جلائهم عنها لما اسسولى عليها
المرابطون ، وقد حدثت بينه وبين المرابطين حروب ملكوا عليه فيها مديته
اشير وأغار هو عليهم فى مدينة تلمسان ، وبعد ما تم الصلح بين الطرفين عاد
الى بجاية فأقام بها حتى توفى سنة 1104 (498 هـ) فتولى بعده ولده باديس
وكان قوى الشكيمة سريع الغضب سفاكاً للدماء ، وارتكب خلال أيامه القسرة
أعمالاً شنيعة من قتل واضطهاد وتمثيل ، ومات بعد ثمانية أشهر من توليه ،
فخلفه أخوه العزيز بالله بن المنصور ، وكان سياسياً حازماً استعان على تثبيت
ملكه بالتزوج من بيوتات خصومه فأمن ثوراتهم وعداوتهم ، وكانت وفاته
سنة 1121 (515 هـ) فخلفه ابنه يحيى بن العزيز وكان اديباً فصيحاً مفرماً
بالصيد والتهو وهو أول من ضرب السكة باسمه من الأمراء الحماديين ، وفى
أيامه هاجم النصارى النورمانديون السواحل التونسية والجزائرية واستولوا
على بعض مراسيها فهب الحماديون للدفاع عنها ولكن كيف يمكنهم أن ينقذوها
والسلطان منهمك فى ملذاته ، فكاتب وزيره ميمون بن حمدون الخليفة عبد
المومن بن على سرّاً يرغبه فى انقاذ المسلمين ، فخرج عبد المومن من مراکش
سنة 1151 (546 هـ) وسار مشرقاً حتى بلغ الجزائر واحتلها ثم نازل بجاية
وحاصرها يومين واستولى عليها فى يبرابر سنة 1153 (ذو القعدة 547 هـ)

ففر يحيى نجراً الى عنابة ثم قسنطينة . وواصل عبد المومن زحفه على المملكة الحمادية فاحتل القلعة وحاصر قسنطينة ، فلم يجد يحيى مندوحة من الاستئمان والاستسلام ، فأمنه عبد المومن وأرسله الى المغرب الأقصى وأسكنه قصر بني عشرة بسلا ، وعاش في كنفه عزيزاً مكرماً وكان ذلك آخر العهد بملك بني حماد .

كانت أيام بني حماد على ما صاحبها من فتن واضطرابات أياماً لم تخل من أعمال عمرانية وحركة ثقافية ومناعة حربية ، وقد كان ملوك بني حماد أنفسهم على جانب كبير من العلم والأدب يعتقدون حلقات الدروس ومجالس المناظرة بين أيديهم ويشاركون فيها ، كما كانوا مولعين بالبناء والتشييد والفرس ، والنصوص الأدبية والتاريخية الباقية تدل على مدى ما بلغته الخواضر التي كانت تحت حكمهم من رقي وتقدم وازدهار . ولو أن الدول والامارات المجاورة لهم سالتهم لشاهدت مملكتهم على أيديهم رقياً أعظم وتقدماً أكبر ، لكنهم ابتلوا في الأول بمخاصمة بني عمهم ملوك تونس ، ثم بعيث الاعراب الهلاليين ومزاحمة المرابطين وأخيراً بزحف الموحدين ، فلم يكن لهم طاقة بمواجهة كل هذه الأخطار ، فانهارت دولتهم ، وعفت آثارهم التي كانت من أعظم ما يؤثر من أعمال الحضارة والعمران .

الدولة الزيانية العبد الوادية

1235 - 1354

هي أكبر دول المغرب الأوسط وأطولها أياماً وأحفلها أعمالاً أسسها فريق من قبيلة زناتة يدعى بني عبد الواد ، وهم اخوة فريقها الثاني بني مزين ملوك فاس وتلوهم في قوة الجانب وكثرة العدد .

كانت مواطن بني عبد الواد بين جبال سعيذة شرقاً ووادي ملوية غرباً وكانوا بدواً رحلاً ينتجعون المراعي الخصبة بمواشيتهم ويترددون على المدن للامنيار ، ولما كانت الدولة الموحدية في عنفوان شببيتها صدقوا لها

الخدمة ومحضوا النصيحة ، فأقطعهم ناحية غليزان فاستقروا بها ، حتى اذا دب الهرم اليها تطلعوا الى الاستقلال عنها والتفرد بحكم احد اقاليمها ، وقد تم لهم ذلك سنة 1235 (633 هـ) عندما استولوا على تلمسان وصاروا اصحاب النفوذ الحقيقي فيها .

وكانت زعامة بنى عبد الواد فى هذه الفترة آلت الى بطلهم الشهير وقائدهم المغوار يفراسن بن زيان . وقد اكتفى فى البداية بالاستبداد بتلمسان وما جاورها وأبقى الدعوة الموحدية قائمة والخطبة على المنابر باسم ملوكها ، ولكن الموحدين لم يقنعوا منه بذلك ، وخرج اليه الخليفة أبو الحسن السعيد الملقب بالمعتصم من مراکش فى جيش ضخم فأخرج عنها يفراسن واعنصم بقلعه تمززدكت جنوبى وجدة وبعث الى الخليفة يبدى أعداره ويطلب الصصح فلم يقلل منه ، وعندما نشب القتال بين الفريقين (1248 - 646 هـ) انهزم الموحدون وقتل الخليفة السعيد واستولى العبدالواديون على خبائه وعنوا عنائهم لا تقدر بثمان منها مصحف عثمان ، وتقلوا شلو الخليفة الهالك الى تلمسان فدفنوه بالعباد .

وأقبل يفراسن بعد هذا الانتصار على شؤون دولته الجديدة بنظمها وكان يكفه أن يكون صاحب السلطان الحقيقي دون اهتمام بالدعاء لمن يكون على المنابر والسكة باسم من تضرب ، فلذلك كان ينضوى تارة تحت الحفصيين وتارة تحت الموحدين ، وكانت امارته لا تستريح من غزو آتى من الشرق الا لتواجه غزواً آخر آتياً من الغرب ، ولم يكن ينقذها من السقوط النهائى بين أيدي خصومها الا قوة شكيمة القبيل العبدالوادي وشجاعة يفراسن على الخصوص ، ولهذا لا يمكن لمؤرخ أن يثبت لهذه الدولة - سواء فى أيام يفراسن بن زيان أو فى أيام خلفائه من بعده - حدوداً معروفة لأنها كانت دائماً بين مد وجزر ، فقد كانت تتسع حيناً حتى تبلغ قرية تاويربرت غرباً وعمالة قسنطينة شرقاً . كما كانت تضيق أحياناً حتى لا تستعمل الا على منطقة تلمسان .

ولما توفي يغمراسن سنة 1283 (681 هـ) تولى ابنه أبو سعيد عثمان الذي أوصاه أبوه قبل مماته بمسألة بني مرين ليتفرع لفتح البلاد التي يملكها الحفصيون ، وقد عمل الأمير عثمان بوصية والده وصرف اهتمامه الى الأبالسة الشرقية فانتزع كثيراً من مدن عمالة وهران وعمالة الجزائر من أيدي رؤساء زناتة المتغلبين ، ولكن لم تلبث حالته ان ساءت بينه وبين بني مرين الذين استأنفوا غزو تلمسان ومحاضرتها عدة مرات ، من أشهرها الحصار الطويل الذي دام ثمانية أعوام (1299 - 1307) ومات خلاله الأمير عثمان سنة 1304 (703 هـ) فخلفه ابنه محمد الملقب بأبي زيان الأول ، وبعد ثلاثة أعوام من ولايته اغتيل السلطان يوسف المريسي بمدينة المنصورة التي بناها بظاهر تلمسان فارتفع الحصار عنها في الوقت الذي كان العبدالواديون يستعدون لذبح نسائهم وخوض المعركة الأخيرة مع بني مرين فحرقوا من الأسوار وكأنما نشروا من القبور ، وكان أول عمل بدعوا به هو تخريب مدينة المنصورة التي كانت من أجمل حواضر المغرب العربي فاطبة ، ثم ضربوا سكتهم ونقشوا عليها عبارة (ما أقرب فرج الله) تعجباً واستبشاراً ، وبعد ذلك تولى السلطان أبو حمو الأول الذي اغتاله ابنه أبو تاشفين الأول فساءت العلاقات بين بني عبد الواد وبين جيرانهم الحفصيين والمريسيين ، ونهض هؤلاء بتحريض من أولئك لمحاربة تلمسان تحت قيادة السلطان أبي الحسن المريسي ، فغزوا المغرب الأوسط برأ وبحراً واستولوا على تلمسان يوم 29 أبريل 1337 (27 رمضان 737) وقتلوا ملكها فكان ذلك آخر العهد بالدور الأول من دولة بني عبد الواد .

وحكم بنو مرين تلمسان وسائر المغرب الأوسط حكماً متواصلاً الى سنة 1348 (749 هـ) ، وفي هذه السنة انهزم السلطان أبو الحسن المريسي بالقيروان وغرق أسطوله بساحل بجاية ، فبيع ابنه أبو عنان الذي كان خليفة له بتلمسان ، ولما عاد أبو الحسن الى الظهور بعد ما ظن انه غرق ثارت بينه وبين ابنه أبي عنان فتنة استمرت ثلاثة أعوام اغتنمها العبدالواديون للعودة الى تلمسان ، لكن أبا عنان عاد اليها بعد ما فرغ من أمر أبيه فاستولى عليها

سنة 1352 (753) وضمها الى سلطنته ، بقيت هي وجميع بلاد المغرب الأوسط بيده الى ان توفي سنة 1358 (759 هـ) فعاد اليها العبد الواديون في السنة الموالية واستولوا عليها وبايعوا أبا حمو الثاني سلطاناً بها وصارت دولتهم منذ هذا التاريخ تعرف بالدولة الزيانية ، وكان أبو حمو هذا شجاعاً واديباً كبيراً اشتهر باحتفالاته الفخيمة بعيد المولد النبوي وباجتماع عدد كبير من العلماء والادباء ببلاطه ، ولكنه طل في المقيم المقعد من الغزو المريني وثورة الأمراء ، فكان لا يستقر بتلمسان حتى يتخلى عنها لبني مرين واستمر على تلك الحالة الى ان اغتاله ولده أبو تاشفين الثاني سنة 1389 (791 هـ) فتولى مكانه وضرب السكة تحت رعاية بني مرين وحمايتهم ، وبعده توالى الملوك من أسرته على عرش تلمسان كما تواصلت الفتن بين الأمراء وتتابع الغزو المريني . وزاد الطين بلة ظهور الحفصيين من جديد على مسرح الغزو والاستيلاء بعد أن كان بنو مرين منفردين وحدهم في هذا الميدان ، وقد استغل الاسبانيون ضعف الزيانيين وانحلال دولتهم فشرعوا في الاستيلاء على سواحل المغرب الأوسط مثلما استغلوا ضعف بني مرين لاحتلال سواحل المغرب الأقصى ، واستولوا على المرسى الكبير ووهران وبجاية ودلس وشرشال وهنين وحجرة الحزائر وعنابة وشرع ولاتهم في التضريب بين الأمراء الزيانيين واعانة بعضهم على بعض حتى صاروا جميعاً يعترفون بحمايتهم ويؤدون الجزية المهم ، بل بلغ الأمر بأولئك الأمراء الى ادخال الاسبانيين الى تلمسان نفسها وفي هذه الأثناء الذي بلغت فيها الدولة الزيانية منتهى الضعف والانحلال وصارت الدولة الوطاسية المرينية المجاورة عاجزة هي نفسها عن الدفاع عن نفسها وبالأحرى عن غيرها ظهرت في غرب البحر المتوسط السفن الجهادية العثمانية فاستغاث المسلمون الجزائريون بقوادها فنزلوا الى بر المغرب الأوسط وشرعوا في بسط سلطانهم عليه حتى احتلوا تلمسان وجعلوا ملوكها تحت حمايتهم ، ثم بدا لهم فعزلوا آخر ملوكها الزيانيين مولاى الحسن بن عبد الله الثاني سنة 1554 (962 هـ) فانتهت بذلك الأيام المضطربة لهذه الدولة التي استمرت في الحكم أزيد من ثلاثة قرون .

ان المتتبع لايام بنى عبدالواد يجدها أياماً مضطربة تسودها العن والحروب وتطبعها الدسائس والمؤامرات ، واذا حاول المؤرخ أن يجد تعليلاً لهذه الحالة ، ويقارن بينها وبين أحوال من تقدم من الدول الأخرى كالدولة المرابطية الموحدية فسيعتقد ان السبب الرئيسى فى ذلك راجع الى ان الدولة الزيانية العبدالوادية قامت على أساس قبلى بحت ، فبينما كانت الدولة الادريسية تحوطها هالة القداسة لقرب ملوكها من رسول الله (ص) ، وبينما قامت الدولتان الموحدية والمرابطية على أسس دعوة دينية وزعامات قبلية لا منافس لها اعتمد العبدالواديون على قوة قبيلهم وحدها حتى انهم أنكروا فى الأول على بعض متملقيهم أن ينسبوهم الى آل البيت ، وما كانت قوتهم لتكون وحدها كل ما يحتاج اليه الملك من ادوات ومؤهلات ، سيما وانها كانت قوة مزاحمة بقوة اخوانهم بنى مرين الذين هم اكثر منهم عدداً وأقوى مدداً ، فلذلك اضطروا الى انتحال النسب النبوى فى الدور الثانى من تملكهم فصاروا زيانيين بعد ان كانوا عبدالواديين ، ووجدوا من بعض متملقة الفقهاء من يصنع لهم عمود نسب ، ويؤلف فى بيان شرفهم كتاباً (28) .

وهناك سبب آخر لتلك الحروب القاسية التى صاحبت أيام دولة بنى عبد الواد أو بنى زيان ، وهو اتخاذ تلمسان عاصمة للدولة ، فهذه المدينة العظيمة كانت منذ الفتح الاسلامى جزءاً من مملكة المغرب الأقصى ، ولم يكن ملوك المغرب ليتخلوا عنها لدولة أخرى سيما وهى باب المغرب الذى يمر منه الصادر والوارد ، وهذا هو السبب فى ان الملوك المغاربة لم تفر لهم همه لاسترجاعها مع ما كلفهم ذلك من ضياع فى الأنفس والأموال .

ومهما يكن الأمر فان حرب (الثلاثمئة سنة) التى دامت بين الأسرتين الشقيقتين بنى عبد الواد وبنى مرين كانت السبب الأول فى انحلال الأقطار المغربية كلها وتقهقر الثقافة والحضارة فيها ، وتملك الأجانب لسواحلها

(28) مر القمى المؤرخ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنى التلمسانى المتوفى سنة 1493 (899 هـ) أما الكتاب المشار اليه فاسمه (نظم الدرر والعقيان) فى بيان شرف بنى زيان ، ومن ملك من سلفهم الأعيان ، فيما مضى من الأزمان) .

وتدخلهم فى شؤونها الداخلية ، وضياع الأندلس التى كان أهلها لا يحيون ولا يصدون فى وجه أعدائهم إلا بما يرد عليهم من الاقوات والغزاة وسائر أنواع المدد الذى يوجهه اليهم اخوانهم المغاربة من وراء البحر .

على أن أيام الدولة العبدالوادية — الزيانية التى تتداخل مع أيام بنى مرين سيما طيلة القرن الثامن — لم تكن شؤماً كلها ، فقد نعمت فيها تلمسان والبلدان التابعة لها بفترات هدوء انصرف فيها السلاطين الى البناء والتشييد وتنمية الصناعة والتجارة والفلاحة وتشجيع الفقهاء والأدباء والعلماء ، واشتهرت تلمسان على الخصوص بمابنى فيها فى هذا العصر من قصور سلطانية ، ودور ربيعة ومساجد فخيمة ومدارس أنيقة ما زالت بقيتها التى سلمت من التخريب والخراب تذكر اليوم بعظمة الماضى ، كما اشتهرت تلمسان بانتشار العلم فيها واقبال طلبة الآفاق عليها للتعلم بها وظهور شخصيات علمية وأديبة عظيمة كانت زينة المجالس وبغية المؤانس ، وكان من بين ملوك بنى عبد الواد أنفسهم من أخذ نفسه بالتأليف وجادت قريحته بالشعر البليغ .

وفى العصر العبد الوادى — المرينى لم يبق المغرب الأوسط وطن زبانة وحدها فقد خالطتهم فيه القبائل العربية التى قطعت به أشواطاً فى طريق التعريب وصارت صاحبة الكلمة فى سهوله ، كما طرأت فى هذا العصر عليه عناصر جديدة من غز وأندلسيين ، وهؤلاء على الخصوص كان لهم تأثير لا يزال الى اليوم ظاهراً على المجتمع فى بعض المدن .

الحكم التركي

1516 — 1830

ظهر فى بداية القرن السادس عشر قائدان بحريان مسلمان بالبحر الأبيض المتوسط يعملان لحسابهما الخاص مع جماعة من القزاة الأتوياء ، فكانا يعترضان بسفنهما الجهادية السفن النصرانية ويغلمان ما فيها من ناس ومتاع ، كما كانا يعرجان على سواحل اسبانيا الجنوبية فينتقلان مسلمى الأندلس

المضطهدين الى السواحل الاسلامية ، وقد طارت شهرة هذين القائدين الأخوين (عروج - خير الدين) بسبب ذلك وبعد صيتهما حتى تشوفت اليهما أنظار أهل المغرب الأوسط الذين كانوا يعيشون من جراء الاحتلال الإسباني لمراسيهم في ذلة وهوان .

وكان أول اتصال بينهم وبينهما على يد أهل بجاية الذين أرسلوا اليهما وفداً يطلب مساعدتهما على انقاذ مدينتهم من أيدي الأسبانيين ، فلبى عروج الطلب وجاء لمهاجمة بجاية سنة 1512 ولم يمنعه من احتلالها الا اصابته بفضيحة اسبانية نتج عنها بتر ذراعه ، فانسحب وعاد الى مهاجمتها مرة ثانية بعد سنتين ، ولما لم يحصل هذه المرة على طائل قرر الانسحاب الى مرسى جيجل والاستقرار به لمراقبة الحالة وانتظار القرص المواتية ، وهناك جاءه وفد عن سكان مدينة الجزائر يستنجد به لهدم الحصن الذي بناه الأسبانيون بأحدى الجزر الصغيرة الواقعة في مدخل المرسى فجاء لنصرتهم ، ولكنه عجز عن احلال الحصن ، فاحتل مدينة الجزائر بدله ، وقتل أميرها وأعلن نفسه سلطاناً عليها ، وحاول الأسبانيون أن يقصوه بكل قواهم فاندحروا أمامه شر اندحار ، واثّر ذلك شرع عروج في توسيع حدود سلطنته ، وتمكن بسهوله من احتلال تلمسان (1517 - 923 هـ) والوصول الى الحدود المغربية ، ولكن الزيانيين ملوك تلمسان طردوه منها باعانة الأسبانيين الذين نصبوا له كميناً بمكان قريب من الوادي المالح جنوبي غربي وهران فقتلوه (1518) واحتزوا رأسه وأرسلوه الى اسبانيا فطيف به في مدينتها تسكيناً للرعية التي كانت ترتعد فرائصها من ذكره ، وسمى المكان الذي قتل فيه بشعبة اللحم لكثرة ما تنثر فيه من أشلاء وجثث المتقاتلين .

ولكن هذه المصيبة لم تشن عزم جماعة عروج عن مواصلة العمل الذي بدأته في المغرب الأوسط ، فاعلنت خير الدين الملقب في كتب التاريخ ببارباروشا - أي ذو اللحية الشفراء - أميراً بالجزائر ، وكان خير الدين رجلاً عاقلاً رأى أنه لا يستقيم له أمر ان يبقى يعتمد على جماعته وحدها ، فكتب الى السلطان سليم الأول العثماني يعلن له ولاءه ، ويضع الأراضي التي فتحها هو

وأخوه بالشمال الافريقي تحت سلطته ، فابتهج لذلك السلطان سليم وبعد اليه يشكره على صنيعه ، ورقاه الى رتبة بايلارباي أى باي البايات . وأمره بالعين من الجنود النظاميين المزودين بالمدفعية ، وأربعة آلاف من المنطوعين الأناضوليين ، فقوى بذلك جاسب خير الدين الذى أصبح والياً عثمانياً وليس اميراً مستقلاً كما كان أخوه عروج . ودل ذلك على بعد نظره ومهارته السياسية .

وواجهت خير الدين في البداية مصاعب كثيرة من الداخل والخارج ، فقد شدد عليه الاسبانيون الحصار ووالوا الغارات بدون طائل ، وثار ضده بالداخل زعيم من أهل البلاد يدعى احمد بن القاصي فاضطره الى الانسحاب من مدينه الجزائر الى جزيرة جربة ولكنه عاد سنة 1525 الى مهاجمة سواحل المغرب الأوسط فاستولى على مدينة الجزائر وعدد من المدن الأخرى ، ودك بالمدايع الحصن الاسباني على رأس حاميته يوم 27 مايو 1529 واجتنباً لما عسى أن يحدث من عودة الاسبانيين اليه قرر بناء رصيف يصل الساحل بالجزر المسارة أمامه (29) فكان ذلك الرصيف أصل مرسى الجزائر الحالي ، ثم ذهب خير الدين الى تونس سنة 1533 ففتحها وقضى على سلاطينها الحفصيين الموحدين ، وفي العام التالي جاء كارلوس الخامس (شرلكان) ملك اسبانيا فاستولى عليها فذهب خير الدين الى جزر الباليار وأمن فيها قتلاً وأسرًا وتخريباً ، فكانت هذه بتلك .

و اثر هذه الانتصار عظم خير الدين في عين السلطان العثماني فاستدعاه الى اسطنبول سنة 1536 ورقاه الى رتبة قبطان باشا وعينه قائداً عاماً للأسطول العثماني تقديراً لأعماله ، فخلفه حسن آغا (36 - 1543) الذى هزم الامبراطور كارلوس الخامس (شرلكان) وجيشه أمام أبواب الجزائر يوم 23 أكتوبر سنة 1541 هزيمة شنيعة ، وغنم الجنود الأتراك جميع أسلحته وأمتعته ، فلم تعد دولة أوربية تحدث نفسها منذ ذلك التاريخ بالاستيلاء على المغرب الأوسط ، وازدادت محبة السكان للأتراك لأنهم رأوا فيهم المنقذين الحقيقيين ، وفي سنة

(29) هذه الجزر التي أعظم في رصف المرسى هي أصل تسمية الجزائر بالجزائر .

1544 عين حسن باشا بن خير الدين والياً على المغرب الأوسط ، فصرف عنايته الى الناحية الغربية ، وهاجم الاسبانيين في وهران واستولى على تلمسان ثم تخلص عنها (1547) وذهب لانقاذ مستغانم التي كان يحاصرها الخنرال الاسباني الكونت دالكاوديتي الشهير حاكم قلعة وهران ، وخلال ذلك استنجد التلمسانيون بالشرفاء السعديين الذين صفا لهم ملك المغرب فجاء سلطانهم محمد الشيخ الملقب بالمهدي واحتل تلمسان في 9 يونيو 1550 (23 جمادى الاولى 957 هـ) ومن هناك توجهت محلة مغربية تحت قيادة أحد أبنائه فاستولت على مستغانم ، وبسطة الحكم المغربي على جميع مدن شلف ، ولكن حسن باشا أرسل جيشاً عظيماً تحت قيادة قائد أوربي الأصل يدعى حسن قورصو فاستعاد مستغانم وطارد الجيش المغربي الى سهول أنكاد ، ولما عاد الى تلمسان قتل عدداً كبيراً من أهلها واستولى على جميع ما بها من ذخائر وامتعة ، ونصب على عرشها سلطاناً زيانياً اسمه مولاى الحسن بن عبد الله الثاني وأقام بجانبه حامية عسكرية دائمة ، ثم بدأ للأتراك فخلعوا هذا السلطان سنة 1554 (962 هـ) فكان ذلك آخر العهد بسلاطين بني زيان العبد الواديين .

وجاء بعد حسن باشا صالح رايس أحد أعوان أبيه خير الدين ، فاتجه بعتواته نحو الغرب والجنوب ، وحدثت بينه وبين الملوك السعديين حروب كثيرة ، واسترد سنة 1555 مدينة بجاية من الاسبانيين ، وطردهم من المهديّة في العام التالي واستولى على طرابلس ، وبعد موته حدث خلاف بين فرق الجيش التركي ، وبلغ الأمر بقواده الى رفض قبول الوالي الجديد الذي عينه السلطان . ولم يعد المياف الى مجاريها الا عودة حسن باشا بن خير الدين الى الولاية في شهر يونيو 1557 فوطد دعائم السلطة ، ثم هب لانقاذ الحامية التركية التي كانت تحاصرها القوات المغربية بشور تلمسان ، وفي سنة 1558 ألحق بالاسبانيين هزيمة شنعاء بمستغانم قتل فيها الكونت دالكاوديتي حاكم وهران وقتل فيها وأسر من جنودهم أكثر من عشرة آلاف ، كما أباد أسطوله الذي كان يقوده درغوث باشا الأسطول الاسباني (الأرمادا) بساحل جربة ، وبعد محاولات عديدة لفتح وهران استدعى الى اسطمبول (1567) حيث عينه

السلطان فائداً عاماً (قبطان باشا) للأسطول التركي وهو المصعب الذي تولاه أبوه من قبله ، فخلفه علج على الايطالى أصلاً وهو آخر الولاة العثمانيين الذين كانوا يحملون لقب بايلارباي . احتل تونس وقضى على بقايا الدولة الحفصية ، ونظم الأسطول وقواه فأصبح يبعث الرهبة في قلوب الأوربيين ، واشترك بنفسه في عدة وقائع بحرية بين الأسطول العثماني والأساطيل الأوربية ، ثم استدعى الى اسطمبول وأسندت اليه قيادة الأسطول وبقي يحكم الجزائر من هناك بواسطة أعوانه الى ان توفى سنة 1587 .

وبموت علج على رأى سلاطين آل عثمان أن الوقت قد حان لتنظيم الأقطار المغربية المفتوحة (طرابلس - تونس - الجزائر) على أسس ادارية حديثة ، فقد استتب الأمر للدولة التركية ، وكفت الدول الأوربية عن محاولاتها لاحتلال الشواطىء المغربية بعد الهزائم المتتالية التي لحقتها منذ ظهور الأتراك بغرب البحر المتوسط واستقرارهم بصفته الجنوبية ، فألقوا منصب البايلاى وأخذوا يرسلون الى الجزائر والياً يحمل لقب باشا يحكمها مدة ثلاثة أعوام ثم يرجع الى تركيا ويخلفه وال جديد . وقد أدى هذا التنظيم الى اقبال الماشوات على الاستغناء وجمع الأموال لحسابهم الشخصي سواء عن طريق القرصنة البحرية أو فرض الضرائب وجمع الهدايا بمناسبة وغير مناسبة . كما أدى أيضاً الى حدوث استياء في أوساط الجيش والأسطول التي كانت ترى نفسها أحق بحكم البلاد من الباشوات الآتين من اسطمبول ، وقد تفاحش هذا الاستياء الى درجة فقد معها الباشا بالتدريج كل سلطة على ولايته حتى أصبح مجرد ممثل شرفي للسلطان ابتداء من سنة 1659 عندما اجتمع الانكشارية وقرروا أن تكون السلطة التنفيذية بين أيدي الاغوات (رؤساء الجند) على أن يتولاها احدهم كل شهرين على التعاقب ، فكان من نتيجة هذا النظام الفوضوى العجيب انه لم ينبج من نعمتهم أى واحد من رؤسائهم الذين تعاقبوا على الحكم ما بين سنة 1659 وسنة 1671 بل قتلوا جميعهم بأيدي جنودهم من غير استثناء ، واذ ذاك استولى على الحكم رؤساء الأسطول (الرياس) ووضعوا للحكم نظاماً يقتضى أن يتولى واحد منهم الحكم مدى الحياة ويلقب بلقب (الداى) ولما رأى السلاطين

العثمانيون أنهم لا يطيقون فرض ارادتهم كفوا عن ارسال الباشوات الى الجزائر ، واكتفوا بارسال الخلع والفرمانات لكل داي يوليه الديوان ، على ان انتخاب الديوان ومصادقة السلطان (الباب العالي) لم يكونا كافيين لحماية الدايات من بطش الجنود الذين تعودوا الفوضى والثورة لادنى سبب ، وكان هؤلاء الجنود اذا عزموا على الثورة خرجوا من معسكراتهم وبين ايديهم قدور الطبخ مقلوبة على وجوعها ، وقصدوا قصر الداي فيقبضونه ويطردونه او يقتلونه وينصبون غيره فى مكانه الى ان يجيئ دوره .

ورغم كل هذا الخلل والفوضى فقد امتاز بعض الدايات بشدة الحزم وقوة الارادة وحسن السياسة ، كالداي محمد بكداش الذى طرد الاسبانيين من المرسى الكبير وهران سنة 1708 ، والداي محمد بن عثمان الذى طردهم منها مرة ثانية سنة 1791 بعدما كانوا رجعوا لاحتلالها سنة 1732 .

وخلال تلك السنين كانت الحروب لا تخمد نارها بين بايات تونس ودايات الجزائر ، وبين هؤلاء وسلاطين المغرب الأقصى ، وقد تقدمت قوات السلطان مولاي اسماعيل داخل التراب الجزائرى مرتين سنة 1691 وسنة 1701 وكان قصد مولاي اسماعيل رفع الضرر عن المسلمين بطرد الاسبانيين من وهران ، ولكن مولاي اسماعيل تراجع الى داخل حدود مملكته تحت ضغط قوات الداي شعبان فى المرة الأولى وضغط الداي الحاج مصطفى فى المرة الثانية من جهة ، واحتراماً للأوفاق المعقودة مع سلفه من قبل والتي تجعل نهر تافنا حداً فاصلاً بين الأيالتين من جهة أخرى .

اما العلاقات مع الدول الأوربية فكانت سيئة فى أغلب الأحوال بسبب مطاردة أسطول الدايات للسفن الأوربية ووجود عدد كبير من الأوربيين أسارى بالجزائر ، وقد كانت تحدث بسبب ذلك اصطدامات بحرية وهجمات برية اشتركت الولايات المتحدة نفسها مرة فى بعضها سنة 1815 .

وفى بداية القرن التاسع عشر كانت فرنسا ثملة بخمر ثورتها على ملوكها واصبارات قواتها بقيادة نابليون ، فعزمت على احتلال الجزائر رغم أن

الدايات ساعدوا نوار فرنسا بالميرة وأقرضوا حكومة الديريكووار (30) مبلغ مليون فرنك من غير فائدة ، وقد اغتسمت فرنسا فرصة مطالبه الداي حسن (1818 - 1830) لفصل فرنسا ديفال Deval بالديون التي بثمة دولته ولطمه اياه بمروحة كانت بيده ثلاث مرات بعدما أساء الرد عليه ، فمطمت علاقاتها مع الجزائر وأرسلت تجريدة عسكرية تطلب من الداي أن يعتذر فرفض ، فضربت حصاراً على الجزائر رد عليه الداي بتخريب مركزها التجارى بالقالة ، واذا ذلك قررت فرنسا غزو اياالته فخرج أسطولها من مرسى طولون يوم 25 مايو 1830 متجهاً نحو الجزائر ، فوصلها يوم 31 منه ، ثم تحول عنها الى شبه جزيرة سيدي فرج التي تبعد عنها 25 كلم غرباً ، ونزل الجنود الفرنسيون الى البر يوم 14 يونيو ، ثم تقدموا نحو الجزائر حتى استولوا على الكسى المشرفة عليها ، وأرسلوا الى الداي صك الاستسلام ليوقله ، فوقه يوم 5 يوليو بعد ان اشترط على الفرنسيين حفظ أمواله والاذن له بمغادرة البلاد الى حيث يشاء . واحترام الشعائر الدينية للمسلمين ، فقبلوا شروطه ، وأمر جنوده بالكف عن المعارمة فاحتل الفرنسيون الجزائر بغير قتال .

انتهى الحكم التركى للجزائر بعدما استمر أزيد من ثلاثة قرون ، وادا ذكرت محاسنه فمن أعظمها أنه أنقذ مراسيها من الاحتلال الاسباني واعطاها كياناً جغرافياً محدداً واسماً دولياً مميزاً ، ولقت البها أنظار العالم وجعلها حديث كل لسان لما كان يقوم به أسطولها من مغامرات حريته . وتبع به مدنها الساحلية من أسارى ، وقد نظم العثمانيون البلاد الجزائرية تنظيماً حكومياً وإدارياً لا عهد لها به من قبل ، فكانت السلطة التنفيذية بيد الوالى الذى ينتخبه قواد القوات البرية (الانكشارية) وقواد القوات البحرية (طائفة الرياس) يساعده ديوان لا يبرم أمراً أو ينقضه بدون استشارته وموافقته ، اما الادارة الاقليمية فكانت تحت سلطة بايات يعينهم الوالى على مقاطعات قسنطينة وتيطرى (المدينة) ووهران بينما كان هو يحكم مقاطعة الجزائر

(30) نظام حكومى قام فى فرنسا من 27 أكتوبر سنة 1795 الى 9 نونبر سنة 1799 وقد تلب نابليون هذا النظام الى نظام يعرف بالنظام القصى .

سعسه ، وكانت القوة العسكرية تتركب من الجند العثماني المشتمل على التركي والأرمني واليوناني والسلافي والأرناؤوطى وحتى الايطالى والكورسيكى والاسبانى ، ومن قوات مساعدة تشتمل على عرب وبربر من أهل البلاد يقودها ضباط عثمانيون .

أما مساوىء هذا الحكم فانها تجل عن الحصر ، ومن أعظمها انه كان حكماً طاغياً عنصرياً لا يختلف فى شيء عن الحكم السائد الآن ببعض الأقطار الافريقية ، تجرع أهل البلاد فى ظله الصاب والملقم ، اذ أقصاهم عن الوظائف والحياة العمومية باستثناء بعض الوظائف الدينية فى حين كان المتظاهرون بالاسلام من طليان ويونان وأرمن يرتقون بسهولة الى منصب الوالى وقائد الجند ورئيس الأسطول وأمين المال ، وحوربت اللغة العربية وحلت محلها فى الدواوين اللغة التركية وضعف التعليم ففاض معين الثقافة وصوح نبت الترسل والشعر والتأليف ، وفى العصر التركي دخلت الى الحزائر عناصر بشرية جديدة مشتملة على كل الأجناس التى كانت خاضعة للحكم التركى بأوروبا وآسيا وافريقيا ، وقد تزوج بعض هؤلاء الطارئین على البلاد من نساها فولدوا جيل (الكورغليين) الذين لم يسلموا هم أيضاً من احتقار الأتراك الأقحاح واستصغارهم بسبب الدماء العربية التى تجرى فى عروقهم من جهة أمهاتهم كما دخل اليها المذهب الحنفى وبعض الطرق الصوفية الواردة معهم من الشرق ، أما الأناز العمرانية فأكثرها كان منشآت حربية وأقلها كان قصوراً ومساجد وحدائق وحمامات .

دول المغرب الأدنى :

الدولة الأغلبية

800 - 909

كان ابراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي عاملاً على مدينة طبنة عندما نار الناس بالقيروان على والى افريقية من قبل بنى العباس محمد بن مقاتل

العكى رصيع هارون الرشيد سنة 799 (183 هـ) فاستنجد الوالى بالعامل فخرج معه لقمع الثائرين فعاد الوالى منتصراً الى مقر ولايته ، ولكن الرعية بقيت على كراهيتها له ، وعملت على خلعه بمدخلة العامل ابراهيم بن الأغلب ، فكتب ابراهيم فى ذلك الى الخليفة ملزماً بدفع 40.000 دينار مسانحة الى بيت مال الخلافة ببغداد ، واسقاط 100.000 دينار التى كانت خزينة الخلفاء تمد بها الامارة بالقيروان ليستعين بها الوالى على تدبير امور افريقية وسائر المغرب وينفقها فى المصالح العمومية ، وبعدما استشار الخليفة اهل شوره اشاروا عليه بقبول ذلك تخفيفاً عن كاهل الخلافة الذى اعياء تدبير امبراطورية تترامى اطرافها ما بين الهند والصين شرقاً والمحيط الاطلسى غرباً ، ودفعاً للدعوتين العلوية والمروانية اللتين اقامهما بالمغرب الأقصى والاندلس ادريس بن عبد الله الكامل الحسنى ، وعبد الرحمان الداخل الأموى ، وصدر أمر هارون الرشيد وسط حمادى الثانية عام 184 هـ (يوليوز 800 م) باقالة محمد بن مقاتل العكى عن ولاية افريقية واسنادها الى ابراهيم بن الأغلب وجعلها وراثية فى عقبه مع محه سلطات واسعة فى التصرف ، فكان ذلك اعترافاً ضمناً من الخلافة باستقلال المغرب الذى كانت بعض أقطاره وجهاته استقلت فعلاً من غير ان تنتظر من خلفاء بغداد ان ينعموا عليها بالاستقلال .

واقام ابراهيم أميراً اثنى عشرة سنة نظم فيها امارته ، وبنى الفصر الكبير (العباسية) على بعد ثلاثة أميال من القيروان ، ونقل اليه سلاحه وسكنه بحاشيته ، وكان فقيهاً أدبياً حسن السيرة رؤوفاً بالرعية ، ولما توفى سنة 811 (196 هـ) خلفه ابنه عبد الله المكنى بابى العباس ، فأحدث عدداً من الضرائب نفرت منه الرعية ، وبعد خمسة أعوام وبضعة أشهر من ولايته توفى (817 - 201 هـ) فخلفه أخوه زيادة الله الذى كان عالماً أدبياً ضم اليه العلماء وادنى منه أهل المعارف ، وهو الذى أغزى اسطوله وجيشه صقلية سنة 827 (212 هـ) تحت قيادة القاضى الشهير أسد بن الفرات ، ولما أراد منه الخليفة المامون العباسى ان يدعو لعبد الله بن طاهر بن الحسين والى مصر رفض ذلك بشم ، وناول رسول الخليفة كيساً فيه ألف دينار أكثرها مضروب باسم الأدارسة ملوك المغرب الأقصى ففهم الخليفة أنه تلويح بتحويل الدعوة اليهم

إذا ألح عليه في ذلك ففض عنه الطرف ، وكانت وفاة زياده الله سنة 838 (223 هـ) فنوالى الأمراء من آل الأغلب بعده ، من أشهرهم تاسعهم ابراهيم بن أحمد (875 - 902) الذي اشتهر بكثرة سفكه للدماء . قتل حتى بنائه وخاصة جنده فكان ذلك سبب انحلال دولته . وهو الذي نقل العاصمة الى تونس وبنى قصبتها واتخذ بها القصور والمباني ، وأبو مضر زيادة الله بن عبد الله الذي هزمه الداعية العبيدي أبو عبد الله الصنعاني سنة 908 (296 هـ) فلم ير بعدها بدأ من اسلام البلاد اليه . وجمع آلهم وماله وغادر افريقية متوجهاً الى طرابلس ومصر فمنعه عاملها من الدخول اليها ثم اذن له الخليفة العباسي بالاقامة بالرملة فأقام بها الى ان توفي سنة 915 (303 هـ) على أسوأ حال . وانقضت بخروجه من المغرب الأدنى دولة الأمراء من بني الأغلب بعد ان دامت III سنة .

كانت الامارة الأغلبية دولة عربية دماً ولحماً ، ظلت تعترف بالتبعيه للحلافة العباسية ولكنها كانت في الحقيقة تتمتع بكامل الاستقلال ، وقد أعادتها العلاقات الطيبة مع بغداد فوائد كثيرة سواء في التنظيم أو التحضير أو التعريب ، اذ كانت الوفود السياسية لا يفتأ غادية راتحة بين القيروان وبغداد ، كما كان طلبة العلم من أهل افريقية يقابلون بترحاب في مدارس العراق ثم يعودون الى بلدهم مملوئي الوطاب علماً وأدباً ، وقد كاد المذهب الحنفي يستتب في افريقية بسبب ذلك لولا أن أنصار المذهب المالكي بالمغرب الأقصى والأندلس والقيروان نفسها بذلوا مجهودات قوية لنشره وتعميمه حتى اختلفت أمامه سائر المذاهب .

وكانت حدود الامارة الأغلبية تمتد من طرابلس شرقاً الى الزاب وجبال كتامة (زواوة) غرباً ، وبقيت القيروان وما بنى بضواحيها عاصمة للامارة الى ان انتقل أحد الأمراء الى تونس فاستقر بها ، وكان الأمراء يستعينون على الحكم بموظفين ساميين ، فكان لهم وزير وحاجب وصاحب شرطة وبريد وجباة للزكاة والضرائب ، وقواد للجيش والأسطول ، أما القضاء فكان مقدساً وقضاء افريقية في ذلك العصر نوادر في العدل والنسوية في الأحكام بين

الأمير والمامور ، وقد بلغ من أعمىة القضاء أن أسد بن القراب لما ولاه زيادة الله بن الأغلب قيادة الجيش والأسطول عند غزو صقلية عد ذلك خطأ لمرتبته ، وقال لزيادة الله : أصلح الله الأمير : أبعد القضاء والظر في الحلال والحرام تعزلى وتولينى الامارة ؟ ولم تطب نفسه حتى أخبره زيادة الله انه قاض وأمير ؟

وكان أمراء بنى الأغلب على ولوعهم بالخمر والفناء والصيد مولعين بالبناء والتشييد ، فقد أصلحوا مسجد عقبة بالفيروان وبنوا القصر القديم ورقادة بضواحيها ، وجددوا بفاية ويلزمة ، وعمرؤا توس وبنوا قصبتها وجامعها الكبير (الزيتونة) وعدداً كثيراً من المساجد والحصون والمحارس والربط ، وكانت مجالسهم فى نطاقها الضيق تشبه مجالس خلفاء بغداد فى نطاقها الواسع ، يكثر فيها انشاد الشعر ولحن الفناء ويجتمع فيها الشعراء والأدباء ، وكان لهم جيش قوى وأسطول كبير استطاعوا به غزو صقلية ، ولم يسيء الأغالبة الى دولتهم بشيء كما أساءوا اليها بظلم الرعية وتكثير الضرائب والغاء الزكاة الشرعية التى كانت تطيب بها النفوس ، وامعان بعضهم فى سفك الدماء حتى ان منهم من قتل بناته وبطانته وحرسه الخاص . فلم تطق دولتهم بسبب ذلك الصمود فى وجه بنى عبيد .

الدولة العبيدية

909 - 972

ولد عبيد الله الملقب بالمهدى الذى تنتسب اليه الدولة العبيدية ببلاد المشرق سنة 873 (260 هـ) وهو من نسل الحسين بن الامام على بن أبى طالب على ما أكده ابن خلدون فى تاريخه ، ولما كبر بدأ حركته فى مدينة السلمية الصغيرة الواقعة قرب حماة بسوريا ، وبنى خطته السياسية على فكرة القول بظهور الامام المهدى الذى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وهى فكرة طالما استعملها الشيعة لجمع الناس حول آل البيت واثارتهم على ملوكهم بنى امية ثم بنى العباس .

وكان من جملة الدعاء الذين أرسلهم عبيد الله الى الأقطار الإسلامية لبث دعوته الداعي أبو عبد الله الصنعاني الذي كان المغرب من حظه ، فجاء مع حجاج لميهم بمكة سنة 893 ونزل معهم بحصن ايكجان بتراب قبيلة كفاة المستقرة بشرق جبال البابور بين مدن جيغل وسطيف وقسنطينة ، وهناك شرع يبيت دعوته التي وجدت من البربر آذاناً صاغية وقلوباً واعية لشدة تعظيمهم لآل البيت ، ولما استوثق له الأمر جهر بالدعوة وأعلن الثورة على بني الأغلب وأرسل الى عبيد الله المهدي يستقدمه وكان يومئذ مختفياً بمصر بعدما فر إليها من الشام لما طلبه الخليفة العباسي المكتفي ، وشرع في احتلال مراكز حكم ولاية بني الأغلب فاستولى على ميله أولاً سنة 902 ثم على سطيف سنة 904 وعلى طبنه وبلزما في السنة التالية . وأثناء ذلك خرج عبيد الله المهدي الى المغرب صحبة ابنه أبي القاسم وأبي العباس أحمد الصنعاني أخى داعيته وكانوا جميعاً في زى التجار ، وطارده ولاية بني العباس وجواسيسهم فلم يته به المطاف الا في سجلماسة بأقصى المغرب ، فأكرمه أميرها اليسع بن مدرار ، ثم اعتقله وابنه في غرفة داخل داره بعدما وردت عليه كتب الخليفة العباسي والأمير الأغلبى بالقبض عليه .

وواصل أبو عبد الله الصنعاني حروبه ضد بني الأغلب ، ودارت المعركة الفاصلة بينه وبين آخرهم زيادة الله الثالث بالأربص سنة 909 (296 هـ) ثم احتل رقادة يوم 27 مارس سنة 909 (26 جمادى الثاني 296 هـ) بعد ان تخلى عنها زيادة الله وفر الى المشرق ليموت فيه بثيساً .

وكان أول عمل بدأ به الداعية بعد قضائه على بني الأغلب هو السعي في تخليص عبيد الله من الأسر ، فخرج في جيش كثيف متوجهاً الى المغرب ، وعرج في طريقه على تيهرت فمحامنها دولة بني رستم . ثم واصل زحفه نحو المغرب وكتب الى اليسع بن مدرار متلطفاً مخافة على عبيد الله وابنه الحبيسين بداره ، فقتل اليسع الرسل وخرج للقائه ، فانهزم وقتل ، ودخل أبو عبد الله الداعي الى سجلماسة ، واستخرج عبيد الله من مكان ثقافه ، فلما رآه ترجل وبكى ، ومشى بين يديه حتى أوصله لمحلته وسلم الأمر اليه ثم رجع معه الى القيروان وأنزله برقادة في شهر يناير 910 (ربيع الثاني 297 هـ) .

وأمسك عبيد الله مقاليد الدولة في الحين ، وجمع الفقهاء في رفاة ناني يوم دخوله إليها ، فتلقب بالمهدي وتسمى بأمير المؤمنين وأخذ العهد لولده أبي القاسم وألف حرساً خاصاً من العبيد يبلغ عدده 12.000 مملوك ما بين رومي وحشبي ، وجيشاً قوياً من رجال كتامة ، واستفاد كثيراً من الجهاز الإداري الأغلب الذي بقي قائماً ، فاستقر الولاة الجدد بالمدن والقرى دون صعوبة . وواصلت الدواوين والمكاتب الإدارية أعمالها العادية ، وبدأت الجبايات تتدفق من مختلف أنحاء البلاد على بيت المال كذي قبل ، وبالجملية برهن عبيد الله المهدي من الساعات الأولى على أنه رجل دولة ممتاز حتى أنه لم يستعص عليه قتل داعيته أبي عبد الله الصنعاني وأخيه أبي العباس سنة 911 (208 هـ) لما راما الاستبداد عليه وبدأ يستنقصانه .

وبعد ما أخذ المهدي بعض العتق أنشأ عاصمة جديدة بالساحل سماها باسمه (المهدي) وانتقل لسكنها سنة 921 (304 هـ) وأثر ذلك شرع في تحقيق الحلم الذي كان يستبد دائماً بفكره . وهو أن يصحح خلیفة على المسلمين قاطبة ، فارسل حباسة بن يوسف إلى المشرق فاستولى على كثير من البلدان ، ثم وجه ابنه أبا القاسم مرتين إلى مصر فاستولى على الاسكندرية وبلغ الفيوم ورجع ، ولم يزل عبيد الله المهدي آمناً مظفراً إلى أن توفي سنة 934 (322 هـ) فقام بالأمر ولى عهده ابنه أبو القاسم محمد الملقب بالقائم بأمر الله الذي كان على سنن أبيه نجدة وحزماً وتورعاً ، فقوى الجيش والأسطول ، واستولى على مدينة جنوة بإيطاليا ، وبنى مدينة المسيلة التي يسميها الشيعة (المحمدية) ، وثار عليه مخلد بن كيداد اليفرنى المعروف بصاحب الحمار ، وكان خارجياً نكاريًا يسب علياً وشيعته ، فاستولى على القيروان وتونس واستباحهما ، وتوفي القائم بأمر الله سنة 946 (334 هـ) ومخلد صاحب الحمار على حصار سوسة ، فخلفه ابنه أبو الطاهر اسماعيل الملقب بالمنصور ، ولكنه كتم موت أبيه حتى قضى على الناصر الخارجي (947 - 336) وأثر وفاته أعلن المنصور للناس موت أبيه . وأمر ببناء مدينة صبرة على بعد ميل من القيروان سماها المنصورية وانتقل لسكنها سنة 948 (337 هـ) وشرع بعد ذلك في تجهيز الأساطيل لغزو أوربا فأتيحت له مغامرات وفتوحات لم ينعم بها طويلاً لأنه

توفي سنة 953 (341 هـ) متأثراً من علة الأرق التي ابتلى بها ، فخلفه ابنه معد بن اسماعيل المكنى بأبى تميم والملقب بالمعز لدين الله ، وكان سياسياً كيساً يحلى بما يحب ان يتحلى به الملوك من صفات تجتذب القلوب وتصلح للناس ، وهو الذى وجه قائده جوهر الصقل الى المغرب الأوسط والمغرب الأقصى سنة 958 (347 هـ) فسار مدوخاً قبائلهما حتى وصل الى فاس فاستولى عليها . ثم توجه الى تطاون (تطوان) ومنها الى سبتة فتعسر عليه فتحها فقصده سبجلماسه واستولى عليها وقتل محمد بن الفتح الشاكر لله أميرها واناء وجهته هذه فر الحسن بن كنون الادريسي أمامه والتجأ الى قرطبة ، وبعد سنة عاد جوهر الى افريقية .

وفى شهر غشت سنة 972 (شوال 361 هـ) خرج المعز لدين الله من المنصورية راحلاً الى المشرق ونزل معه جميع أمتعته وذخائره ، واستخلف على افريقية وسائر أملاك العبيديين بالمغرب بلكين بن زيرى الصنهاجى ، فكان ذلك بداية ملك الصنهاجيين من آل زيرى بالمغرب الأدنى .

لم تكن أيام بنى عبيد الذين أصبحوا بعد انتقالهم الى مصر يسمون بالفاطميين طويلة بالبلاد المغربية ، لأن غايتهم كانت من الساعة الأولى هي الاستيلاء على الشرق واقتعاد كرسى الخلافة ببغداد . فلم يكن المغرب الا مرحلة أولى لقطع المراحل التالية ووسيلة لبلوغ غايتهم النهائية ، ولما عزم المعز عن الرحيل ضن على البلاد التي آوت أسرته ونصرتها حتى بجثت آباله التي اصطحبها معه فى توابيب كما اصطحب جميع آل عبيد الله جده لأن البلاد المغربية بالنسبة لهم وله بلاد أجنبية ، ونظراً لقصر مدتهم فى المغرب واشتغالهم بتمهيد اقطاره فان الآثار التي خلفوها به قليلة وأعظمها مرسى المهدية ومدينة المسيلة ، أما الفكرة الشيعية التي جعلوها محور دعوتهم فانها لم تلق قبولا كبيراً من طرف السكان الذين كانوا يتخلصون أيضاً من المذاهب الخارجية ليستمسكوا بمذهب أهل السنة ، والحقيقة أن الناظر فى سيرة ملوك بنى عبيد وقوادهم فى طور دولتهم الأول بالمغرب يجدها تنسم بالتناقض مثلما يجدها تنسم به فى طورها الثانى بالمشرق ، ولكن شيئاً واحداً كان يطبع

سبوكهم هنا وهناك أكثر مما عداه ، هو شدة البطش وقسوة الأخذ وكثرة
إرافتهم للدماء وإزهاقهم للأرواح .

الدولة الزيرية الصنهاجية

972 - 1160

ينتسب ملوك هذه الدولة الى صنهاجة احدى قبائل البربر البرانس
التي سيأتي التعريف بها ، وكان الفريق الذي ينتمي اليه منشئها يسكن ما بين
زواوة شرقاً وزناتة غرباً ، وأكبر معاقلهم جبل تيطرى الشهير الواقع جنوب
مدينة الجزائر .

ولما عزم المعز لدين الله أبو تميم معد العبيدي على نقل ملك بني
عبد الى الشرق فكر فيمن يكفيه لاستبقاء ما حازه من ملك المغرب ودفع من
يخشاه من ملوك المغرب الأقصى وأمراء زناتة المعقودة أيديهم بملوك بني أمية
بالأندلس ، فدلّه بعد نظره على اختيار رجل من قبيلة صنهاجة التي كان بينها
وبين زناتة عداوة عظيمة وحسائف طاهرة وكامنة ، كما كان لها تشيع كبير
وولاء مكين لبني عبيد .

وكانت رئاسه صنهاجة للامير زيري بن مناد باني مدينة أشير (31)
وهو أول من طهر منهم بالمغرب الأقصى وعقد الألوية وقاد الجيوش ، وأبلى
البلاء الحسن في قتال مخلد بن كيداد الخارجي صاحب الحمار مع المنصور
العبيدي ، فصار من أعيان شيعتهم وعظماء دولتهم ، فلما قرر المعز الرحيل الى
مصر أسند ولاية المغرب الى ابنه بلكين بن زيري ، وفوض اليه في أموره
ما عدى صقلية وطرابلس ، وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح ، ولقبه بسيف
العزیز ، وكتب الى جميع الولاة بطاعته .

(31) تقع هذه المدينة الى الجنوب الشرقي من مدينة البوافية ولا تزال أطلالها باقية الى
اليوم عند الكاف الأخضر على المنحدر الجنوبي الشرقي لجبال تيطرى ، وكان انشاؤها سنة
324 (936) .

وارتحل المعز من المنصورية يوم الاثنين 6 غشت سنة 972 (22 شوال 361 هـ) ورجع بلكين بن زيرى - بعد ما شيعه - الى مقر عمله ، فاتخذ وزيراً وفوص له ، واعاد تنظيم ادارة الولاية ، وكان أهم ما يقلقه مزاحمة المروانيين والادارسة وأمراء زناتة للدعوة العبيدية وتحالفهم ضدها ، وقد اضطر الى الذهاب بنفسه الى المغرب من افريقية يوم 28 مارس سنة 979 (25 شعبان 368 هـ) بجيوش ضخمة ، فسار حتى وصل الى فاس فاستولى عليها وأطاعه المغرب كله ولم تستعص عليه الا سبتة التى أيقن - لما شاهد مناعتها - انها لا تنال الا بالمراكب البحرية ، وأقام أبو الفتوح بالمغرب الأقصى يدير منه أمور ولايته من سنة 979 الى سنة 984 وكانت الرسائل والسجلات ترد عليه لفاس وغيرها مع البريد من مصر والأقاليم فيدرسها ويبحث أجوبته عنها الى القيروان بعد مدة قصيرة من تاريخ وصولها اليه ، ولما بلغه قيام الناصر خزرون الزناتى بسجلماسة رحل اليه واعتل فى طريقه بقولنج مات منه بعدما انفصل عن سجلماسة فى موضع بينها وبين تلمسان فى 25 مايو 984 (21 دى الحجة 373 هـ) فبويج بعده ابنه أبو الفتوح الملقب بالمنصور بمدينه أشير وبقي أميراً الى ان توفى يوم 26 مارس 996 (3 ربيع الأول 386 هـ) وقد حافظ خلال هذه المدة على ولائه للفاطميين ، وسعى فى إعادة المغرب الأقصى والمغرب الأوسط الى سلطانه بعدما انفصلا عنه اثر وفاة أبيه وأرسل لهذا الغرض أحاه يطوفت ولكن زيرى بن عطية المفراوى أجلاه عن فاس وهزم جنوده فلم يغموا الا بتبهرت ، وكان أبو الفتوح المنصور سياسياً وديعاً يقابل الثائرين عليه بالصفح ويستميل الناس اليه بالاحسان ، لا يستثنى من ذلك الا بطشه بوزيره عبد الله الكاتب وابنه يوسف لأمور نقمها (986 - 376 هـ) ولما توفى تولى الامارة ابنه وولى عهده باديس المكنى بأبى مناد والملقب فيما بعد بنصير الدولة ، فكثرت فى أيامه الطويلة الفتن والثورات والحروب وضيق عليه زيرى بن عطية المفراوى ملك فاس حتى آذاه الحال الى تولية عمه حماداً وتمليكه على ما يقتحه من الأراضي الغريبة فانقسم ملك بني زيرى الصنهاجيين الى قسمين : قسم بالقيروان ، وقسم بالقلمة التى بنها حماد ونسبت اليه ، وكانت وفاته سنة 1016 (406 هـ) فتولى بعده ابنه المعز بن باديس الذى خلع دعوة

الفاطميين وأتكر المذهب الشيعي وسائر المذاهب الأخرى وحمل الناس على مذهب الامام مالك بن أنس ، فأشار الوزير على اليازورى على المستنصر الفاطمي أن يسرح إليه عرب **هلال** و **سليم** ليكفوه مخالفته ، فأباح لهم عبور النيل ودخول برقة والمغرب ، فجاز منهم ما لا يقل عن نصف مليون نسمة ، وتقدموا إلى المغرب ناهيين مخربين واشتدت وطأتهم على البلاد وسكانها حتى اضطروا المعز إلى التخلي لهم عن القيروان (1057 - 449) والالتجاء إلى المهديّة حيث توفي سنة 1062 (454 هـ) فخلفه ابنه تميم بن المعز ، فأبناه يحيى بن تميم (1108 - 501 هـ) ثم على بن يحيى (1116 - 509 هـ) ثم الحسن بن على (1121 - 515 هـ) الذى كثر عيث النورمانديين فى شواطئ المغرب الأدنى على عهده ، ولم ينقذ البلاد التونسية من الفوضى والوهن الا استيلاء القوات المغربية عليها سنة 1160 (555 هـ) بقيادة عبد المومن بن على الذى أبقى الحسن المذكور والياً على المهديّة حتى استقدمه يوسف بن عبد المومن إلى المغرب فتوفى فى الطريق سنة 1171 (566 هـ) .

كانت أيام بنى زيرى الصنهاجيين فى بدايتها امتداداً لآيام بنى عبيد الدين أسندوا اليهم الأمر ورحلوا إلى المشرق ، ولكن بنى زيرى يدهوا يشعرون مع مرور الزمان بأنهم فى حاجة إلى اعلان استقلالهم ، ولم يكن يؤخرهم عن الجهر بذلك الا اشتداد الصراع بينهم وبين أقتالهم الزناتيين ملوك فاس ، ذلك الصراع الذى كان فى حقيقته قبلية بين صنهاجة وزناتة أكثر منه دينية بين الشيعيين والسنيين وسياسياً بين العبيديين والمروانيين ، حتى جاء المعز بن باديس فنبد الدعاء للخليفة الفاطمي ودعا للقائم بأمر الله العباسي وأتاه التقليد منه ، ومع أن حفيده يحيى بن تميم راجع طاعة بنى عبيد واعاد الدعاء لهم على المنابر فإن ذلك لم يكن سوى أمر شكلى ، لأن فاطمىي القاهرة وعباسىي بغداد لم يبق لهم أى سلطان حقيقى على المغرب ، على أن ارتباط آل زيرى الأسمى بالخلافة فى المشرق أفاد المغرب كثيراً ، إذ استمرت الوفود تتنقل بسهولة ما بين المشرق والمغرب العربيين ، كما ظلت معاهد القاهرة وبغداد والحرمين الشريفين مفتوحة فى وجه الطلاب المغاربة ، وأتيح للحضارة العربية أن ترسخ سيما بعدما هاجر الاعراب الهلاليون والسليميون إلى هذه البلاد التى أخذت بهم

طابعها العربى النهائى رغم ما كلفتها هجرتهم من تضحيات وسسب لها من خسارات .

وقد حاول الملوك الصنهاجيون أن يؤسسوا إمبراطورية ونجحوا فى لحظات معينة من توحيد أقطار المغرب وجع شمل سكانه ، ولكنها كانت لحظات قصيرة تلتها الفرقة والخلاف ، كما نعمت البلاد المغربية بفترات هدوء ازدهرت فيها الفلاحة ونمت الصناعة وكثرت الأموال ، ولكن الشعب لم يكن يستفيد كثيراً من خيرات بلاده لأن أفرادها كانوا يرهقون بكثرة ما يؤخذ منهم من مال يرسم الضرائب أو الهدايا الموجهة الى خلعاء المشرق . وكانت الحركة العمرانية بين مد وجزر فبينما كان بنو زيرى يبنون مدناً مهمة وقصوراً فخيمة كانوا يخربون أخرى كما فعلوا بالبصرة فى المغرب الأقصى وميلة فى المغرب الأوسط ، ومثل ذلك معاملة رجال الدولة من أمراء ووزراء وعمال للريعية كانت تتصف حيناً بالعدل والرفق ، وأحياناً بالجور والقسوة التى ليس لها منيل .

الدولة الحفصية

1224 — 1573

كان الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى جد الحفصيين ملوك تونس كبير قبيلة هنتانة البربرية وأحد العشرة السابقين الى الاستجابة لدعوة الفقيه محمد بن تومرت مهدى الموحدين ومنتشئ دولتهم ، وقد أبلى البلاء الحسن فى تثبيت دعوتهم وقاد جيوشهم المنطلقة لحرب أعدائهم بالمغرب والأندلس ، ولما توفى سنة 1181 (571 هـ) رعى الخلفاء من بنى عبد المومن لبنيه سابقة أسرته فى الدعوة ، وحميتها فى النصرة ، فكانوا يقلدونهم الولايات ويسندون اليهم قيادة الجيوش ، ولما نهض الخليفة الناصر بن المنصور الموحدى الى افريقية سنة 1204 (601 هـ) للنظر فى أمورها بعد ظهور الثائر ابن غانية كان فى صحبته أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص ، فاطلع الخليفة الناصر على الأحوال ودرس الأمور عن كتب ، ورأى أنه لابد من رجل قوى يسد فى افريقية مسد

الخلافة ويكون له منها المويض نظرا لبعده مراكس عن الصريح ، فاخبار
أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص الذي امتنع من الولاية في الأول ثم قبلها
بشروط . وعلن الخليفة ولايته ورحل إلى المغرب ، وشيعه أبو محمد عبد
الواحد الوالي الجديد إلى باجة ، ثم عاد إلى تونس فاستقر بقصبتها يوم 10 مايو
1207 (10 شوال 603 هـ) فكان ذلك بداية عهد الحفصيين بولاية تونس ،
وبعدما وقع بالناظر ابن غانية وقائع مشهورة ومهد الأمن وسدل رداء العافية
النفس من الخليفة أن يعيده إلى المغرب ، لأنه كان اشترط عليه ألا يقيم بالولاية
أكثر من ثلاث سنين ، ولكن الخليفة أحابه بشكر صنيعه وسوفه واعتذر عن
استقامته . فأقام بتونس محمود المقاصد إلى أن توفي سنة 1221 (618 هـ)
فقام بالأمر ابنه عبد الرحمان ريثما جاء الوالي الجديد وهو عم الخليفة المستنصر
أبو العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المومن فحارب ابن غانية حتى شرده
وتوفي سنة 1223 (620 هـ) فقام بأمر الولاية بعده ابنه عبد الرحمان بن
إدريس فبسط في الناس يد الجور ، ولما بلغت أخبار مظالمه إلى العادل بن
المصور الموحدى بأمره بالعزل وبدأ يحيل فكره فيمن يوليه على المغرب
الأدنى فوقع بصره على عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص فاستدعاه وسأله
عن حاله فأجابه متمثلا بقول الشاعر :

حال متى علم ابن منصور بها * * * جاء الزمان إلى منها تائبا

ناسحين الخليفة الجواب واستظرف التشكي ، وولاه مكان أبسه ،
فخرج إلى تونس ووصلها سنة 1224 (شعبان 621 هـ) ومعه أخوته ، وفعد
بها يعاني حروب ابن غانية ، وساءت الحالة بينه وبين أخيه أبي زكرياء
وأشياخ الموحدين ، فلم ير بدا من النخلي عن الولاية ، فقدم الأشياخ ورؤساء
الجيش أخاه أبا زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص (1228 - 625 هـ)
ناظر الخليفة اختيارهم ، وقام أبو زكرياء بالأمر ، وأقبل على حرب ابن
غانية حتى شنت جموعه ، ونمت إليه أنباء انحلال الخلافة في مراكش
لبدا يشوف إلى الاستبداد بالولاية حتى بلغ به الحال إلى صرف بعض العمال
الذين بعثهم إليها الخليفة المأمون ، ثم أمر سنة 1237 (634 هـ) بذكر اسمه
على المنابر في الخطبة مقتصرا على لقب الأمير .

ويعتبر أبو زكرياء المشيد الحقيقي لدولة بني حفص بعد قوى أمره حتى جاءت البيعات من المغرب والأندلس ، وأصبحت تونس قبله الأنظار لما أفر فيها من سلطة ونشر من أمن وبني من مساجد وقصور ونسق من حدائق وغروس ، وفي سنة 1249 (647 هـ) توفي أبو زكرياء فتولى ابنه المستنصر الذي ازدادت في عهده الدولة قوة ومهابة والرعية رفاهية وهناء ، لكنه كان شديد البطش غير متوقف في سفك الدماء ، ومن ضحاياه الكاتب الكبير أبو عبد الله بن الأبار القضاعي صاحب المؤلفات الأدبية النفيسة ، وفي أيامه غزا ملك فرنسا سان لويس تونس (1269 - 668 هـ) فمات وكثير من جنده بالوباء وانسحب الفرنسيون منها بعد أربعة أشهر على أسوأ حال ، وتوالى على عرش المملكة الحفصية بعد وفاته (1277 - 675 هـ) أربعة وعشرون ملكاً وأميراً من أسرته إلا في فترات قصيرة خرج فيها الملك من بين أيديهم كفسرة الدعي ابن أبي عماره (82 - 1284) وفترة استيلاء بني مرين على تونس (1347 - 748 هـ) ومن أشهر ملوكهم بعد المستنصر أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (1370 - 1394) وابنه أبو فارس عبد العزيز (1394 - 1433) وحفيده عثمان بن المنصور بن عبد العزيز (1435 - 1488) وختم ملكهم بالسلطان محمد بن الحسن (1572 - 1573) الذي قضى الرياس الأتراك على دوله وعلى حماته الأسبانيين ونقلوه إلى السلطان سليم العثماني باسطنبول فاعتمله بها خشية رجوعه إلى تونس حتى هلك في اعتقاله .

وانتهى باستيلاء الأتراك العثمانيين على المغرب الأدنى حكم بني حفص بعد أن دام أزيد من ثلاثة قرون ونصف عاشت خلاله تونس عصراً من أحفل عصورها التاريخية بالوقائع والأحداث التي تسر وتسوء ، ولقد كان من بين ملوك الأسرة الحفصية ملوك امتازوا بحسن السياسة وقوة الشخصية فاطاعتهم الرعية وسعد بهم الناس وكثرت في أيامهم الأعمال العمرانية ونشطت الحركة الثقافية وانبسط نفوذهم على جميع المغرب الأدنى وجل المغرب الأوسط ، كما كان منهم ملوك وأمراء ضعفاء أخلدوا إلى ملذاتهم وشهواتهم ووضعوا مفايلد الدولة بين أيدي موظفي انتهازيين أرفعوا الرعية بالمفسارم وساموها ذلاً وخسفاً ، وأقطعوا البادية مشايخ الأعراب فأضرموها حرباً وعانوا

فيها فسادا وسفا ، وكانت دولتهم في شكلها النظامي صورة مصغره لدوله الموحدين الاصلية ذات وزراء وحجاب وأصحاب أشغال وقضاة وكتاب وجبة أموال وقواد جيوش وأساطيل ، وقد تخلوا عن القول (بالامام المعصوم المهدي المعلوم) بعدما تخلى عن ذلك الخلفاء أنفسهم بمراكش ، فازداد مذهب اهل السنة تثبيتاً واختفت من البلاد جميع المعتقدات والأفكار المنافية له ، ولكن انتشرت بدلها الزوايا الصوفية وقوى حسن الاعتقاد في الاولياء والصلحاء والبله والمخرفين الذين أصبح لهم تأثير على الدولة وتدخل في شؤونها .

ويعد العصر الحفصي بتونس عصراً خصيباً من الوجهة الفقهية العلمية لكثرة من ظهر فيه من الفقهاء والعلماء ، وما ألفت فيه من المآليف النفيسة التي صاع أكثرها في الثورات والحروب سيما أيام الاحتلال الاسباني ، وكان لحامع الزيتونة أثر كبير في تكوين أولئك العلماء والفقهاء لما كان يلقى فيه من دروس في مختلف الفنون والعلوم ، وقد استفادت تونس كثيراً ممن احاز الى ملوكها في البداية من علماء الأندلس وأدباؤها ، كما استفادت في النهاية ممن اسفر بصواحيها من مهاجري الأندلس الذين جددوا فلاحتها وحملوا اليها صوغاً من المدنية وأعرافاً اجتماعية جديدة ، أما من الوجهة السلالية والنفوية فإن العنصر العربي والمتعرب أصبح هو السيد ، ولم يبق للغة البربرية سبيل الى الحياة الا ببعض الجهات المنعزلة ، وحتى موظفو الدولة وجنود القواب العسكرية التي جاءت من المغرب الأقصى مع بنى حفص أو خلفها الموحدون بتونس - وجلهم ينتمي الى قبائل **المصامدة البربرية** - انصهروا في بوتقة العروبة مع من كان يساكنهم من العرب والمتعربين فأصبحوا عرباً وكسان استقرارهم بتونس والتحامهم مع أهلها بالصهر عاملاً قوياً في تقوية الروابط السلالية بين سكان المغرب قاطبة . وكان اختلال نظام ولاية العهد وميل رجال الدولة ومشايخ الأعراب الى هذا أو ذاك من الأمراء أكبر أسباب الفتن والحروب التي اوعمت عظم الدولة الحفصية وجرأت عليها الأجانب وسهلت في النهاية رفعها بين أيدي الأتراك العثمانيين .

الحكم التركي

1573 - 1881

جعل القائدان الأخوان عروج وخير الدين من جزيرة جربة الواقعة أمام ساحل تونس الشرقي مقراً لقيادة أسطولهما الجهادي ، فكانا ينطلقان منها للاغارة على السفن النصرانية والسواحل الأوربية ، ولم يستقرا بها حتى اتفقا على ذلك مع أمير البلاد محمد بن الحسن الحفصي ، فكانا يرسلان اليه خمس الفناثم ، ويحاران له هدايا من أنفس ما يقع بين أيديهما من أسلاب ، ودام الحال كذلك فترة من الزمان الى أن أوجس منهما السلطان الحفصي خيفة ، فامنع من تزويدهما بالبارود لما نقد ما عندهما منه وهما يحاصران الاسبانيين ببجاية ، وبدأ يؤكد لهما عند ملوك تلمسان ومشايخ الأعراب بالمغربين الأدنى والأوسط ، ولقد كان هذا التحول من السلطان الحفصي سبباً في تحول الأخوين عروج وخير الدين عنه الى السلطان العثماني بعد ان كانا يعملان لحسابهما الخاص ، بل كان سبباً في بسط الحكم التركي على تونس والجزائر ، وهكذا توجه خبر الدين اثر رجوعه من إحدى رحلاته الجهادية الى المشرق - نحو بسزرت فاسسولي عليها ولا علم بفرار السلطان الحفصي توجه الى حلق الوادي باسطوله ، فاحل تونس (18 غشت 1534) دون مقاومة تذكر ، وعندما سكن الروعة أعلن نهاية حكم الحفصيين وشمل الناس بعفوه ، وأقام حاميه عسكرية بالفيروان ، وبسط حكمه على جميع مراسي الساحل ، وهبت لاعائته القبائل القوية الساكنة بجنوب اقليم قسنطينة .

وحاول السلطان الحفصي الحسن بن محمد استرجاع ملكه ولكنه فشل ، فتوجه الى الإمبراطور كارلوس الخامس ملك اسبانيا يستنجد به ، وصافى هذا الاستنجد استحسنانا من البابا كما اقترن بعودة فكرة الجهاد النصليبي الى أذهان الأوربيين ، لذلك ارسلت اسبانيا حملة الى تونس تتركب من 30.000 حمدى تحملهم 400 سفينة ، فاستولوا على حلق الوادي (14 يوليوز 1535) ثم

دخلوا تونس بعد سنة أيام فأمنعوا في أهلها قتلا ونهباً ، وأعادوا الى عرشها السلطان المستنجد بهم ، اما خير الدين فانه بعدما انسحب الى عدايه بوجه باسطوله الى مرسى ماهون بجزر الباليار فخربه وأسر 6000 من أهله ، وكانت واحدة بواحدة .

وبعد أخذ ورد خرج أسطول تركي من اسطمبول تحت قيادة الوزير سان باشا ، وقلج على قبطان باشا فوصل أمام تونس يوم 24 يوليوز 1573 (24 ربيع الأول 981 هـ) ونزل العسكر العثماني الى البر ، وجاء لتحدثه جيش طرابلس بقيادة مصطفى باشا ، وجيش القيروان بقيادة حيدر باشا فحاصروا حلق الوادي الذي اعتصم به الجيش الاسباني حتى فتحوه يوم 3 شتنبر (6 جمادى الأولى) ثم حاصروا بتونس محمد بن الحسن الحفصي ومن معه من الاسبانيين ففتحوها وتملكوا قصبته ، وفر السلطان الى البستيون (الرح) الذي ياه الاسبانيون فتبعوهم اليه ولم يزالوا يضيقون عليه حتى دخلوه عوة يوم 22 شتنبر (25 جمادى الأولى) واستأصلوا من فيه قتلا وأسراً ، واعتقلوا عبد بن الحسن الحفصي وارسلوه للحبس بتركيا فكان آخر الملوك الحفصيين .

واستقر سنان باشا بالحضرة التونسية يتلافى ما بقي من رمقها ويرتب الأمور ويتألف الناس ، وكانت البلاد وصلت الى حال من الفوضى والوهن والعقر لاعظم منه الا الفناء ، فكان أول ما بدأ به تنظيم الفرق العسكرية السكفة بحفظ الأمن في العاصمة والأقاليم ، وتعيين الموظفين السامين ، ووضع مجموعة من القوانين يرجع اليها الناس لمعرفة ما لهم وما عليهم ، وأمر بحضور اعيان أهل البلاد في اجتماعات ديوان العسكر تالياً للقلوب ، ورجع الوزير سنان باشا وفتح على القائد العام للأسطول (قبطان باشا) بعد ذلك الى اسطمبول فاستمر الترتيب الذي تركه على حاله الى ان فتك الجند بكبار الديوان في وقعة تعرف بوقعة البلكباشية سنة 1591 (999 هـ) وصار قادة الوحدات العسكرية ينتخبون (داياً) منهم للنظر في أمور الجيش وحفظ العاصمة ، ومن أشهر هؤلاء الدايات الذين صاروا هم أصحاب السلطة الحقيقية الداى عثمان (1591 - 1610) الذي مهد الأمن وقوى الأسطول ووضع للولاية شبه دستور ، وفي أيامه

وصلت الى تونس طوائف جديدة من مهاجري الأندلس المسلمين فاكرم منوهم وأنس عربتهم وأقطعهم ما اختاروا من الأرض فحييت بهم الصناعة وانتعشت الفلاحة ، والدای يوسف (1610 - 1637) الذي أنجز في عهده أعمالاً عمرانية عظيمة وازدادت عنايته بالاسطول وحارب أتراك الجزائر على الحدود ، وعاش البايات الذين هم أكبر من الدايات رتبة واوسع اختصاصاً وكذلك الباشوات الذين هم أصحاب الولاية بدون سلطة ولا نعوذ ، الى أن استطاع واحد من البايات اسمه مراد (1612 - 1631) أن يرقى الى رتبة باشا ويحرز على موافقة السلطان بتوارث ذريته لتلك الرتبة ، ومن ذلك الوقت بدأ أمر الأسرة المرادية يعظم حتى غطى أمر الدايات ، فقد استطاع البای حمودة باشا (1631 - 1659) بن البای مراد ان يدوخ القبائل العربية ويلحق جزيرة جربة بباشوية تونس ، ويصلح ما أحدثه من خسائر هجوم فرسان مالطة على الاسطول بحلق الوادي (1640) ، أما ابنه البای مراد (1659 - 1675) فانه خضد شوكة الجند وألقى في السجن أحد داياته ، وانتقل الى سكنى قصر باردو وأقام به عاهلاً محترماً ، ولكن تلت موته فتنة بين أفراد أسرته دامت عشرين سنة أتاحت لأتراك الجزائر أن يتدخلوا منتصرين في القضايا التونسية ، وانتهت أيام المراديين على يد آغا ابراهيم الشريف قائد صبايحية الترك الذي قضى على جميع أفراد أسرته سنة 1702 (1114 هـ) وتولى الإمارة وجاءه التعويض من السلطان بعد ذلك ، ولكن لم يكد يستتب له الأمر حتى بسط في الرعية يد الجور ، وأظهر ما يكنه في صدره من حقد للعرب وسكان البلاد الأصليين ، ومن حسن الحظ ان أيامه لم تطل ، لأنه دخل في نضال مع أتراك طرابلس وأتراك الجزائر خرج منه مهزوماً أسيراً (1705) وفر من ساحة العراك أحد قواد جيشه حسين بن علي آغا الصبايحية الى زاوية الشيخ حسين السيجومي خارج تونس وأرسل من يأتيه بأهله وما خف من متاعه ليذهب بهم الى مكان يأمنون فيه ، ولكن أتراك تونس خرجوا اليه واستعطفوه والخوا عليه أن يبقى بين ظهرانهم ، ولما قبل دخلوا به الى العاصمة وأعطوه صفقة ايديهم بالإمارة يوم الأحد 12 يوليوز 1705 (20 ربيع الأول 1117 هـ) فاعتصم بالقصبة ، وشرع يجمع فلول الجيش المنهزم وينظم الدفاع عن

العاصمة ، فنجح في ذلك ولم يسع أتراك الجزائر الا أن يرتدوا على أعقابهم خاسرين بعدما حاصروا تونس 40 يوماً ، واذ ذاك التفت الباي حسين الى تنظيم شؤون الولاية الداخلية ، وكان عليه أن يخصص قبل كل شيء شوكة بعض الرؤساء العسكريين الذين لم يكونوا يطيعون أميرا في يوم الاليعضوه في عهد ، ثم جمع مجلسا لتنظيم وراثه السلطة (ولاية العهد) ونجح في جعل الامارة وراثية في عقبه (1710) وفي عهد هذا الباي عرفت تونس ازدهارا اقتصاديا وتوسعا عمرانيا وامت الطرق وانتعش السكان ولكن الباي حسين ابتل بشوكة قام بها ابن أخيه على باشا بمساعدة أتراك الجزائر (1729) فعادت الفوضى الى سابق عهدها ولم تنته الا بانتصار الباشا الناصر وقتل عمه حسين (1740) على يده ، فجلس على باشا على كرسي الامارة ووضع حداً للتدخل الفاصل الأوربيين فيما لا يعنيهم من شؤون البلاد الداخلية ، وشيد كثيراً من السيات ذات المنفعة الخاصة والعامة ، وحدثت في آخر سنوات حكمه ثورة قام بها أحد أبنائه واغتنمها أتراك الجزائر للهجوم على ولايته ، فتمكنوا بسهولة من احتلال العاصمة التونسية واعتقلوه وقتلوه (1756) ونصبوا محمداً ابن الباي السابق حسين والياً واشترطوا عليه أن يؤدي لهم جزية سنوية ، ولكن الباي الجديد لم يحكم الا ثلاثة أعوام (56 - 1759) استطاع خلالها أن يثبت الأمن ويفرض النظام ، فخلفه أخوه على باي (59 - 1782) الذي أظهر مهارة في تسيير شؤون الدولة وحسن علاقة حكومته بالحكومات الأوربية وفتح المراسي والسواحل التونسية في وجه التجارة الدولية مستعيناً على ذلك كله بصهره ووزيره مصطفى خوجة الذي كان بدوره ادارياً ماهراً ، وبعد مائة خلفه ابنه الباي حمودة بن علي (1782 - 1813) وكان شاباً ذكياً حازماً قاوم التدخل الأوربي وخلق نير التبعية للجزائر واغتنم ثورة قام بها الانكشارية (1811) فأخذ نائرتهم وحل بمساعدة السكان هذه القوة المنعسفة التي سببت كثيراً من المآسى منذ استقرارها بتونس في أول سنوات الاحتلال التركي ، وخلال السنين الطويلة التي حكم فيها هذا الباي بنى عدداً من القصور والمباني الفخمة من أعظمها قصر دار الباي القريب من القصبة ، وقصر منوبة الذي عمل فيه صناع مغاربة ، كما بنى وزيره القوي يوسف صاحب الطابع مباني مهمة كالمسجد الواقع برحبة الحلفاوين .

وبعد موت حمودة باي تملك أخوه عثمان باي ، ولكنه لم يبق في
الامارة الا ثلاثة أشهر وقتل ، فخلفه ابن عمه محمود باشا بن محمد بن حسين
يوم الأربعاء 21 دجنبر 1814 (9 محرم 1230) الذي ألغى تجارة الرقيق (1819)
وشعر بضرورة الاتفاق مع **وجاق** الجزائر لتستطيع كلتا الولايتين مقاومة
التدخل الأوربي في شؤونها ، فتم عقد صلح نهائي بين الاليتين تحت اشراف
مفاوض عثمانى مبعوث من اسطنبول يوم الثلاثاء 20 مارس 1821 (15 جمادى
الثانية 1236) وبعد وفاته (1824) تولى الامارة ابنه الباي حسين باشا فكثر
في أيامه التنافس بين الدول الأوربية على الاستئثار بأسواق الايالة التونسية
وسائر الأقطار المغربية ، وهذا الباي هو الذي وجه الأسطول التونسي (الاثنين
7 غشت 1826 - 3 محرم 1242) تحت قيادة الأميرال كشمك محمد لاعانة الدولة
العثمانية في حربها ضد اليونانيين ، فسحقه الأسطول الفرنسي في معركة
نافارين في السنة التالية ، وبعد ثلاثة أعوام احتل الفرنسيون الجزائر وأرسلوا
الى تونس أسطولا حربياً لتعديل الاتفاقات المعقودة من قبل بين فرنسا وتونس
وفرص أوافق جديدة ، فأمضى الباي الأوافق ، وتدخل بعد ذلك لصالح الاحتلال
الفرنسي للجزائر ، فنفر ذلك منه قلوب الرعية ، وفي سنة 1835 (1251)
توفي الباي فتولى مكانه الباي مصطفى بن الباي محمود وتوفي بعد سنين
فخلفه ابنه أحمد الذي قوى الجيش ، وسوى بين علماء المذهبين الحنفي
والمالكي ، وأدخل اصلاحات كثيرة على الدولة وسن قوانين تصبغت التصرف
والتعامل ، وكانت له رحلة الى فرنسا سنة 1846 (1263 هـ) ولما توفي
سنة 1855 (1271 هـ) خلفه ابن عمه الباي محمد بن حسين بن محمود
فواصل سن القوانين وادخل اصلاحات التي بداها سلفه ، ومن أعظم
اصلاحاته اعلان الدستور (عهد الامان) في يوم الأربعاء 9 شتنبر 1957 (20
محرم 1274) ، وبعد سنتين توفي (1859) فتولى بعده أخو محمد الصادق باي
الذي دخلت تونس على عهده في طور التحضر والتقدم وكثر التدخل الأوربي
في شؤونها الداخلية حتى أفضى ذلك الى فرض الحماية الفرنسية عليها سنة
1881 فاستمر البايات من آل حسين بن علي على عرش الامارة الى استعادت البلاد
التونسية استقلالها سنة 1956 واعلنت النظام الجمهوري في السنة التي تليها
وفرض على الباي محمد الأمين آخر أمراء الأسرة الحسينية الإقامة الجبرية وظل
معتقلا حتى توفي بعد ذلك ببضع سنين .

العصر الحديث

1830

هذا العصر هو ثالث العصور الكبرى للتاريخ المغربى ، وهو فى الحقيقة جزء من العصر الذى قبله باعتبار أن الأمة المغربية بقيت فيه متمسكة بعقيدتها الاسلامية ، ولكن ينبغى فى نظرى أن يعتبر عصرأ متميزاً عما سبقه ، لأن الآثار التى خلفها فى حياتها والتطورات التى شاهدها اثناءه فى جميع المجالات لا تقل أهمية عن الآثار والتطورات التى طبعتها فى العصور التى قبله .

ويستدئ هذا العصر بالاحتلال الفرنسى للجزائر سنة 1830 ، وإذا كانت تبعات هذا الاحتلال لم تشمل فى الحين سائر أقطار المغرب العربى فإنها شملتها بالتدريج حتى لم يبق منها شبر الا وأصابته بالطل والوابل ، ومثل ذلك حدث اثناء الفتح العربى - والقياس مع الفارق - فان العرب لم يستولوا على المغرب فى سنة واحدة ، ولم يطبعوه بطابع الدين الذى حملوه اليه فى عقد أو عقدين من السنين ، وانما تمكنوا منه بعد سنين طويلة عابوا خلالها المشاق واصطلوا بنيران الحروب .

وبالنظر الى ان التطورات التى فرضت نفسها على أقطار المغرب العربى انما لحقت كل واحد منها على حدة ، وفى فترات معينة ، ولأسباب خاصة ، رأينا أن نتحدث عن هذه الأقطار واحداً واحداً كما فعلنا فى العصر الماضى .

الجزائر فى العصر الحديث

كانت الدولة الفرنسية تنتظر بفارغ الصبر سنوح فرصة للاستيلاء على الجزائر ، وقد سنحت لها يوم 27 أبريل سنة 1827 عندما لطم الداي حسين قنصلها على وجهه وهو يذكره بالدين الجزائرى المترتب بذمتها ، فقطعت علاقاتها مع الجزائر وحاصرتها بحراً ، ثم أرسلت اليها حملة عسكرية تحت قيادة الجنرال دى بورمون وزير الحرب فاحتلها يوم الاثنين 5 يوليوز 1830 (13 محرم 1246 هـ) .

ووجد الجزائريون أنفسهم وجهاً لوجه مع الفرنسيين ، لأن الداي الذى كان من الواجب عليه أن ينسحب الى داخل البلاد لتنظيم المقاومة وحل بأهله ومتاعه الى الخارج بعدما تعهد له الفرنسيون بذلك فى وثيقة الاسنسلام ، ولما كان الحكم التركى حال بين أهل البلاد وبين ادارتها ثلاثة قرون وقضى على كل زعامة وطنية - لم يبق للجزائريين أمل الا فى سلطان المغرب الأقصى بعد ما رأوا باى تونس التركى يؤيد المحتلين ، وبالفعل استجاب السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام لرغبة الوفود التى حملت اليه بيعة سكان الجزائر الغربية ، فأنشأ خلافة سلطانية بنلمسان ، ووجه اليها ابن عمه الأمير مولاي على معززاً بوحدات من الجيش النظامى ، ولكنه اضطر بعد قليل الى سحب خليفته وجيشه منها تحت ضغط الفرنسيين وتهديد أسطولهم للمراسى المغربية، واد ذاك اختير الشريف عبد القادر بن محيى الدين الادريسي المعسكرى ليقود المقاومة الشعبية تحت نظر السلطان ، فقام بأمر الجهاد حق القيام ، وظهر مهارة فائقة فى التنظيم والتدبير والقيادة ، وصدق فيه جميع الظنون وحقق كل ما على عليه من آمال ، وكانت له مع الفرنسيين وقائع كثيرة انتصر عليهم فى كثير منها حتى اضطروا الى الاعتراف به وبسلطته ، ولكنه تراجع فى النهاية أمام نحو قواتهم المتصاعدة - الى داخل التراب المغربى ، فتبعه الفرنسيون حتى تجاوزوا وادى تافنا ، فقد سلطان المغرب ذلك انتهاكاً لحرمة مملكته ، وأرسل لصددهم جيشاً كبيراً هزموه بوادى يسلى قرب وجدة فى معركة عنيفة قاتل فيها المغاربة والجزائريون جنباً الى جنب فى سبيل القضية المشتركة (1844) .

وسامت حالة الأمير عبد القادر اثر ذلك بعدما اكراه المغرب على التخل عنه ، ولكنه واصل كفاحه رغم سوء حاله ، واستطاع ان يلحق بالفرنسيين هزيمة كبيرة فى معركة دارت قرب ضريح سيدى ابراهيم غير بعيد عن ندرومة، واذ ذاك عبأ الفرنسيون قوات كبيرة وأرسلوها الى حدود المغرب الجديدة تترصد به ، فلم يكن له مناص فى النهاية من الرضا بالقضاء المحتوم ، فاستسلم للجنرال لاموريسير يوم 28 نونبر سنة 1847 .

على ان مقاومة الأمير عبد القادر لم تكن هي المقاومة الوحيدة التي واجهت جيش الاحتلال في الجزائر ، فقد قاوم أهل قسنطينة تحت قيادة الباي الحاج أحمد ، وأهل **زواوة** تحت قيادة بومعزة المغربي ، كما أن استسلامه لم يكن يعنى نهاية المقاومة كلها ، فقد واصل الشعب الجزائري نضاله ضد جيش الاحتلال ولم تكن تسنح له فرصة دون ان ينتهزها للانقضاض عليه والتنكيل بجنوده ، ففي سنة 1849 تزعم القائد بوزيان ثورة قبيلة **الزعاطشة** الساكنة قرب بسكرة ، وبعدها ثارت قبائل جرجرة وجرت بينها وبين الفرنسيين معارك كثيرة من أشهرها معركة **بنى منكلات** ، وما كاد الجيش الفرنسي يتغلب على تلك القبائل حتى واجهته ثورة **أولاد سيدى الشيخ** بالحدود المغربية الجزائرية ، واستمر القتال بين الفريقين عنيفاً قاسياً خمسة أعوام تمكن فى نهايتها الجيش اعرنسى من قهر المجاهدين (1869) .

وكان الفرنسيون بدأوا من الساعات الأولى لاحتلالهم ينظمون الجزائر تنظيم من يستهدف استعمارها الدائم ولا يشوى الرحيل عنها ، ففي 22 يوليو 1834 قرر البرلمان الفرنسى اعتبار الأراضى الجزائرية المفتوحة أرضاً فرنسية واعتبار أهلها مواطنين فرنسيين ، وأثناء هذه التنظيمات وضعت السلطات المحتلة يدها على أراضى سهل متيجة الغنية ووزعتها على أوربيين ممن رافقوا جيش الاحتلال للقيام بالأعمال الزراعية. ولما حدثت الثورة فى فرنسا سنة 1848 أرسلت حكومتها 20.000 من العاطلين الباريسيين الى المستعمرات الزراعية بالجزائر بعد ما تم طرد سكانها العرب منها ، ولكن هؤلاء القادمين فشلوا فى المهمة التى أنيطت بهم اذ لم تكن لهم خبرة بالفلاحة ، واذا ذلك بدأت فرنسا تستدعى ممرين أوربيين من مختلف الاجناس لتضايق بهم أهل البلاد الأصليين.

وبينما كانت فرنسا منهكة فى القضاء على المقاومة وتكثير سواد الأوربيين شرعت فى تطبيق سياسة ادماج الجزائر فيها ، ففي 18 ابريل 1845 صدر مرسوم يقضى بتقسيم المنطقة الشمالية الى ثلاثة أقاليم (الجزائر - قسنطينة - وهران) وآخر يقضى بتطبيق قانون البلديات الجارى به العمل فى فرنسا ، ثم صدر قانون 4 مارس 1848 الذى يؤكد ان الجزائر جزء متمم

للتراب الفرنسى ، وينص على حق الفرنسيين القاطنين بها فى ارسال بوابهم الى البرلمان بباريس وتمتعهم بكافة الحقوق المخولة لآخوانهم القاطنين بفرنسا ، ثم صدر قانون 16 غشت الذى يلحق القضاء والتعليم والمالية بالوزارات الفرنسية ذات الاختصاص ، ومن البديهي ان ثمار هذه التنظيمات انما كان يجنيتها المستعمرون الفرنسيون ، اما المواطنون الجزائريون او (الأهالى Les Indigènes) كما كانوا يسمونهم فانهم بقوا محرومين منها .

ولما اعتلا الامبراطور نابليون الثالث عرش فرنسا سنة 1852 اولى الجزائر وافر الاهتمام ، وانتهج حيال أهلها سياسة رشيدة لا تنجاهل حقوقهم كما وقع منذ الاحتلال ، ورغم ان المستعمرين ثاروا ضد هذه السياسة وانتقدوها بشدة مضى الامبراطور قدما فى تنفيذها ، ومن أعظم أعماله اصدار قانون السيناتوس كونسولت يوم 22 ابريل سنة 1863 بعدما شارك فى تحريره مجلس شورى الدولة ووافق عليه مجلس الشيوخ ، فحطم هذا القانون الذى يعترف للمسلمين بملكيتهم للأراضى المشاعة آمال المستعمرين الذين كانوا ينوون مواصلة الاستيلاء عليها ، ثم جمع الامبراطور يوم 5 مايو 1869 لجنة لتحرير قانون أساسى للجزائر وقدمه الى مجلس شورى الدولة ، وبينما هو يدرس فصوله فوجئت فرنسا باعلان ألمانيا الحرب عليها ، فانهار صرح النظام الامبراطورى الفرنسى . واستسلم نابليون الثالث للأسر ، فانطوت باختفائه صفحة سياسة معتدلة دام تطبيقها عدة سنوات .

وقبل قيام تلك الحرب شهدت الجزائر سنوات جفاف هلك فيها الحرث والنسل ، وعمت الفاقة وانتشرت الأوبئة ، فاغتنم الفرصة الكاردينال لافيجرى أسقف الجزائر ، وخرج الى القرى والدواوير العربية حاملا الصليب فى يد والخبز والدواء فى أخرى ، والتقط منها عدداً كبيراً من اليتامى وأرسلهم الى الكنائس ليتربوا فى أحضانها ، فكانت تلك محاولة من الكنيسة لتنصير المسلمين بعد ما تمكن العسكريون والسياسيون من احتلال بلادهم وادماجها فى فرنسا .

وبعد سقوط الأمبراطورية وإعلان الجمهورية الثالثة اضطربت الإدارة في الجزائر ، وكان اليهودي كريميو يمثل الجزائر في لجنة الدفاع الفرنسي ، فاستصدر قانون 24 أكتوبر 1870 الذي يعتبر يهود الجزائر مواطنين فرنسيين ، فاحتاط المسلمون لهذا الميز العنصري ، واحتقروا حكومة يستطيع أن يفعل فيها يهودي ما يشاء ، وأعلن الباشاغا الحاج محمد المقراني الثورة في جبال زواوة ، واكتسح الثائرون كثيراً من المراكز الفرنسية باقليم قسنطينة وإقليم الجزائر ، فأسرع بسمارك مستشار ألمانيا إلى تسريح الجيش الفرنسي المعتقل لديه ، فجاء هذا الجيش ونكل بالمجاهدين تنكيلا تقشعر منه الأبدان ، واستشهد الحاج محمد المقراني قائد الثورة في ساحة الشرف يوم 5 مايو 1871 وبعد خمود الثورة حكمت فرنسا على 6.000 جزائري بالإعدام ، ونفت 500 من أحرار الجزائر إلى جزيرة خاليدونيا الجديدة بوسط المحيط الهاديء فبقوا بها معتقلين حتى هلكوا جميعاً ، وفرضت على أهل الجهات التي نارت ضدهم خطيئة ملغها 26.000.000 فرنك ، ولما عجزوا عن أدائها صادرت أملاكهم وأجلتهم عنها ، وأحلت محلهم فيها مشردى مقاطعتى الألزاس واللورين .

ووجهت فرنسا عنايتها بعد اخماد الثورة إلى طرد العرب من أراضيهم وأعطائها للمعمرين أوريبيين من كل جنس ، وهو نفس العمل الذي يقوم به الصهيونيون اليوم في أرض فلسطين ، وكمثال لهذا المجهود الاستعماري نذكر أن الفرنسيين أنشأوا خلال ست سنوات فقط (71 - 1877) 198 مستعمرة فلاحية أسكنوا فيها 30.000 من المعمرين ، وأن عدد الفرنسيين انتقل خلال عشر سنوات (71 - 1881) من 30.000 إلى 195.000 كما ارتفع عدد الأجانب الآخرين خلال المدة نفسها من 115.000 إلى 181.000 أما السكان المسلمون فإن عددهم لم يسجل زيادة تذكر .

ولم يكن المرسوم المتعلق بتجنيس اليهود الجزائريين هو كل ما استصدره اليهودي كريميو ، بل أصدرت لجنة (الدفاع الوطني) التي كان عضواً فيها 57 قراراً آخر تتعلق بالجزائر بناء على توصياته ، ومن

هذه القرارات ما طبق فوراً ومنها ما لم يطبق البتة ، وكان أهم ما تضمنته هذه القرارات : إلغاء الحكم العسكري وإقامة حكم مدني يعمل بالتدرج على ادماج الجزائر في فرنسا ادماجاً كلياً ، وتعيين حاكم عام مدني للجزائر كلها ملحق بوزارة الداخلية ، يكون مرجعاً للسلطتين المدنية والعسكرية وترتبط به جميع المصالح الحكومية باستثناء التعليم والمالية والقضاء (غير الاسلامي) والمواصلات المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالوزارات المختصة في باريس .

وفي سنة 1882 اشتركت القبائل بالحدود المغربية الجزائرية في الثورة على الفرنسيين ، وكان يقودها الشيخ بوعمامة ، فلم يتمكن الفرنسيون من اخمادها الا بعد ثلاث سنوات ، واضطر زعيم الثورة الى الانسحاب الى داخل المغرب الأقصى كما التجأ اليه — فراراً من التنكيل الفرنسي عدد من قبائل الحدود مثل **المهاية وحميان و أولاد سيدي الشيخ و العمور** .

وقد اغتنمت فرنسا فرصة اخماد هذه الثورة فألحقت في 30 نونبر 1882 بلاد **مزاب** بالأراضي الفرنسية ناكثة بذلك معاهدة الحماية التي فرضتها سنة 1853 على ذلك الطرف من الوطن الجزائري .

وإثناء ذلك وبعدمه بدأت سلطات الاحتلال توفد بعثات استطلاعية الى داخلية الصحراء الجزائرية والمغربية تمهيداً لاحتلالها . فلقيت من أهلها مقاومة عنيفة ، وفتك **الطوارق** ببعثة فلاثير سنة 1881 وبعثة بلات سنة 1886 ، وبعثة دولس سنة 1889 وبعثة مورييس سنة 1895 .

والى جانب هذه المقاومة المسلحة ظهرت حركات عديدة للمقاومة السياسية السلمية ، وكانت هذه الحركات تنتظم وتتطور حسبما تقتضيه الأحوال ، وأول حركة جزائرية من هذا النوع هي الحركة التي نظمها السيد احمد البدوي أحد مثقفي مدينة الجزائر ، فقد انتهر فرصة ثورة العموم بباريس سنة 1871 فنظم هيئة للمطالبة بمنح حقوق كاملة للمسلمين الجزائريين ، ولكن هذه الحركة لم تستمر الا بقدر ما استمرت ثورة العموم الباريسية .

وفى سنة 1892 أحس الفرنسيون بمظهر الاستياء العام فى الشعب الجزائرى فحاولوا التمويه عليه باصلاحات جزئية ، وأسسموا الثيابات المالية على أن يكون ثلثاً أعضائها من المستوطنين الفرنسيين ، والثلث الباقى من الوطنيين الجزائريين .

ولما أعلنت فرنسا فصل الدين عن الدولة سنة 1901 استولت على الاحباس (الأوقاف) الاسلامية وضممتها الى أملاك الدولة ، فكان ذلك مظهراً آخر من مظاهر الاستعباد الروحى بعد الاستعباد الجسمى .

وواصل الفرنسيون سياسة ادماج الجزائر وفرنستها ، وأصبح شغلهم الشاغل اضعاف الشخصية الجزائرية شيئاً فشيئاً كخطوة فى طريق محوها ، ولم يتركوا وسيلة لتقوية عدد الأوربيين وتسهيل مقامهم بالجزائر الا لحازا اليها فأصدروا سنة 1881 قانوناً يمنح الجنسية الفرنسية لأبناء الاحاب المولودين بالجزائر ، وواصلوا انشاء القرى الاستعمارية حتى تجاوز عددها 800 قرية قبل قيام الحرب العالمية الأولى ، وخلقوا الفكرة البربرية للتصريب بين المسلمين من أصل عربى والمسلمين من أصل بربرى ، وحرموا التعليم الحر وضائقوا التعليم الدينى ، وأطلقوا على المدن والقرى الجزائرية أسماء فرنسية ، ولكن الشعب الجزائرى واصل فى مقابل ذلك مقاومته ، وأظهر تحلداً عجيباً فى الاستمساك بقوميته ، وعبر عنها بمختلف الوسائل ، وانبعثت حركته الاحتجاجية فى شكل جديد هو الهجرة الجماعية الى الامبراطورية التركية والمغرب الأقصى ، وفى سنة 1910 بدأت الاقلام الجزائرية تتحرك للمطالبة بالمساواة ، وشرع الرعيل الأول من المثقفين الجزائريين المتخرجين من كليات فرنسا يطالب بتحسين حالة الشعب الجزائرى واداحته من الظلم الذى يعانیه ، ومن هؤلاء المثقفين المحامى أحمد بودربة ، والصحافى الصادق دندان ، والنائب المالى الحاج عمار .

وفى سنة 1912 فرضت فرنسا قانون التجنيد الاجبارى على المسلمين لئلازداد الاستياء وفضل كثير من الأسر الاسلامية الهجرة الى الشام والتضحية بكل المصالح الشخصية على الامتنال لذلك القانون .

ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى سنة 1914 جندت فرنسا 400.000 جندي من الجزائر وساقطهم الى مختلف ميادين الحرب ، كما عبأت 80.000 من المدنيين وأرسلتهم الى فرنسا للعمل في مصانعها ، وبذل المسؤولون الفرنسيون للجزائريين وعوداً لا حصر لها بتحسين حالهم ، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها لم تزد مكافاتهم على اصدار قوانين 4 يراير 1919 التي تلغى قانون الأنديجينا l'Indigénat الجزري وتوسع حقوق الانتخاب وتسوى في الضرائب بين المسلمين والفرنسيين ، وهي مكافأة لا تتناسب مع تضحياتهم الكبيرة التي بلغت 100.000 قتيل في تلك الحرب ، واذ ذاك تشكل وفد من الضباط الجزائريين يتراسه القبطان خالد الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر وتقدم الى الرئيس ولسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وهو في فرنسا يطالبه بتطبيق مبادئه على الأمة الجزائرية ، وبعد ذلك أحيل القبطان خالد على التقاعد ، فجاء الى الجزائر وشكل هيئة للدفاع عن حقوق الجزائريين سماها (كتلة المنتخبين المسلمين الجزائريين) وأصدر جريدة (الاقدام) باللغتين العربية والفرنسية لنشر أفكاره ، فارتاع المستعمرون من هذه الحركة التي نجحت في زعزعة النفوذ الفرنسي من نفوس الأهالي ، وكونوا حركة مضادة شارك فيها عدد من المتعاونين المسلمين ، نجحت في حمل الوالي العام ستيخ على ابعاد الأمير خالد عن الجزائر فالتجأ الى الاسكندرية ، ثم سمح له بالعودة الى فرنسا بعدما سقطت وزارة يوانكري سنة 1924 وانتصرت كتلة اليسار بزعمامة ليون بلوم وهيريو فأسس هيئة ثانية من أبناء الشمال الافريقي ، ثم سافر الى مصر بعدما اشتد القتال بين المغاربة والفرنسيين والاسبانيين باقليم الريف سنة 1925 واتهمه الفرنسيون بالتآمر على فرنسا وأقنعوا البوليس الانكليزي بتسليمه اليهم ، فأخرجوه من مصر مكبولا بالحديد وأرسلوه الى سوريا حيث بقي الى ان مات سنة 1936 .

وعينت فرنسا السيد مورييس فيوليت حاكماً عاماً للجزائر ، وكان رجلاً متحرراً أظهر نيته في انصاف أهلها الأصليين ، فشن عليه المستعمرون حملة اضطرتهم الى ترك منصبه مأسوفاً عليه من طرف المسلمين ، وحلت بعد ذلك الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي (1930) فأمل المسلمون أن تكون

فأية عهد ينصفون فيه من المظالم التي توالى عليهم طوال قرن كامل ، ولكن آمالهم خابت عندما رأوا تلك الذكرى تكتسى مظهراً كنسياً الى جانب مظهرها الاستعماري ، ولم يعمل الفرنسيون شيئاً أكثر من إلغاء المحاكم الزجرية الابتدائية التي كانت ترهق المسلمين .

وفي شهر أبريل 1931 قدمت الى الجزائر لجنة برلمانية تحت رئاسة السيد موريس فيوليت الحاكم العام السابق ، فقابل المسلمون مقدمها بحفاوة ، وخرج لاستقبالها لما وصلت الى قسنطينة عشرون ألفاً ، وأسمعوها شكايات حارة من الحالة التي يعيشون فيها ، ثم رجعت ومعها تقرير مفصل عن أحوالهم ومطالبهم الكلية والجزئية .

وفي فرنسا حيث تكاثرت عدد الجزائريين بعد نهاية الحرب أسس شاب تلمساني الأصل سرح حديثاً من الجندية اسمه الحاج أحمد بن مصلى المعروف بمصالي الحاج جمعية (نجم الشمال الافريقي) التي كانت في طورها الأول جمعية خيرية لاعانة المقاربة ، ثم تحولت في مارس سنة 1926 الى جمعية سياسية للدفاع عن كيان المغرب العربي ، وأسست لها جريدة (الأمة) باللغة الفرنسية ، وبذلت مجهوداً كبيراً في لم شعث العمال المقاربة وتربيتهم تربية سياسية واجتماعية وطنية ، ولما أحس المستعمرون بخطرهما عليهم عبأوا كل أبواق دعاياتهم لتشويه سمعتها وتصويرها في صورة هيئة شيوعية متطرفة وعميلة ، كما أقام وكيل الجمهورية بمحكمة السين دعوى ضدها فحكمت المحكمة بحلها في 20 نونبر 1929 ولما لم ينفذ الحكم بصفة رسمية استأنفت الجمعية بعد سنة أشهر نشاطها أقوى من ذي قبل ، وشدد عضدها في تلك الأثناء بتأسيس جمعية مغربية أخرى بباريس ذات طابع ثقافي اسمها (جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين) ، وفي 22 مايو 1933 عقدت جمعية (نجم شمال افريقيا) مؤتمراً قرر برنامجاً للعمل يتضمن استقلال الجزائر وجلاء القوات الفرنسية عنها وانشاء برلمان جزائري ونزع أملاك المستعمرين ، ولكن محكمة السين عادت لمتابعة الجمعية دون نجاح في شهر مارس سنة 1934 وواصلت الجمعية نشاطها حتى اصطدمت مع الحزب الشيوعي

الفرنسي اصطداماً عنيفاً أدى الى تظافر الجبهة الشعبية الفرنسية عليها ،
واسهى الأمر بأن أصدر ليون بلوم قراراً مؤرخاً في 26 مارس 1937 يقضى بحلها.

ومن جهة أخرى فقد أسس الشيخ عبد الحميد بن باديس جمعية
دينية سنة 1928 سماها (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التفت
حولها البقية الباقية من رجال العلم والدين في الجزائر كالأساتذة البشير
الابراهيمي والعربي التبسي والطيب العقبي ، فقامت لتنتشر في الظاهر المبادئ
السلفية القوية ، ولتعمل في الباطن على دعم جانب الحركات السياسية بيعت
مقومات القومية الجزائرية من دين ولغة وتاريخ ، وجعل لسانها مجلته
(الشهاب) التي كان أنشأها من قبل وكانت لها موافق شريفة في الدفاع
عن القضايا المغربية ، ثم أنشأت الجمعية جرائد أسبوعية كان الاستعمار
يصادرها الواحدة تلو الأخرى كجرائد (الشريعة) و (السنة) ثم (البصائر)
بعد نهاية الحرب العظمى الثانية ، كما أنشأت في طول الجزائر وعرضها
مدارس لتعليم الناشئة الجزائرية أحكام دينها وقواعد لغتها وأمجاد ماضيها
والحقيقة ان هذه الجمعية كانت - في العمق - أخطر من كل خطر على فرنسا
ومستقبلها بالجزائر ، وأن فضلها على الجزائر قبل ثورتها التحريرية وأثناءها
وبعدها فوق كل تقدير .

وكمثال على نمو الشعور الديني والقومي الذي بثته الجمعية المذكورة
في نفوس الجزائريين نذكر رد الفعل الذي قابل به مسلمو مدينة قسنطينة
بول جندي يهودي يدعى الياهو خليفة على جدار مسجد من مساجدها وسبه
المسلمين جهاراً مساء يوم 3 غشت 1934 فقد هاجوا وحدثت بينهم وبين
اليهود مشادة تجرأ فيها هؤلاء الآخرون على ضربهم بالرصاص ، وقمت الليلة
بسقوط عدد من القتلى والجرحى في صفوف الجانبين ، وفي الغد أرسلت
الحكومة فرقاً من الجيش لحفظ الأمن بزعمها وكان بينهم عدد من اليهود بدأوا
يتحشرون بالمسلمين فتجدد القتال بين الجيش والأهالي ، وبين الأهالي
والمدنيين اليهود الذين جاؤوا من أحيائهم لمواصلة الانتقام من المسلمين ،
ولم يخمد القتال الا بعد ما سقط عدة مئات من القتلى والجرحى واستدعيت
الى قسنطينة قوات مسلحة كبيرة .

وقد خلف هذا الحادث أثراً عميقاً في فرنسا حتى طالب بعض المسؤولين فيها بإرسال خمسمئة طائرة حربية لتعزيز القوات الموجودة في الجزائر ، كما تمخص عن ظهور شخصيات جديدة على المسرح السياسي الوطني كالدكتور ابن جلول ، والصيدلي عباس فرحات الذي أصبح رئيساً للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فيما بعد .

وواكب تأسيس جمعية العلماء تأسيس عدد من المنظمات الجزائرية القومية ، كالفرق الرياضية والكشفية ، والأندية الثقافية والأجواق الموسيقية والفرق التمثيلية وصدر عدد من الصحف والمجلات ذات اتجاهات واختصاصات متعددة ، فكان لكل ذلك أثر قوي في بروز الشخصية الجزائرية.

وبعد انتصار الجبهة الشعبية في فرنسا انعقد في الجزائر يوم 7 يونيو 1937 مؤتمر إسلامي تحت رئاسة الدكتور ابن جلول ومشاركة جميع الهيئات الجزائرية ما عدى جمعية نجم الشمال الأفريقي ، وبعد مداوات وضع المؤتمر لائحة من المطالب من أهمها مشاركة المسلمين في الانتخابات النيابية مع احتفاظهم بحالتهم المدنية وإلغاء بعض القوانين الجائرة والاعتراف باللغة العربية لغة قومية في الجزائر ، وعين المؤتمر وفداً للذهاب إلى باريس ودعته الأمة في مظاهرات عظيمة، واستقبله ليون بلوم رئيس الحكومة الفرنسية يوم 23 يوليو وأخبره أن حكومته ستدرس المطالب بكل عناية ، وأنها تستعد لإدخال عدة إصلاحات في الجزائر ، وكان لهذا الاستقبال صدى إبتهاج لدى الشعب الجزائري الذي راح يعبر عن فرحته بمختلف التعابير ، ولكن إدارة الجزائر ومستعمرها أعادوا تمثيل الدور الذي مثله عند ظهور حركة الأمير خالد عقب نهاية الحرب الأولى، فجمعوا مؤتمراً ضم شيوخ البلديات الفرنسيين، وشيوخ الطرق الصوفية المسلمين وعارضوا تلك المطالب على تفاهتها بدعوى أنها تؤدي إلى القضاء على الشخصية الفرنسية ، واغتنمت الإدارة الفرنسية اغتيال مفتي الجزائر كحول ابن دالي أحد كبار المتعاونين معها فقامت بحركة قمع وقدمت بعض أعضاء المؤتمر إلى المحاكمة .

أما أنصار جمعية نجم الشمال الإفريقي الذين لم يشتركوا في المؤتمر فانهم طلبوا يمثلون الفكرة القومية الصحيحة ويعارضون كل خطة لا تستهدف الاعتراف باستقلال الجزائر وسيادة شعبها ، وأسسوا في مارس 1937 هيئة جديدة سموها (حزب الشعب الجزائري) جعلوا نظمها وخططها موازية لنظم وخطط الحزب الوطني بالمغرب والحزب الدستوري بتونس ، ولكن الإدارة الفرنسية اعتقلت هيئة الحزب الجديد في 17 غشت من نفس السنة ، وحكمت على زعيمه مصالي الحاج وآخرين بالسجن لمدة سنتين ، ولما أطلق سراحه سنة 1939 كانت جميع الطبقات الجزائرية الحية تشعر شعوراً واحداً ، غير أن الوضع الدولي كان بلغ نهاية التأزم ، وأخذت بوادر الحرب العالمية تلوح في الأفق ، ولذلك ما كاد مصالي الحاج يعود الى استئناف نشاطه حتى اعيد هو وثلة من المخلصين الى السجن في 4 أكتوبر 1939 وبعد ما قضى 17 شهراً في الحبس الاحتياطي حكم عليه يوم 28 مارس سنة 1941 بالسجن 16 سنة مع الأشغال الشاقة ، وبالنفي 20 سنة ، وبثلاثين مليون فرنك خطيئة .

وفى 3 مارس 1943 - والحرب العالمية الثانية حامية الوطيس وفرنسا تترزح تحت نير الاحتلال الألماني أنشأ عباس فرحات حزب هيئة أصدقاء البيان ، مطالبة بتأسيس جمهورية جزائرية وبرلمان منتخب انتخاباً حراً ، فلم يزد جواب الجنرال دو كول رئيس لجنة التحرير الفرنسية على اعلان قبوله لفئات من المثقفين الجزائريين في حظيرة الأسيرة الفرنسية ، وكان لهذا الجواب صدى اشمزاز في نفوس المثقفين الذين يعنيههم القرار ، وجيء بمصالي الحاج من منفاه بالصحراء بقصد التفاوض معه فأبى التفاوض الا على أساس المبادئ والمطالب التي سجن من أجلها فأعيد الى منفاه السحيق بالصحراء ، ثم دعى عباس فرحات وعبد القادر السائح للحضور في اجتماعات بدار الحاكم العام ولما امتنعا من الحضور ارسلوا الى السجن فوراً .

وبعد ما استسلمت ألمانيا النازية للحلفاء سنة 1945 تقرر الاحتفال بالنصر يوم 8 مايو في بلدان جميع الدول التي شاركت في قهرها ، واستعد الشعب الجزائري بدوره للتظاهر احتفالاً بنصر شارك في احرازه بـ 300.000

من أسائه ، وصحى بعشرات الألوف منهم ، ولكن الإدارة الاستعمارية دبرت
مكيدة لقلب الأمزاج الى أنزاع ، فأرسلت في ذلك اليوم جيشها المدجج بأحدث
الأسلحة وأشدّها فتكاً للبطش بالمتظاهرين المسلمين في عمالة فسنطينة
ولاسيما في مدينة سطيف ، واشترك في الفتك سلاح الطيران وسلاح البحرية ،
ودمرت قرى برمتها وحرقّت أخرى على سكانها وانجلت المذابح عن استشهاد
45.000 جزائري لا ذنب لهم الا أنهم حرروا فرنسا نفسها من مهانة الاحتلال
ورجوا أن تمنحهم حريتهم احتراماً للمبادئ التي كان الحلفاء يبشرون بها .

وفي شهر غشت 1945 عندما كانت شعوب كثيرة تنفض عنها غبار
الاستعمار والاحتلال وتستنشق ملاً رثيها نسمات الحرية استجابت فرنسا
لمطلب قديم تقدم به (الوطنيون الجزائريون سنة 1920 ! فقرر برلمانها أن
يسرى في العدد بين النواب الذين يبعثهم اليه المسلمون والآخريين الذين
يبعثهم اليه المستوطنون الفرنسيون .

وفي شتاء سنة 1946 وافق المجلس التأسيسي الفرنسي الأول على
قانون المعو فصرح من السجون وأعيد من المنافي 5000 جزائري فيهم عباس
فرحات ومصالي الحاج . وأعاد الأول تأسيس حركته تحت اسم (الاتحاد
الديمقراطي للبيان الجزائري) وأعاد الثاني تأسيس حزبه تحت اسم (حركة
انتصار الحريات الديمقراطية) واتجهت المنظمتان اتجاهاً ايجابياً فشاركتا
في الانتخابات البلدية والاقليمية والبرلمانية ونجحتا بذلك في اسماع صوت
الجزائر المسلمة العربيّة من فوق منابر مؤسسات شرعية لا يستطيع أحد
أن يظعن فيها ، كما نجحتا في تنمية الشعور الوطني في الجزائر وتعبئة
كافة قواها الحية ليوم موعود ، أما فرنسا فانها لجت في عتوها وواصلت
تجاهلها لارادة الشعب الجزائري ووضع مجلسها التأسيسي الثاني في
20 شتنبر 1947 قانوناً أساسياً للجزائر لا يخرجها من الجامعة الفرنسية
ولكنه يعترف بشخصيتها المدنية واستقلالها المالي ونظامها الخاص ، وحتى
الفوائد الهزيلة الصورية التي تضمنها القانون الجديد لم يكن للمسلمين أن
يعنوا ثمارها ، لأن ارادة الهيئة الحاكمة والجالية الفرنسية في الجزائر كانت

أكبر من العاينون نفسه وهكذا زورب الانتخابات التي جرت في مارس 1949 تزويراً قطعياً وصارت كلمة (الانتخاب على الطريقة الجزائرية) تدل في فرنسا وغيرها من البلدان على تدخل الحكومة المكشوف في التزييف والتزوير ، وظهر الى الوجود من جديد جماعة من « المنتحبين » المتعاونين الذين سماهم الوطنيون (بنى وى وى Les Beni Oui Oui) لأهم كانوا يسمعون فيطعمون .

وبذلك سدت الأبواب جميعها في وجه الشعب الجزائري وخاب خيبة مريرة ورأى ان الأحزاب السياسية أتمت تمثيل الأدوار التي عهد اليها بتمثيلها ، وأن افئاف فرنسا وحالتها الفاطنة في الجزائر والمستحوذة على خيراتها لا يكون الا عن طريق القوة ، واقترن هذا الشعور الجديد بانشقاق حصل في حركة انتصار الحريات الديمقراطية في يبرابر سنة 1954 وظهور لجنة ثورية للاتحاد والعمل (C. R. U. A.) تضم اطراراً للتنظيم السياسي والتنظيم الخاص (O. S.) وشرعت هذه اللجنة منذ صيف سنة 1954 تعد العدة لاعلان ثورة مسلحة ، فأحصت الشبان القادرين على حمل السلاح ، وجمعت أسلحة وذخائر من مختلف الأحجام ، ونظرت في مشاكل التموين والمواصلات ، ومع ان الشرطة الفرنسية نجحت في القضاء على حياة التنظيم الخاص فان لجنة من سنة أعضاء واصلت اجتماعاتها اليومية في الجزائر ، فقسمت البلاد الى مناطق ونواحي وجهات وعينت المسؤولين عنها ، ووزعت الأسلحة الأتوماتيكية ، وانطلق المسؤولون الى الأماكن التي حددت لاقامتهم لاحكام التنظيم ، وبعدما تمت الترتيبات كلها تقرر تأسيس جبهة للتحرير الوطنى تنصهر فيها جميع المنظمات القومية الجزائرية ، وحدد اعلان الثورة المسلحة في الدقيقة الأولى من صباح يوم 1 نونبر 1954 وأخبر السادة أحمد بن بلة ، ومحمد الخيضر ، والحسين آيت أحمد الذين كانوا يمثلون الجزائر في مكتب تحرير المغرب العربى بالقاهرة بكل ذلك ، وطلب منهم تبليغه الى الحكومة المصرية في الوقت المناسب .

وفي ساعة (الصفر) من ليلة الاثنين 1 نونبر 1954 (5 ربيع الأول 1374) اندلعت الثورة المسلحة التي لم يجد الجزائريون وسيلة غيرها لنيل

محورهم واسرجاع حريتهم ، فكان ذلك بداية ما عرف فيما بعد بحرب الجزائر وايداناً أيضاً ببلاد الدولة الجزائرية الحرة المستقلة ، وأقبل التسبان والشيوخ والنساء والعقيات على النطوع في صفوف جيش التحرير بينما بدأت الحكومة الفرنسية تتورط شيئاً فشيئاً في معركة لا مخرج لها منها الا بالهزيمة فأرسلت القوات تلو القوات الى الجزائر حتى ارتفع عددها من 80.000 جندي سنة 1954 الى 500.000 جندي سنة 1957 ولم يسبق لفرنسا أن جردت حملة استعمارية بهذه الضخامة أو رصدت من المال أو أعدت من الاسلحة والذخائر الخفيفة والثقيلة ما رصدت وأعدت لمواجهة ثورة الشعب الجزائري .

وقامت فرنسا في جميع انحاء القطر الجزائري بحملات ارهاب واسعة النطاق ، وأنشأت معسكرات للاعتقال في طول البلاد وعرضها وتفننت في تعذيب الأهالي وانتهاك حرمتهم وبنيت سدوداً من الأسلاك الشائكة المكهربة على طول الحدود الممتدة شرقاً وغرباً مئات الأميال ، ولكن ذلك لم يعت في عصد الشعب الجزائري الذي ضاعف ضرباته للفرنسيين وألف قادة الثورة حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية يوم 19 شتنبر 1958 جعلوا مقرها أولاً في القاهرة واعترفت بها دول الجامعة العربية والدول الأخرى المؤيدة للحرية وقبلت المملكة المغربية والمملكة الليبية والجمهورية التونسية التي اسعادت حديثاً حريتها أن تقاسم الجزائر المصير ، فجعلت من ترابها الوطني مراكز لتدريب جيود جيش التحرير وخزن أسلحتهم وتكوين أطهرهم الادارية ، ومنطلقاً لشن الغارات على الفرنسيين والتسرب الى داخل الجزائر ، الشيء الذي كان يعرض على الدوام المدن والقرى الواقعة بحدود تلك الدول الثلاث وسكانها للانتقام من طرف الطائرات والمدافع الفرنسية .

وبعد حرب قاسية دامت أزيد من سبع سنين ، واللجوء الى عدد من التجارب والحلول ، وانقلابات كادت تعصف بالكيان الفرنسي نفسه لم تر لفرنسا مناصاً من التفاوض مع الممثلين الشرعيين للشعب الجزائري على اساس الحل الوحيد الذي لا يقبلون غيره ، وهو الاعتراف باستقلال الجزائر ، في شهر يوليوز 1961 اجتمع ممثلو جبهة التحرير الوطني مع ممثلي

الحكومة الفرنسية في لوكراين Lugrain على الحدود الفرنسية - السويسرية ، ولكن الاجتماع انتهى الى فشل ، وفي 11 يبرابر 1962 استؤنفت المفاوضات بايفيان EVIAN وانتهت يوم 18 مارس بالتوقيع على اتفاقيات تتعلق بايقاف الحرب ، والاستقلال ، والتعاون ، ولبلوغ هذه الغاية اتفق على تأليف هيئة تنفيذية مؤقتة لتسيير الادارة الداخلية واعداد الاجراء لاجراء استفتاء حول تقرير المصير ، وبالفعل جرى الاستفتاء يوم 1 يوليو فاختار الشعب الجزائري الاستقلال بأغلبية 72 ، 99 ٪ (5.975.581 صوتاً ضد 16.537 صوتاً) ، ونتيجة لذلك اعترف الجنرال دو كول رئيس الجمهورية الفرنسية باسم فرنسا باستقلال الجزائر وفي نفس اللحظة سلم مندوب فرنسا السامي جميع سلطات السيادة الى رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة .

واستقر بعض أعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في العاصمة لتسيير دفة الشؤون الخارجية في حين احتفظت الهيئة التنفيذية بتسيير الشؤون الداخلية ، وشرعت وحدات جيش التحرير التي كانت معسكرة في المغرب وتونس تدخل الى الجزائر .

وفي 6 يوليو صدر العدد الأول من الجريدة الرسمية للدولة الجزائرية ، وعين عمال مسلمون على اقليى وهران والجزائر ، وحدد يوم 12 غشت لانتخاب مجلس وطني .

وبعد خلاف بين الحكومة المؤقتة وقيادة جيش التحرير التف العسكريون حول السيد أحمد بن بلة ، وألغوا يوم 22 يوليو في تلمسان مكتباً سياسياً لجبهة التحرير تمكن من الاستقرار بقلب العاصمة يوم 3 يوليو ، وقلت استقراره اضطرابات في صفوف الجيش والهيئات السياسية أدت الى تأخير الانتخاب عن الموعد المحدد له في الأول ، فلم يجر الا يوم 20 شتنبر ، ولما جرى فازت قوائم النواب المرشحين من طرف المكتب السياسي ، وفي يوم 25 اجتمع المجلس الوطني وتسلم السلط التي كانت بين أيدي الهيئة التنفيذية المؤقتة وسمى الدولة باسم (الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية) وانتخب السيد فرحات عباس رئيساً له ، وكلف في يوم الغد

السيد احمد بن بلة بتأليف أول حكومة وطنية في وطن محرر ، فآلها وقدمها الى البرلمان يوم 28 والقي بمناسبة تنصيبها خطاباً شرح فيه سياستها .

وشرع السيد أحمد بن بلة يدير دفة السفينة وسط بحر عاصف الأمواج ، ويحاول تطبيق سياسة اقتصادية قوامها التأميم والتسيير الذاتي ، وأسّرت الأقطار المغربية والعربية والاشتراكية الى مساعدة الدولة الناشئة كي تتغلب على مصاعبها ، وزار الملك الحسن الثاني الجزائر يوم الأربعاء 13 مارس 1963 (17 شوال 1382) وحمل الى الجيش الجزائري عتاداً ثقيلاً هدية من الجيش المغربي ، وأبرمت أثناء وجوده في الجزائر أوفاق عديدة للتعاون بين القطرين المتجاورين في مختلف الميادين ، ولكنه لم يكد يرجع الى مملكته حتى ظهرت حالة توتر بالحدود وشرع في اضطهاد المغاربة القاطنين بالجزائر ، ومع أن وفداً مغربياً (32) ووفداً جزائرياً اجتمعا بوجدة يوم السبت 5 أكتوبر 1963 (16 جمادى الأولى 1383) لتصفية الجو وتفريج الأزمة واتفقا على عدد من النقاط الكفيلة بذلك صدر بها بلاغ مشترك هاجم الحبش الجزائري يوم الثلاثاء بعده (8 أكتوبر - 19 جمادى الأولى) عناصر الأمن المغربي المتمركزة في مركزي حاسي البيضاء وحاسي تينجوب داخل التراب المغربي وقتك بها فتكاً ذريعاً ، ثم وسع مناطق العمليات الى جهات أخرى ولكن الجيش المغربي كر عليه وأجلّاه عن المراكز المحتلة وأسر مئات من رجاله كما أسر بعض ضباط الجيش المصري الذي جاء لنجدة، وكادت العمليات تتطور الى حرب عامة بين البلدين لولا ان تدخل بعض الرؤساء الأفارقة قصد تسوية المشكل فانعقد اجتماع بباماكو عاصمة مالي أسفر عن صدور بلاغ مشترك يوم الأربعاء 30 أكتوبر (12 جمادى الثانية) .

واستمر السيد أحمد بن بلة في الحكم يحاول تطبيق التجربة الاشتراكية من جهة والتغلب على معارضيه من جهة ثانية ، ولكن هؤلاء تغلبوا عليه في النهاية وأقصوه عن الحكم يوم 19 يونيو 1965 فحل محله فيه الكولونيل بومدين الهواري وزير الدفاع الوطني الذي أصبح يحكم الجزائر منذ ذلك الحين باعتباره رئيساً لمجلس الثورة

(32) تراس وفد المغرب الأقصى في هذا الاجتماع السيد احمد رضا قديره المدير العام للديوان الملكي ، وتولى مؤلف الكتاب الذي كان عضواً في الوفد تلاوة البلاغ المشترك ، أما الوفد الجزائري فكان يرأسه السيد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائرية .

تونس في العصر الحديث

بدأ التدخل الفرنسي في تونس بمجرد ما ثبتت فرنسا اقدامها في مدينة الجزائر ، فبعد شهر واحد من احتلالها لعاصمة المغرب الاوسط أرسلت قطعاً من أسطولها الحربي الى تونس (17 غشت 1830 - 27 صفر 1246) طالبة تعديل شروط المعاهدات المعقودة معها من قبل والتي كانت ترى فيها اجحافاً ، ولم يكتف الباي حسين باشا بقبول التعديلات المقترحة ، بل قبل فوق ذلك أن يتعاون مع جيش الاحتلال الفرنسي ، وكان الحامل له على ذلك حب الانتقام من أتراك الجزائر الذين كان أتراك تونس يحققون عليهم والطمع في نيل حظ من الغنيمة الجزائرية ، وهكذا وجه الباي رسائل الى علماء الجزائر وأعيانها يدعوهم الى الاستسلام للجيش الفرنسي ، ثم اتفق مسح المرشال كلوزيل قائد الجيش الفرنسي بالجزائر على ارسال أحد أفراد أسرته على رأس قوة عسكرية الى وهران لضبطها ، فارسل خير الدين آغا على طهر سفينة فرنسية يوم 19 يناير 1831 (5 شعبان 1246) رغم معارضة أكثره رجال أسرته وأعضاء حكومته ، وبعد وصوله الى وهران أمده بثلاثمئة من المخازنية وعسكر زواوة ، ولكن خير الدين عجز عن ضبط المدينة وصد الاعراب الذين كانوا شمروا عن ساق المقاومة والجهاد ، فاضطر بعد ثمانية أشهر الى العودة الى تونس وفد كان شاع فيها نبأ غضب الخليفة العثماني على الباي الذي منع أحد مبعوثيه من النزول الى البر التونسي وتجاهر بالتعاون مع الفرنسيين .

وكانت البلاد التونسية تعيش تحت نظام عسكري قاهر ، واهلها مرهقين بكثرة الضرائب والمقارم ، والولاة يتلاعبون باموال الدولة ولا يدعون فرصة للاستغناء ولو على افقار الناس واجاعتهم الا انتهزوها ، وقد بلغ الامر ببعضهم الى القيام بمضاربات تجارية - ولا سيما في شراء الزيت وتصديره - لم تكن تدفع الفلاحين ومتوسطى التجار الى رفع العقيرة بالشكوى فقط ، بل ويسر الأسباب أيضاً لتدخل القناصل الاجانب في الشؤون التونسية الداخلية والنيل من هيبة الدولة وكرامتها .

وقد أصبح من المألوف أن تبعت الدول الأوربية بما فيها الدول الصغيرة كدولة سردينيا ودولة نابولي — سفنها الحربية الى تونس لأنفسه الأسباب فتملئ شروطها وتوقع مزهوة فخورة والمدافع التونسية تحبس بطلقاتها اعلامها القومية ، وبلغ الحال ببعض القناصل الى التدخل حتى فى ناديب الباي لخدام قصره الداخليين ، والتهديد بإعلان الحرب لمجرد طلبه نفى بعض رعاياهم المجرمين .

وكان البايات ورجال دولتهم وأعضاء حاشيتهم نهبا لعاملين عاطفين : عامل الاحتفاظ بالتبعية الاسمية للسلطنة العثمانية مع ما يسببه ذلك من العزلة لهم وازدياد الطمع الأوربي فى الاستيلاء على اياالتهم ، وعامل قبول التبعية الفعلية لها مع ما يجره ذلك من القضاء على حريتهم الواسعة فى التصرف ، وازاء الحاج الحكومات العثمانية المتتالية عليهم بقبول التبعية المطلقة كانوا يخلصون بأصناف الهدايا وأنواع المراوغات والاعتذارات ، وأخيرا حددت العلاقات بين تونس وتركيا بمقتضى مرسوم (فرمان) سلطاني صدر سنة 1288 (1871 م) يجعل تونس ولاية عثمانية لواليسها الحق فى تولية المناصب العسكرية والشرعية والمالية لمن يكون أهلا لها وفى اجراء المعاملات العادية مع الدول الأجنبية ما عدا أمور السياسة والحرب ، وسعت الحكومة التركية (الباب العالي) فى موافقة الدول الأجنبية على مضمّن هذا المرسوم فوافق أكثرها وأبت فرنسا لأنه يعاكس نياتها المبيتة لاحتلال تونس ، ورعم الخيوط الواحية التى كانت تربط البايات بسلاطين آل عثمان استفاد القطر التونسى كثيرا من التجارب الإصلاحية والتنظيمات العصرية التى كانت تركيا شرعت فى ممارستها وتطبيقها ، وقد اهدت حكومة البايات أخيرا — بشوجيه الوزير المصلح خير الدين الى أن أحسن وسيلة لمقاومة التدخل الأوربي هو اصلاح أنظمة الدولة العتيقة ، والاخذ بأسباب العلم والحضارة والتنظيم التى جعلت دول أوربا وشعوبها تتفوق على غيرها من الدول والشعوب ، وأصدر الباي محمد باشا — تحت تهديد القناصل الأوربيين — دستورا (عهد الامان) يوم الأربعاء 9 شتنبر 1857 (20 محرم 1274) وأنشأ (المجلس الأكبر) لشرح مواد العهد ودراسة القضايا وعرضها عليه .

وكان من الممكن أن ي دشّن (عهد الأمان) عهداً جديداً من التعاون بين الحكومة والشعب في تونس ، ولكن الدول الأوروبية التي وضعت نصب عينيها احتلال الأقطار الإسلامية والاستحواذ على خيراتها لم يكن ليرضيها أن تقتبس تونس من النظم أو تدخل من الإصلاحات ما يقيها الكارثة ، ولذلك سعت جهودها في التنفير من الإصلاحات العصرية بدعوى أنها تتنافى مع الدين، ووجدت من العلماء والفقهاء الجامدين خير معين لها على بلوغ مآربها فكانوا هم أيضاً يثيرون العامة ضد كل اصلاح ، والحقيقة أن الباي ورجال حكومته وحاشيته لم يكونوا راضين عن وجود قانون ومؤسسات تعد من سلطتهم ، وكانوا يتجاهلون عهد الأمان والمجلس الأكبر كلما ظهر لهم أن يقررو أمراً فيه مصلحة خاصة بهم ولو كان فيه ألف مضرة بالشعب عملاً بالمثل التركي الذي كان شعاراً لهم : (العربي خذ ماله واقطع راسه) وقد عمدوا سنة 1863 الى مضاعفة الضرائب المفروضة على الشعب فثار الناس ضد هذا القرار تحت رئاسة البطل علي بن غدام المساهلي الماجري في فاتح مايو 1864 (24 ذى القعدة 1280) وكان حضر أسطول فرنسي الى تونس قبل ذلك بيومين ونزل قائده وضباطه الى البر وتوجهوا صحبة قنصلهم شارل دويوفال الى الباي وطلبوا منه تعطيل الدستور فعطله في فاتح مايو (24 ذى القعدة 1280) .

وساءت الحالة المالية بعد ذلك سوءاً كبيراً نتيجة التبذير والاختلاس وسوء التصرف فبدأت حكومة البايات تستدين من المؤسسات الأوروبية والتجار الأجانب بربا مرتفع لمواجهة التكاليف ، ولما عجزت عن الاداء استغاث أرباب الديون بدولهم ، ففرضت هذه على الباي تأسيس لجنة (كوميسيون) فتركب من تونسيين وفرنسيين وانكليز وإيطاليين لمراقبة المالية التونسية (6 يوليوز 1869 - 26 ربيع الأول 1286) ، فكان ذلك علامة على وقوع تونس تحت سيطرة الاستعمار المالي وتهيئها للاستعمار السياسي .

ومع ان الوزير خير الدين كان من كبار المصلحين المسلمين في القرن الماضي فانه لم يكن رجلاً نزيهاً ، وانما كان من الاقطاعيين الكبار الذين لا يحول بينهم وبين قضاء مآربهم وازع مسن ديسن ولا عاطفة

وطية ، ولذلك هيج بتصرفاته الرأى العام وأغضب الباي حتى أخره عن الوزارة يوم 21 يوليو 1877 وقبل خروجه من تونس والتجائه الى تركيا باع عقاراته للشركة المرسيلية الفرنسية ، فرفض الباي الاعتراف بهذا البيع واضطربت الحالة فى داخلية البلاد ، وأدى الأمر الى طلب قنصل فرنسا من الباي قبول الحماية الفرنسية فرفض واستعد الشعب للمقاومة ، واغتنمت فرنسا حدوث بعض الوقائع فى حدود الجزائر وامتناع الباي من معاقبة سكان جبال خمير المتهمين فيها فقررت حينئذ غزو تونس وأرسلت اليها جيشاً يشتمل على 30.000 جندي مزودين بأحدث الأسلحة وأقواها ، فاضطر الباي محمد الصادق الى التوقيع تحت الاكراه على معاهدة يضع بمقتضاها ايلته تحت الحماية الفرنسية ، وكان ذلك بقصر باردو يوم 12 مايو سنة 1881 .

وما كاد نبأ توقيع المعاهدة المفروضة يشيع حتى هاج الشعب التونسي وهبت طوائف منه بوسط البلاد وجنوبها للمقاومة ، وكان حامل لواء الثورة هو على بن خليفة أحد رجالات الدولة البارزين ، فأرسلت فرنسا أسطول البحر المتوسط فى أوائل يوليو 1881 الى صفاقس فأصلى تلك المدينة بالأسلة نيران مدافعه ، ثم نزل جنوده الى البر يوم 16 يوليو واحتلوا المدينة بعد قتال عنيف وفتكوا بالمقاومين والسكان المدنيين وأوجبوا عليهم دفع غرامة حربية كبيرة ، ثم احتل الجيش الفرنسى القيروان فصعب على الوطنيين مواصلة المقاومة بعد ما اشترك جيش الباي نفسه فى محاربتهم الى جانب الجيش الفرنسى ، فالتجأ على بن خليفة الى طرابلس وانفض من حوله جل رجاله بعدما بذل لهم الباي الأمان بطلب من المقيم الفرنسى ، وبعد ذلك عرض الفرنسيون معاهدة أخرى على الباي تلزمه بإدخال الإصلاحات الادارية والعديلية والمالية التى تقترحها الحكومة الفرنسية، فوقعها بالمرسى يوم 8 يونيو سنة 1883 ، ومنذ ذلك التاريخ شرع المستوطنون الفرنسيون والأوربيون يفدون على تونس ويستحوذون على خيراتها الاقتصادية، وأخذت الإقامة الفرنسية تسن من القوانين وتدخل من التنظيمات ما يكفل مصالحهم ومصالح فرنسا بالدرجة الأولى ، وانتصب الحكام الفرنسيون فى طول تونس وعرضها يحكمون البلاد حكماً مباشراً متسترين بستار المراقبة .

واستتب الأمر في تونس للفرنسيين ، ولكن ذلك لم يمت في عضد المخلصين من أبنائها ، فتكونت حركة قومية بزعامة الشيخ محمد السنوسي أحد علماء جامع الزيتونة المتنورين ، ولكن السلطات الفرنسية نفتته الى قابس وسجنت عدداً من أنصار الحركة ، ثم ظهر الشيخ المكي بن عزوز وأخذ ينشر الحركة السلفية ويدعو الى الإصلاح ، فتأثر بأفكاره عدد من الشبان أصدروا بعد هجرته الى الشرق جريدة (**المستقبل التونسي**) باللغة الفرنسية ، وجريدة (**حبيب الأمة**) باللغة العربية للدفاع عن مصالح التونسيين .

وفي سنة 1905 كان الرعيل الأول من الطلبة الذين ذهبوا الى فرنسا للدراسة عادوا الى تونس مشبعين بالأفكار التحررية ، وتقدموا لتنوير الرأي العام التونسي وقيادته ، وكان من أبرزهم وأقواهم شخصية السيد علي أبوشوشة الذي أنشأ جريدة (**الحاضرة**) وجمع حولها كتلة قوية من أصدقائه وغيرهم من خريجي المعاهد الدينية والعصرية ، وقاموا بحركة قومية ودينية ترمى الى تقوية روابط تونس بحركة الجامعة الإسلامية وتطلب تنفيذ الدستور التونسي الذي لم تلقه الأوفاق المعقودة مع فرنسا ، وكانت هذه الحركة تتغدى بالأفكار الدينية والقومية التي دعا اليها زعماء الإصلاح الديني وقادة النضال السياسي في الشرق كالشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والاستاذ محمد فريد والزعيم مصطفى كامل .

وقد أثمرت هذه الحركة حدوث ثورة في القصارين تحت زعامة عمر بن عثمان أحد شيوخ القبائل سنة 1907 قام بها الأهالي احتجاجاً على اغتصاب الأراضي التونسية وتسليمها الى المعمرين الفلاحيين الفرنسيين ، فساقت فرنسا حملة عسكرية على الناحية أخذت ثورتها واعتقلت زعيم الثورة وأعدمته رمياً بالرصاص .

وحاولت فرنسا اثناء تلك السنوات تطبيق السياسة الرامية الى اضعاف الشعب التونسي وتكثير عدد الفرنسيين الاصلاء والمتجنسين ، وهي سياسة نفذتها في الجزائر منذ بداية احتلالها ، ولما كانت هي نفسها مزاحمة في تونس بعشرات الألوف من المستوطنين الايطاليين والمالطيين وكان هؤلاء لا رغبة لهم في التخلي عن جنسيتهم الأصلية فقد كثرت مخاوفها وخشيت أن يتفكروا في يوم من الأيام مع سكان البلاد الأصليين ويصبحوا وبالا عليها ،

لم تر امامها الا الطائفة اليهودية الوطنية فلوحت لأعيانها ومنعمى شبانها بالموائد والمزايا التي حصل عليها اخوانهم المتجنسون في الجزائر ، وربطت بين الفريقين حبل الاتصال ، فشنّت - في آن واحد سنة 1907 حملة قوية في تونس وفرنسا ومستعمراتها مطالبة بمنح الجنسية الفرنسية لليهود التونسيين وفك رقابهم من المواطنة الاهلية ! وكان رد الفعل من طرف المسلمين عنيفاً ، وتصدت ثلة من الشبان المتحمسين تحت زعامة المرحوم علي باش حانية لمقاومة هذا التيار الدعائي وفضح مقاصد الحماة الفرنسيين وتبيين ان كل عمل من هذا النوع يعد خرقاً للأوقاف المعقودة واعتداء على السيادة التونسية وسلطة ملكها ، فلم تر الحماية بدأ من التراجع عن السياسة المرسومة ، وجنى اليهود في مقابل ذلك ازدياد احتقار المسلمين لهم ومقاطعتهم لمناجرهم .

وقد شجع هذا الظفر جماعة السيد علي باش حانية ، فكونوا حزباً وطنياً سنة 1908 أطلقوا عليه حزب (تونس الفتاة) وأنشأوا جريدة (التونسي) باللغة الفرنسية وأصدروا طبعة منها بالعربية كان يتولى تحريرها الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، كما حفزت مقاطعة المؤسسات التجارية اليهودية جماعة من التجار المسلمين على انشاء مؤسسات تجارية واقتصادية تونسية لحماً ودماً ، وعدم ترك اليهود مستأثرين بالأعمال التجارية الكبرى .

ولما اعتدت ايطاليا على طرابلس الغرب سنة 1911 قام علي باش حانية وجماعة (تونس الفتاة) بدور كبير في تأليب الرأي العام في المغرب العربي على الايطاليين ، وكان هو وأنصاره صلة بين السفارة التركية ببافيس والقيادة التركية بطرابلس الغرب ، وصارت تونس بسبب ذلك ممراً سرياً يحتاز منه الضباط والاختصاصيون القادمون من تركيا عن طريق أوروبا الى ميادين القتال في ليبيا .

وقد كان من نتيجة الحقد الذي بثته جماعة (تونس الفتاة) في صدور التونسيين على الايطاليين اثر اعتدائهم على طرابلس حدوث اصطدام عنيف بالجلاز بين الطرفين في نفس السنة أسفر عن سقوط عدد عديد من القتل والجرحى ، واثّر ذلك قرر المقيم العام الفرنسي حل حزب (تونس الفتاة)

ونفى مسيريه الى الجنوب وابعاد على باش حانية وأخيه محمد وعبد العزيز الثعالبي الى خارج البلاد ، فلهق الأولان باسطمبول وقاما بدور كبير فى التشفيب على المستعمرين الفرنسيين والاطاليين والانكليز بالشمال الافريقى خلال الحرب العظمى ، واقام الأخير بفرنسا .

والحقيقة أن الوطنية التونسية - بمعناها التنظيمى السياسى - انما ولدت فى بداية هذا القرن على يد على باش حانية وجماعة (تونس الفتاة) وان هذا الحزب الذى كان متأثراً الى حد بعيد بالأفكار الثورية المقتبسة من حزب (تركيا الفتاة) والأفكار الاسلامية الاصلاحية المقتبسة من دعوات الزعماء المصلحين بالشرق دق المسمار الأول - الذى توالى بعده المسامير اثر نهاية الحرب العظمى الأولى - فى نعش الاستعمار الفرنسى بتونس .

وواصلت جماعة (تونس الفتاة) العمل فى الخفاء رغم رقابة الفرنسيين الشديدة ، وكانت تجتمع أحياناً داخل منزل الأمير محمد الحبيب الذى أصبح بانياً فيما بعد ، وفى بداية الحرب تمكّن الفرنسيون من اكتشاف جمع من أنصارها واعتقاله ، وظلت تلك الجماعة فى غيابات السجون حتى وضعت الحرب أوزارها .

ولما كان الحلفاء يهيئون معاهدات الصلح مع الدول المهزومة ، ومشروع تأسيس جمعية الأمم تقدم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وصديقه السيد أحمد السقا الى الرئيس ويلسون بمذكرة يطالبان فيها باستقلال تونس ، ولكن تلك المذكرة ألقى بها فى سلة المهملات كما ألقى بمذكرات أخرى تقدمت بها وفود وطنية أخرى ، فقرر الثعالبي اثر ذلك انتهاج خطة جديدة هى الاتجاه نحو الشعب الفرنسى نفسه لتنوير رايه وفضح الموبقات التى ترتكب فى تونس باسمه ، فاصدر فى سنة 1920 كتابه المسمى (تونس الشهيدة) باللغة الفرنسية شرح فيه أعمال الاستعمار الفرنسى وما ارتكبه من أمور تتنافى مع الاعراف الدولية والحقوق الانسانية ، متخلصاً فى النهاية الى المطالبة بتأسيس حكومة تونسية مسؤولة أمام مجلس يمثل الأمة التمثيل الصحيح ليتمكن الشعب من تدبير أموره والاطمئنان على مصيره .

وحينما كان الثعالبى ورفاقه يوالون جهودهم بفرنسا لصالح القضية التونسية بدأ زملاؤهم الذين لفظتهم السجون يتحركون ولكن فى حذر شديد مراعاة للظروف التى كانت تحيط بهم والتى تختلف تمام الاختلاف عن ظروف أصدقائهم الموجودين فى باريس ، ولما أحسوا بمظف الباي عليهم أسسوا حزباً جديداً سموه (حزب المستور) ، وشرحوا فى بيان بشروه على الشعب أهدافه التى تتلخص فى تبليغ الوطن رشده ، وتحريره من الاستعباد كى يصبح الشعب التونسى حراً متمتعاً بكامل الحقوق ، والسعى لبلوغ هذه الغاية عن طريق نظام دستورى يسمح للشعب بحكم نفسه بنفسه .

ومن البديهي ان هذه الأهداف هى أقل بكثير من أهداف حركة (تونس الفتاة) السابقة التى كانت تنادى بالاستقلال التام ، كما أنها أقل بكثير من الأفكار التى كان ينادى بها أعضاء الحزب الموجودون فى باريس ، ولكن هؤلاء - وفى مقدمتهم الثعالبى - اضطروا الى مسايرة الحركة وهم يؤمنون فى قرارة أنفسهم بأن الحل الوحيد هو الاستقلال، إيماناً منهم بأن ما ذهب إليه أصدقائهم تونس إنما هو احتيال سياسى .

وواصلت هيئة الحزب الجديد العمل على أساس المبادئ التى أعلنت عنها ، وكانت تستغل كل فرصة للفت الأنظار إليها وجع الصفوف من حولها ، وحدث ان الإقامة الفرنسية العامة حاولت الاستيلاء على الأحباس (الأوقاف) الخاصة التى تتصرف فيها بعض الأسر التونسية تمهيداً لاعطائها للمصريين الفرنسيين ، واستقرض 250.000.000 فرنك لتكميل عجز الميزانية فثار الجمهور ضد ذلك ، وألف الحزب وفداً ذهب الى باريس نجح فى إلغاء مشروع الاستيلاء على الاحباس وطلب القرض ، وقدم للحكومة الفرنسية مطالب معتدلة جداً ، ثم تألف وفد جديد ذهب الى باريس سنة 1920 ولكنه عاد كالوفد الأول دون الحصول على طائل .

أما الثعالبى فانه واصل عمله الدعائى والتنويرى بباريس ، ولكن الشرطة الفرنسية نفذ صبرها أمام عمله الدؤوب فاعتقلته بتهمة بالتآمر على أمن الدولة ، وسلمته الى السلطات الاستعمارية التى زجت به وبشلة من

أصدقائه في السجن العسكري ، وبعد تسعة أشهر أطلق سراحهم ، فقاموا بتنظيم الحزب الدستوري على أسس جديدة ، وانتخب الثعالبي رئيساً له ، واحمد الصافي أميناً عاماً وأنشئت خلاياه وتشكيلاته في جميع النواحي ، فاضطرت فرنسا لتعديل موقفها وبعتت لوسيان سان مقيماً جديداً الى تونس .

ولم يكد المقيم العام لوسيان سان يصل الى تونس يوم 6 يونيو 1921 حتى كان الحزب الدستوري هياً وفداً من أربعين شخصاً يمثلون مختلف طبقات الشعب - قدم اليه لائحة من المطالب التي سبق للوفود الأخرى ان قدمتها الى المسؤولين في باريس ، فأجابهم بأنه مستعد لتنفيذ المطالب التي لا تتنافى مع معاهدة الحماية ، وكان المقيم لا يقصد الا بعض الإصلاحات الجزئية التي لا علاقة لها باعلان دستور ولا بتأسيس حكومه مسؤولة أمام برلمان منتخب ، ثم توجه الوفد عند الباي محمد الناصر فاقتبلهم بحفاوة واستمع الى مطالبهم وأعلن تأييده لها واستعداده لتأليف حكومة دستورية .

وكان السيد مليران رئيس الجمهورية الفرنسية يستعد لزيارة تونس ، فوعدت فرنسا الباي بعزمها على تنفيذ الإصلاحات ان مروت الزيارة في هدوء ، وطلبت منه أن يستعمل نفوذه لدى الحزب لاقناعه بضرورة مجاملة رئيس الجمهورية اثناء زيارته لتونس .

وزار مليران تونس وقوبل بالحفاوة المناسبة ، ولكنه أغضب شعبها لما خطب وأعلن أنها ستظل مرتبطة بفرنسا الى الأبد ، وتقدم لوسيان سان الى الباي ببعض الإصلاحات البسيطة والمشوهة فرفضها ، واثناء هذا التوتر والغليان نشرت صحيفة فرنسية حديثاً نسبته الى الباي زعمت فيه أنه غضبان على رجال الحركة الوطنية لأنهم شيوعيون ، ولما اطلع عليه الباي ثارت ثائرتة وأمر رئيس وزارته ومدير تشريفاته بتكذيب مزاعم الصحيفة ، ولما لم يفعل ذلك خوفاً على أنفسهما من الفرنسيين عقد الباي ندوة صحفية كذب أثناءها ما نشر ، وأعلن عزمه على اعفاء وزيره الأول ومدير تشريفاته .

وحاول الباي تنفيذ عزمه ، وهو حق من حقوقه التي لا غبار عليها ، ولكن الفرنسيين تمسكوا ببقاء الشخصين المضروب عليهما ، فقابل الباي هذا التحدي باعلان تنازله على العرش ، واذ ذاك ثار الشعب تأييداً لملكه ،

واستنكاراً لسياسة الحماية ، ووقعت مظاهرة كبرى يوم 5 أبريل 1922 أدت الى اعتقال عدد كبير من الوطنيين والوجهاء ، فتراجع الباي ازاء هذا التأييد عن قرار التنازل ، ولكن المقيم الفرنسى توجه الى القصر على رأس فرقة من جد افريقيا ، وقدم الى الباي لائحة تشتمل على أسماء 36 من زعماء الحركة الوطنية طالباً المصادقة على قرار ابعادهم فرفض الباي ذلك بشم ، وبعد قليل فوجيء الناس بموته فى ظروف غامضة ، فخلفه الباي محمد الحبيب الذى صادق على الاصلاحات المفروضة وبدأ الفرنسيون ينفذون سياسة القمع من جديد .

وكان أهم هذه الاصلاحات تأسيس مجلس كبير يشتمل على أعضاء تونسيين وآخرين فرنسيين وانشاء غرفتين تجارية وفلاحية ! ولما ظهر الباي محمد الحبيب بمظهر الملك المتعاون بعد ما كان قبل اعتلائه على العرش بنظار بمظهر الأمير المخلص قرر الحزب أن يسافر الثعالبي الى الشرق للتعريف بالقضية التونسية ، فسافر سنة 1923 وزار عدداً كبيراً من الأقطار العربية والاسلامية وقام بدعاية قوية جعلته من زعماء المسلمين المشهورين ولم يرجع الا سنة 1936 ، اما فى داخل تونس فقد واصل الحزب الدستورى السير فى خطته تحت زعامة امينه العام السيد أحمد الصافى ، وقد ظهرت قوته من جديد اثناء المظاهرات التى نظمها سنة 1925 احتجاجاً على اقامة تمثال للكردينال لافيجرى اسقف الجزائر، وازداد الشعور الوطنى الهاباً اثناء الحرب التى كان يقودها السيد محمد بن عبد الكريم الخطابى فى منطقة الريف من المغرب الأقصى والتى تكبد فيها المستعمرون الفرنسيون والاسبانيون خسارات كبيرة فوقعت السلطات الفرنسية بالمرصاد للوطنيين التونسيين، ومنعتهم حتى من تفهيل بعض الروايات التى تذكر بالماضى المجيد ، واستولت على الاموال التى جمعت بقصد معاونة جرحى المجاهدين بالريف ، وحكمت على بعض الشبان الذين قاموا بهذا العمل الانسانى بالسجن خمسة أعوام مع الأشغال الشاقة وابعدت الى الجزائر الاستاذ أحمد توفيق المدنى من أجل كتابته مقالات حماسية ، ثم وقعت مظاهرات واضرابات سنة 1926 احتجاجاً على محاولة فرنسا تعيين قضاة فرنسيين بالمحاكم التونسية ، ولما أعلن الباي محمد

الحبيب تضامنه مع شعبه فى هذا الاحتجاج تراجعت فرنسا عن مشروعها ، ولكنها قررت عرض القضايا السياسية على المحاكم الفرنسية انتقاماً من القضاة التونسيين الذين أعلنوا تضامنهم مع الوطنيين .

والذى شد عضد الحركة الوطنية وزاد تفلحها فى كل الأوساط صدور أكثر من 20 صحيفة ومجلة باللغة العربية ، وواحدة (**الحجر**) باللغة الفرنسية لبث الدعاية وترويض المبادئ الدستورية ، وظهور حركة نقابية اسلامية ابتداء من سنة 1924 تحت زعامة البطل السيد محمد على الذى أبعد الفرنسيون فيما بعد الى خارج تونس هو وثلة من أصدقائه فماتوا جميعاً فى الغرب .

وخلال تلك الفترة ظهر على المسرح السياسى عدد من الشبان المتنورين سمح لهم الحزب مجال العمل ، وانضم واحد منهم وهو السيد الشاذلى خير الله الى اللجنة التنفيذية ، ولما أوقفت السلطات الفرنسية جريدة الحزب أصدر السيد الشاذلى جريدة (**العلم التونسى**) باللغة الفرنسية سنة 1927 ، ومع ان الجريدة الجديدة لم تكن تعبر — رسمياً — عن آراء الحزب استطاعت ان تجمع حولها الشبان الدستوريين المثقفين ، ولما أوقفتها السلطات الفرنسية سنة 1929 صمد الشبان الدستوريون وأصدروا جريدة (**صوت التونسى**) وكوبا لجنة لتحريرها وتوجيهها كان من بين أعضائها السيد الحبيب بورقيبة ، وبذلت هذه اللجنة جهوداً قوية فى الدفاع عن الأمانى القومية للشعب التونسى وفضح المكاييد الفرنسية ، ثم استقل الشبان الدستوريون عن السيد الشاذلى خير الله وأصدروا جريدة (**العمل التونسى**) فى فاتح نونبر سنة 1932 مسنديين رئاسة تحريرها الى السيد الحبيب بورقيبة بينما أصدر الحزب الدستورى جريدته الرسمية (**صوت الشعب**) باللغة الفرنسية .

وبينما كان الوطنيون التونسيون — كهولا وشبابا — يخوضون معركة التوعية السياسية خطرت للاستعماريين الفرنسيين فكرة الاحتفال بذكرى مرور 50 سنة على فرض الحماية الفرنسية واضفاء حلة نصرانية على هذا الاحتفال بعقد مؤتمر مسيحي كبير يقترون به .

وكان هذا الخاطر الجهنمي مظهراً لسياسة جديدة قررت فرنسا تنفيذها في مستعمراتها ، فقد صرح وزير خارجيتها أمام مجلس النواب أثناء درس فصل من الميزانية يتعلق بإعانة الجمعيات التبشيرية : (ان فرنسا اذا كانت لادينية في داخل حدودها فانها دينية في الخارج) ، اما اسقف تونس فانه صرح بدون ادنى تحفظ بأن المؤتمر المنوى عقده يعد حملة صليبية على تونس وان كان ملؤها المحبة والسلام !

وعرضت الاقامة الفرنسية العامة على المجلس التونسي مشروع تخصيص اعتماد مالي لتنظيم المؤتمر ، ولما عارض النواب المسلمون المشروع نموا من المناقشة ، واقرت السلطة مشروعها كما تشاء ، وازاء هذا النعدي بدا الشعب التونسي يحتج ويتظاهر ، ووقعت اضطرابات واصطدامات ، وحملت الصحافة الوطنية حملات عنيفة على السياسة الجديدة كان من نتائجها اخفاق المؤتمر وعدول الاستعماريين عن الاحتفال بالذكرى الخمسينية لفرض الحماية .

وفي سنة 1933 اتخذت الحكومة الفرنسية عدداً من الترتيبات لفتح باب التجنس بالجنسية الفرنسية في وجه التونسيين ، واستصدرت سلطات الحماية فتوى من رجال الشرع تجيز للمسلم التجنس بالجنسية الفرنسية دون أن ينسلخ عن الاسلام ، ففضحت الصحف الوطنية المؤامرة وشتت حملات عنيفة على رجال الشرع والحماية معا ، وقرر الأهالي مقاطعة المتجنسين ومنعهم من الدفن بالمقابر الاسلامية ، وحدثت بسبب هذه السياسة الجديدة الخرقاء وقائع دامية واضطرابات استصدرت بعدها الاقامة العامة يوم 6 مايو (أواخر عليه) من الباي أحمد تبيح للمقيم الفرنسي أن ينفي كل شخص يقوم بعمل أو دعاية ضد نظام الحماية ، كما قررت السلطات الفرنسية تخصيص أماكن لدفن أموات المتجنسين ، فكان هذا القرار نصراً للقومية التونسية من حيث لم يحسب الاستعماريون .

واثر ذلك عقد الحزب الدستوري مؤتمراً فوق العادة أسفرت اشغاله عن ميثاق يعلن (أن عمل الحزب في الميدان السياسي انما يرمى الى تحرير الشعب التونسي وتمكين البلاد من نظام بات وقار في شكل دستور يصون

الداتية التونسية ويقرر سيادة الشعب) كما قرر المؤتمر ضم أعضاء أسرة (العمل التونسي) الى اللجنة التنفيذية ، فما كان جواب فرنسا عن هذا الميثاق الا حل الحزب وتعطيل صحفهِ وتعيين السيد مرسيل بيروتون المشهور بصرامته مقيماً عاماً جديداً .

ولم يحصل انسجام بين المسيرين القدامى والمحدثين للحزب ، فاستقال من اللجنة التنفيذية السيد الحبيب بورقيبة وطرده منها الآخرون ، وارتبط منذ ذلك الحين تاريخ الكفاح السياسي التونسي بـ (الديوان السياسي) الذي ألفوه .

وشرعت الهيئة الجديدة تطبيق النظرية البورقيبية الرامية الى ابلاغ تونس مطامحها القومية على مراحل وبواسطة الحوار مع الفرنسيين ، وتمكنت من التغلغل في جميع الأوساط وخاصة في الأرياف ، فأقلق ذلك الفرنسيين واعتقلوا أعضاء الديوان السياسي وعدداً من الوطنيين البارزين يوم الاثنين 3 شتنبر 1934 ولم يسرحوهم الا في 23 مايو 1936 بعدما عمت المظاهرات تونس وسادها توتر كبير .

وكانت أحزاب اليسار الفرنسية المؤلفة للجبهة الشعبية تسلمت مقاليد الحكم بفرنسا ، فسافر السيد الحبيب بورقيبة الى باريس لفتح الحوار والتعريف بقضية بلاده وتنسيق العمل التحريري مع ممثلي الحركات الوطنية الأخرى في المغرب العربي ، ولاحت بوارق أمل لم تلبث الجالية الفرنسية ان عملت على اطفائها بما لها من جاه ونفوذ ، ولما سقطت وزارة ليون بلوم استسلمت الوزارة التي تلتها لتأثير الاستعماريين والرجعيين ، فاشتد الضغط على الوطنيين وقتلوا بالعشرات ، فيئس زعماء الديوان السياسي من كل حوار وبدءوا يستعدون لخوض معركة جديدة ، وجربوا قوتهم يوم 17 دجنبر عندما قرروا شن اضراب عام تضامناً مع وطنيي الجزائر والمغرب الأقصى ، فاكثرت السلطات الاستعمارية من الاعتقالات واوصلت المتابعات .

وتوالى المظاهرات الشعبية ابتداء من شهر يناير 1938 كما توالى سقوط المناضلين في ميادين الشرف فاضطر المقيم الفرنسي العام الى استصدار (أمر على) يوم 9 أبريل يعلن حالة الحصار ويفوض السلسط لقائد جيش

الإحلال ، وفي فجر يوم 10 أبريل شرع الجيش والشرطة في اعتقال زعماء الديوان السياسي وأعضاء الحزب البارزين ، وتوالت الاعتقالات طيلة الشهر ، وأصبحت المنافي والسجون غاصة بمئات الوطنيين .

واستمر الحزب يعمل في الخفاء ، ولما أعلنت الحرب العظمى الثانية نقل الوطنيون الى السجون العسكرية في الجزائر ونفذ في بعضهم حكم الإعدام ، ثم نقل زعماء الديوان السياسي الى سجون فرنسا وظلوا بها حتى احتل الالمان منطقتها الحرة وسلموا السيد بورقيبة الى الايطاليين ، فحاول هاولاء استغلاله ولكنه استمضى عليهم ، وأخيراً أعادوه الى تونس يوم 7 أبريل 1943 فوجد أعضاء الحزب ما بين ضالع الالمان ومتحفظ مترقب ، ولما احتسل الحلفاء تونس عبر الفرنسيون الجترال حوان المشهور بتهوره وحقده وعنعه مقيماً عاماً باليابة ، فتعى الباي محمد المنصف الى الجزائر وشن حملة انتقامية قتل فيها كثير من التونسيين ومثل بهم ، واختفى السيد بورقيبة عن الأنظار حتى توسط لمصلحته الأمريكيون الذين كان على اتصال بهم ، واثّر خروجه قدم للجترال ماست المقيم الفرنسي الجديد مشروع اصلاحات يرمى لتطويع نظام الحماية ، ولكن الفرنسيين قرروا في مارس 1944 ويبرابر 1945 ادخال (اصلاحات) قضت على قسم عظيم مما بقي من مظاهر السيادة التونسية ، فأدرك الوطنيون ان لا خير يرجى من (فرنسا الحرة) ولا من (الجمهورية الرابعة) التي أنشأتها وقرروا البحث عن التأييد الخارجي لقضية بلادهم .

وغادر السيد بورقيبة تونس متنكراً يوم 26 مارس 1945 فوصل القاهرة في 28 أبريل بعد ما تكبد مشاق وعانى أهوالا ، وضم جهوده الى جهود الوطنيين المقاربة والجزائريين المقيمين بها ، وأسسوا (مكتب المغرب العربي) في شهر مايو سنة 1946 واتخذوه قاعدة للتبشير بقضايا الشمال الافريقي ، ثم سافر الى الولايات المتحدة الأمريكية وشرع يتجول في بعض الاقطار العربية ، وعاد أخيراً الى تونس في 8 شتنبر 1949 فاستأنف الديوان السياسي تحت رئاسته الاتصال المباشر بالشعب ، ثم سافر في 12 أبريل 1950 الى فرنسا وغرض مشروع اصلاحات في سبع نقط يرمى مجموعها الى تحقيق الاستقلال الداخلي وعاد الى تونس يوم 3 غشت بعد ما خلفت اتصالاته وخطبه وتصريحاته

أثراً عظيماً في الرأي العام الفرنسي ، وبعد 13 يوماً تألفت وزارة برئاسة السيد محمد شنيق شارك فيها الحزب على أساس التفاوض مع فرنسا لانجاز الحكم الذاتي ، ولكن المفاوضات تعثرت نتيجة الضغط الذي قامت به الجالية الفرنسية ، ثم هدد الحزب بالانسحاب من الحكومة على اثر المجزرة التي دبرتها تلك الجالية ضد عمال النفيضة يوم 22 نونبر ، وغادر السيد الحبيب بورقيبة تونس يوم 2 يبراير 1951 للقيام بجولة طويلة حول العالم أوصلته الى جاكرتا شرقاً وسكندينايا شمالاً والولايات المتحدة غرباً وأجرى اتصالات مع كثير من المؤسسات السياسية والوطنية والنقابية ، وبعد ما اشتد الضغط على الوطنيين في تونس بعثت الحكومة التفاوضية رسالة الى الحكومة الفرنسية في 31 أكتوبر ذكرتها فيها بالفاية التي فتحت المفاوضات من أجلها ، وطالبتها بتحديد موقفها من وعدها القاضي بمنح تونس استقلالها الداخلي ، ولكن فرنسا ردت في 15 دجنبر بأن الاستقلال الداخلي يعني في الواقع اقرار السيادة المزدوجة ، وانه لا بد أن يكون للفرنسيين وجود في الحكومة والهيئات النيابية . وان بين تونس وفرنسا روابط أبدية لا تنقسم عراها ، فاضطربت تونس بعد ورود هذا الرد واضرب الشعب عن العمل ثلاثة أيام متوالية . ثم ازدادت الحالة تخرجاً عند ما قدمت الوزارة التونسية يوم 14 يناير 1952 شكوى ضد فرنسا الى الامانة العامة لمنظمة الأمم المتحدة ، فاهتزت فرنسا للمباغته وما انطوت عليه من تحد ، وتجددت في تونس المظاهرات .

وبلغت الأزمة اشدها يوم 18 يناير حينما اعتقلت السلطات الاسنعمارية السيد الحبيب بورقيبة من جديد ، ونفت عدداً كبيراً من مسيري الحزب الى الصحراء ، ويوم 26 مارس حينما اعتقلت رئيس الحكومة السيد محمد شنيق وأعضاء حكومته ، فتشكلت لجان الارهاب ، وتعطلت دواليب الادارة ، وتدهورت الحياة الاقتصادية ، فازداد حقد الاستعماريين على الحركة الثورية ، وتعارفت القوات (النظامية) مع منظمة (اليد الحمراء) التي ألفنها الجالية الفرنسية على الفتك بالتونسيين وانتهاك حرماهم . ومن أشهر ضحايا الهيئة الأخيرة الزعيم النقابي السيد فرحات حشاد والمرحوم الهادي شاكر الذي اخرج من معتقله تحت انظار حراسه وأعدم وألقيت جثته على قارعة الطريق .

ونصبت فرنسا حكومة عميلة برئاسة صلاح الدين البكوش ، ثم حكومة عميلة أخرى برئاسة محمد الصالح المزالي ، وأدخلت في ماي 1953 ومارس 1954 اصلاحات رفضها الشعب لأنها لا تستجيب لرغائبه في وحدة السيادة واستكمال مقوماتها الأساسية ، وازداد لهيب الثورة اشتعالا ، ودرست القضية التونسية مرتين في منظمة الأمم المتحدة ، وفي هاتيك الظروف الحالكة انهزمت القوات الفرنسية في ديان بيان فو بالهند الصينية ، وأمسك السيد مانديس فرانس بمقاليد الحكم في فرنسا يوم 18 يونيو 1954 فسافر الى تونس يوم 31 يوليو وأعلن في خطاب رسمي أمام الباي بقصر قرطاجنة استقلال تونس الداخلي ، وتألقت يوم 2 غشت حكومة تفاوضية شارك فيها الحزب الدستوري .

وبدأت المفاوضات بين الجانبين التونسي والفرنسي يوم 4 شتنبر بتونس ، وانتقلت الى باريس في الثالث عشر منه ، وتعثرت مرات عديدة نتيجة الجور السياسي المخيم على البرلمان الفرنسي ، وموقف غلاة الاستعمار بتونس الذين لم يسلموا بالأمر الواقع ، وأخيراً تم تحرير نصوص الاتفاقيات الضابطة للحكم الذاتي ووقعها المفاوضون بالحروف الأولى ، وعاد السيد الحبيب بورقيبة الى تونس في فاتح يونيو 1955 وقوبل بحفاوة كبيرة ، واستطاع خلال جولاته الدعائية أن يفهم معارضيه ، وكانت فرنسا قد أعادت جلالة الملك المرحوم محمد الخامس من منفاه السحيق بمدغشقر ، واتفقت معه يوم 7 نونبر على تمكين المغرب من السير نحو الاستقلال في دائرة التكافل، وائرھا صرح السيد كمي مولى رئيس الوزارة الفرنسية أمام البرلمان الفرنسي يوم 31 يناير 1956 ان اتفاقيات سنة 1955 لا تحول دون تمتيع تونس بالاستقلال على غرار المغرب الأقصى في نطاق التكافل .

وفي يوم 13 يبرابر 1956 طلبت الحكومة التونسية فتح مفاوضات جديدة مع الحكومة الفرنسية فقبلت فرنسا ذلك وابتدأت المفاوضات بوزارة الخارجية الفرنسية يوم 29 يبرابر ، ووقع يوم 20 مارس على اتفاق تعترف فيه فرنسا علنا باستقلال تونس وبطلان معاهدة 12 مايو 1881 التي لم يعد في إمكانها ضبط العلاقات الفرنسية التونسية .

ودخلت تونس منذ ذلك التاريخ فى عهد جديد من حياتها القومية ، وعهد الى السيد الحبيب بورقيبة يوم 11 أبريل بتأليف حكومة جديدة بعد ما كان انتخب رئيساً للمجلس القومى التأسيسى ، فعمل فى البداية على تصفية مخلفات الاستعمار والامساك بمقاليد البلاد ، وسعى فى الحصول على اعتراف الدول باستقلال بلاده فتم له ما أراد ، وفى يوم 12 نونبر صادقت الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة على قبول تونس فى عضويتها .

ومنذ ذلك الحين شرعت الهيئة الحاكمة فى تجديد النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكان من أكبر منجزاتها اعلان النظام الجمهورى يوم 25 يوليوز 1957 وعلان الدستور يوم 1 يونيو 1959 واجلاء القوات الفرنسية فى أكتوبر 1963 واسترجاع املاك الاستعمار فى مايو 1964 وتصفية املاك الكنيسة فى 27 يونيو من نفس السنة .

ليبيا فى العصر الحديث

افتك سنان باشا قائد الأسطول التركى مدينة طرابلس من أيدي فرسان القديس يوحنا يوم 16 غشت 1551 (13 شعبان 958 هـ) وجعلها قاعدة ولاية عثمانية جديدة ، وخلال قرنين عانت البلاد من الفوضى ما لا يمكن وصفه ، فكانت مسرحاً لثورات الأجناد ومؤامرات الولاة ودماسئس القناصل الأوربيين ، حتى نادى الديوان بأحمد القرماني والياً عليها فى 27 يوليوز سنة 1711 فضى على الفتن ووطد الأمن ، واعتمد على العنصر الوطنى فى الجيش واعتنى بالاقتصاد واهتم بالصران .

ولما توفى سنة 1745 (1158 هـ) بعد حكم دام 34 سنة بقى حكم الولاية فى عقبه الى سنة 1835 التى خلع فيها السلطان على باشا الثانى آخرهم فأصبحت الولاية منذ ذلك الحين تحكم من قبل العثمانيين حكماً مباشراً .

وبدا الولاة الأتراك يبعثون لحكم الولاية من اسطنبول ، ولم يكن بعضهم يستقر فى الولاية أكثر من عام ، حتى بلغ عدد من حكم منهم خلال سبع وسبعين سنة (1835 - 1911) ثلاثة وثلاثين والياً ، وقد نتج عن ذلك

اهمال شؤون البلاد وضعف الاهتمام بمصالح السكان بالاضافة الى ما اثر عن الحكم التركي في جميع اطراف الامبراطورية العثمانية من قسوة واستبداد ، فانتشرت الوبئة وساءت الاحوال الاقتصادية وخرب العمران وهاجر السكان الى الاقطار الاسلامية المجاورة وحتى الى جزر البحر الابيض المتوسط واقطاره النصرانية ، ولم يمتن الا قليل من الولاة بشؤون الاصلاح والتنظيم والتجديد كالوالى محمد نديم باشا الذى مدت في ايامه (1862 — 1869) اسلاك التلغراف بين طرابلس وبرقة ، وخلفه على رضا باشا الذى اُلع سنة 1869 على حكومة اسطنبول في انشاء محاكم عصرية وسن قوانين ملائمة لها فاغضب ذلك القناصل الاوربيين الذين كانوا يعتقدون ان تحسين احوال ليبيا يحول بينهم وبين الاستيلاء عليها ، واحمد عزت باشا (1879 — 1880) الذى اُنشأ مدرسة ومستشفى وسوقاً ورمم قسماً من سور طرابلس وبنى فناًراً بمرساها ، وكذلك احمد راسم باشا الذى طالت مدة ولايته 15 سنة (1883 — 1898) انجز اناءها عدداً كبيراً من الاعمال العمرانية .

وكانت ليبيا العثمانية منقسمة في البداية الى ثلاث مقاطعات : طرابلس ومصراتة ، وبنغازى ، ثم صارت مقسمة ابتداء من سنة 1843 الى قسمين فقط : ولاية طرابلس ومتصرفية بنغازى ، وكانت المتصرفية الأخيرة تدار رأساً من قبل الحكومة المركزية ما عدى مسائل الجيش والبريد والديوانة والقضاء ، فكانت تخضع للسلطات العليا في طرابلس .

ولما صدر قانون البلديات التركي سنة 1871 أصبح في كل مدينة من مدن الولاية مجلس بلدى يتركب من عشرة أشخاص منتخبين ، يجتمع مرتين في الاسبوع للنظر في الشؤون البلدية كالنظافة والانارة واطفاء الحريق وتنظيم الاسواق ومراقبة الاماكن العمومية وايواء اليتامى والضعفاء وكانت مسوارد البلديات تاتى من الضرائب المحلية المفروضة على الاسواق والمجازر والمكايل والمساويزن .

أما القضاء المصرى فقد ابتدأ تطبيقه في المناطق الساحلية والأخرى الأهلة من ليبيا سنة 1869 ، وكانت تقوم به محاكم للمصلح وأخرى للجنايات وثالثة شرعية ومحكمة اجراء ، وكانت المحاكم العثمانية تنظر في القضايا التى

يكون احبى طرفا فيها ، ولا تنظر المحاكم القنصلية الا فى القضايا المدنية الخاصة بالأجانب من جنسية واحدة ، وكان جميع القضاء وحكام الصلح الذين تولوا مناصب عالية فى القضاء يرسلون الى ليبيا من تركيا .

وكان الأتراك يسكنون بمقاليد الإدارة والجيش وأهل ليبيا يحترفون الفلاحة والصناعة ويمارسون التجارة الصغيرة ، أما التجارة الكبرى فكانت تقوم بها الطائفة اليهودية المتجنسة والحوالى الأجنبية التى كانت غالبيتها تتألف من طليان وانجليز وفرنسيين ، وقد بلغ مجموع الصادرات 9.000.000 فرنك سنة 1898 ومجموع الواردات نفس المبلغ، وكانت انكلترا وإيطاليا وفرنسا وتركيا أهم الدول المستوردة والمصدرة الى ليبيا فى هذا العصر ، فكانت ليبيا تصدر اليها الشعير والحصر والعناء والسمن والفواكه الحمضية والحلقة والمواشى ، وتستورد منها المصنوعات الحديدية والشمى والسكر والمواد الصيدلية .

وكانت إيطاليا أكثر الدول الأوربية اهتماماً بولاية ليبيا ، فمنذ استكملت هذه الدولة وحدتها (1870) وقضت فترة من الزمان فى اصلاح شؤونها الداخلية بدأت تتطلع الى انشاء مستعمرات لها فى القارة الافريقية تأسيساً بفرنسا وانكلترا وغيرهما ، وكانت أنظارها تتجه على الخصوص الى ولايتى تونس وليبيا العثمانيتين، ولكن فرنسا فوتت عليها الفرصة باحتلالها تونس سنة 1881 فلم يبق أمامها الا ليبيا ، ولذلك أخنت تمهد لبسط سلطانها بشكل واضح ، فأكثرت من فتح المدارس المجانية بطرابلس وبنغازى لنشر ثقافتها وشجعت هجرة الأسر والأفراد من مواطنيها الى ليبيا حتى بلغ عددهم 1.100 شخصاً سنة 1900 كما واصلت ارسال البعثات لأغراض علمية فى الظاهر ورسم الخرائط والتعرف على القبائل وشيوخها فى الباطن ، ثم أسست سنة 1905 فرعاً لبنك روما الذى أخذ يشتري الأراضى الزراعية من المواطنين بأثمان مغرية ويفدى بأمواله الخاصة نشاط الدعاية الإيطالية بين السكان ويصرف الرواتب للجواسيس والعملاء ، وأخير فأتحت إيطاليا الدول التى سبقتها الى الاستعمار فى شأن احتلالها لليبيا فحصلت على موافقة انكلترا وفرنسا مقابل سكوتها عن تصرفات الأولى فى مصر والثانية فى المغرب الأقصى .

ومى سنة 1909 عين ابراهيم باشا والياً على طرابلس ، وكان من رجال تركيا الحازمين ، ولما وصل أحس بخطر النفوذ الإيطالي وسعى فى درئه ، وسافر بنفسه الى اسطنبول لطلب نجدات عسكرية تحمى الولاية من الكارثة التى أوشكت أن تلم بها ، فاعتنمت إيطاليا فرصة غيابه ووجهت فجأة وبدون ادنى موجب انذاراً الى الحكومة التركية يوم 27 شتنبر 1911 تخبرها فيه بمزمها على احتلال طرابلس وتطلب منها مساعدتها عليه متعللة بسوء النظام فى طرابلس وبنغازى ، وتهديد الولاية لمصالح إيطاليا الحربية ، وتجاهل الدولة العثمانية لرغبات إيطاليا ومصالحها الاقتصادية واضطهاد الرعايا الإيطاليين ، وحددت مدة الانذار فى 24 ساعة تعلن بعدها الحرب بين البلدين ان كان الرد التركى سلبياً.

ومع ان العلل التى تذرعت بها إيطاليا كانت واهية فقد ردت الحكومة التركية رداً متخاذلاً وطلبت من إيطاليا تقديم لائحة مفصلة لمطالبها وأبدت استعدادها لاعطاء جميع الضمانات لرعوس الأموال الإيطالية ووعدت بعدم احدث أى تغيير عسكرى فى الولاية اثناء المفاوضات ، ولكن إيطاليا لم يقنعها هذا الرد ، وأعلنت الحرب على تركيا يوم 29 شتنبر ، وأرسلت أساطيلها وقوات برية عددها 34.000 من المشاة ، و 6300 من الفرسان مزودين بأشد الأسلحة فتكاً لاحتلال طرابلس والخمس وبنغازى ودرنة ، فقاوم الجيش التركى الذى لم يكن عدده يتجاوز 7.000 جندى - المعتدين ببسالة ، ودفع الإيطاليون ثمن عدوانهم غالياً .

وأرسلت تركيا بعض القوات الى برقة لتنظيم القتال ضد العدو ، كما ظهر السيد عمر المختار شيخ زاوية القصور فى الميدان، ودارت بين العرب والطلليان معارك أظهر فيها الأولون استماتة وصبراً ، منها معركة الضبط بقرب درنة التى لم يكن فيها النصر حاسماً لطرف على آخر، وأخيراً أحسست تركيا انها لا تستطيع الاستمرار فى القتال نظراً لقلّة جنودها وضعف بحريتها وبعد ميادين القتال عن ترابها الوطنى ، وتمالء الدول العظمى عليها ، فاضطرت الى عقد الصلح مع إيطاليا فى أكتوبر سنة 1912 وانسحب الجيش التركى من ليبيا ولم يبق منه الا جزء صغير ببرقة تحت قيادة الجنرال عزيز المصرى ، وقبل

انسحاب الادارة والقوات التركية قام مندوب تركيا بزيارة السيد احمد الشريف السنوسي شيخ الطريقة السنوسية بزاويته في واحة جضوب ، وأبلغه (اسناد أمر الأمة الليبية الى سيادته ، ومنح الخليفة الأمة الطرابلسية استقلالها تاركاً لها الحق في تقرير مصيرها والدفاع عن نفسها) ، فكان ذلك بداية ظهور الأسرة السنوسية على المسرح السياسي والحربي بعد ان كان نشاطها دينياً محضاً .

أما ملك ايطاليا فقد اصدر منشوراً أخبر فيه أهل ليبيا أن بلادهم أصبحت خاضعة للسيادة الإيطالية ، وانه عفا عنهم ، ووعدهم بالمحافظة على الشعائر الدينية ، وسمح لهم بذكر اسم السلطان العثماني في صلواتهم باعتباره خليفة للمسلمين .

وواصل الليبيون وحدهم القتال ، وازداد عطف العالم الاسلامي عليهم وتضامنه معهم ، ودارت بينهم وبين الغزاة معارك طاحنة ، وكان هاؤلاء كلما خاضوا معركة - غلبوا فيها أو غلبوا - صبوا جام غضبهم وأصلتوا سيف نقيمتهم على سكان المناطق الخاضعة لنفوذهم حتى اضطر كثير منهم الى الهجرة الى تونس ومصر وما وراء الصحراء من سوادين .

ولما تشبت الحرب العالمية الأولى تحرجت حالة ايطاليا وازداد بطرابلس نشاط الوطنيين الذين كانوا يعملون بارشاد الضباط الأتراك ، وقد هزموا القوات الإيطالية سنة 1915 في موقعة القرضابية بفزان فتراجعت الى الشمال ، وانتهز الليبيون فرصة انسحابها فبدأوا يستعدون لمهاجمة الجهات الشرقية من اقليم طرابلس ، وظهر في هذه الأثناء رمضان السويحلي من أهل مصراتة كزعيم للمقاومة الشعبية ، كما ظهر سليمان الباروني كممثل للخليفة العثماني .

وبعد خروج تركيا من الحرب مهزومة اجتمع زعماء المقاومة في مسلاتة ، وقرروا في نوفمبر 1918 اعلان الجمهورية الطرابلسية لمواصلة الجهاد ، واختاروا أربعة أشخاص لادارتها وألفوا مجلساً استشارياً من 24 عضواً ومجلساً شريعياً للنظر في المسائل القضائية ، ثم طلبوا من الدول الأجنبية الاعتراف بالجمهورية الجديدة ، واتصلوا بمثلي ايطاليا للوصول الى اتفاق مقبول ، وبعد التفاوض

وضع مندوبو الفريقين في 21 أبريل سنة 1919 قانوناً أساسياً ووقعوا ميثاقاً بقبوله عرف بصلح بنيادم ، ولكن الايطاليين لم يلبثوا ان نقضوا الميثاق فاستؤنف القتال .

اما في اقليم برقة فان الأتراك والألمان حملوا السيد احمد الشريف السنوسي على مهاجمة الانجليز بمصر سنة 1915 ولما فشل سلم قيادة الحركة الى السيد محمد ادريس السنوسي (ملك ليبيا الحالي) وغادر البلاد الى تركيا على متن غواصة ألمانية ، وكانت مهمة السيد محمد ادريس شاقّة نظراً للخطر الذي كانت تعاني منه البلاد بالاضافة الى تفشي الأوبئة والأمراض ، فرأى من الحكمة أن يسالم العدو مؤقتاً ويعقد معه اتفاقاً يمكن أهل برقة من تحسين حالتهم ، وقد عقد اجتماع أول سنة 1916 بالزويتينة بين ممثليه وممثلي إيطاليا وانكثرت لم يسفر عن نتيجة مرضية ، ثم استؤنفت المفاوضات سنة 1917 في عكرمة واسفرت عن عقد اتفاق ، فانصرف السيد محمد ادريس الى تنظيم المناطق التي ظلت تحت نفوذه وجعل مقره في أجداية ، واهتم بتنظيم الجيش ونشر التعليم ، ثم عقدت بينه وبين إيطاليا سنة 1920 اتفاقية الترجمة التي اعترفت فيها إيطاليا بامارتة ، وصدر قانون اساسي لبرقة على غرار القانون الاساسي الذي صدر في طرابلس وانتخب مجلس نيابي في أبريل 1920 وعقد زعماء الحركة الوطنية في طرابلس مؤتمراً بغيريان سنة 1920 نادوا فيه بالسيد محمد ادريس أميراً عليهم ، وأرسلوا الى أجداية وفسداً حمل اليه بيعتهم في شهر غشت 1922 .

ولكن الأحوال تبدلت فجأة بعد استيلاء موسوليني زعيم الحزب الفاشيستي على مقاليد الحكم في إيطاليا في أكتوبر سنة 1922 اذ اتخذ القادة الايطاليون الجدد الذين كانوا يحملون أفكاراً استعمارية متطرفة خطوات عملية لاحتلال ليبيا بأجمعها ، ولم تنته سنة 1923 حتى أتمت القوات الإيطالية احتلال جميع المدن الساحلية وأخذت تتوغل في داخلية البلاد ، فقاوم السكان ما استطاعوا سبيلاً الى المقاومة ، وأخيراً التجأ الأمير محمد ادريس الى مصر في دجنبر 1923 تاركاً أخاه محمد الرضا يدير الحركة السنوسية ، والزعيم عمر المختار يدير حركة المقاومة والجهاد ، وقد استمات البرقاويون تحت قيادة

هذا الأخير في الدفاع عن وطنهم وألحقوا بالعدو خسارات فادحة ، ولكن إيطاليا أرسلت الى حربه القائد كرازياني المشهور بفتكه وبطشه فضيق الخناق على المجاهدين ، ومد على طول الحدود المصرية أسلاكاً شائكة جعلت التنقل من جهة لأخرى عبرها منعزراً ، وارتكبت إيطاليا من أعمال القمع والتنكيل ما تقشعر لذكره الجلود ، وكانت تلقي بالمجاهدين من الطائرات الى الأرض فتتمزق أشلاؤهم في الفضاء ، وأخيراً أسرت الرعيم عمر المختار سنة 1931 وحاكمته في سلوق ، وأعدمته شنقاً رغم شيخوخته ، فانتهت بموته حركة المقاومة المسلحة وتم اخضاع ليبيا للسيادة الإيطالية بعد نضال استمر 20 سنة.

وآخر ذلك انصرف المستعمرون الفاشيستيون الى تطبيق مخططهم الجهنمي الذي يتخلص في القضاء على العنصر العربي واحلال العنصر الإيطالي محله وطلينة البلاد ، ولبلوغ هذه الغاية أمعنوا في التنكيل بالأهالي وشنق الأسرى وسجن البراء حتى اضطر كثير منهم الى الهجرة الى تونس ومصر وسوريا أو الهيام على وجوههم في الصحراء ، كما أغروا الإيطاليين بالمجبيء الى ليبيا للاستقرار بها ، وقد بلغ عدد الوافدين منهم على اقليم طرابلس وحده 20.000 سنة 1938 ومن جهة أخرى حاربوا اللغة العربية ومنعوا تعلمها وتدخلوا في الشؤون الدينية وأغلقتوا الزوايا الصوفية وصادروا أملاكها العقارية كما صادروا الأملاك المحبسة على المساجد واجبروا قبائل برمتها على النزول عن أراضيها مقابل أثمان رمزية وسلموا الجميع الى شركات إيطالية تستصلحها وتوزعها على الفلاحين القادمين من إيطاليا ، وفي سنة 1938 أجبروا العرب على التجنس بالجنسية الإيطالية ، فلم يقبل على التجنس الا قلة من صفار الموظفين خابت آمالهم في النهاية لأن المستعمرين ظلوا يعاملونهم معاملة سيئة .

أما الحريات والحقوق فلم يكن يتمتع بها في العهد الفاشيستي الإيطالي الأصيل فأحرى العربي المستعبد ، وقد كان ممنوعاً على الليبيين أن يجلسوا في مقهى إيطالي ، أو يركبوا عربة يسوقها إيطالي أو في الدرجة الأولى بسيارة عمومية ، كما لم يكن في مقدورهم أن يعلّموا أبناءهم ، وكانت المدارس الابتدائية القليلة التي أنشأوها مشوهة البرامج ، وكانت الجغرافيا قاصرة على

إيطاليا ومستعمراتها ، أما التاريخ الليبي فقد بتروه واختصروه فكان التلميذ ينتقل فجأة من نهاية الحكم الروماني لليبيا في أوائل القرن الخامس الى بداية الحكم الإيطالي في أوائل القرن العشرين ، وكانت جميع القوانين الإيطالية تنفذ في ليبيا كما كانت اللغة الإيطالية هي وحدها لغة التعامل في المؤسسات الرسمية وغيرها .

وقد شاءت العناية الربانية أن تضع حداً لآلام الشعب الليبي عندما أعلنت الحرب العظمى الثانية وانضمت إيطاليا رسمياً الى المعسكر الألماني في يونيو سنة 1940 فقد جند الليبيون المقيمون بالخارج قوة تتركب من 14.000 جندي قاتلت الى جانب الحلفاء تحت قيادة الأمير محمد إدريس السنوسي ، ولما دخلت سنة 1943 كانت جميع الأراضي الليبية قد ظهرت تماماً من قوات المحور (ألمانيا - إيطاليا) وأصبحت القوات الانجليزية مهيمنة على اقليم طرابلس وبرقة ، والقوات الفرنسية مهيمنة على اقليم فزان ، وحل الحكام العسكريون الانكليز والفرنسيون في الادارة مستعينين ببعض الموظفين الإيطاليين والليبيين ، فتنفس أهل البلاد الصعداء ، وعاد الى ليبيا كثير من أبناءها المهاجرين وبدعوا يسهمون في حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعاد الى القومية العربية شيء من الاعتبار .

وفي سنة 1948 تألف حزب المؤتمر الوطني وقدم الى الدول الأربعة الكبيرة التي كسبت الحرب (الولايات المتحدة - الاتحاد السوفياتي - انكلترا - فرنسا) مذكرة باسم الأمة الليبية يطالب فيها بتنفيذ وعودها المبذولة اثناء الحرب بمنح ليبيا حريتها واستقلالها ، ولما أحس الشعب الليبي بأن الحلفاء لا يهتمون بقضيته كثيراً قامت مظاهرات صاخبة في طول البلاد وعرضها ، وفي سنة 1947 قرر وكلاء وزراء خارجية الدول الأربع المجتمعون ببافيس للنظر في مصير المستعمرات الإيطالية ارسال لجنة تحقيق لمعرفة أمانى أهل تلك المستعمرات ، ووصلت هذه اللجنة الى طرابلس يوم 8 مارس 1948 وزارت اقليم ليبيا الثلاثة واستمعت الى القادة وممثل الأحزاب الوطنية ، ثم قدمت تقريرها في شهر يوليو الى مجلس الوكلاء الذي فشل في إيجاد حل فتقرر إحالة الموضوع الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وكانت مفاوضات سرية

تدور يومئذ بين بريطانيا وإيطاليا صدر على إثرها مشروع بيفن - سفورزا الذى يقضى بوضع إقليم طرابلس تحت وصاية إيطاليا وإقليم فزان تحت وصاية فرنسا ومنح إقليم برقة حكماً ذاتياً تحت الوصاية الانكليزية ، ولكن شعب ليبيا عبر عن سخطه على هذا المشروع بمظاهرات صاخبة ، وارسل وفداً الى منظمة الأمم المتحدة للدفاع عن وجهة نظره ، فرفضت هذه المشروع يوم 15 شتنبر 1948 وقررت تأليف مجلس استشارى لمساعدة أهل ليبيا على وضع دستور وإقامة حكومة مستقلة تنقل السلط اليها .

ورغم موقف بريطانيا وفرنسا المشين من قرار الأمم المتحدة الخاص باستقلال ليبيا ووحدة ترابها عينت الأمم المتحدة السيد أدريان بلت الهولاندى مندوباً عنها فى ليبيا ، فتسلم منصبه رسمياً يوم فاتح يناير 1950 وبدأ اتصالاته بالهيئات السياسية فى طرابلس وبرقة وفزان وزار مقر الجامعة العربية بالقاهرة وممثلى المهاجرين الليبيين بالخارج ، ثم قرر المجلس الليبى الدولى اجراء انتخابات محلية فى برقة وطرابلس وانتخاب مجلس وطنى عام 1950 وتأليف حكومة مؤقتة وعلان الدستور فى سنة 1951 وتسليم السلط التى تمسك بها فرنسا وبريطانيا الى الحكومة الجديدة قبل فاتح سنة 1952 ، وفى صباح يوم 24 دجنبر أعلن الملك محمد ادريس السنوسى استقلال المملكة الليبية المتحدة ، كما قابل رئيس الوزراء فى مساء ذلك اليوم مندوب الأمم المتحدة وسلمه رسالة تتضمن اخبار الأمم المتحدة بأن ليبيا أصبحت مملكة مستقلة وطلب قبولها فى حضيرتها وحضيرة الهيئات الدولية الأخرى .

واقبلت الدولة الجديدة على نفسها تضمد جروحها وتستعيد قوتها بعد ما قضت قروناً فى محن تتواصل وعذاب لا ينقطع ، ولقيت فى البداية صعوبات لا حصر لها اذ كان عليها أن تبدأ كل شئ من العدم ، فلم تكن لها ثروات طبيعية مهمة تسدد منها نفقاتها ولا لأبنائها خبرة واسعة بشؤون الادارة ومتطلبات الحياة الجديدة ، يضاف الى ذلك انها بقيت عرضة للتهديد الاستعمارى اذ احتفظت بريطانيا والولايات المتحدة ببعض القواعد والمطارات كما أن الدول التى تتاخها جنوباً وغرباً لم تكن تحررت من السيطرة الاستعمارية، ولكن ليبيا عرفت كيف تصمد للأعاصير تحت قيادة ملكها وبفضل حكمة

شعبها ، وقد انفرجت ضائقها المالية بعد اكتشاف البترول بها والشروع في استغلاله تجارياً ابتداء من سنة 1959 (33) فامتلاً بيت مالها وارتفع دخل أهلها ودبت فيها حركة جديدة وهي الآن بصدد انجاز عدد من المشاريع العمرانية والصناعية والثقافية ستعود عليها بالخير الوفير والرخاء العميم ، وقد جنحت في السنين الأخيرة الى تقوية روابطها السياسية والاقتصادية بدول المغرب العربي التي تتمتع بالاستقرار بعد ما عاينت التقلبات التي لم تفتأ تتعرض لها النظم والسياسة في أقطار المشرق العربي ، وهي في كل حالة تقف الى جانب الحق وتدافع بحرارة عن قضايا العرب والمسلمين في كل مكان وتتمسك بمبادئ الشرف والاخلاق .

المغرب الأقصى في العصر الحديث

لم يستفد المغرب كثيراً من مزايا التقدم المادي الذي حققته أوروبا في عصر نهضتها رغم أن المسافة الفاصلة بينه وبينها لا تتجاوز في أضيق مكان 17 كلم ، ويرجع السبب في ذلك الى جو الريبة والحذر الذي كان يسود علاقاتهما باستمرار ، فقد دام الصراع بينه وبين بعض دولها قروناً طوالاً فوق الميادين الأندلسية أولاً ، ثم فوق التراب المغربي ثانياً بعد ما استصغى البصاري مملكة غرناطة في نهاية القرن الخامس عشر ونقلوا الحرب الى الشواطئ المغربية ، الأمر الذي كان يجعل أي تعاون في العلم أو تبادل في الخبرة بين المغرب المسلم وأوروبا النصرانية من قبيل المستحيل .

وقد قيض الله للمغرب في النصف الثاني من القرن السابع عشر ملوك الدولة العلوية ليجمعوا شتاته ويحفظوا وحدته ويستردوا مراسيه ، وهم شرفاء من آل البيت الطاهر هاجروا الى المغرب من ينبوع النخل واستقروا بسجلماسة وعاشوا معززين مكرمين أربعة قرون قبل أن يفتعدوا أريكة الملك ، وقد نجح

(33) احتلت ليبيا سنة 1967 المرتبة السابعة في العالم بين البلدان المنتجة للبترول ، إذ بلغ انتاجها منه في تلك السنة 5 ، 83 مليون طن ، كما قفز انتاجها من الغاز الطبيعي من 120 مليون متر مكعب سنة 1961 الى 10 ملايين و 429 مليون متر مكعب سنة 1969 ومن المقدر أن يتجاوز انتاج البترول في ليبيا 100 مليون طن سنة 1968 .

منهم السلطان الجليل مولاي اسماعيل ابن الشريف في استرجاع المعمورة (1681) وطنجة (1684) والعرائش (1689) وأصيلة (1691) كما نجح حفيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله في استرجاع الجديدة (1769) وكادا معا يوفقان في استرجاع بقية المراسي والجيوب لولا شروع الدولة الاسبانية المحتلة في ادخال التنظيمات المصرية على قواتها وتزويدها باحدث الاسلحة المصنوعة في بلادها أو المستوردة من الدول التي سبقتها في مجالات العلم والاختراع .

ولما شرعت فرنسا في احتلال الجزائر (1830 — 1246 هـ) وقف المغرب موقفاً مشرفاً وهب لنجدة جازته والدفاع عن حريتها ، وأرسل قوات عسكرية الى تلمسان وأنشأ ادارة في أقاليم الجزائر الغربية خلقت الادارة التركية المنهارة ، ثم اضطر الى سحب قواته وادارته تحت ضغط فرنسا الحربي والديبلوماسي ولكنه ساعد على تكوين حركة المقاومة في الجهات الغربية تحت قيادة الأمير عبد القادر بن محبي الدين الادريسي وأمدّها بالمال والرجال والسلاح والميرة ، كما تزعم واحد من أبنائه (يومعزة) حركة المقاومة بجبال زاوارة التي عملت في البداية مستقلة عن حركة الأمير عبد القادر ثم بالاتفاق معه فسي النهاية ، وكان الأمير عبد القادر يدين بالطاعة لسلطان المغرب ويخطب باسمه على جميع منابر المناطق الخاضعة له ، واستمر التعاون وثيقاً بين المغاربة والجزائريين على قتال الفرنسيين حتى استولى هؤلاء على معسكر الأمير عبد القادر سنة 1843 فاضطر الأمير الى نقل حركته الى داخل المغرب والهجوم منه على قواعد جيش الاحتلال بالمغرب الأوسط .

واتصل المرشال بيجو الوالي الفرنسي والقائد العام للقوات الفرنسية بمعامل وجدة وطلب منه ابلاغ الحكومة المغربية رغبة فرنسا في طرد الأمير عبد القادر واحترام خط الحدود التقليدي الذي هو مجرى نهر تافنا ، ولكن السلطان مولاي عبد الرحمان رفض التخلي عن حركة المقاومة الجزائرية ، فاجتاز المرشال بيجو وادى تافنا على رأس جنوده واحتل مدينة وجدة ثم انسحب منها ولكنه خلف حاميتين فرنسيتين داخل التراب المغربي احدهما

بالغزوات والأحرى قرب ضريح الحاجة للا مغنية ، وبدأ الجنود الفرنسيون يتحرشون بالقبائل وبالقوات المغربية النظامية ، فعند السلطان تصرفات الفرنسيين انتهاكا لحرمة مملكته وتعديا على سيادتها وشرع يعصى قواه لمجابهة العدوان الفرنسي ، وبينما بدأت جيوش المغرب تسير نحو الشرق جاء الأسطول الفرنسي الى شواطئه المغربية تحت قيادة الأمير دوجوانفيل وقنبل مرسى طنجة ومرسى الصويرة واحتل الجزيرة الواقعة امامها ، وعلى مقربة من وجدة في وادي يسلي هزم الجيش الفرنسي القوات المغربية خلال معركة قصيرة استمرت من الساعة الثامنة صباحا الى الزوال من يوم 13 غشت 1844 فاضطر المغرب الى التوقيع على معاهدة صلح بطنجة يوم 10 شتنبر ، ثم الى عقد اتفاقية حدود بللا مغنية يوم 18 مارس 1845 أفقدته طرفا مهما من اراضيها الشرقية .

كان لهزيمة يسلي عواقب وخيمة تكبدها المغرب في الحين وما زال يتجرع مرارتها حتى الآن ، فقد ذهبت بهيئته وأطمعت فيه من جديد دولا كانت نحدرة منذ هزم البرتغاليين في معركة وادي المخازن سنة 1578 فامسكت الدول البحرية عن دفع الاتاوه التي كانت تؤديها له سنويا تامينا لخطوط ملاحتها وسارعت اسبانيا الى احتلال جزائر ملوية الواقعة امام ساحله المتوسطي ، أما فرنسا التي احرزت النصر في المعركة فقد أصبحت لا تدع فرصة تمر دون أن تفتنمها لتوسيع مستعمراتها الجزائرية على حساب اقاليمه ، ولكن الهزيمة فتحت أعين طائفة من مفكري المغرب على مدى التقدم الذي احرزته الدول الأوروبية في مضمار العلم والاختراع ، وجدوى الضبط والنظام ، ونمت شعورها بضرورة الأخذ بالأساليب الحديثة في الادارة والجيش ، فتعالت صيحاتها بتجديد النظم الاقتصادية والمالية والعسكرية واصلاح الجهاز الاداري حتى يمكن مواجهة الغزو الأوربي وتحسين حالة الأمة المغربية ، ومن الانصاف الاقرار بأن تلك الصيحات لم يكن لها صدى كبير في المغرب الذي كان اهله يفتنون يومئذ في سبات عميق ، ويرون طريق النجاة في الاتباع والتقليد ، ويشكون بالتالي في كل شيء يرد من أوربا ويحسبون التشبه بالنصارى كفرا ولو كانت الأمور المتشبه فيها بعيدة عن الدين .

ولم يكد القرن التاسع عشر ينتصف حتى كان التنافس على المغرب بلغ أشده بين فرنسا واسبانيا سواء في الشمال حيث الجزائر ومليية وسبنة ، أو في أقصى الجنوب الغربي حيث الجزر الخالدات والمراكز الفرنسية بالسنيفال ، بينما كانت انجلترا تقف موقف اليقظ الحذر ، لأن كل تغيير في وضعية الضفة الافريقية لمضيق جبل طارق كان يهمها كثيرا .

ولما توفي السلطان مولاي عبد الرحمان سنة 1859 (1276) شرعت اسبانيا في تنفيذ مخططها الخاص بالمغرب ، فاتخذت من وقوع حادثة بسيطة بحدود مدينة سبنة التي تحتلها ذريعة لتوجيه حملة تجريدية الى المغرب تحت قيادة الخنرال أودونيل ، والخنرال بريم ، وقد نجحت الحملة التي كانت تشتمل على 50.000 جندي والتي كانت معززة بالأسطول في احتلال مدينة تطوان يوم 5 يراير 1860 وبدأت تستعد للزحف على طنجة ، فاضطر المغرب - بعد توسط انكلترا - الى قبول شروط صلح مهيئة فرضت عليه أن يتخلى لاسبانيا عن بعض أراضيها المجاورة لسبنة وأراضي أخرى بالجنوب تنشيء بها مصايد أسماك (34) وأداء غرامة حربية مبلغها 20.000.000 ريال ، والسماح لمندوبين اسبانيين بمراقبة المراسي المغربية مع شروط وامتيازات اقتصادية وسياسية أخرى لصالح اسبانيا ، وكانت هزيمة تطوان نكبة لا تقل فداحة ووخامة عواقب عن نكبة يسلي .

ولم يكن للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (محمد الرابع) بد بعد النكبات المتوالية من تجديد الادارة واعادة تنظيم الجيش وفسح المجال أمام الشبان المغاربة ليتعلموا من العلوم والفنون ما انمحا عينه واثره بالمملكة منذ امد طويل ، وكانت له محاولات في هذا الموضوع أيام خلافته عن والده بفاس ، فأنشأ مدرسة المهندسين بفاس لتدريس العلوم العقلية كالحساب والهندسة والفلك والموسيقى ، وأخرى للترجمة ، ووجه أولى البعثات العلمية الى أوروبا والشرق ، وشرع في تنظيم الجيش على الطرق الحديثة وأمر بتأليف الكتب العسكرية وترجمتها لافادة ضباطه منها ، وأسس مطبعة حجرية وجلب

كثيراً من الآلات الحديثة من أوروبا الى المغرب ، ولكن تلك الجهود كانت تبذل من جهة في حذر وبطء نظراً لتخلف المغاربة الفكري وضائقة الدولة المالية ، وكان من المستحيل عليها - من جهة ثانية - أن تختصر الأبعاد وتقرب المسافات بين أوروبا ومنطلقها كالمحلاق في طريق النمو الصناعي والعلمي وبين مغرب يحبو في مجال التطور حبو الرضيع ، وهكذا أمنت الدولتان المجاورتان للمغرب - فرنسا وإسبانيا - في غلوائهما وسارتا أشواطاً أخرى في احتلال أجزاء مهمة من شرق المغرب وجنوبه الشرقي وجنوبه الغربي ، بينما أعطتا للمعاهدات السياسية المعقودة مع الدول الأوروبية تأويلات تناسب منطق القوى ، فمن محاكم تنشأ بالقنصليات الى « حمايات » تمنح بغير حساب لكل مارق من الوطنيين ، ومن عقوبات تشري بكل حرية الى بعثات تبشيرية تستقدم وكنايس تشاد بالرغم عن عواطف المسلمين ، ولم تشذ انكسرت هذه المرة عن القاعدة ، فقد امتدت يداها الى جزيرة المعدنوس المحاذية لشاطئ المغرب بضيق جبل طارق وجزيرة طرفاية الواقعة بإقليم الساقية الحمراء (35) جنوبي وادي درعة ، وهكذا لم يمت السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان حتى كان المغرب يروح تحت نير (الامتيازات الأجنبية) ويرسف في أغلال نظام الاستسلام Le Régime de Capitulation .

وواصل السلطان مولاي الحسن الأول (1873 - 1894) الإصلاحات التي بدأها والده السلطان محمد الرابع ، فبعدما قمع المتمردين ومهد الأمن في طول البلاد وعرضها وأرجع للدولة هيبتها اهتم بتنظيم الدولة وادخال الإصلاحات الكفيلة بإيقاظ المغرب من سباته وإقالته من عثرته ، فأسس تحت رئاسة الصدر الأعظم حكومة ذات وزارات متعددة تختص كل واحدة منها بمرفق من مرفق الدولة ، ووجه البعثات تلو الأخرى الى الدول الأوروبية لتعلم مختلف العلوم والتمرس بالحرف والتدرب على الفنون العسكرية ، وأسس قوات عربية جلب لتنظيمها وتدريبها عدداً من الضباط (الحرايين) الأوروبيين وجهازها

(35) اغل الانكليز طرفاية عقب حركة السلطان مولاي الحسن الأول لسوس سنة 1886 ثم عقدوا معه اتفاقية سلموها له بموجبها رسمياً ، فتست استعادتها بعد وفاته بقليل على عهد خلفه السلطان مولاي عبد العزيز ، وفي الاتفاقية المذكورة النص على ان حدود المغرب تبتدىء من رأس برخادور الواقع اليوم في قراب إقليم وادي الذهب الذي تحتله إسبانيا .

بمختلف أنواع الأسلحة وحسن الثغور وجدد الأسطول وأنشأ مصنعاً حربيّاً (دار السلاح) بفاس لصنع المدافع والبنادق والذخيرة ، وأحدث البريد وضرب السكة وسأوى بين الدول فى التعامل وقوى الروابط التى تصل المغرب بها بإيقاد السفراء اليها وقبول السفراء المعتمدين من طرفها لديه ، كما نعى التبادل التجارى معها وسأهم فى معارضها بعرض الانتاج المغربى فيها ، والحقيقة ان هذا السلطان كان من كبار ملوك الاسلام المصلحين ، وان حزمه وسياسته الحكيمة واصلاحاته أخرت الاحتلال الأوروبى للمغرب عشرات السنين.

وبفضل سياسة الاعتدال وعدم الانحياز التى كان يسلكها حيال الدول أمكن للسلطان مولاى الحسن الأول أن يجمع فى مدريد 1880 مؤتمراً دولياً حضرته كل من ألمانيا والنمسا وبلجيكا والدانمرك واسبانيا وانكلترا وفرنسا والولايات المتحدة وإيطاليا وهولاندة والبرتغال والسويد والنرويج رغم معارضة فرنسا الشديدة ومناوراتها العديدة ، وكان الغرض منه وضع ضابط للحماية التى يمنحها القناصل الأجانب للمقاربة والمحاكم التى ينشؤونها بقنصلياتهم ، وبمقتضى الاتفاقية التى أمضيت فى يوليوز بالعاصمة الاسبانية ، والاتفاقية الأخرى التى وقعت بطنجة فى مايو سنة 1881 وضع ضابط تسير الدول الأجنبية وفقه وتساوى ازاؤه ، وبذلك لم تبق فرنسا واسبانيا وانكلترا وحدهما فى الميدان .

على ان اتفاقية مدريد لسنة 1880 اذا ضببطت قضايا الحماية والمحاكم القنصلية فانها لم تضببط أطماع فرنسا فى احتلال المغرب ولم تضع حداً لتوغلها التدريجى فيه ، فبعد ما قضت فترة من الزمن فى تضييد جروحها واصلاح أحوالها عقب هزيمتها فى حرب السبعين أمام القوات الألمانية رسمت خطة لاحتلال أقاليم توات وتيديكلت وبشار وشنكيط (موريطا) كخطوة تمهيدية لاحتلال المملكة المغربية بأجمعها ، وقد وجدت فى البداية تشجيعاً من الدولة الألمانية التى كانت تريد صرفها عن الميادين الأوربية الى الميادين الافريقية والآسيوية وتلبيتها بأراضى تمتلكها فى الخارج عن الأراضى التى فقدتها فى الداخل ، كما ألهب فيها جذوة الحماس الاستعمارى نجاحها فى

احتلال تونس سنة 1881 فتاقت لتكميل احتلال الشمال الافريقي كله ووصله بمستعمراتها في افريقيا الغربية التي ما فتئت تتسع ، وهكذا تأزم الوضع بين المغرب وفرنسا بشأن توات وبشار. وتيديكلت في آخر أيام السلطان مولاي الحسن الاول الى ان فكنت فرنسا من تنفيذ مخططاتها الاستعمارية على عهد السلطان مولاي عبد العزيز عند ما احتل جنودها قرية عين صالح يوم 30 دجنبر 1899 (26 شعبان 1317 هـ) وتيميمون يوم 26 يناير 1900 وبقيّة قصور توات وقراء في الشهور الموالية ، وألحقت قبائل العمور الغرابية وحميان الجنبية وبنى ونيف وجبال بنى سمير بمقاطعة عين الصفراء ، وأصبح خط الحدود ملاصقا لاسوار فكيك وايشى .

ومن الطبيعي أن يلفت هذا الاحتلال أنظار الدول التي تنافس فرنسا في المغرب ، وهي اسبانيا وانكلترا بالدرجة الاولى والمانيا وايطاليا بالدرجة الثانية ، ولكي تتجنب فرنسا أى ضغط دولي يحول دون تحقيق ما تريد قررت انتهاج سياسة ذات شعبتين احدهما خاصة بالمغرب نفسه ، والثانية تتعلق بالدول التي تنافسها فيه .

اما خططها حيال المغرب فكانت تتلخص في انشاء جهاز دعاية قوى لها داخله وشراء الضمائر ونشر الفوضى فيه ، ولهذا الغرض أنشأت بطنجة عدداً من الجرائد والمجلات من أشهرها جريدة (السعادة) باللغة العربية وجريدة (الدبش مروكان) باللغة الفرنسية استقدمت لتحريرها عدداً من ابنائها المستعربين واجرائها اللبنانيين والجزائريين ، كما منحت حمايتها القنصلية بدون حساب لكل من طلبها من الرعايا المغاربة من غير احترام لاتفاقية مدريد ، وبدأت تستدرج الوزراء والعمال والاعيان الى خدمة مصالحها بتقديم الهدايا النفيسة والمخترعات الغربية اليهم ، وأصبح كل نائر على المخزن يحصل بسهولة لدى باعة السلاح بالجزائر وضباط الجيش الفرنسى فيها على كل ما يرغب فى الحصول عليه من سلاح وذخيرة ، ومن أشهر هاؤلاء الخوار الجيلالى اليوسفى الزرهونى المعروف ببوحماره الذى تلقى توجيهاته بجنوب الجزائر قبل أن يثور على السلطة الشرعية ويتخذ له حكومة وزير خارجيتها فرنسى ووزير حربيتها ضابط صف جزائرى !

وأما خططها حيال الدول المنافسة لها فكانت تتلخص في التفاهم معها على توزيع الغنائم الاستعمارية ، وقد أجرى وزير خارجيتها ديلكاسي مفاوضات سرية مع تلك الدول كلل جلها بالنجاح ، ففي سنة 1900 أمضت فرنسا وإيطاليا اتفاقاً سرياً أطلقت بموجبه يد الأولى في المغرب ويد الثانية في طرابلس الغرب ، وفي 8 أبريل 1904 أمضت فرنسا وانكلترا (الاتفاق الودي) المتعلق بالمغرب ومصر ، وفي 3 أكتوبر 1904 أمضيت بين فرنسا وإسبانيا الاتفاقية السرية المتعلقة بتقسيم المغرب .

وقد أثمرت سياستها الخاصة بالمغرب ثمراتها المنشودة ، فبالإضافة إلى ثورة (أبي حمارة) المشار إليها آنفاً كثر الثوار بالمغرب والاعتداءات الفرنسية بالحدود الشرقية ، فأوفد السلطان وزير خارجيته السيد عبد الكريم بن سليمان إلى باريس لمفاوضة الفرنسيين بشأن تنظيم البوليس والديوانة والأسواق المشتركة بالحدود ، وعقد معهم اتفاقاً في 20 يوليو 1901 كمل باتفاق 20 أبريل واتفاق 7 مايو 1902 وفي الحين أولت فرنسا الأوقاف تأويلاً سيئاً فالتفت بمستعمراتها الجزائرية قبيلتي **أولاد جرير و ذوى منيع** المغربيتين ، ثم ضمت إليها مدينة بشار وناحيتها خرقاً لنصوص الاتفاقيات الصريحة ، وبأمر ضباطها فسموا تلك الناحية (كولومب - بشار) تخليداً لاسم أحد ضباطهم الاستعماريين ولما قامت ضجة في البرلمان الفرنسي ضد هذا العمل أجابت الحكومة الفرنسية أنها إنما احتلت (كولومب) ولم تحتل بشار ! وفي أقصى الجنوب عبرت قوات فرنسية بقيادة الضابط كسافيي كابولاني نهر السنغال وأخذت تتقدم نحو الشمال ، ومع أنها تغلبت في البداية على مقاومة قبيلة **البراكنة** واحتلت قرية **تيجيكجة** فإن أهل تلك المنطقة النائية كروا عليها في النهاية وفتكوا بها وقتلوا قائدها سنة 1905 وأوقفوا الزحف الفرنسي إلى حين .

وزدادت الحالة ارتباكاً إثر هذه الاتفاقيات والاعتداءات ، وأصبح الحرق أكبر من أن يرتقه المخزن ، وقلت موارد بيت المال نتيجة الفوضى السائدة فاضطر المغرب إلى استسلاف 62.500.000 فرنك من فرنسا فاشتطرت هذه وضع المراسي المغربية تحت مراقبتها فقبل المغرب ذلك كما قبل اسناد تدريب الجيش المغربي إلى ضباط فرنسيين وتنظيم البريد والتلغراف السي

فنيين فرنسيين ، ففاظ هذا النمو المطرد للنموذج الفرنسي في المغرب شعبه كما غاظ الدولة الألمانية ، فزار امبراطورها غليوم الثاني طنجة يوم 31 مارس 1905 وصرح بتصريحات شجعت الحكومة المغربية على الدعوة الى عقد مؤتمر دولي لتحديد علاقات الدول الأجنبية بالمغرب والنظر في ادخال الاصلاحات اللازمة اليه ، ورغم اعتراض فرنسا في الاول على عقد هذا المؤتمر قبلت اخيراً أن تحضره ، وانهقد المؤتمر بمدينة الجزيرة الخضراء من أرض اسبانيا يوم 15 يناير 1906 بحضور ممثل السلطان وممثل 15 دولة أجنبية وأسفرت مداولاته عن توقيع عقد يوم 7 أبريل 1906 يقوم على ثلاثة مبادئ أساسية :

(1) استقلال السلطان .

(2) وحدة تراب مملكته .

(3) تساوى الدول في التعامل الاقتصادي معه ، وينص على عدد من الاصلاحات كاحداث بنك مغربي ، وتنظيم الشرطة الخ .

ومن الواضح ان عقد الجزيرة الخضراء قضى على استئثار فرنسا بالشؤون المغربية ووضع حداً للامتيازات التي حصلت عليها فيه ، وأنه كان يصلح - في ذلك الوقت - لأن يكون نقطة انطلاق نحو ادخال اصلاحات نافعة وتنظيمات عصرية تحسن الأوضاع وتقضى على الكثير من الفساد ، ولكن تدمراً قوياً ساد جميع الأوساط ضده وكثر التصدى على الاوربيين ، فاغتصمت فرنسا قتل بعض رعاياها بمراكش والدار البيضاء فاحتلت منفردة وجدة يوم 29 مارس 1907 واحتلت بالاشتراك مع اسبانيا الدار البيضاء يوم 5 غشت من نفس السنة ، بينما توغلت قواتها المرابطة بافريقيا الغربية في جنوب المغرب تحت قيادة الكولونيل كورو فاحتلت أدرار سنة 1908 .

ومما زاد الطين بلة ثورة المولى عبد الحفيظ بن الحسن الخليفة الملكي بمراكش على أخيه السلطان عبد العزيز بعد مرور اسبوع على احتلال الدار البيضاء (16 غشت) ونشوب حرب أهلية بين الأخوين دامت سنة ونصفاً وانتهت بانتصار المولى عبد الحفيظ ، ولكن الدول الأجنبية لم تعترف به يوم 5 يناير 1909 حتى اعترف بجميع التزامات أخيه السابقة وتعهد بتنفيذها مع أنها كانت

أحدى أسباب ثورته ، وهكذا وجد السلطان الجديد فى وضع أسوأ من وضع سلفه ، إذ كانت الجيوش الفرنسية استولت على شرق المغرب الى نهر ملوية ، ووسعت مناطق احتلالها فى الشاوية حتى بلغت نهر أم الربيع ووادى الشراط كما شرعت اسبانيا فى احتلال المناطق المحيطة بمليية ، ومع ان السلطان المولى عبد الحفيظ تمكن من اخماد ثورة أبى حمارة فان قبائل قوية قريبة من العاصمة ثارت عليه بسمايات بعض شيوخ الطرق وتحريض عملاء فرنسا وحاصرته فى قصره ، فلم ير بداً من الاستنجاد بجيش الاحتلال الذى سارع الى نجده بقيادة الجنرال موانىي واحتل فاس يوم 21 مايو سنة 1912 ثم اتفقت فرنسا والمانيا يوم 4 نونبر من نفس السنة على التسليم للأولى فى المغرب مقابل منح الثانية تعويضات ترابية فى الكونغو ، واذ ذاك أملت فرنسا على المغرب معاهدة حماية وقعتها السلطان المولى عبد الحفيظ والسفير الفرنسى رينيو يوم 30 مارس 1912 (11 ربيع الثانى 1330 هـ) .

حافظت المعاهدة المفضاة على كيان المغرب الدولى وتفوذ السلطان الدينى والدينوى ، ولكنها انتقصت كثيراً من السلط التى كانت تمارسها حكومته من قبل كالديبلوماسية والأمن والدفاع ، وأباحت لفرنسا أن تحتل من التراب المغربى ما تشاء ووكلت اليها ادخال ما تراه مفيداً من الاصلاحات الادارية والقضائية والتعليمية والاقتصادية والمالية والعسكرية ، كما أذنت لها بالتفاوض مع الحكومة الاسبانية فى شأن المصالح التى تخصها بسبب موقعها الجغرافى أو ممتلكاتها على الشاطئ المغربى، والاحتفاظ لمدينة طنجة بصيغة خاصة ، وهكذا فقد المغرب بجرة قلم وبصورة ذات شكل قانونى استقلاله الذى حافظ عليه فى ظل الاسلام مدة ثلاثة عشر قرناً ، ولكن هيئات هيئات أن يعترف شعبه الأبى بالوضع المزرى الجديد ، فما كاد خبر توقيع معاهدة الحماية يشيع حتى ثار الجيش الوطنى بالعاصمة يوم 17 ابريل 1912 على مدربيه الفرنسيين وفتك بهم بمساعدة الأهالى واضطرت فرنسا لتجريد حملة عسكرية قوية لاجماد الثورة ، وعينت الجنرال ليوطى المشهور بمهارته العسكرية والديبلوماسية مندوباً مقيماً عاماً بالمغرب ، فجاء وشرع ضباط الحماية وموظفوها فى التصرف تصرف الغالب المنتصر ، فلم ير السلطان المولى عبد الحفيظ بداً من التنازل عن

العرش ، فبويغ أخوه السلطان مولاي يوسف يوم 14 غشت 1912 (29 شعبان 1330) وانتمت فرنسا من فاس العاصمة الثائرة فنقلت المصالح الحكومية والإدارية منها الى الرباط .

وشرعت فرنسا اثر قمع ثورة الجيش الوطني في تنظيم المغرب على الطريقة التونسية مستعينة بضباطها وخبرائها الأفارقة الذين سبق لهم العمل بالمستعمرات ولاسيما بالجزائر وتونس ، فمقدت مع اسبانيا اتفاقية 27 نونبر 1912 التي أصبح المغرب بمقتضاها مقسماً الى منطقة حماية فرنسية ومنطقة حماية اسبانية (36) ومنطقة ادارة دولية (37) وحدثت حكومة صورية تتركب تحت مراقبة مستشار فرنسي من صدر أعظم ووزيرين للعدلية والأوقاف ، وحكومة حقيقية تتركب تحت نظر المقيم الفرنسي العام من مديرين فرنسيين ، وفسمت البلاد تقسيماً ادارياً غريباً ، الى نواحي مدنية وأخرى عسكرية ، ومناطق أمن ومناطق خوف ، وانتصب المراقبون والضباط الفرنسيون في كل مكان تمكنوا من احتلاله يحكمون البلاد يساعدهم فيما يخص شؤون الأهالي باشاوات بالمدن وقواد بالأرياف ، وطبقت القوانين والنظم الفرنسية على نطاق واسع ، واحتكر المستوطنون الفرنسيون التجارة والصناعة وسائر مرافق الاقتصاد ، بينما سلمت لطائفة منهم يسمون المعمرين أجود الأراضي الفلاحية بعد استصلاحها لاستثمارها .

وحلت اسبانيا حذو فرنسا فيما يخص تنظيم وسبئلة منطقتها .

اما الشعب المغربي فانه استمات بكل مكان في الدفاع عن حريته ومقاومه الغاصب المحتل ، وبهر الفرنسيين والاسبانيين والعالم أجمع بإيمانه وصبره وشجاعته وما حقق من الانتصارات العظيمة رغم ضعفه المادي ولاسيما اثناء حرب الريف مما يستدعي الكلام عليه بتفصيل مجلدات طويلة ، ولم يلق السلاح الا سنة 1934 عندما احتلت فرنسا واسبانيا اقليمه الجنوبية بعدما قضى 27 سنة في كفاح مرير متواصل كلفه عشرات الألوف من الضحايا والشهداء .

(36) كانت منطقة الحماية الاسبانية تشمل على قسم يمتد من نهر ملوية الى المحيط الأطلس على شاطئ البحر المتوسط ، وقسم جنوبي يمتد جنوبي وادي درعة من الدرجة الطولية 11 غربي كرينوتش الى المحيط الأطلسي ، أما اقليم الساقية الحمراء والداخلية (وادي الذهب) وقطاع سيدي يقني فقد وافقت فرنسا اسبانيا على اعتبارها مستعمرات اسبانية .

(37) هي منطقة طنجة التي حل محلها اقليم طنجة الحالي البالغة مساحته 334 كلم مربع .

ولكن قبل ان تتمكن فرنسا من اخضاع انقاس النضال المسلح نشأت في البلاد حركة وطنية سياسية تشكلت في البداية بشكل دينسي سلفي ، وكانت تقوم على اكتاف جماعة من العلماء المخلصين والاعيان المتنورين والشبان المثقفين المتحمسين الذين تأثروا كثيراً بالافكار الاصلاحية التي كان ييشها كبار المصلحين المسلمين المعاصرين امثال الأمير شكيب ارسلان والشيخ رشيد رضا والشيخ عبد القادر المغربي ، وقد عبرت هذه الحركة عن وجودها وقوة تأثيرها اكبر تعبير حين قامت مظاهرات عنيفة في كثير من مدن المغرب وأريافه اثر استصدار فرنسا للظهير المؤرخ في 16 مايو 1930 الذي يمنع الحكم بالشريعة الاسلامية في القبائل المسلمة التي يتكلم أهلها اللهجات البربرية ، وينشيء لها محاكم عرفية تستأنف أحكامها لدى المحاكم الفرنسية ، وتحولت الحركة الوطنية بعد تلك المظاهرات من شكلها الديني السلمي المحض الى شكلها الجديد ذي الطابع السياسي - الديني المزدوج .

وكان من حسن حظ المغرب يومئذ أن تولي ملكه (18 نونبر 1927) أمير شاب ممتلئ ايماناً وحمية واخلاصاً ، هو صاحب الجلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف الذي أصبح يعرف بعد استرجاع الاستقلال بالملك محمد الخامس ، فقد أخذ بضيق الحركة السياسية وشجع مسيرتها وقدم لهم مختلف المساعدات ، كما عمل جاهدأ في النطاق الذي كانت الحماية تسمح بالعمل فيه على تنمية الوعي وتيسير سبل العلم والثقافة على الشبان ، فأسست المدارس العربية الحرة وجددت نظم جامعة القرويين والمعاهد الدينية وحوربت الطرق الصوفية المنحرفة ومنعت من ممارسة بدعها ، وأنشئت المطابع ونشرت الكتب التاريخية والدواوين الشعرية التي تذكر بامجاد الماضي وتعبر عن مطامح المستقبل ، ولم يمض الا وقت قصير على قضية الظهير البربري حتى أصبح الوطنيون السياسيون يعملون داخل اطار حزب سياسي أطلق عليه اسم (كتلة العمل الوطني) أنشئت له شعب في مختلف اطراف البلاد وانضم اليه كل غيور مخلص من الشبان الناهضين والكهول والشيوخ الناثقين الى رؤية وطنهم يكسر اغلال العبودية ويعود سيرته الاولى قوياً عزيزاً مكرماً .

ولما كان محرماً على المغاربة اصدار الصحف قررت كتلة العمل الوطني اصدار مجلة بباريسي لتنوير الرأي العام الفرنسي وتعريفه بما يجري

فى المغرب من مظالم ومآثم ، فصدرت مجلة (مغرب) التى جمعت حولها ثلة من احرار فرنسا اليساريين ، ثم احتالت الكتلة حتى اصدرت بفاس جريدة (عمل الشعب) باللغة الفرنسية باسم سيدة فرنسية الجنسية متزوجة بمواطن مغربي ، ولما تأسست بالمنطقة الخاضعة لحماية اسبانيا كتلة عمل وطنى اتفق رجال الكتلتين على اصدار مجلة وجريدة باللغة العربية فصدرت بتطوان مجلة (السلام) وجريدة (الحياة) ، وكان لصدور تلك المجلات والجرائد الاثر المرغوب والصدى المطلوب فى الداخل والخارج .

وفى الوقت نفسه شهدت البلاد تأسيس جمعيات ثقافية ورياضية وفنية وتقرير الاحتفال بذكرى جلوس جلالة الملك على العرش وقيام عدد من العلماء بالقاء دروس دينية ومحاضرات علمية بالمساجد والنوادي ، وقد كانت السلطات الفرنسية تضيق ذرعاً بهذه الجمعيات والدروس والمحاضرات والجرائد والمجلات فتمنعها ، ولم تقرر منها الا الاحتفال بذكرى التتويج المسمى (عيد العرش) رعيّاً لشخصى المحتفى به ومقامه :

ولما ظهر لكثير من الفرنسيين ان الانتقادات التى تشنها كتلة العمل الوطنى بواسطة صحفها وعرائضها وندائاتها انما هى عمل سلبي يسدل على الاستياء من نظام الحكم المباشر ولا يعبر عن الرغبات الحقيقية التى يراد تعويضه بها ، وبدأت الصحافة الاستعمارية تتهم الوطنيين المغاربة بالتهييج من أجل اشياء لا يستطيعون هم ايضاً تحديدها قررت الكتلة تحدى السلطات الفرنسية بوضع برنامج للاصلاحات عرضته فى سر على الطبقات الحية فى البلاد للملاحظة والموافقة . ثم قدمته فى نونبر 1934 الى القصر السلطانى والمندوبية الفرنسية بالمغرب ووزارة الخارجية بباريس باسم (مطالب الشعب المغربي) .

وكان برنامج الاصلاحات أو مطالب الشعب المغربي يشتمل على خمسة عشر فصلاً تتعلق بالاصلاحات السياسية والقضائية والاجتماعية والاقتصادية والمالية والحريات العمومية والفردية الخ التى تستهدف الفاء جميع مظاهر الحكم المباشر وتوحيد النظامين الادارى والقضائى لجميع البلاد وتقديم المغاربة فى جميع فروع الادارة والفصل بين السلطات التى يقوم بها الباشوات والقواد واحداث مجالس بلدية واقليمية وغرف تجارية ومجلس وطنى .

وقد كان لتقديم هذه المطالب صدى عميق في الأوساط الفرنسية والمغربية وأمرت الحكومة الفرنسية مندوبيتها بالرباط بدراستها وتوجيه تقرير عنها ، فطبعتها هذه ووزعتها على الإدارات المختصة ، وألفت لجائاً لدراسة كل فصل منها ، ونالت بعض الفصول استحساناً كاملاً ، ولكن الفرنسيين ترددوا في تنفيذها رغم القبول الحسن الذي حظيت به في الجملة ، لأنهم كانوا يتصورون ما يؤول إليه تنفيذها ، وقد عبر عن ذلك السيد جيراناردان مستشار جلالة السلطان إذ قال : (ان تلك المطالب تشتمل على ثلاثة أقسام : قسم يمكن تنفيذه من الآن ، وقسم يمكن تنفيذه ولكن بعد حين ، اما القسم الثالث فلا يمكن تنفيذه لأننا لا نريد الجلاء عن المغرب من تلقاء أنفسنا) !

والحقيقة ان سلطات الحماية لم تنفذ من تلك المطالب شيئاً في العاجل ولا في الآجل ، بل بلغ الفرور بالمستوطنين الفرنسيين الى المطالبة بتمثيل برلماني لهم في المغرب على اثر اصطدام وقع بين ممثلهم وبين المقيم العام في شهر نونبر سنة 1935 وقد فضحت كتلة العمل الوطني المكدة بكل ما أوتيت من قوة وجهد ، ووجعت تعصيماً كبيراً من جلالة السلطان وحكومته ، وأدى الحال الى دراسة القضية في البرلمان الفرنسي ، ولما عجز المقيم العام السيد بوتصو عن ارضاء مستوطنيه وقمع المعارضة عزلته حكومته في يبرابر 1936 واستبدلت به شخصية استعمارية شهيرة برعوتها وقسوتها ، هي شخصية مارسيل بيرتون الذي صرح وهو يتأهب للسفر من مرسيليا الى الدار البيضاء في شهر ابريل أنه فخور بقضائه على الحزب الدسنوري التونسي ، وانه ينوى القضاء على الكتلة الوطنية في المغرب ، وان القوة والعنف هما الشعار الذي يجب أن يتبع في سياسة الأهالي بشمال افريقيا ، ولكنه لم يكد يصل الى المغرب حتى نجحت الجبهة الشعبية في الانتخابات بفرنسا وألف ليون بلوم حكومته اليسارية الشهيرة ، ولما جرت أولى المقابلات بين المقيم الجديد وممثلي كتلة العمل الوطني اعرب خلال ثلاث ساعات من الكلام عن كل ما تكنه نفسه من حقد على الوطنيين التونسيين واليساريين الفرنسيين، فلما انقضت المقابلة اذاعت الكتلة فحواها فكانت عواقبها وخيمة عليه .

وفي تلك الاثناء حل دور انعقاد مؤتمر الطلبة المنتمين لـ (جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا) وكان مقررأ أن ينعقد في تلك الدورة

بالمغرب خلال شهر شتنبر 1936 وحاول بيرتون أن يستغل فرصة انعقاده ليحضر حفلته الافتتاحية ويلقى فيها خطاباً يضمه برنامج عمله في التعليم ، ولكن المؤتمر رفض حضوره وخطابه ، فغضب وقرر منع المؤتمر ، فعقدت بدله مؤتمرات سياسية احتجاجية لم تر الحكومة الفرنسية بعدها بدأ من اقصائه عن مندوبيتها السامية بالمغرب وتعيين الجنرال نويس مقيماً عاماً بدله .

وحدث في صيف تلك السنة حادث مهم كانت له تبعات سياسية عاجلة واخرى آجلة ، هو ثورة الجنرال الاسباني فرانسيسكو فرانكو على الحكم الجمهوري واستيلاء حركته على منطقة الحماية الاسبانية بالمغرب ، وقد سلك النوازل الاسبانيون في البداية مسلك الحذر حيال كتلة العمل الوطني في تلك المنطقة ، ثم عدلوا سياستهم بعد ما رأوا وقوف اليساريين الفرنسيين الى جانب النظام الجمهوري فعينوا في منصب المندوب السامي الكولويس بيكيدير الذي كان يفتخر بأنه من تلاميذ المرشال ليوطي ، فدشن في تطوان عهداً من التعاون نال به المقاربة هناك بعض الحقوق وحققوا بعض المسامح ، وان كانت سياسته قسمت الكتلة الى حزبين سياسيين أحدهما سمي حزب الإصلاح الوطني ، والآخر دعى حزب الوحدة المغربية .

أما في منطقة الحماية الفرنسية فان كتلة العمل الوطني والت اتصالاتها بالمسؤولين عن الجبهة الشعبية ، وبعثت وفداً الى باريس للاتصال برجال حكومتها ولكنه عاد دون طائل لا يحمل معه الا الوعود والأمانى ، وفي الحين شرعت الكتلة في عقد تجمعات في مختلف المدن المغربية لشرح المبادئ التي تدعو اليها وتبيين الغايات التي تسعى في الوصول اليها ، وفسدت مؤتمراً خارقاً للعادة يوم 25 اكتوبر 1936 وضمت خلاله مطالب مستعجلة وتقرر طواف الزعماء الوطنيين بمختلف مدن المغرب وأريافه لتنوير الرأي العام واستكثاب عرائض التأييد ، ولما وصل المقيم العام الجديد الجنرال نويس في نفس الشهر الى الرباط قدمت له تلك المطالب صحيفة كتاب تقديم فوعد بالنظر فيها وتحقيق ما يمكنه من رغبات الشعب المغربي بعد رجوعه من سفر يعتزم القيام به الى باريس ، ولكنه أمر - بدل ذلك - بمنع مؤتمر كانت تعتزم كتلة العمل الوطني عقده بالدار البيضاء يوم 17 نونبر 1936 للمطالبة بحق المقاربة في اصدار الصحف والمجلات ، ثم أمر باعتقال السادة علال الفاسي ومحمد بن الحسن

الوزانى ومحمد اليزيدى ، فوقعت مظاهرات صاخبة بمدن عديدة اصطدم فيها الوطنيون بالقوات الاستعمارية التى اعتقلت مئات منهم ، ثم اضطر بتدخل السلطان وتعليمات حكومة الجبهة الشعبية الى تسريح الجميع قبل ان يمضى شهر على اعتقالهم ، واذن باصدار بعض الصحف فتتفسس الوطنيون الصعداء وشرعوا ينظمون صفوفهم ، وهاهنا المندوبية الفرنسية اقبال المواطنين على الانخراط فى الكتلة وعدم تأثرها بانسحاب الاستاذ محمد بن الحسن الوزانى منها وتأسيسه لحركة قومية منفردة ، فاستصدرت يوم 17 مارس 1937 قراراً بحل الكتلة بدعوى أنها تتآمر على الملك ، ولكن رجال الكتلة واصلوا العمل معطين لحركتهم اسم (الحركة الوطنية لتحقيق المطالب) ثم عقدوا اجتماعاً فى شهر ابريل بالرباط وقرروا تأسيس (الحزب الوطنى لتحقيق المطالب) وفتحوا له مراكز فى جميع جهات المملكة وشرعوا فى تسجيل المنخرطين واسسوا عدداً من اللجان الفرعية استطاعت فى امد قصير أن تنجز عدداً من المشاريع التقدمية ولاسيما فى ميدان التعليم ، فتحركت السلطات الاستعمارية للعمل ، واعتبرت الحزب الجديد امتداداً للكتلة المتنوعة ، واغتمت الإقامة العامة قيام مظاهرات بمكناس فى شهر غشت احتجاجاً على اغتصاب ماء وادى أبى فكران لفائدة المعمرين الفرنسيين ، فاطلقت جنود الليف الأجنبى وفرق المستعمرات على الأهالى يفتكون بهم فتكاً ، ولكن المظاهرات امتدت الى جميع الجهات ، وشاركت فيها القبائل البربرية التى كانت فرنسا تعلق على ولائها كبير الآمال فقابلها الفرنسيون بقمع شديد قتل خلاله العشرات من الوطنيين واعتقل المئات ، وائر ذلك عقد الحزب بالرباط يوم الأربعاء 13 أكتوبر 1937 (7 شعبان 1356 هـ) مؤتمراً حضره نواب شعبه بجميع بلاد المغرب لدراسة الحالة الراهنة وتقرير الخطة التى يجب انتهاجها ازاء سلطات الحماية ، وقد وافق المؤتمر على ميثاق وطنى بلغ فى الحين الى المندوبية الفرنسية فارتفعت له ، واصدر المقيم العام يوم 25 أكتوبر قراراً باعتقال السادة : علل الفاسى ، وبعض رفاقه فى الكفاح ، فثارت البلاد وسقط الضحايا بالعشرات ، واعتقل الوطنيون بالآلاف ونقلوا الى الصحراء والسجون المدة لكبار المجرمين ، ونفى الأستاذ علل الفاسى الى مستعمرة الكايون بأفريقيا الاستوائية ، واعتقل أيضاً الأستاذ محمد بن الحسن الوزانى ونفى الى الصحراء وظلا منفيين حتى

ومصت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، وعاشت البلاد منذ ذلك التاريخ تحت وطأة حصار عسكري شديد .

ولم تغد حركة الاحتجاج التي قام بها العالم الاسلامي وبعض اقطار اوربا شيئاً في حل الأزمة ، فقد كان الجو في أوربا ينذر بقرب نشوب الحرب ، وانصرفت افكار المسؤولين الفرنسيين الى التاهب والاستعداد لمواجهة الخطر الفاشيستي - النازي المتصاعد ، فلما أوقدت نار الحرب العالمية الثانية في خريف سنة 1939 أعلن جلاله السلطان تأييده للحلفاء وتضامن معه الوطنيون في هذا التأييد ، وكانت سياسة رشيدة منه رحمه الله درأت عن المغرب كثيراً من الاخطار والمكازر في تلك الظروف العصيبة ، ومع أن جلالته وقادة الوطنية رفضوا التعاون مع المحور بعد انهزام فرنسا ولم يلتفتسوا الى عروضه فان الفرنسيين لم يحددوا عن خطتهم ولم يخطر ببالهم ان يكافئوا المغاربة على مساهمتهم في المجهود الحربي وتضحياتهم الكبيرة في ميادين القتال ، ولذلك لم يكن من المعقول أن يظل المغاربة لائذين بالصمت الى ما لا نهاية له ، سيما وأن الحلفاء الانكليز والأمريكيين الذين نزلوا بالشمال الافريقي يوم 8 نونبر سنة 1942 كانوا يملأون الدنيا دعاية لحرية الشعوب واستقلالها ، وكان المنطق الطبيعي ان ينبذ المغرب سياسة الاصلاحات الجزئية ويطلب الاستقلال الكامل الناجز ليتمكن أن يصلح نفسه بأيدي ابنائه وفق ما يبتغون هم لأنفسهم لا ما يبتغى لهم الغير ، ولما بدأت العناصر الوطنية تتحرك في الخفاء أوحى اليها جلاله السلطان سيدي محمد بن يوسف أن تطالب بالاستقلال ، فاعدت وثيقته بهذا المعنى رفعها يوم 11 يناير سنة 1944 الى جلاله السلطان وممثلي فرنسا وحلفائها نواب حزب الاستقلال الذي أسس في نفس اليوم ، وقد لقيت الوثيقة تأييداً كاملاً من القصر الملكي، واستدعى جلاله السلطان مجلساً وزارياً لدراستها يوم 13 يناير وعين وزيرين للاتصال بشأنها مع ممثلي فرنسا ومع اللجنة التنفيذية للحزب الجديد ، في حين كانت الوفود والمراغض ترد على القصر الملكي من جميع نواحي المغرب مؤيدة متضامنة .

أما الفرنسيون فقد ذهلوا من مضمّن الوثيقة ولكنهم لم يحركوا ساكناً خشية من ان تتدخل قوات الحلفاء لفائدة الوطنيين المغاربة كما تدخلت من

قبل في سوريا ولبنان ، حتى اذا تأكدوا من عدم تدخلهم طلب كابريال بيو مصيف فرنسا العام مقابلة السلطان يوم 18 يناير وأبلغه رفض اللجنة الوطنية للتحرير الوطني تغيير نظام الحماية واستعدادها فقط لادخال اصلاحات ، ثم نشرت الاقامة العامة بلاغاً بذلك وصار الجميع يتوقع قيام السلطات الفرنسية بحركة قمع ، وفي مساء يوم 28 يناير حينما كان السيد ماسيكل المفاوض الوطني في الخارجية الفرنسية يعلن قبول فرنسا مشروع اصلاح مستعجل بالمغرب كان الولاة العسكريون يعتقلون مسيرى حزب الاستقلال بتهمة الاتصال بالعدو ! ولم يكذ نبأ اعتقالهم يشيع صباح اليوم التالي حتى اضربت البلاد واحتاجت الأفكار وبدأت السلطات الفرنسية تتحرش بالناس وتستفزهم فوقعت مظاهرات واشتباكات بين الوطنيين والقوات الفرنسية استشهد فيها عشرات من الوطنيين الأبرار واعتقل الآلاف وأبعدوا الى السجون والمنافى وبدأت المحاكم العسكرية تصدر أحكامها بالاعدام الذي نفذ في البعض منهم .

وبعد مرور بضعة أيام أعلن المقيم العام عزمه على ادخال الاصلاحات ثم جاء السيد ماسيكل يؤكد للسلطان قبول فرنسا لادخالها ، ولما بدأ المقيم يوم 22 مارس يترأس اللجان الاستشارية التي تدرسها ظهرت تفاقتها وأيقن المغاربة أن فرنسا تسخر من نفسها لا منهم ، ومع ذلك لم ينفذ منها شيء يلفت النظر ويحس المغاربة أن فيه نوعاً من الترضية لهم ، بل زادت الحالة سوءاً عند ما منح المستوطنون الفرنسيون حق المشاركة في انتخاب المجلس التأسيسي الفرنسي ، وتوالت الاحتجاجات من السلطان والهيئات الوطنية على ذلك .

وانتصر الحلفاء في الحرب واستردت شعوب كثيرة حريتها وسيادتها ، ووضع ميثاق الأمم المتحدة كدستور يضمن للبشرية جمعاء حياة حرة كريمة مثل ، فكان لزاماً على فرنسا أن تبدل مندوبيها المقيم الذي فشل في فرض (اصلاحات) مزيفة سواء بطريق الرفق أو بطريق العنف وان تفعل شيئاً ما تظهر به للدول انها ودية لميثاق الأمم المتحدة سائرة بمستعمراتها وبلدان حمايتها نحو الحرية والتقدم ، فعزلت كابريال بيو ، وعينت السيد اريك لابون مندوباً مقيماً عاماً ، وهو أحد ديبلوماسيها المشهورين الذين سبقت لهم الخدمة بالمغرب ومن يهتمون كثيراً بالتنمية الاقتصادية ، فكان من أعماله

الأولى ارجاع الأستاذ غلال الفاسي وغيره من الزعماء الوطنيين من مناهيهم والسماح للمغاربة باصدار الصحف ولكن مع خضوعها للرقابة المروضة على المطبوعات ، فاستبشر الناس خيراً بهذا الانفراج ، وحسبوا ان المقيم العام الجديد جاء بسياسة متحررة ، ولكن الخيبة عادت تساور النفوس بمجرد ما بدأت اتصالاته بالوطنيين ، اذ ظهر ان الرجل لا يحمل في حقيقته الا برامج تنمية اقتصادية لعائدة دولته ، وبرامج (اصلاحات) موجهة بمقتضى العقلية الاستعمارية ، فقد كانت الخطة التي اهتمت اليها الفرنسيون لحل مشاكلهم بالمستعمرات وبلدان الحماية هي اشراك (الأهالي) في التدبير والتقرير مع المستوطنين الفرنسيين ، ولكن بعد الاعتراف مسبقاً لهاؤلاء بكافة الحقوق السياسية ، ومعنى ذلك الاشتراك في السيادة (38) على تلك الأوطان مع أهلها ، وهذا اقصى ما طرأ على العقلية الاستعمارية الفرنسية من تطور بعد الحرب العالمية الثانية !

ولقد كان من المقرر ان يزور جلالة السلطان في ربيع سنة 1947 طنجة بعدما انسحبت منها الجيوش الاسبانية الى احتلتها اثناء الحرب وعاد اليها نظامها الدولي السابق . ولم يكن الفرنسيون يجهلون أهمية هذه الزيارة وعواقبها الوخيمة على سياستهم ، ولكنهم لم يجدوا بداً من الموافقة عليها ، بيد انهم دبروا مكيده وحشية للحيلولة دونها يوم 7 أبريل ، فقد أطلقوا الجنود السنغاليين على الأحياء العربية بالدار البيضاء يقتلون النفوس وينهبون الأمتعة ، ولم يعيدوهم الى معسكراتهم بعد عشر ساعات حتى قتلوا أكثر من 2000 مغربي فيهم المرأة المحجبة والمعجوز المسن والولد الرضيع ، ومع ما خلعه هذا الاعتداء من شعور الأسى والسخط في النفوس سافر جلالة السلطان يوم الأربعاء 9 أبريل سنة 1947 الى طنجة صحبة ولي عهده صاحب السمو الملكي أمير الأطلس **مولاي الحسن** وسائر أفراد أسرته وحاشيته ، وبعد ما تغذى جلالتهم بظاهر أصيلة مع ابن عمه وخليفته بمنطقة الحماية الاسبانية صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن تابع سيره الى طنجة فدخلها في العشية واستقبل من أهلها استقبالا حماسياً ، ثم قابل السلك الدبلوماسي والقنصلي صباح يوم الخميس 10 أبريل وألقى خطابه التاريخي الشهير الذي أكد فيه

صبغة المغرب العربية ، وضرورة تحقيق وحدته الترابية وتحقيق أمانى شعبه وتأسيس نظام حكم ديمقراطي ، كما خطب المومنين وأم بهم يوم الجمعة بعده ، بينما كان صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن وشقيقته الأميرة للا عائشة يلقيان في تلك الأيام خطبا شبيهة المعنى بخطب والدهما ، ثم عاد جلالتة الى الرباط يوم الأحد 13 أبريل .

وقد كان للنجاح الذي أحرزته هذه الزيارة الملكية وقع اليم في نفوس الفرنسيين ، الشيء الذي جعل السيد رمادى رئيس الحكومة الفرنسية يهذى في التعليق عليها هديان المحموم ، ويقرر اعفاء المقيم العام السيد اريك لايون من منصبه ولما تمضى على رجوع السلطان الا بضعة أيام .

واختارت الحكومة الفرنسية الجنرال الفونس جوان مندوباً مقيماً عاماً ، وهو ابن دركى ومن مواليد الجزائر ، حاد الطبع عصبي المزاج ، يتشبع في منتصف القرن العشرين بأفكار رواد الاستعمار الاولين أمثال بيجو ولاموريسير وبليسي وكافيتياك ، لا يحس بالتطور السياسى والاجتماعى والاقتصادى السدى طراً على العالم فى هذا القرن ، وأقل مايصفه به المؤرخ المتجرد النزيه أنه نذل لثيم ، وكانت الخطة التى جاء لتنفيذها تستهدف فرض اصلاحات على أساس اقتسام السيادة ولو أدى الحال الى تنازل اختياري من السلطان عن العرش أو خلع تأمر به السلطات الفرنسية (39) ومن الاتصالات الأولى التى أجراها المقيم العام الجديد تبين جلالة السلطان وشعبه أن المغرب مقبل على أعمال عنف ، فقد بات المقيم يجادل حتى فى حضور السلطان حفلات تدشين المدارس وتلقيب صاحب السمو الأمير مولاي الحسن بأمير الأطلس وولى العهد ، وبلغت به العجرفة الى التناول على السلطات التى يستمسك بها الملك والتى لم يخطر ببال أى مقيم سبقه أن يتناول عليها ، كنسمة الموظفين المغاربة واعفائهم ، وكانت نشاطات الوطنيين بالخارج وحملات الدول العربية والاسلامية والدول الصديقة على سياسة فرنسا وبوادر تدويل القضية الوطنية لا تزسد الجنرال الا كلباً وسعاعاً ، واستمر الوضع يتأزم حتى استدعى السلطان لزيارة فرنسا

في خريف سنة 1950 ولكن سيدي محمد بن يوسف لم يقبل الدعوة حتى أكد له أن مستقبل المغرب سيكون من بين القضايا التي يتذكر فيها مع المسؤولين الفرنسيين أثناء تلك الزيارة ، وسافر السلطان على ظهر سفينة حربية وبعد إقامة قصيرة ببوردو توجه الى باريس يوم الثلاثاء 11 أكتوبر ، وقوبل في كل مكان حل به بحفاوة كبيرة ، ولما قدم مذكرته الأولى الى الحكومة الفرنسية جاء الجواب عنها يوم 31 أكتوبر خالياً من أية إشارة الى مستقبل المغرب ، أما المذكرة الثانية التي أرسلها بعد ذلك فانه لم يتلق عنها في فرنسا أى جواب ، وعاد سيدي محمد بن يوسف الى المغرب فوصل الدار البيضاء يوم 9 نونبر واستقبل من طرف شعبه استقبال الفاتحين .

وقد لوحظ باستغراب شديد تخلف باشا مراكش الحاج التهامي الكلاوي وقائد آخر من اقطاعيي الجنوب بفرنسا واجراؤهما محادثات مع المسؤولين الفرنسيين ، وان الكلاوي لم يحضر لتحية ملكه عند رجوعه الى الدار البيضاء كما لم يشارك في حفلات عيد العرش الشيء الذي دل على أن هناك مؤامرة تدبر في الخفاء .

وفعلا توالى الاحداث المزعجة بسرعة ، ففي شهر دجنبر طرد المقيم العام نواب حزب الاستقلال من مجلس شوري الحكومة لمجرد انهم حللوا اصول الميزانية تحليلاً موضوعياً عنده المقيم ماساً بكرامة فرنسا ، وبعد ذلك بقليل طرد السلطان سيدي محمد بن يوسف باشا مراكش من القصر لما طلب منه في قبة أن يتخل عن الوطنيين ويخل بينه وبينهم في ايالته ، واذ ذلك أنشأ الكلاوي بايعاز من السلطات الفرنسية حركة انضم اليها صنائع فرنسا من باشوات وقواد ، وعبا المراقبون والضباط الفرنسيون فرسان القبائل لهذه الحركة وامروهم بالمرابطة حول فاس والرباط ، ثم اذاعت الدعاية الفرنسية أن ارياف المغرب (تحركت) ضد السلطان الذي يعرقل الاصلاحات وفي يوم الجمعة 26 يناير قدم المقيم العام للسلطان لائحة مطالب يرى من الضروري الاستجابة لها ، وبعد مداوات واتصالات برئيس الجمهورية الفرنسية قدم الى السلطان ائذار ثان بقبول مطالب المقيم ينتهي اجله في الساعة السادسة من مساء يوم الأحد 25 يبرابر 1951 ولم يكن لسيدي محمد بن يوسف أى خيار

فاما أن يقبل المطالب وأما أن تخلى فرنسا بينه وبين شعبه الناقم منه بزعمهم ،
دوام جلاله عليها اجتناباً لكارثة كان متأكداً انها ستحل بشعبه قبل أن
تحل بشخصه وعرشه ،

وأحاطت الدعاية الفرنسية قبول السلطان مطالب المقيم الفرنسي
بهالة من التزييف والتبجح وأعطته صورة انتصار ما كان ليفخر به في الحقيقة
جندى بسيط فأحرى ضابط عظيم ، ولكن نشاط الوطنيين المغاربة بالخارج
ووقوف الدول العربية والاسلامية الى جانب المغرب فى تلك المحنة كشف
الستار عن حقيقة الوضع فى المغرب والطريقة التى انتزع بها المقيم موافقة
السلطان ، ومهما يكن فان ضغط الفرنسيين بذلك الشكل السافل على ملك
كريم وشعب يريد الانعتاق والتحرر جعل الشعب المغربى يفكر جدياً فى
ركوب من العنف لطرد المحتلين ، كما جعل الحكومة الفرنسية تفكر جدياً فى
أن تبعد عن المغرب الجنرال جوان الذى كانت له صلاحيات عسكرية واسعة
فى الشمال الافريقى والذى كان نفوذه المتصاعد لدى غلاة المستعمرىين
- عسكريين ومدنيين - بالمغرب العربى بدأ يثير الخوف فى نفوس رجال
الحكومة فى باريس .

وبالفعل أعلن بباريس يوم 28 غشت 1951 بعد مخاتلات ومراوغات -
عن اعضاء الجنرال جوان وتعيين الجنرال كيوم خلفاً له فى الإقامة العامة ،
والمقيم الجديد هو أحد ضباط الامور الأهلية المشهورين الذين اتسمت آفاق
معرفتهم بالمغرب حتى صاروا لا يعرفون عنه شيئاً ، وقد تقلب فيه فى مناصب
كثيرة سياسية وعسكرية وإدارية ، ونظرته اليه وإلى أهله لا تختلف عن نظرة
سلفه الذى اقترح تعيينه على حكومته فاستجابت له استعجالاً لخروجه منه ،
وقبل أن يصل الى المغرب كانت القضية المغربية تسير قدماً فى طريق
التدويل ، فقد قررت الجامعة المغربية فى دورتها المنعقدة بالاسكندرية يوم
27 غشت رفعها الى منظمة الأمم المتحدة ، ولما وصل المقيم الجديد يوم 2
أكتوبر ظهر من التصريح الذى أدلى به فى ذلك اليوم ومن تصريحاته الأخرى
وهو يزور المدن والارياف المغربية أنه نسخة طبق الأصل لسلفه ، فقد كان
يندد بالوطنيين فى كل مكان ويرميهم بالتعصب الدينى والى السلالى ، ويدعى انهم

لا يمثلون المغاربة ، وآلى على نفسه أن (يوكلهم التبن) وسعى جاهداً فى انارة العصبية السلالية بين البربر والعرب جاهلا أو متجاهلا انهم جميعاً يشتركون فى بغض المستعمرين ، ولما كانت القضية المغربية تعرض على انظار الأمم المتحدة نظمت سلطات الحماية يوم ١ نونبر انتخابات الغرف التجارية على طريقته فقاطعها التجار مقاطعة اذهلتها ، واثّر ذلك اجتمع القسم الفرنسى من مجلس شورى الحكومة للنظر فى مشروع الميزانية فأعاد ممثلو الجالية الفرنسية المطالبة بتأسيس تمثيل برلمانى لهم فى المغرب يكون لهم فيه الى جانب المغاربة حق التقرير ، ومن أغرب حوادث تلك الظروف ان السلطات الاستعمارية اعتقلت خطباء المساجد بالمغرب وارسلتهم الى السجون لا لذنوب سوى دعائهم فى خطبة جمعية لدولة ليبيا بمناسبة ارتقاؤها الى مصاف الدول الحرة ، كما اعتقلت الآلاف من المواطنين الذين تظاهروا يوم 30 مارس 1952 بمناسبة حلول الذكرى الأربعينية لعرض الحماية ، وازاء ازدياد الضغط والقمع عاد جلالة السلطان يوم 14 مارس فبعث الى رئيس الجمهورية الفرنسية مذكرة يطلب فيها اعادة النظر فى معاهدة سنة 1912 فكان الجواب الفرنسى هذه المرة سلبياً أيضاً ، وسارت الأمور وهى تتأزم أكثر فأكثر ، وبدأ الاستقاليون يقومون ببعض الأعمال الفدائية ضد الخونة والمارقين ، وبلغت الأزمة ذروتها عندما اذيع صبيحة يوم 5 دجنبر 1952 نبأ اغتيال الزعيم التونسى فرحات حشاد على أيدي عصابة فرنسية ، فقرر حزب الاستقلال شن اضراب عام يوم 8 دجنبر تضامناً مع الشعب التونسى فى مصابه الأليم ، ولكن العواطف انفجرت فى ليلة ذلك اليوم ونهاره من الجانبين ، اذ جرت بين الوطنيين والاستعماريين اشتباكات قتل فيها بعض الأوربيين واستشهد أكثر من 500 وطنى فى حي الكارير سانتال بالدار البيضاء وحده ، واعتقل الزعماء النقاويون المغاربة واتباعهم فى نفس اليوم اثناء تجمع عقده بالدار البيضاء وسلم عدد منهم الى المستوطنين الفرنسيين فمزقوا آراهم فى الشوارع تمزيقاً (40) ، وقد وجد الجنرال كيوم فى هذه الحوادث الفرصة التى كان ينتظرها ، فمطل الصحف الوطنية ، وأمر باعتقال الاستقاليين البارزين

فى جميع المغرب وارسالهم الى المنافى والسجون ، وأوعز الى أبواق دعايته بالمغرب وفرنسا بشن حملة على ملك المغرب وولى عهده اعتقاداً منه (أن الأفنى لا تموت الا بقطع رأسها) فكانت الصحف الاستعمارية تنادى بنفى محمد بن يوسف واعداد ولى عهده الأمير مولاي الحسن ، ثم شرع فى تنفيذ مخطط يستهدف نفى السلطان وأسرته ونصب دمية طيعة على العرش مستعيناً بباشا مراكش وعبد الحى الكتانى شيخ الطريقة المعروف ، فتم له ما أراد ظهيرة يوم 20 غشت 1953 فنفى السلطان وأسرته الى كورسيكا وأجلس محمد بن عرفة على العرش ، فكان يوم ذلك الحادث الجلل يوم بداية (ثورة الملك والشعب) التى استمات فيها المغاربة دفاعاً عن ملكهم ووطنهم متحلبين ما يطول الحديث عنه من التضحيات ، واضطرت فرنسا أن تمزل بعد ذلك الجنرال كيوم وتعين مقيماً بعد مقيم كان كل واحد منهم يفشل فى مهمته لأن الشعب المغربى لم يكن يريد بملكه الشرعى وحرته بديلا ، ولما اشدت عليها سخط الراى العام الدولى وضاحت بها السبل فى المغرب سيما بعد انشاء جيش التحرير الوطنى الذى شرع فى مهاجمة المراكز الفرنسية بالأرياف تعزيزاً لحركة المقاومة فى المدن لم تر بداً من الاذعان للحق وأنفها راغم ، فأعادت الى المغرب السلطان سيدى محمد بن يوسف يوم الأربعاء 16 نونبر 1955 (1 ربيع الثانى 1375) من منفاه الثانى بجزيرة مدكسكر على أساس الاعتراف بحرية المغرب وسيادته ، فكان يوم وصوله الى الرباط والأيام التى تلتها أياماً خالدة مشهودة .

وشرع السلطان الذى أصبح منذ ذلك التاريخ يدعى بصاحب الجلالة الملك فى اتخاذ التدابير العملية لجعل الاستقلال المستعاد حقيقة ملموسة ، وكان عليه أن يبدأ من الصفر ويعمل فى حذر بالغ ، فالف حكومة وطنية يوم السبت 17 دجنبر (2 جمادى الأولى) جعل لها ثلاث مهمات : تدبير الشؤون العامة ، ووضع أنظمة ديموقراطية على أساس الانتخاب وفصل السلط ، والتفاوض لتحديد نظام الاستقلال ، ثم عين عمال الأقاليم بعد يومين ، وتسلم الموظفون المشاركة السلط من الفرنسيين الذين لم يبقوا محتفظين الا بالشرطة والجيش والديبلوماسية ، وبعد ذلك جرت مفاوضات ببازيس اسفرت يوم الجمعة 2 مارس 1956 (19 رجب) عن صدور تصريح مغربى - فرنسى مشترك

يلقى عقد الحماية ويعلن استقلال المغرب ووحدة ترابه ، كما جرت مفاوضات أخرى بمديرية اسفرت يوم السبت 7 أبريل (25 شعبان) عن صدور تصريح مغربي - اسباني مشترك بنفس المعنى ، واذ ذاك أنشأ جلالة الملك وزارتي الخارجية والدفاع وأنشأ جيشاً وطنياً (14 مايو) ووضع مغربياً على رأس مصالح الشرطة .

ولكن المغرب المستقل الجديد وجد نفسه منذ تلك الساعات السعيدة أمام مشاكل لا حصر لها ، وقد أبت الدولتان الحاميتان أن تعيدا اليه أجزاء واسعة من ترابه الوطني اغتصبتها في ظروف خاصة ولأسباب معينة وضداً على جميع المعاهدات الدولية ، فاسبانيا احتفظت باقليم طرفاية ولم تسلمه الا سنة 1958 كما احتفظت بالساقية الحمراء ووادي الذهب وقطاع يفنى وجميع الجيوب الواقعة في الشمال (41) وفرنسا لم تكتف بالاحتفاظ بما اقتطعته شرقاً وجنوباً والحقته بمستعمراتها بل دفعت خط الحدود الى الشمال امتثالاً لمقتضيات استراتيجية أملت عليها الحرب التي كانت تخوضها يومئذ في الجزائر ، فكان هذا العمل سبب النفرة التي حدثت بين المغرب وبين جارتيه الجزائرية فيما بعد ، ومع كل العراقيل والصعاب سار المغرب تحت قيادة ملكه يحقق المكاسب تلو المكاسب ، فقد نظم الحكم فيه على أساس دستور ، وأجليت الجيوش الفرنسية والاسبانية والأمريكية عن القواعد التي كانت تحتلها ، وحرر الاقتصاد من التبعية، وأقيمت العدالة على أسس عصرية، وانتشر التعليم على تعدد أقسامه ، واعترف للشعب بكافة الحقوق والحريات ، وقويت التجهيزات المادية، وصار للمغرب صوت مسموع على الصعيد الدولي ، وكان الفضل في كل ذلك يرجع الى شدة الالتحام وقوة التجاوب بين جلالة الملك **محمد الخامس** والشعب المغربي، حتى اذا توفاه الله عشية يوم الأحد 26 يبرابر 1961 (10 رمضان 1380) سار ولى عهده صاحب الجلالة الملك **الحسن الثاني** على هديه ، جاداً مجتهداً في تحقيق التقدم المادي والرقى المعنوي لأمته ، صارفاً زهرة شبابه وثمرات ثقافته وتجربته في سبيل اعزازها واسعادها ، وجعل في السنين الأخيرة التنمية شعاره ، وهو دائب على تمهيد غروسها التي لن تلبث أن تؤتي أكلها في مستقبل قريب .

(41) سبتة ومليلية وجزر ملوية وحجرة نكور .

من مصادر هذا الفصل :

- اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان - تأليف
أحمد بن أبي الضياف - تونس 1963 .
- الانيس المطرب ، بروض القرطاس ، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ
مدينة فاس - لأبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع - فاس 1303 .
- افريقيا الشمالية في العصر القديم - لمحيى الدين المشرفي -
الدار البيضاء 1957 .
- الاستقصا ، لأخبار دول المغرب الأقصى - لأحمد بن خالد الناصري -
الدار البيضاء 1956 .
- تاريخ الجزائر العام - لعبد الرحمان الجيلالي - بيروت 1965 .
- تاريخ الحركات الاستقلالية في المغرب العربي - تأليف الأستاذ محمد
علال الفاسي - تطوان .
- تاريخ المغرب العربي - لمحمد علي دبور - القاهرة 1964 .
- تاريخ المغرب العربي - للدكتور سعد زغلول عبد الحميد -
القاهرة 1965 .
- التطورات السياسية في المملكة المغربية - لدوكلاس آي . اشفورد -
بيروت 1963 .
- تونس وفرنسا - لعبد المجيد المطوي - تونس 1957 .
- الجزائر العربية - للدكتور احسان حقي - بيروت 1961 .
- الحبيب بورقيبة : حياته وجهاده - لكتابة الدولة للأخبار والارشاد -
تونس 1966 .
- كتاب الجزائر - لأحمد توفيق المدني - الجزائر 1350 .
- كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ،
ومن عاصرهم من الملوك ذوى السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)
- لعبد الرحمان بن خلدون الحضرمي - بيروت 1961 .

- ليبيا بين الماضي والحاضر - تأليف حسن سليمان محمود -
القاهرة 1962 .
- مدينة المغرب العربي في التاريخ - لأحمد صفر - تونس 1959 .
- المعجب ، في تلخيص أخبار المغرب - لعبد الواحد المراكشي -
سلا 1938 .
- المغرب في بداية العصور الحديثة - للدكتور صلاح العقاد -
القاهرة 1963 .
- المسألة المغربية - لأحمد خير فارس - القاهرة 1961 .
- نضال ملك - لأحمد الرشيد ملين - الرباط 1957 .
- فتح العرب للمغرب - لحسين مؤنس - القاهرة 1947 .
- F. Weisgerber - au Seuil du Maroc Moderne - Rabat 1947 .
- H. Terrasse - Histoire du Maroc - Casablanca 1950 .
- Maréchal Juin - Le Maghreb en Feu - Paris 1957 .
- J. L. Meège - Le Maroc et l'Europe - Paris 1961 .
- G. Granval - Ma Mission au Maroc - Paris 1956 .
- P. B. de Latour - Vérité sur l'Afrique du Nord - Paris 1956 .



المقاربة القدماء

كان الراى السائد بين المؤرخين الى وسط القرن الماضى ان البربر اول جنس بشرى سكن بلاد المغرب ، ولكن اليحوث العلمية والاكتشافات الأركيولوجية أضعفت فى الوقت الراهن هذا الراى ، اذ صار العلماء يمتقدون ان هناك مقاربة قدماء عمروا المغرب قبل البربر وسبقوهم الى سكناه .

ومن المعروف أن المؤرخين اصطالحوا على تقسيم العصور التى سبقت تدوين التاريخ الى عشرين :

- 1 (عصر البليستوسين Pleistocene المسمى أيضاً بعصر الجليد .
- 2 (والعصر الحجري المنسوب الى الحجر الذى كان الانسان البدائى يستعمله فى كل ما تتوقف عليه حياته من اداة وسلاح .

وهذا العصر يقسم بدوره عندهم الى ثلاثة أقسام :

- 1 (عصر حجرى قديم كان الانسان فيه حديث عهد بالطبيعة جاهلا طرق الانتفاع بها ، لا يختلف فى مفاهيمه وتصرفاته عن الحيوان الأعجم .
- 2 (عصر حجرى متوسط تهذب فيه الانسان قليلا فأخذ يسكن الكهوف ويدفن الموتى ويتخذ الأسلحة والأدوات من عظام الحيوانات كالفيلة والوعول والكركدن والنعام .
- 3 (عصر حجرى حديث ازداد الانسان فيه معرفة بأسرار الطبيعة وفهماً لمظاهرها ، فاكتشف النار وحاك الملابس واخترع الكتابة الهيروغليفية وصنع الآنية من الطين المجفف والمحروق .

ويأتى بعد هذه العصور الحجرية الثلاثة العصر الممدنى الذى اكتشف فيه الانسان الحديد والنحاس والقزدير والرصاص ، وهو يفصل بين عصر

التاريخ الذى صار فيه الانسان يدون وقائمه ويستعمل الوثائق المكتوبة ، وعصر ما قبل التاريخ الذى اضطربت أقوال العلماء فى تقدير مدته بين 5.000 و 240.000 سنة تبعاً لتفاوتهم فى الاجتهاد والاستنتاج ، واعتماد بعضهم على الحكايات الأسطورية والروايات الدينية .

ولقد كانت حالة المغرب فى تلك العصور تختلف كل الاختلاف عن حالته فى الساعة الراهنة ، وتدل الأبحاث والدراسات التى أجراها العلماء المتأخرون على أن البلاد المغربية كانت متصلة بأوروبا من طرفيها الشمالى الشرقى والشمالى الغربى ، وأن البحر الأبيض المتوسط لم يكن سوى مجموعة من البحيرات متناثرة من الشرق الى الغرب دون أن يكون لها اتصال بالمحيط الأطلسى ، وأن الأراضى القاحلة الموجودة خلف جبال الأطلس كانت تتخللها فى تلك العصور السحابة الأنهار العظيمة والبحيرات العريضة ، أما الطقس فكان يشبه الى حد كبير الطقس الحالى لأراضى المنطقة الاستوائية حارة ورطوبة ، فساعد ذلك على نمو النبات وتكاثر الشجر وتشابك الغاب ، الشيء الذى مكن لحيوانات بدينة ضارية أن تعيش فى أرجائه كالقمل والوعسل والكركدن والزرافة .

وفى آخر العصر الحجري القديم الذى مضى بين سنتى 20.000 و 6.000 قبل الميلاد حدث الانقلاب الجيولوجى العظيم الذى كان من نتائجه تراجع الجليد الى المناطق القطبية ، فأخذ المغرب منذ ذلك الحين شكله الطبعمى الحالى ، وأصابه الحر والجفاف ، وغاضت على الخصوص مياه أنهاره وبحيراته الجنوبية فلم يبق منها الا الأشباح .

وقد كان لهذا التغير المناخى تأثير كبير على حياة السكان الأولين للمغرب ، فالحر بمنهم على الانتشار وزيادة تعرف بعضهم على بعض واختلاط جماعاتهم ببعضها وأدى كل ذلك بالتالى الى وجود سلالات جنسية خليطة ، أما الجفاف فكانت له آثاره بعيدة المدى فى حياة الناس أيضا ، اذ صاروا يسكنون فى جوار الأنهار والآبار والعيون ، لأن الغذاء هو المطلب الأول للانسان فى كل يوم ، والماء جزء من الغذاء ، بل هو أكثر أجزائه أهمية .

ولقد اصطلح المؤرخون القدماء على ارجاع السلالات البشرية الى ثلاثة أصول اعتماداً على جدول الأنساب الوارد فى التوراة :

1 (الأصل السامي المنسوب الى سام بن نوح .

2 (الأصل الحامى المنسوب الى أخيه حام .

3 (الأصل اليافثى (الآرى) المنسوب الى أخيهما يافث .

ويذكرون أن هاذلاء الاخوة الثلاثة هم الذرية التى تشير النصوص الدينية - ومنها القرآن الكريم - الى أنها هى التى بقيت بعد الطوفان فتناسل منها البشر ونما عددهم بعد أن كادوا ينقرضون فى ذلك الحادث ، وشك قليل من العلماء فى هذا التقسيم الثلاثى المترتب على أبناء نوح الثلاثة ، بينما جعلته طائفة منهم تقسيماً لثوية لا سلالياً يدل على أصول اللغات لا على أصول المتكلمين بها ، ويرفضه العلماء المعاصرون كلية بدلايتيه السلالية واللثوية ، ويجعلون الناس ثلاث طبقات :

1 (طبقة العصر الحجري .

2 (طبقة العصر الحديدي .

3 (طبقة عصر سكب الرمل ، ويعتمدون فى تقسيمهم من حيث السلالات والأصول على قواعد علميه وضعوها بعد البحث والدراسة والمقارنة والاستنتاج ، لا دخل فيها للأسطورة ولا لنصوص الدين ، كشكل الجمجمة وحجم الجسم ولون البشرة ونوع السحنة وحالة المزاج ، فأشكال البشر عندهم أربعة اعتماداً على تلك القواعد :

1 (الشكل القوقاسى الذى يمثل سكان أوروبا وآسيا الغربية وسواحل البحر الأبيض المتوسط .

2 (الشكل المغولى الذى يمثل سكان آسيا وأمريكا من السلالة الصفراء .

3 (الشكل الزنجى .

4 (الشكل الأمريكى القديم .

وكما اختلف العلماء وتعددت مذاهبهم فيما يتعلق بعمر الانسانية وأصول السلالات واللغات اختلفوا فى أصل المقاربة القدماء والطريق الذى سلكوه للوصول الى المغرب ، فمنهم من جعلهم أصل الجنس الأبيض كله ،

داكراً أن الانسان الأول لما هاجر من موطنه الأصلي في جزائر الهند الشرقية
ار موطنه الثاني الذي هو ما بين النهرين بارض بابل بحثاً عن الصيد وانجذاباً
للرعى لم يكن أسهل عليه من النزوح الى شمال افريقيا (42) فوجد به ما تصبو
اليه نفسه ويسد حاجته من وفرة مياه وكلاً واعتدال مناخ ، فكملت به عقليته
وتكونت خصائصه العالية وتكيف بالشكلية البيضاء ، ومن الشمال الافريقى
جاز الى اوربا على برازخ كانت تصل ما بين القارتين ، ومنها برزخ كان موجوداً
في محل مضيق جبل طارق لا يزال جبل طارق بارض الأندلس وجبل موسى
المطل على سبتة بارض المغرب يمثلان طرفيه الشمالى والجنوبى ، ولقد أصبح
من الأكيد بعد دراسة بقايا الحيوانات والانسان الاول الذى عاصرها وما تركه
من المخلفات بأوربا أن الشمال الافريقى هو المهد الاول للانسان الأبيض .
ويؤيد هذه النظرية ما يشاهد على شواطئ البلاد المغربية من المحيط الاطلسى
الى خليج سرت من الأبنية الحجرية التى تشبه كثيراً الأبنية الموجودة باسبانيا
ومرسا وايطاليا الشئ الذى يدل على ان شعباً واحداً بناها قبل العصر
الباريخى ، يضاف الى ذلك الاجماع الواقع على انه لا يوجد فى العالم بلد سبق
تونس الى استخدام الأدوات الحجرية ، وذكر جرجى زيدان فى كتابه (طبقات
الأمم) أن مقابلة جمجمة انسان من بقايا العصر الجليدى بأوربا - وهى أقدم
جمجمة متحجرة وجدت هناك - بجمجمة انسان العصر الحجري بشمال افريقيا تدل
على أن أوربا عمرها قوم من أهل العصر الحجري نزحوا اليها من شمال افريقيا
كما يظهر من آثارهم فى سكتى غربى أوربا ان المشابهة تامة بين هذه الآثار
وآثار أجدادهم بالضفة الافريقية ، وان هذه الآثار البنائية أكثر عدداً منها فى
سائر البلاد ، فقد وجدوا هناك نحو عشرة آلاف بناء مختلفة الأشكال والأقمار
كلها يشبه ما بأوربا فتحققوا بذلك وأمثاله أن الانسان بعد ان ارتقى فى شمال
افريقيا حيث تكيف بالشكلية البيضاء انتقل بأدواته وصناعاته الى أوربا فعمرها،
وخلف أما يطلق عليها العلماء **أورافريكان** Euraficans أى الأوربيين -

(42) اختلف المؤرخون والجغرافيون كثيراً فى معنى افريقيا وأشهر تأويلات العرب منهم
انها سميت كذلك لأنها فرقت بين مصر والمغرب ، والغالب انها مشتقة من كلمة (أفري) التى
أطلقها الفينيقيون قديماً على المغاربة الأصليين . ومن ثم سميت المنطقة التى يقعون أفريكان أى
بلاد الأفري ، ويقال انها كانت قبل ذلك تعرف باسم لوبيا أو ليبيا .

الافريقيين ، ومنهم الايريون سكان اسبانيا القدماء ، ولا تزال ملامحهم ظاهرة في الباسك Bascones ، وما يؤيد هذه القضية انه ظهر أخيراً ان لغة الباسك ليست آرية ، وان فيها مشابة واضحة للغات الشائعة عند برايرة افريقيا الى الآن ، ثم يقول « وان هؤلاء الأسلاف نزحوا من افريقيا الى أوروبا وليس من أوروبا الى افريقيا كما يظن بعض العلماء ، وقد أثبت ذلك الاستاذ م سرجي ، وقرر أن شمال افريقيا هو المهد الأول للجنس الأبيض » .

ويرجح المؤرخون العرب أن يكون المغاربة القدماء من أصل سامي ، مشيرين الى الهجرات المتتامة التي وقعت من الشرق الى الغرب بعد الطوفان وتصدع سد مارب ، مستدلين على ذلك بحجج علمية مقبولة ، كوجود عناصر مغربية قديمة سمراء اللون بارزة الجبهة محدبة الأنف مدببة الذقن ، غائرة الخدين جاحظة العينين ، وهذه كلها من ملامح وسمات السلالة السامية ، يضاف الى ذلك وجود حروف في اللغة البربرية التي هي وريثة اللغة المغربية القديمة قلما توجد في غير اللغات واللهجات السامية كالحاء والعين والضاد ، ولا ريب أن هذا الترجيح العربي لأصل المغاربة القدماء وجيه ، ولكنه لا يصدق عليهم جميعاً وانما ينطبق على بعضهم ، لوجود عناصر أخرى ليس لها من ملامح السلالات السامية وسماتها شيء .

ومن العلماء من ادعى أن المغاربة القدماء اخوة زوج اليوشمان الذين لا تزال بقية منهم بجنوب افريقيا ، والظاهر ان الباعث على هذه الدعوى باعث استعماري لا علمي ، يستهدف تشكيك المغاربة في ماضيهم وتحقير أمجادهم لنهون عليهم مقوماتهم ويسهل بالتالي استعمارهم واستغلالهم .

وأول سلالة بشرية معينة عزي اليها المغاربة هي السلالة اليافثية البيضاء ، فعندما ذكر ابن خلدون الامم المتنسلة من قطوبال أحد أبناء يافث السبعة احتسب أن يكون سكان الشمال الافريقي قبل البربر منهم (43) .

والذى يقارن بين أقوال المؤرخين من جهة ، وينظر فى المعاييس التى وضعها العلماء المعاصرون لمعرفة السلالات البشرية من جهة ثانية يخرج بنتيجة حتمية وهى أن سكان المغرب الأولين لا ينتسبون الى سلالة واحدة ، وإنما يرجعون الى سلالات عديدة نزحت اليه من طرق كثيرة وفى عصور مختلفة ، وامتااز منها جيلان أحدهما فى الشمال يعرف **باللوبي** (44) يتميز أفراداه ببياض الجلد وزرقة العيون وشبهة الشعر ، والآخر فى الجنوب يعرف **بالأفريقسى** تشبه سحن أفراداه سحن الزنوج الى حد كبير .

ولا نعرف شيئاً كثيراً عن مجتمع المغاربة القدماء ، ولا شك أنه كان مجتمعاً بدائياً قبلياً تخضع فيه كل قبيلة لرئيسها ، وتتميز بمعدات ولغة وعبادة خاصة بها ، والآثار التى عثر عليها ابتداء من القرن الماضى فى جهات كثيرة من البلاد المغربية تؤيد ذلك ، فليس فيها ما يدل على أن المغاربة القدماء كانوا متشابهين فى عيشتهم متقيدين بأساليب مدنية متميزة ، فأشكال القبور والأواني والأدوات والحلى والنقوش التى عثر عليها والراجعة الى العصور المتقدمة على التاريخ تختلف فى جهة عنها فى جهة أخرى ، كما أن دراستها ومقارنتها بآثار الشعوب الأخرى تبرز أن بعضها محلى محض تتفاوت درجة اتقان صنعه بتفاوت العصور التى صنع فيها ، وبعضها الآخر شديد الشبه بآثار قدماء أوروبا الغربية وحزر البحر المتوسط ومصر والحبشة على الخصوص ، الشيء الذى يدل قبل كل شيء على كثرة الهجرات وتوارد السلالات من المغرب واليه .

ولما كان موضوعنا الآن يتحدث عن السلالات والأنساب نرى أن نكتفى بما تقدم فى الحديث عن المغاربة القدماء الذين لا يعدو كلام المؤرخين القدامى والمحدثين عنهم حد الحدس والتخمين .

(44) نسبة الى لوبيا وهى لغة فى ليبيا التى كانت تطلق فى عصور قديمة جداً على جميع البلاد الممتدة من حدود مصر الى المحيط الأطلسى ، وقد استحسن كلفة لوبيا للدلالة العامة على المغرب وتخصيص كلفة ليبيا بأحدى دوله الحديثة .

الهجرات إلى المغرب

إذا كانت البلاد المغربية هي مهد الانسان الأبيض على أرجح الأقوال فان ذلك لا يعنى أنها بقيت معمورة به وحده منذ العصور العتيقة أو أن المغاربة القدماء احتفظوا على الدوام بصفاء اللون ووحدة السلالة ، فالقرائن جميعها تدل على أن الشمال الافريقى تعرض مثل سائر الأقطار في العصور الحجرية والتي تلتها لهجرات بشرية متتابعة ، الشيء الذى جعل فيه السلالات تتلاقح والدماء تتخالط لينولد عنها فى النهاية الانسان المغربى الذى يجمع بحكم ذلك بين المحاسن والمساوى لسلالات كثيرة .

ولا يستطيع أحد ان يجادل فى هذه الحقيقة الا اذا استطاع أن يثبت بأدله معنعة الوحدة السلالية بين سكان جبال الريف و **زواوة** ذوى البشرة البضاء والعيون الزرقاء والشعور الشهباء وبين سكان واحات شنكيط وتوات ذوى البشرة الدكناء والعيون السوداء والشعور الجعداء .

ولكى نستطيع تكوين فكرة عن أصول القبائل المغربية وأنسابها لابد لنا من الحديث عن العناصر البشرية التي توالى ورودها على المغرب اما انتجاعاً للمرعى وطلباً للرزق واما غزواً وغلبة وامتلاكاً .

وأولى هجرة نتحدث عنها النصوص التاريخية الصحيحة وقعت من المشرق الى المغرب منذ حوالى 7.000 سنة ، فحوالى سنة 5.000 قبل الميلاد قام بمصر الكاهن مينا أو ميناووس أحد الكهنة (الحورشسو) الذين كانت القبائل القبطية تخضع الى حكمهم الدينى ، وقد راودت هذا الكاهن فكرة توحيد مصر والاستغلال بملكها فلقى مقاومة شديدة من زملائه الكهنة ولكنه تغلب عليهم فى النهاية ونزل الى مصر السفلى وبنى فيها مدينة (منف) وأنشأ بها أول دولة

مطمه عرفها التاريخ ، ثم خطر له أن يزين مدينته ويصلح أراضي مصر الزراعية بحول نهر النيل من مجراه الطبيعي في صحراء لوبيا الى مجراه الحالي ، فاعصب ذلك اللوبيين الذين هلكت انعامهم وجاحت فلاحتهم وثاروا عليه وشنوا الغارة ، ولكنه قهرهم كما قهر الكهنة قبلهم وألزمهم طاعته ، فانف كثير من اشرافهم من الرضوخ لسلطان ملك متجبر ، وفضلوا الهجرة - بعد ما صارت ارضهم صحراء فاحلة - الى الجهات الغربية ، فساروا الى المغرب وشاركوا فيه سكانه الأصليين الذين عمره أبائهم وأجدادهم منذ زمن مجهول ، ثم كانت لهم حروب مع الجيتول (45) سكان الجنوب المغربي الأقدمين غلبوهم فيها وطردهم الى مواطنهم الأولى بصحراء جيتولة خلف جبال الأطلس .

وانثر استيطان اللوبيين بالبلاد المغربية جرت بينهم وبين اخوانهم بالشرق وجيرانهم بالشمال اتصالات تجارية لم تفتأ تنمو مع الأيام ، وكانت البضائع تنقل من جهة الى أخرى على متن السفن أو فوق ظهور الدواب حسب الجهة التي توجه اليها ، وقد لفتت هذه الاتصالات أنظار كثير من الجماعات البشرية وحبب اليها المجيء الى المغرب جودة تربته واعتدال هوائه ووفرة خيرات وسعة أرضه فتدفقت عليه من جهات بعيدة وقريبة ، تارة محاربة غازية ، وتارة أخرى مهادنة مسالمة .

وخلال هذه العصور الموهلة في القدم كان للعرب القحطانيين أهل اليمن دولة ترتبط بعلاقات سياسية وتجارية مع بلاد الهند وشواطئ افريقيا الشرقية ، وكانت السفن اليمنية تحمل البضائع الهندية الى ارض سبأ وحصرموت ، ومنها تنقل الى الحبشة ومصر وسوريا وحتى امريقيا الشمالية ، وكان القحطانيون لا يجدون صعوبة كبرى في التفاهم مع أهل الأقطار المذكورة وتنمية التبادل التجاري معهم ، لأنهم كانوا يتكلمون لغة تقرب من لغات أكثر الأمم المتمدنة في هاتيك الأحقاب .

وفي أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد غزا المغرب أبرهة بن الرائش أحد ملوك العرب البائدة الملقب بذي المنار والذي ترجع جماعة من المؤرخين انه ذو القرنين المذكور في القرآن ، وقبل رجوعه منه خلف به أقواما كثيرين يقال انهم جدود قبيلة **صنهاجة** وقبيلة **كتامة** .

(45) سكان صحراء جيتولة الواقعة بجنوب المغرب ، ويقال ان كلمة جزولة مشتقة منها .

ومنذ ذلك الحين بدأت الاتصالات تجرى بين دولة اليمن والبلاد المغربية بواسطة مصر ، خصوصاً بعد ما أتم الوزير حنو تمهيد الطريق بين البحر الأحمر وبين مدينة قفط المصرية بأمر الفرعون سنخ كارع أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وكان ذلك حوالى سنة 2851 ق. م فكانت السفن تأتي من اليمن محملة ببضائع الهند وشبه الجزيرة العربية الى المراسى المصرية الواقعة على البحر الأحمر وخليج السويس ، ومن هناك تنقلها القوافل الى داخل مصر أو تسير بها شطر المغرب ، ومع هذه الحركة التجارية والمواصلات البرية والبحرية دخلت عناصر بشرية جديدة على سكان مصر والمغرب معاً .

ولم تخمد نيران الحروب بين الأسر المصرية الحاكمة وبين اللوبيين طيلة المدة الواقعة بين بناء مدينة منف وانشاء طريق قفط - البحر الأحمر ، وكان النصر يحالف المصريين فى الغالب بسبب نظام جنودهم وحسن سلاحهم ومهارة قيادتهم ، وكان المصريون كلما انتصروا على قبيلة لوبية أجلوها الى المغرب ، واستمرت الحال كذلك الى أن دخل العرب الرعاة (الهيكسوس) أرض مصر وجلسوا على عرشها ، قهدأت تلك الحروب نوعاً ما وعاد الاتصال بين شبه الجزيرة العربية وبين مصر والمغرب أقوى مما كان فى الماضى ، واستمر حكم الهيكسوس لمصر من سنة 2214 الى سنة 1703 ق. م وكانوا يستعينون على حكم القبط بأعدائهم اللوبيين وغيرهم ومن أشهر ملوكهم الفرعون (إيابى اعاكن) الذى يسميه المؤرخون العرب الريان بن الوليد ، وفى أيامه نزح كثير من أهل الشام والجزيرة الى مصر واستوطنوها ، ووفدت السيارة الذين أنقذوا يوسف من الجب وباعوه الى عزيز مصر قطفير المسمى باللغة القبطية بوفير ومعناه هدية الشمس ، وبجلوس يوسف على عرش العزة تفتحت أبواب مصر أمام الفلسطينيين، فاستاء أهلها من مزاحمتهم لهم ومشاركتهم فى الكبيرة والصغيرة من أمور بلدهم ، ونظموا ثورتهم الاستقلالية بقيادة الفرعون (أحس) أو (اموزيس) المتحالف مع صهره ملك الحبشة ، وقد انتهت هذه الثورة بطرد الهيكسوس من أرض مصر ومطاردة المصريين لهم الى العراق ، ولما تم لهم الاستقلال التفتوا الى الجماعات العربية التى بقيت بمصر والجماعات الأخرى التى لم تساهم فى الثورة فاضطهدوها وضيقوا عليها حتى

اصطروها الى الهجرة ، فهاجرت الى المغرب حاملة معها حصارة المصريين وثقافتهم وديانتهم ، وقد عثر فى **الزناكة** بواحات فكيك وغيرها من صحراء المغرب على صور منحوتة فى الجبال من صنع قدماء المغاربة تمثل (عمون رع) أحد آلهة قدماء المصريين .

وبعد سنة 1.600 ق . م غزا المغرب الفرعون (توميس) الملقب باسكندر التاريخ المصرى ووصلت جنوده الى حدود المغرب الأقصى ، ولكنه لقى مقاومة شديدة فارتد عنه مخلفا فيه جماعات من الجنود اندمجوا فى أهله .

وحوالى سنة 1.500 ق . م اكتشف البحارة الفينيقيون سواحل الشمال الاфриقى فأنشئت بينه وبين بلدهم فنيقيا علاقات جديدة مباشرة ، وكان تعرفهم عليه وانشأؤهم متاجر على طول تلك السواحل سبباً فى تدفق موجات بشرية أخرى عليه .

وفى هذا العصر بدأ أمر العبريين ينتظم تحت راية النبی يوشع فحاربوا الفلسطينيين وأجلوهم عن وطنهم ! ولما منع الفراعنة مهاجرتهم من الإقامة بأرض مصر تابع هاؤلاء مسيرتهم الى المغرب حوالى سنة 1.300 ق . م وكانوا يتألفون من عناصر كثيرة اشتهر منها **الكنعانيون** و **اليقشانيون** (46) و **العالميق** (47) وبعد ذلك توالى اضطهاد الفلسطينيين من طرف العبريين، ومن أشهر الملوك الذين اضطهدوهم الملك طالوت (شاوول) الذى تولى العرش سنة 1.095 ق . م وهو أول ملك لبنى اسرائيل بعد عصر القضاة ، والملك داود الذى أخرج سنة 1.055 من بقى منهم بأرض شنعار فسار بعضهم الى مصر ومنها هاجر الى المغرب ، وقصد بعضهم الآخر فنيقيا ومنها هاجر اليه بحراً .

وقد صاحب الكنعانيين خلال هجراتهم المتعددة الى المغرب طوائف مختلفة تنتمى الى سلالات أخرى ، بعضها افريقى رافقهم براً وهم يقطعون القفر

(46) ذكر ابن خلدون (التاريخ 2 : 70 بيروت 1956) أن ابراهيم الخليل تزوج بعد سارة بنطورا بنت يقطان الكنعانية ، فولدت له ستة أولاد منهم يقشان فكان من نسله جبل من البربر .
(47) أولاد عالميق بن لاوذ بن سام . كان موطنهم بالصحراء التى بين العراق والمقنة ، وكانت لهم بها دولة عتيقة وحضارة سامية .

اليه ، وبعضها أوربي صحبهم بحراً عندما عرجت السفن الفنيقية التي نقلتهم على الشواطئ الإيطالية وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط ، ومن هذه الطوائف الأتروسك والأوسز أهل إيطاليا ، والليفوريون ، والصيقال أهل جزيرة صقلية .

ولا شك في أن الهجرة الكنعانية هي أهم الهجرات التي عرفها المغرب بعد العصر الحجري وقبل مجيء الإسلام ، لأن الكنعانيين كانوا من الكثرة بحيث أثروا تأثيراً عظيماً على سكانه الأولين حتى صرح عدد من المؤرخين أنهم أصل البربر غافلين عن أهله القدماء والعناصر البشرية الأخرى التي سبقتهم اليه واستوطنته قبل مجيئهم بقرون .

وقد اضطربت أقوال المؤرخين في نسب هاؤلاء الكنعانيين ، وسبب اختلافهم اعتماد بعضهم على جدول الانساب الوارد في التوراة ، وشك بعضهم الآخر في صحته وسلامته من التحريف ، وهذا الجدول الوارد في الإصحاح العاشر من سفر التكوين هو الذي قسم الأسرة البشرية إلى آل سام ، وآل حام وآل يافث ، ومن المؤكد أن اليهود كانوا يحذفون من الفرع السامي الذي ينتسبون إليه الشعوب والقبائل التي تحاربهم كالكنعانيين ، والصيديونيين وكركاش وإيموري وغيرهم من أبناء سوريا وفلسطين ويلحقونهم بالفرع الحامي مع علمهم أنهم اخوانهم وشركاؤهم في النسب تحقيراً لهم لأن حام بزعمهم ابن عاق لأبيه نوح ، بينما كانوا يضيفون إليه عوضاً عنهم قوماً آخرين لم يحاربوهم كآل عيلام وآل فارس وآل ليديا مع أنهم من الفرع اليافثي الآري ، ومن اعتمد جدول التوراة في الانساب العلامة ابن خلدون الذي يعتقد أن التحريف الذي وقع فيها إنما هو بالتأويل لا بتبديل الألفاظ (48) ولهذا نجده يؤكد بقوة أن كنعان من ولد حام وليس من ولد سام بن نوح ، ومن شك في صحة الجدول المستشرق الألماني الكبير بروكلمان الذي ذكر صراحة (أن اليهود هم الذين اقصوا الكنعانيين عن جدول بنى سام لأسباب سياسية ودينية ، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم ما بينهم وبين الكنعانيين من الصلات العنصرية واللغوية المتينة (49) .

(48) تاريخ ابن خلدون 2 : 11 ط بيروت 1956 .

(49) تاريخ اللغات السامية ص 2 .

وفد دخل المغرب بعد هجرة الكنعانيين في حياة جديدة ارقى بكثير من حياته الأولى ، فالمهاجرون الجدد جاءوا معهم بصنوف من الثقافة والحضارة لم يكن للمغاربة القدماء بها عهد ، فشمس التطور القرى والمداشر بالسهول والجبال وأصبحت القبائل تلتحم وتتكامل وكأنها تنهياً لتصبح شعباً منسجماً ، ومع أنها لم تستطع تكوين دولة تجمع شتاتها تحت سلطان واحد فإنها كانت بلغت من الوعي القومي درجة تجعل امتلاك الأجنبي لها أمراً عسيراً ، وقد اقتصر الفنيقيون (50) الذين تعرفوا على الشواطئ المغربية في الألف الثانية قبل الميلاد على إقامة متاجر بالساحل ليست لها صبغة سياسية ولا عسكرية ، مثل سوسة وبنزرت وصدادى (بجاية) وهبو (عنابة) وتينجيس (طنجة) وليكسوس (العرائش) وروسادير (مليلية) .

وفي سنة 814 أو 880 ق . م حدثت هجرة جديدة كان لها أثر سياسى وسلالى حاسم على البلاد المغربية ، فقد جاءت الأميرة الفنيقية جونو أو عليشة ديدون أرملة أسرباس رئيس كهنة مدينة صور الى الشواطئ المغربية فارة من ظلم أخيها بيغماليون المستبد دونها بالملك والمستأثر وحده بكنوز زوجها وتراثه ، وأنشأت بلطف ومهارة مدينة قرطاجنة قرب مدينة تونس الحالية ، ورافها في فرارها الى المغرب أنصارها من أشراف الفنيقيين وعامتهم ، وماكاد خبر تأسيس المدينة الجديدة يشيع حتى قصدوا كثير من أهل الشام وأوربا الجنوبية وجزر البحر المتوسط فعمرت بهم حتى قدر عدد الساكنين فيها بمليون نسمة ، وقد امتزج القرطاجنيون بأهل البلاد امتزاجاً وثيقاً عن طريق المصاهرة فكان أشراف الأهالي وأمرأهم يتزوجون سيدات قرطاجنيات وفنيقيات وبالعكس ، فنشأ عن ذلك جيل مختلط يعرف بالفنيقيين - اللوبيين كانت له لغة خاصة وخط خاص يعرف بالمسند اللوبى ، وبفضل هذا التمازج وتأسيس حكومة وطنية في قرطاجنة انفتحت طرق الصحراء في وجه التجارة ، وصارت القوافل تغدو وتروح محملة بالبضائع بين المتاجر الساحلية وواحات الصحراء

(50) الفنيقيون هم الكنايبون أنفسهم ، وقد اختربوا أن ندعو باسم الكنعانيين الجماعات التي هاجرت الى الشمال الاريقي بقصد الاستقرار ، وباسم الفنيقيين الآخرين الذى أسسوا شواطئهم مراكز للتجارة ، والاغريق هم الذين سمو الكنعانيين فنيقيين ، وكان ذلك حوالى 1200 قبل الميلاد .

ومشارف السودان ، وبسبب هذا الزواج أمكن لعدد من الأسر والقبائل الأفريقية أن تنسرب الى المغرب سالكة طرق القوافل التقليدية ، وتساكن المغاربة فى القرى والواحات الواقعة خلف جبال الأطلس وتمتزج بهم بعد ذلك.

وبتأسيس الدولة القرطاجنية يمكن أن يقال ان البلاد المغربية دخلت فى التاريخ ، اذ قبل ذلك لم تكن تتوفر لدى المؤرخ الا معلومات ضعيفة مبشرة عنها خالية من الضبط والتدقيق أكثرها مقتبس من الأساطير الشائعة أو مستنتج من الأبحاث والآثار الأركيولوجية التى لا تصل الى حد الجزم واليقين ، ومن أخبار الهجرات والاستيطان التى لا يمكن تحديد زمنها ما رواه المؤرخ الرومانى سىلستس فى كتابه (حروب يوغورطة) عن هجرة المييد (51) والأرمن والفرس الى المغرب واندماجهم فى أهله ، فقد ذكر أن الملك هيركوليس أحد ملوك بحر ايجى على ما يظهر استأجر منهم جنوداً وهجم بهم على ايبيريا (اسبانيا) ، ولكنه هلك بعد دخوله اليها ، فطارد الايبيران جيوشه بعد هلاكه ففرقت فى البلاد المجاورة ، وعبر المييد والأرمن بحر الزقاق الى شمال المغرب واستوطنوه واندمجوا فى سكانه اللوبيين ، أما الفرس فانهم أبحروا أيضاً اليه مقتفين اثر اخوانهم ، ولكن الريح حولت وجهه سفعهم الى المحيط الأطلسى وألقت بهم على شاطئ المغرب الجنوبى حيث وجدوا أهله الجيتول يحيون حياة بدائية أقرب الى الوحشية منها الى الانسانية ، ورغماً عن ذلك اختلطوا بهم بواسطة المصاهرة واندمجوا فيهم كما اندمج الأرمن والمييد باللوبيين فتولد عنهم جيل خلاسى كانت له صولة وسلطان فى تكوين دولة نوميديا بشرق الجزائر فيما بعد ذلك بعدة عصور .

وقريب من هذا ورد فى كتب أخرى ، مثل كتاب (الجغرافيا الأفريقية القديمة) الذى ذكر أن الفاروسيين (يعنى الفرس) استعمروا هذه الأرض واختلطوا بسكانها ثم عرفوا فيما بعد باسم نوميدا أو نوماد ومعناه بلفتهم الرمل .

ومع ان تاريخ هذه الهجرة غير محين ، والمسافات الفاصلة بين المغرب وبلاد الأرمن والفرس والمييد بعيدة جداً - يميل عدد من المؤرخين

(51) من شعوب الشرق الأوسط وهم أبناء عم الفرس .

الى تصديعها ، مستدلين على ذلك بتسمية مضيق جبل طارق الحالى بمجاز أعمدة
هرقل فى التاريخ القديم ، وبوجود اسماء جغرافية مشتركة بين فارس والمغرب
الشيء الذى يبعد أن يكون مجرد صدفة واتفاق .

أما بعد تأسيس قرطاجنة فان تاريخ المغرب أصبح معروفاً بتدقيق، وهو
يحدثنا عن الجنود المرتزقة الذين كانت قرطاجنة تستأجرهم من أقطار أوربية
ومن جزر البحر الأبيض المتوسط ليحموها ويثبتوا الأمن فى المناطق التى
بسطت عليها سلطانتها ، كما يحدثنا عن الهجرات التى حدثت فى عهدها ، ومن
أعظمها الهجرات اليهودية التى ابتدأت سنة 586 قبل الميلاد عند ما فتح
الملك البابلى بختنصر Nabuchadnezzar عاصمتهم أورشليم - بيت المقدس -
وشردهم منها فجعلوا عنها الجلاء الأول المعروف عند المؤرخين بجلاء بابل ،
وسارت منهم جماعات مستضعفة الى الشمال الافريقى حيث نزلوا على اخوانهم
الكنعانيين والفنيقيين ، ثم كان الجلاء الثانى سنة 70 م عند ما شقوا عصا
الطاعة على الرومان فأخمد الأمبراطور تيتوش نائرتهم وخرّب بيت المقدس
الحراب الثانى وهيكلكم به وشتت شملهم ففرقوا فى العالم وقصدت منهم جماعات
وفيرة العدد المغرب فى هذه المرة أيضاً كما توالى هجراتهم اليه فيما بعد ،
وبال ان بعض القبائل البربرية مثل جراوة (52) و نفوسة و مديونة انحدر
من أصلاب هاؤلاء المهاجرين أو اعتنق فقط الدين اليهودى على أيديهم ، لأن
الاسلام أدركه وهو على دين موسى .

وقد أشار هيردوتس المؤرخ اليونانى الذى زار المغرب فى القرن
الخامس قبل الميلاد الى أن لوبيا (ويعنى بها الشمال الافريقى كله ما عدى
مصر) كان يسكنها جنسان وطنيان :

(52) من هذه القبيلة أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى الفاسى شاعر الدولة
الموحدة (528 هـ - 609 هـ) وهو الذى استجداه شاعر بقصيدة فوق له فى أسفلها :

يا من يجدى لمن يجدى أسرت واه فى التصدى
أنا أجدى الأهم طراً وانت تبغى النوال عندى

قال أبو بحر صغوان بن ادريس مؤلف كتاب زاد المسافر : فحدثنى الشاعر المذكور انه
راد بعد هذين البيتين :

نسبت للمسلمين أسمى وكان شيخ اليهود جدى 1

فلما وقف عليه الجراوى أجازته ورغب أن لا يسمعه لأحد .

١ (اللوبيون فى المناطق الساحلية وذكر أنهم من جنس البحر الأبيض المتوسط أكثر مما هم أفارقة .

2 (الزنوج سكان المناطق الداخلية ، سواء كانوا زنوجا حقيقيين ، أو سوداً من المنصر الأفريقى المميز .

وذكر هيردوت من قبائل الجنس الأول : **الناسامونيون ، والماكاى ، والكارامنتيون ، والاوليميديون ، والجيتول** مبيناً أن بعض هذه القبائل كان يستعمل عربات تجرها أربع أفراس لصيد الزنوج ساكنى الكهوف وتسخيرهم كالعبيد .

وبعد ذلك ازداد تفتح المغرب على الخارج وكثر ورود الناس من أجناس مختلفة عليه ، سيما اثناء الحروب البونيقية وأيام الحكم الرومانى التى أصبح فيها جزءاً من الأمبراطورية الرومانية ونعم بسلم ملحوظ ، ثم كان مرور الواندال به واستيلاء اليونانيين على طرف من سواحله فكثرت الاتصال وتواصل الامتزاج وقوى التأثير من طرف فى آخر رغم ما اثر عن الغزاة الفاتحين من تكبر واستعلاء .

وخلاصة القول ، أن الشمال الأفريقى غمرته خلال تاريخه القديم موجات بشرية تدفقت عليه من الشرق والشمال والجنوب ، وجميع الطوائف التى وردت عليه كانت تتخالط وتتكامل بالمصاهرة وطول الجوار ، مثله فى ذلك مثل سائر البلدان التى عرفت فى ماضيها وستعرف فى مستقبلها اختلاط السلالات وتلاقح الأجناس ، أما الشك فى ذلك أو التقليل من أهميته فلا باعث عليه الا ضيق الثقافة وسعة التعصب ، لأن العالم لم يوجد فيه يوم وجد النوع البشرى الا آدم واحد ما فتئت ذريته تنمو وتكثر وتمشى فى مناكب الأرض بحثاً عن الرزق والتماساً للسعادة مستعينة بالقراية الوشييجة على تذليل الصعاب ودرء الأخطار مكونة فى البداية تجمعات أساسها القبيلة ومؤسسة فى النهاية دولا قوامها الأمم والشعوب .

البربر

البربر أول أمة عرفت باسم متميز من سكان المغرب منذ بدأ تدوين التاريخ ، فهم سكان الشمال الافريقي من صحراء ليبيا الى المحيط الأطلسي ومن البحر المتوسط الى حوض السنغال والنيجر ، انحدروا من أصلاب المغاربة القدماء مختلطين مع مرور الزمان بمن كان يتحاذى الى بلادهم وينضاف اليهم من القبائل المهاجرة والشعوب الغازية حتى أصبحوا أمة متميزة بلغة وعادات ومزاج وأسلوب خاص في الحياة .

وصفهم ابن خلدون في فقرة جامعة من تاريخه فقال : (ان هذا الجيل من الأدميين هم سكان المغرب القديم ، ملأوا البسائط والجبال من تلولة وأريافه وضواحيه وأمصاره ، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر ، ويظعن أهل العز والغلبة منهم لانتجاع المراعى فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها الريف الى الصحراء والقرى الأوسى ، ومكاسبهم الشاء والبقر والخيول فى الغالب للركوب والنتاج ، وربما كانت الابل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب ، ومعاش المستضعفين منهم بالفلاح ودواجن السائمة ، ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والأطعان فى نتاج الابل وطلال الرماح وقطع السابلة ، ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالأكسية المعلمة ، ويفرغون عليها البرانس الكحل ، ورؤوسهم فى الغالب حاسرة ، وربما يتعاهدونها بالحلق ، ولفتهم من الرطانة الأعجمية متميزة نوعها ، وهى التى اختصوا عنها بهذا الاسم (53) .

وقبل الحديث عن نسب هذه الأمة وتفرعها الى شعوب وقبائل لابد من الحديث عن معنى كلمة بربر التى صارت علماً على سكان الشمال الافريقي الأصليين قبل ظهور الاسلام بقرون .

معنى كلمة بربر

البربرية في اللغة تخليط في الكلام مع غضب ونفور ، يقال بربرت الدلو صوتت في الماء ، وبربر فلان أكثر الكلام في جلبة وصياح ، وبربر التيس أو الأسد علا صوته عند الهياج ، وسمى الأسد بربراً بسبب ذلك .

أورد ابن خلدون في صيغة الشك ان افريقيش بن قيس بن صيفي من ملوك التباينة لما غزا المغرب وافريقيا وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والأمصار - وباسمه زعموا سميت افريقيا - ورأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر (54) .

ويعتقد العلامة بوسكى ان كلمة بربر مشتقة من كلمة بارباروس Barbarus اللاتينية ، ومعناها الشخص الجاهل المنتمى الى الشعوب العديدة المتخلفة التي لم تخضع لسلطان روما .

ويقال ان الكلمة مشتقة من كلمة فارفاروس Varvaros اليونانية وهي أيضاً تدل على اللفظ واختلاط الأصوات ونطق الألسن ، ومن ثم أطلقها اليونانيون على كل من لا يتكلم لغتهم ، وسموا إيطاليا بارباريا لهذا السبب ، وقد حذا الرومان حذوهم في السنين الأولى من دولتهم وكذلك في العهد الجمهوري المتأخر ف أطلقوا اسم بربري على كل من لم يكن رومانيا ولا إيطاليا ، ولما أخضع اباطرة روما عديداً من الشعوب والقبائل سموا رومانياً كل من خضع لسلطتهم وبربريا كل من لم يخضع لها ، وسموا البلاد التي لم يشملها نفوذهم أو عصتهم بعد طاعة بارباويكوم أى بلاد الباربار ، ومنه جاء لفظ بارباويكي الذي كانوا يسمون به القبائل الساكنة خارج حدود ولاياتهم أو الساكنة داخلها برضا اباطرتهم ومعناه البربر اللطفاء ، كما جاءت منه كلمة بارباويكي و باربارجيا

الذى سميت به قبيلة بجزيرة سردينيا قاومت حكمهم وأبت الرضوخ لسلطانهم وما زالت تحمل هذا الاسم الى الآن ، وكان المحيط الهندى يسمى عندهم البحر البربرى وتبعهم العرب فى هذه التسمية على ما يظهر فسموا خليج عدن بالخليج البربرى ، وأطلقوا أيضاً بارباريگوم على فرضة بمصب نهر السند ، وبارباوى على مدينة بمصر العليا ، وبربرة على مدينة أخرى بالصومال ، وباربارياس على سواحل المانيا وما على ضفاف نهر الدانوب بل انهم دعوا جميع الشعوب الجرمانية بارباو لقسوتهم من جهة وجهلهم باللغة الرومانية من جهة ثانية ، ووجد فى قوانين كنيسة افريقية قديمة ان الاسم فارفاريگوم يطلق أيضاً على الشعب الذى كان يسكن فى حدود بريطانيا .

ويدعى العلامة « فيفيه » ان هذه الألفاظ كلها مأخوذة من لفظة « راروارا » ومعناها باللغة السنسكريتية : غريب (55) .

وخلاصة القول ان لفظة بربر وباربار تدل فى جميع اللغات الحية اما على الرطانة والجلية والضوضاء ، واما على الجهل والقسوة والهمجية ، ولم تكن فى العصور البدائية تطلق على جنس معين ، وانما كان الحكماء والمؤرخون والرحالون يطلقونها على الأمم التى تخالفهم فى الجنس أو اللغة أو الدين وعلى الجماعات المتخلفة ولو كانت من جنسهم ، وعلى الشعوب المعادية ولو كانت ارفى منهم ، وقد ذكر المؤرخ الرحالة الاغريقى هيردوتس فى أول تاريخه (أن الغرض من أبحاثه الدقيقة هو أن يحفظ من النسيان وقائع الأجيال الماضية والحاضرة وعظائم الاغريقين والبربر وأعمالهم العجيبة (56) فكلمة البربر تاتى عنده فى مقابل كلمة الاغريقى بدليل انه ابتداء كلامه بعد ذلك التعميم بذكر الفرس والفينيقيين ، وعثر فى هيكل الكرنك — بمصر العليا — على كتابة يرجع تاريخها الى زمن رمسيس الثانى أحد فراعنة مصر العظماء جاء فيها (ان من أمم الجنوب (57) التى قهرها الفرعون المذكور وأخضعها الى حكمه أمة

(55) دائرة المعارف للبستاني 5 : 276 و 277 .

(56) تاريخ هيردوتس ص II .

(57) يديه الحبشة والاقطار التى تجاورها .

البربرايقات ، فدل كل ذلك على أن كلمة بربر كان لها مدلول عمومي ككلمة عجم التي تدل عند العرب على جميع الشعوب التي لا تتكلم اللغة العربية ، تلك الشعوب التي لكل منها اسم خاص يعرف به ويتميز بين أمم العالم .

أما متى وكيف صارت كلمة بربر علماً على المغاربة الأصليين فالراجع - إذا صرفنا النظر عن رواية ابن خلدون المتقدمة التي ساقها في صيغة الشك والاحتمال - أنها اسم أحد جدودهم ، أو أن اليهود أطلقوها على خصومهم الكنعانيين ، فلما هاجرت القبائل الكنعانية من أرض شenaar مارة في طريقها البحرى والبرى الى المغرب بعدد من شعوب البحر المتوسط حملت معها هذا الاسم الذى صار بعض الأمم القوية المتحضرة كاليونان والرومان يطلقه فيما بعد على جميع سكان المغرب ، ثم جاء العرب بعد قرون فأقروه لأنهم لم يجدوا اسماً جامعاً لأمة الشمال الأفريقى غيره .

أما البربر الذين يعنيهـم الأمر قبل غيرهم فإنهم لم يعرفوا هذا الاسم فى القديم كما أنهم لا يعرفونه فى الحديث ، فقد كان آباؤهم الأقدمون يدعون باللوبيين والأفارقة والجيتول المشتقة من أسماء الجهات التي كانوا يقيمون بها ، ثم صار لكل قبيلة منهم اسمها الخاص الذى تتميز به ، وربما أطلق اسم الشلوح - واحده شلح - على مجموعة قبلية منهم أو عليهم جميعاً وفى الصدر الأول للإسلام لما حضر رسلهم أمام الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتح مصر واستنسبوا قالوا أنهم من اولاد هازيغ الذين كانوا أصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب (البحر الأحمر) والبحر المحيط ، وهذا الاسم الذى معناه الحر الأبى هو الذى يفضلون أن يدعوا به وإن لم يكن معروفاً عند جميع قبائلهم - على اسم البربر الذى أطلقه اليهود على إحدى الجاليات التي هاجرت اليهم فى عصر قديم .



أصول البربر

سلك العلماء والمؤرخون طريقين لتحديد سلالات البربر ومعرفة انسابهم ، أحدهما يعتمد النصوص الواردة عن تلك الأنساب سواء كانت مستخلصة من أقوال النسابين البربر أنفسهم أو مستخلصة من أقوال غيرهم ، ويمكن تسمية هذا الطريق بطريق الرواية لأنه يعتمد عليها وحدها ولا يلتفت الى غيرها . أما الطريق الثانى فيمكن تسميته بطريق الدراية ، لأنه يعتمد على القواعد العلمية المقررة فى الانتروبولوجيا لمعرفة الأجناس والسلالات وتحديد أصول الجماعات البشرية ، فهو يهتم بالألوان والسحن والذوات واللفسات والعادات والطبائع والأمزجة والعوامل الجغرافية والتأثيرات المناخية أكثر مما يهتم بالنصوص الدينية والروايات التاريخية التى يستأنس بها فقط .

وسنسلك نحن الطريقين معاً ونستعرض جميع الأقوال والطريات والآراء التى يوجد من الحجج ما يثبتها حيناً وينفيها حيناً آخر لنستنتج فى النهاية على صوء كل ذلك رأينا الخاص فى السلالات والانساب البربرية .

طريق الرواية :

بحث المؤرخون والנסابون طويلاً فى أرومات البربر وتحدثوا كثيراً عن انسابهم ، ولكنهم لم يتفقوا على رأى واحد ولم يصلوا الى نتيجة مقنعة ، فقد ذهبوا فى أصل البربر كل مذهب ولم يتركوا سلالة من السلالات الحامية والسامية واليافثية (58) الا جعلوهم متنسلين منها، ولا يمكن لاي باحث أن يطمئن الى رأى أو يثق بقول ، اذ جميع الروايات والنقول يكتنفها القلق والاضطراب ، وتقبل النقض والاعتراض ، سواء كانت منسوبة الى علماء مبرزين ذوى شهرة واسعة كابن عبد البر وابن حزم وابن خلدون ، أو معزوة الى علماء آخرين يقلون عنهم سعة علم وذويع صيت .

(58) نحن هنا فى طريق الرواية نعطى للنسبة الى سام وحام وياث دلالة سلبية سراً مع المذهب القديم وقد تقدم لنا فى ص 248 أن علماء الانتروبولوجيا الحديثة لا يوافقون على ذلك بل منهم فقط من يعطى لتلك النسب دلالات لفوية فقط .

فمنهم طائفة مالت الى النسب الحامية ودافعت عنها بحماس وعدتها
اصدق واصح ما ورد في نسب البربر من اقوال ، ولكنها اختلفت فيمن هو جد
البربر من أبناء حام ، فالصولي يذكر انهم من ولد بربر بن كسلوجيم بن
مصرائيم بن حام ، وأبو عمر بن عبد البر يرجع انهم من ولد قبط بن حام ،
والأكثر على انهم ولد مازيغ بن كنعان بن حام ، وعن هذه النسبة الأخيرة
يجدر التذكير بالشبهات الحادثة حول بنوة كنعان لحام ، فقد كاد يكون من
المحقق أن اليهود اقصوا عمداً الكنعانيين عن النسب السامي الذي ينتمون
اليه والحقوهم بالنسب الحامي تحقيراً لهم لعداوة كانت بينهم مع علمهم انهم
أبناء عمهم وأقرب الناس اليهم وحرفوا جدول الانساب الوارد في التوراة
لأجل ذلك .

وبخصوص هجرة الحاميين الى المغرب يروى عن الصولى وأبى عبيد
البكرى ان خصومات وقعت بينهم وبين الساميين انجلوا اثرها اليه ونسلوا به ،
ويروى عن البكرى وحده ان الذى هاجر اليه هو حام نفسه ، فرحيا لما اسود
بدعاء ابنه عليه واتبعه بنوه وهلك عن أربعمئة سنة ، وكان من ولده بربر بن
كسلوجيم فنسل بنوه به ، ويعطى ابن عبد البر تفصيلات أدق عن الهجرة
الحامية ، فعنده ان أول من هاجر من الحاميين هم أبناء قبط بن حام ، فعندما
استقر أبوهم بمصر خرجوا منها متجهين غرباً فسكنوا عند آخر عاملتها من
برقة الى البحر الأخضر (الأطلسي) مع بحر الأندلس (المتوسط) الى منقطع
الرمل مصلين بالسودان ، فمنهم لواقة آهلين بأرض طرابلس ، ونزل قوم
بقربها وهم نفزة ، ثم امتدت بهم الطرق الى القيروان وما وراءها الى تاهرت
وطنجة الى سجلماسة والسوس الأقصى ، وهم طوائف صنهاجة و دكالة من
وركلاوة و فطواكة من هسكووة و مزطارة (مستارة) .

وعنهم طائفة أخرى ذهبت الى ان البربر يرجعون الى أصل سامي ولكنها
لم تتفق على الفرع السامي الذي ينسبون اليه ، فعند ابن خلدون نقلا عن الطبرى
ان أحد أجيالهم من ولد يقشان بن ابراهيم ، وعند غيره انهم من العرب العاربة
أو المستعربة ، ومن القبائل العربية التي ذكرت كأصل من أصولهم : حمير ،
وغسان ، ولخم ، وجذام ، ومضر ، وقريش ، وادعى آخرون انهم أوزاع من
اليمن ، أو من ولد جالوت .

ونسبه كيفية انتقال الساميين الى المغرب عند هذه الطائفة كيفية انتقال الحاميين عند الطائفة الأولى ، فالمسعودي روى أنهم تفرقوا عند سيل الغرم ، وذكر غيره أن أبرهة ذا المنار غزا بهم المغرب وخلفهم به عند رجوعه ، وروى أيضاً أن منازلهم كانت بفلسطين حتى أخرجهم منها بعض ملوك فارس ، وذكر بعض أهل الآثار أن ساماً خرج الى المغرب بعد خلاف حدث بين بنيهِ وبين بنى أخيه حام ، فقدم مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه حتى بلغ السوس الأقصى وخرج بنوه في اثره يطلبونه ، فكانت كل جماعة منهم كلما بلغت موضعاً وانقطع عنها خبره أقامت به وتناسلت مختلطة بمن وصل اليها من الطوائف الأخرى فيما بعد .

ويعطى ابن عبد البر تفصيلات أدق مما رآه في كتاب الأسفنداد الحكيم ، فقد روى أن البربر من ولد النعمان بن حمير بن سبا الذي كان ملك رمانه في الفترة ، وقد خطر لهذا الملك ذات يوم أن يعمر المغرب فجمع بنيهِ وأعرب لهم عن نيته في توجيههم اليه ، فراجعوه ولكنهم لبوا رغبته في النهاية لما رأوا من عزمه ، فبعث منهم لست أبا لمتونة ، ومسوف أبا مسوفة ، ومزطار أبا مزطارة (مستارة) وسكور أبا هسكورة ، وأصناك أبا صنهاجة ، وللط أبا لمطة ، وإيلان أبا هيلالة ، فنزل بعضهم بجبل درن ، وبعضهم بدرعة ، وبعضهم بالسوس ، ونزل لمط عند جزول وتزوج بابنته ، ونزل أجانا وهو أبو ذنابة بوادي شلف ، ونزل بنو ورتجين وقرأوة أبناء ورتجين ومغراو بأطراف إفريقية من جهة المغرب ، ونزل مسعود أبو مصمودة بمقربة من طنجة .

ورجحت طائفة ثالثة من العلماء أن يكون البربر منحدرين من سلالة يادئية آرية ، ومن هذه الطائفة العلامة دوبرا Duprat الذي ذكر أن البربر من جنس آري هاجر من نواحي الكنج بالهند .

وترى طائفة رابعة من المؤرخين والنسائين أن البربر اخلاط من شعوب وقبائل كثيرة ، فعن مالك بن المرحل أنهم قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالفة وكنعان وقريش تلاقوا بالشام ولغطوا فسماهم إفريقش البربر لكثرة كلامهم ، وعن هانيء بن بكور الضريسى ، وسابق بن سليمان

المطاطى ، وكهلان بن أبى لؤى ، وأيوب بن أبى يزيد وغيرهم من نسابى البربر
انهم فرقنان : البربر البتر ساميون من ذرية ير بن قيس عيلان المضرى ،
والبربر البرانس حاميون من ولد مازيع بن كنعان بن حام ، وقال الطبرى :
انهم أخلاط من كنعان والعماليق .

أما سبب هجرة هذه الجماعات الخليفة الى المغرب فالاكثر على أن
افريقش استجاشهم من سواحل الشام ومشارف جزيرة العرب لغزو افريقية
وينشدون من شعره فى ذلك :

بربرت كنعان لما سقتها من بلاد الضنك للخصب العجيب
أى أرض سكنوها ولقد فازت البربر بالعيش الخصيب

ولما ففل افريقش من غزوه ترك بالمغرب حوامى من الجيش الذى
حاه معه وهم أصل قبيلتى **صنهاجة** و **كتامة** .

وذكر ابن الكلبي ان الناس اختلفوا فيمن أخرج البربر من الشام
فميل داود بالوحى ، قيل يا داود أخرج البربر من الشام فانهم جذام الأرض !
وفل يوشع بن نون ، وقيل افريقش ، وقيل بعض ملوك التباغة ، وعند
المكرى ان بنى اسرائيل أخرجوهم بعد قتل جالوت ، وللمسعودى والبكرى
انهم مروا بعد موت جالوت الى المغرب وأرادوا مصر فأجلتهم القبط فسكنوا
برقة وافريقية والمغرب على حرب مع الافرنج والأفارقة وأجازوهم على صقلية
وسردانية وميورقة والأندلس ، ثم اصطلحوا على أن المدن للفرنجة وسكنوا
الفقار عصوراً فى الخيام وانتجاع الأمصار من الاسكندرية الى البحر والى طنجة
والسوس حتى جاء الاسلام وكان منهم من تهود ومن تنصر وآخرون مجوساً
يعبدون الشمس والقمر والأصنام ، ولهم ملوك ورؤساء .

هذه خلاصة ما ورد عن طريق الرواية من أقوال بشأن نسب البربر
وهى أقوال متضاربة يناقض بعضها بعضاً وتعوزها الحجج القطعية والأدلة
القوية ويظهر عليها حيناً الطابع الأسطورى الواضح وتشتم منها حيناً الرائحة
العنصرية المقيتة ، وقد استعرضها المؤرخ الكبير عبد الرحمان بن خلدون فى
تاريخه وانعدها قولاً قولاً وصرح أنها كافة مذاهب مرجوحة وبعيدة عن
الصواب .

فأما نسبة البربر الى ابراهيم فقال عنه انه بعيد ، وحجته على ذلك ان داود الذى قتل جالوت وكان البربر معاصرين له ليس بينه وبين اسحاق بن ابراهيم أخى يعشان الا عشرة آباء يبعد أن يتشعب النسل فيهم مثل هذا التشعب .

وأما نسبتهم الى جالوت أو العماليق والقول بأنهم نقلوا من ديار الشام أو انتقلوا فانه يعد كل ذلك ساقطاً يكاد يكون من أحاديث خرافة ، وهو يسندل على ذلك بأن مثل هذه الأمة المشتعلة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور ، والبربر معروفون فى بلادهم وأقاليمهم متحيزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الاسلام متسائلًا ما الذى يوجبنا الى التعلق بهذه الترهات فى شأن أوليتهم ويحتاج الى مثله فى كل جيل وأمة من العجم والعرب . وموضحاً أن افريقس الذى يزعمون انه نقلهم قد ذكروا انه وجدهم بالمغرب وانه تعجب من كثرتهم وعجمتهم وقال ما أكثر بربرتكم ، فكيف يكون هو الذى نقلهم وليس بينه وبين أبرهة ذى المسار من يتشعبون فيه الى مثل ذلك ان قالوا انه الذى نقلهم .

وأما القول بأنهم من ولد النعمان من حمير ، أو من ولد قيس عيلان من مضر فعده أيضاً قولاً منكراً ناقلاً عن امام النسائين ابن حزم قوله فى كتاب **الجمهرة** : ما علم النسابون لقيس بن عيلان ابناً اسمه ير أصلاً ، وما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا فى تكاذيب مؤرخى اليمن (59) .

ثم التفت الى قول ابن قتيبة انهم من ولد جالوت بن قيس عيلان فعدها من غفلاته وأوهامه ، لأن معد والد جالوت بزعمه كان معاصراً لبختنصر ، وان النبى أرميا خلص به الى الشام حذراً عليه من بختنصر حين سلط على العرب ، وبختنصر هو الذى خرب بيت المقدس بعد بناء داود وسليمان اياه بأربعمئة وخمسين سنة ونحوها ، فيكون معد بعد داود بمثل هذا الأمد ، فكيف يكون ابنه قيس أباً لجالوت المعاصر لداود ؟

وبعد استعراضه لتلك الأقوال وانتقادها واحداً واحداً أصدر حكمه بشأن النسب البربرى قائلاً : والحق الذى لا ينبغي التعميل على غيره فى شأنهم

انهم من ولد كنعان بن حام بن نوح . وان اسم أبيهم مازيغ ، واحوتهم اركيش وفلسطين اخوانهم بنو كسلوجيم بن مصرايم بن حام ، وملكهم جالوت سمه معروفة له ، وكانت بين فلسطين هاؤلاء وبين بنى اسرائيل بالشام حروب مذكورة ، وكان بنو كنعان واركيش شيعاً لفلسطين ، فلا يقعن فى وهمك غير هذا فهو الصحيح الذى لا يعدل عنه !

ولكنه يستدرك اثر ذلك فيذكر انه لا خلاف بين نسابة العرب الا فى صنهاجة وكتامة اللتين ترجع الاكثرية انهم من بقايا القبائل اليمينية التى انزلها افريقش بافريقية لما غزاها بهم ، وأن نسابة البربر يزعمون فى بعض شعوبهم انهم من العرب مثل لواتة و غمارة و زواوة و مكلاثة التى يزعمون انهم من حمير ، و هواة التى يزعمون انها من كندة من السكاسك ، و زناقسة التى يزعمون انهم من العمالقة فروا أمام بنى اسرائيل أو من بقايا التباغة .

وعند ابن خلدون ان هذه كلها مزاعم ، (فالحق الذى شهد به المواطن والعجمة انهم بمعزل عن العرب الا ما تزعمه نسابة العرب فى صنهاجة وكتامة ، وعندى انهم من اخوانهم (60) .

طريق الدراية :

أما طريق الدراية فان أصحابه لا يعتمدون النقول والروايات الصعيعة المتناقضة ، ولكنهم يستأنسون بالصحيح منها ، ولهم مقاييس ومعايير مدققة خاصة لمعرفة الأرومات والسلالات البشرية .

وقد أجمعوا على أن سكان البلاد المغربية ينتمون الى المجموعة القوقازية التى تسمى حيناً بالسلالة البيضاء ، وحيناً بالسلالة الأوربية ، وكلتا التسميتين بعيدة عن الصواب ، لأن اللون من جهة ليس أهم مميزات هذه المجموعة ، كما ان مواطنها من جهة أخرى ليست قاصرة على القارة الأوربية ، بل هى شاملة لشمال افريقيا وجنوب غربى آسيا ، ومنطقة الشرق الأوسط حتى حوض نهر السند ، كما تشمل حوض بحر قزوين وبحر آرال .

وفي جزء من هذه المنطقة الواسعة يمتد جنوباً من حوص النيل ، ويسمى شمالاً ببلاد الاغريق ، شاملاً جزيرة العرب والهلال الحبيب ، وأرض سوريا وفنيقيا وفلسطين نشأت الحضارات والثقافات الكبرى ، فشعوب هذه المنطقة تتفق كلها في أصول ثقافتها وحضاراتها المرتكزة على الديانات النوحيدية والفلسفة الاغريقية التي هي قيمها الروحية ، وعلى المدنيات التي نشأت فيها ثم انتقلت منها الى شواطئ البحر المتوسط والمحيط الأطلسي مما يسمى الآن بالمدينة الغربية .

وتتميز المجموعة القوقازية بمميزات عديدة تفرد بها عن المجموعة البشرية الكبرى كسلالة أصلية ، وليس اللون أهم هذه المميزات كما سبق القول ، لأن جزءاً كبيراً من سلالتها الفرعية بافريقيا الشمالية وآسيا الجنوبية الغربية لوحث الشمس المحرقة بشرته حتى صار أسمر أو أسود ، ولكن الميزة الكبرى هي شكل الشعر الذي يتموج تموجاً مختلف الدرجات من شعر سبط في شمال أوروبا الى شعر جعد في شمال افريقيا مع عزارته على الجسم واللحية ، واعتدال الفك وعدم بروزه ، وشكل الأنف الأفتى أو المرتفع ، بل ان بروز الأنف هو الصفة الثانية المهمة التي تميز هذه المجموعة مع الصفة الأولى التي هي شكل الشعر .

وتشتمل المجموعة القوقازية على عشر سلالات ، تعيش واحدة منها في جزيرة سخالين بأقصى شرق آسيا وهي سلالة الاينو ، وتعيش السلالات الأخرى في المنطقة التي سبق تحديدها ، ففي أوروبا توجد خمس سلالات ، هي : السلالة النوردية أو التيوتونية ، والسلالة الشرقية ، والسلالة الدينارية أو الأدريائية ، والسلالة الألبية ، والسلالة المتوسطية ، وفي جنوب غرب آسيا توجد السلالات الأربع الباقية ، وهي السلالة الجنوبية الغربية (61) والسلالة الهندفغانية (62) والسلالة الأناضولية ، والسلالة الطورانية .

وهذه السلالات كافة لها مميزات يعرف بها كل واحدة منها وان كان مردها جميعها الى أصل واحد ، وللعلماء كما تقدم - معايير ومقاييس دقيقة

(61) تدعى أيضاً حسب الاصطلاح القديم : السلالة الساسية أو السلالة العربية .

(62) تركيب مزجي مشتق من كلمتي هند وافغان .

معرضون عليها السلالة فيعرفون أصلها والفروق التي تختلف بها عن غيرها من سلالات مجموعتها .

وقد عرضوا البربر الاقحاح من سكان الشمال الافريقي الدين بقوا في عزلة ولم يختلطوا بالعرب الطارئين عليهم اثر ظهور الاسلام فوجدوا من يرد منهم الى السلالة المتوسطية المستوطنة بحوض البحر المتوسط ، ومن يرد الى السلالة الجنوبية الغربية المستقرة بجزيرة العرب وسوريا الداخلية والهلال الخصيب ، وكلتاها من المجموعة القوقازية .

وقد كان للموقع الجغرافي اثر كبير في اختلاط السلالات بالشمال الافريقي ، فهذا الجزء من افريقيا يشمل ثلاث مداخل الى القارة من الجنوب الشرقي ، والشمال الشرقي والشمال الغربي ، وهي على الترتيب : باب المندب ، وبرزخ السويس ، ومضيق جبل طارق ، يضاف الى ذلك تقارب شواطئ البحر المتوسط واشتماله على جزر عديدة مما يجعل الاتصال بين سكان ضفافه أمراً هيناً . فالمدخل الأول (باب المندب) لعب دوراً كبيراً في تعمير القارة الافريقية منذ العصور القديمة السابقة للتاريخ ، فمنه دخلت قبائل البوشمان والهونتوت والأقزام ، ومنه دخلت السلالة الزنجية مند الحجر القديم ، ثم دخلت منه احدى السلالات القوقازية آتية من اليمن واتجهت نحو شرق افريقيا ونحو شمالها موصوفة بالنسبة الحامية بسبب اللهجات المنمنية الى الاسرة الحامية التي كانت تتكلمها جماعاتها ، ثم تدفقت عن طريق باب المندب جماعات أخرى من العرب والساميين آتت من اليمن أيضاً ، وكان من شأن الهجرات الجديدة أن تدفع أمامها الهجرات القديمة دفعا ثم تستعبد من آثر منها البقاء ، وأخيراً كانت تلين قناة الفاتحين ويضعف كبرياؤهم ويقل استعلاؤهم فيبدأون التزوج من المحكومين .

اما برزخ السويس فقد عرف هجرات قديمة يرجع أقدمها الى الألف الثانية قبل الميلاد ، فهو المنفذ الآسيوي الوحيد المباشر نحو مصر وشمال افريقيا ، فمنه دخل المصريون واليهود والعرب بموجاتهم العديدة وسائر الشعوب السامية .

وأما مضيق جبل طارق فكان هو أيضاً طريقاً للهجرات من شمال إفريقيا إلى أوروبا في العصر الحجري القديم والحديث ، ثم أصبح طريقاً للهجرات منها إليه أثناء عصر الحديد ، ثم صار بعد ذلك ممراً للغزاة من إحدى الجهتين للأخرى فأدى ذلك إلى ارتباط تاريخ شبه جزيرة إيبيريا بتاريخ المغرب ارتباطاً وثيقاً واختلاط سكان العدوتين اختلاطاً قوياً .

وهكذا نرى أن بلاد المغرب أو شمال إفريقيا على العموم بقيت خلال تاريخ الإنسانية الطويل يستقبل هجرات من الشرق وأخرى من الغرب ، كما بقي ممراً للمهاجرين من جهة إلى أخرى الشيء الذي كانت له أبعاد الآثار في تكوينه السلالي .

فالسلالة المتوسطة التي ينتمي إليها طرف من البربر سكان المغرب الأولين هي إحدى السلالات الأصلية في أوروبا بل هي أقدمها انتشاراً ، وتدخل في تكوين معظم الأوربيين كما تلتشر في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا ، ولذلك اختلطت بغيرها من السلالات وتطورت عدة تطورات محلية في مواطن انتشارها المختلفة ، فظهرت منها عدة أنواع محلية بقيت - رغم تنوعها - تشترك في صفتين أساسيتين : طول الرأس ، وسمرة الجلد وسواد العيون ، ومن أشهر أنواعها **النوع الصحراوي** الذي اختلط بالسلالات (السامية) و (الحامية) الآتية من جزيرة العرب ، كما اختلط بالسلالة الزنجية عبر الصحراء الكبرى ، ويمتاز هذا النوع الصحراوي بكل صفات السلالة المتوسطة كالفاتمة المتوسطة النحيفة والرأس الطويل والجلد الأسمر ، إلا أن الشعر يقوى تجعده كلما امتدت الأرض جنوباً نحو بلاد السودان .

أما السلالة الجنوبية الشرقية الساكنة بآسيا والداخلية في تكوين سكان المغرب الأولين فهي التي كانت تدعى حسب الاصطلاح القديم بالسلالة السامية أو السلالة العربية ويدخل فيها كنوع (سامي) جميع القبائل التي كانت تتحدث بلغات حامية في زمن بعيد كقبط مصر وبربر المغرب ، ومواطنها الأصلية هي صحراء جزيرة العرب وشرق العرب وبادية الشام وسوريا الداخلية ، وهي صاحبة الحضارات القديمة التي يطلق عليها الأركيولوجيون

اسم الحضارة الآسيوية Asianic ، وقد دخلت الى شرق افريقيا وانتشرت في شمالها عن طريق جنوب اليمن والقرن الافريقي ، وتحفظ بكثير من مميزات السلالة المتوسطية مما لا يبرر افرادها كسلالة فرعية خاصة ، وأهم مميزاتا كسلالة ان القامة تتراوح بين 165 — 167 سم وان القوام نحيف والرأس طويل بشكل واضح مرتفع ، والوجه مستطيل بيضاوي ، والأنف اقنى أشم ، والمنخار دقيق ، ويظهر الأنف احيانا ممقوفاً كأنف الاغريق ، والشفاه دقيقة والشعر مموج مع سمرة البشرة وسواد العيون .

على ان هناك من الأوصاف ما يختص ببعض الفرق البربرية ويجعلها متميزة داخل نوعها وسلالتها ، فهناك صنف طويل القامة ، مستطيل الرأس والوجه ، حواجه ناتئة ، وأنفه طويل رقيق ، وشعر لحيته خفيف ، وكتفه عريض ، وخصره ضيق ، وبنيته ضعيفة .

وهناك صنف قصير القامة طويل الرأس مع عظام ناتئة فيه ، عريض الوجه ناتئ الوجنتين ، عريض الأنف واسع الفم ، غليظ الشفبين ناتئ الذقن ، كثير شعر اللحية ، عريض الصدر والرفع .

وهناك صنف ربعة الى القصر ، مستدير الرأس عريض الوجه ، مستدير الجبهة ، غليظ الحاجبين قصير الأنف واسع الفم ، مستدير الذقن ، واسع الصدر .

والصنفان الأولان يوجدان في المغرب من قديم الأزمنة ، وثلاثتها موجودة فيه ، والثالث منها مشهور بجزيرة جربة وناحية مزاب واقليم سوس .

ومما هو مشاهد الى اليوم وكان معروفاً في الزمن القديم وجود قبائل سوداء بجنوب المغرب لها كل مميزات السلالة الزنجية وخصائصها ، وقبائل شقراء في شماله لها ايضاً جميع مميزات السلالة النوردية وخصائصها ، أما تعليل وجود الأولى فواضح جداً ، هو هجرتها من وسط افريقيا الى شمالها مثلما هاجرت قبائل بربرية من شمالها الى وسطها ولا تزال بقاياها تعيش الى اليوم في السنغال ومالي والنيجر والتشاد ، واما وجود الثانية فتعليله غير

واصبح ، بعد تكون تلك القبائل الشقراء بقية الانسان الأبيض الأول الذى كانت هذه البلاد مهدمة وانتقل منه الى أوروبا ، وقد تكون بقية القبائل والشعوب التى غزت المغرب من الشمال فى عصور متقدمة على التاريخ ، ويبدو على أى حال ربطها بالسلالة النوردية - التيوتونية من الأمور المسيرة ، لأن تاريخ دخول الشماليين الى بلاد المغرب غير معروف يقينا ، فهو يشمل فى أحد نقوش الدولة الحديثة فى مصر لأحد الليبيين ، اذ تظهر البشرة صفراء والعينان خضراوين ، ويظهر ان شقرة التيمحو أو التحنو (اللوبيين القدماء) ترجع الى هجرة من جزر أرخبيل ايجيه ، فى عصر اضطراب شعوب البحر ، فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ولا ترجع صفات الشقرة كلها الى الواندال الذين هاجروا الى شبه جزيرة ايبيريا ثم اندفعوا منها الى الشمال الافريقى فى القرن الخامس الميلادى ، فقد كان عددهم ضئيلا ومدة عبورهم قصيرة بحيث لا يمكنهم أن يؤثروا مثل هذا التأثير السلالى فى سكانه ، يضاف الى ذلك ان البربر الشقر يوجدون فى جهات كثيرة من المغرب الأقصى وهو بلد لا يقوم أى دليل معتبر على ان الواندال حكموه أو اجتازوا به اثناء انسياحهم الى الشمال الافريقى .

ومن البديهي ان من القبائل البربرية قبائل تميل الى الشقرة من غير أن تكون صفراء ، أو الى السمرة دون أن تكون سمراء ، أو الى السواد وهى غير سوداء ، وسبب ذلك قوة تأثير جماعة فى جماعة أو ضعفه ، وهو أمر يحدث كثيراً بين أنواع السلالة الواحدة .

وبحث الأثروبولوجيون عن سلالة البربر من طرق أخرى غير طريق الشكل الجسمانى ، وافضت بهم تلك الطرق الى تبين الصلات المتينة التى تجمع بين الشعب البربرى والشعوب التى سكنت اليمن أو مرت به فى طريق هجرتها الى القارة الافريقية ، مما يدعم بقوة دعاوى بعض علماء النسب المسلمين أن البربر كلا أو بعضاً يرجعون الى أصول يمنية .

فاللهجات التى يتكلمها البربر تنتمى الى الأسرة الحامية ، ومن الثابت ان اللغة أو اللهجات الحامية ترتبط بحكم جذورها الاولى باللغات السامية

نفسها ، وتظهر هذه العلاقة بأجلا مظاهرها في اللغة المصرية القديمة ، هي لغة حامية متأثرة باللغة السامية ، وربما كانت تمثل إحدى مراحل الأسرة الواحدة - الحامية والسامية - قبل أن يحدث التخصص نحو السامية في جنوب غرب آسيا ، ونحو الحامية في شرق إفريقيا وشمالها ، ويدل على هذا أيضاً أن اليمن كان موطناً للحامية كما كان موطناً للسامية ، وأن شرق إفريقيا موطن شعوب تتحدث الحامية ، وانتقلت إليه في نفس الوقت لغة سامية جنوبية قديمة ، هي لغة الجمز ولغة التيكري ، واللغة الامهرية التي يتكلمها طرف مهم من سكان الحبشة . وقد قامت أدلة قوية على قوة التشابه بين اللهجات البربرية واللغات السامية من أعظمها وجود جميع الحروف الأبجدية في اللغتين معا ، سيما حروف الحلل التي لا توجد مجتمعة في غير السامية ، ويشته التشابه على الخصوص بين الشلحة وبين لغة مهرة في غرب سلطنة مسقط ، وبينها وبين لهجة النوبيسي (الأقباط) في جنوب مصر ، واللغة الامهرية في الحبشة ، أقر بذلك التشابه المؤرخ الفرنسي الكبير كوتبي Gautier حين لمس تقارباً عجيباً بين لهجة لواتة ولهجة الأقباط .

ويوجد مثل هذا أيضاً في الموسيقى ، فالرنات والألحان في موسيقى وأغاني الجنوب العربي تشبه الرنات والألحان في موسيقى وأغاني القبائل البربرية بالجنوب المغربي ، وكذلك طريقة الأداء والأنشاد ، وقد درس ذلك دراسة مستفيضة العالم الألماني كارل ولهم لخمان (1793 - 1851 م) والموسيقي النمساوي فون هورن جوستل (1877 - 1935 م) وتلفظ له الرحالة الألماني هانز هولفريتز وأشار إليه بأسهاب في كتابه (اليمن من الباب الخلفي) كما لاحظ أن الأبنية المرتفعة التي تقوم في اليمن يوجد لها نظير في قلب الحضارة البربرية في أعالي جبال الأطلس وتحمل نفس المظاهر المعمارية كالنتوءات والأنابيب الخشبية لصرف مياه الأمطار والكوات والنقوب ، ورأى في كل ذلك دليلاً على وجود علاقة بين قبائل البربر وسكان الجنوب العربي (63) .

هذا من جهة اللغة والموسيقى ، اما من جهة العادات والتقاليد فان
مها ما يشبه تقاليد سكان حوض البحر المتوسط وعاداتهم ولاسيما سكان
اسبانيا وجزر بحر ايجه ومنها ما يشبه عادات أهل العربية السعيدة وتقاليدهم ،
على أن التشابه بين عادات المتوسطيين وتقاليدهم غير مستغرب ولا يلفت
النظر بسبب قرب الشواطئ بعضها من بعض وكثرة الهجرات والتنقلات من
جهة منها الى أخرى ، ولكن الذى أثار اهتمام الباحثين ونظروا اليه باستغراب هو
وجود عادات لها ما يقابلها عند سكان اليمن ومهرة حضرموت ، من ذلك حلاقة
الرأس بـ (الكطاية) و (العرف) فهى واحدة فى البلدين ، وقد لاحظ
الألماني هانز هولفريتز ان بنى جروى القاطنين فى منطقة حريب باليمن
يخلقون رهوسهم باستثناء بقعة فى وسط الرأس (كطاية) وضفيريئين تمتد
احدهما الى الأمام والأخرى الى الخلف (العرف والقرن) ، ومنها الاعتماد
بالعمامة الدكناء المقتولة ، ولبس الثياب القصيرة ، وتقلد الخنجر القصير
المعقوف ، والعناية بالسروج وسائر الأدوات اللازمة لركوب الخيل والقنال
عنيها ، وسكنى النوالات والأشخاص أو بناء دور حجرية ذات طوابع متعددة
ونوافذ ببصاء ، وكثرة الأباذير فى الطعام واحتراف التجارة ، وحس التنقل
والسفر واكتساب المال ، والايامن بالغيب والخوف من السحر والجن ،
والمظاهر الاجتماعية الخارجية كالعاب الفروسية وحفلات الزواج والموت
والحرث والحصاد (64) .

وهكذا نستخلص من طريق الدراية - وهى طريق تقوم على قواعد
علمية لامراء فى صحتها - ان البربر ينتمون الى السلالتين المتوسطية ، والجنوبية
الغربية من المجموعة القوقازية الكبرى ، وان البلاد المغربية تعرضت خلال
ماضيها المتقدم على تدوين التاريخ لعدة هجرات من الشرق والغرب ، كما
عرفت اتصالات جنسية عبر الصحراء مع زنوج افريقيا ، الشيء الذى لا ترى
آثاره فى سحن أهلها فقط ، ولكنه يرى أيضاً فى عاداتهم وتقاليدهم التى
يقوى التشابه بينها وبين عادات أهل اسبانيا وارخبيل ايجه ، وجنوب شبه
الجزيرة العربية .

ونعود بعد هذا الى علامتنا ابن خلدون الذى هو اكبر من تحدث من المؤرخين والنسابين عن أصول البربر وعرفهم ، فنلاحظ عليه انه لم يتقيد مطلقاً في تاريخه بالقواعد العلمية العجيبة التى أوردها فى مقدمته وكانت سبب شهرته وذىوع صيته ، فقد سلك طريق الرواية مقتصراً فى عروضه التاريخية على النقول والسماعات دون نقدها وتمحيصها وعرضها على المعايير الصحيحة ، واننا لنجده فى مواضع من تاريخه الطويل يدرج روايات ونقولا ثم يدرج ما يناقضها فى مواضع أخرى ، ولا شك أن الكتب التى اعتمدها فى تدوين تاريخه كانت من الكثرة بحيث لم يستطع استيعاب جميع ما فيها من الروايات والنصوص والمقارنة بين المتناقض منها ، فكان اذا أراد تحرير فصل من كتابه اعتمد على مجموعة منها حتى اذا أراد تحرير فصل آخر اعتمد على مجموعة أخرى قد يكون ما فيها مناقضاً لما اعتمده فى الاول ، وقع له هذا على الخصوص لدى كلامه على البربر ، فقد أتى وهو يتحمس فى الدفاع عن نسبهم العامى بأشياء تخالف تمام المخالفة ما تقدم له ذكره فى انساب الخليفة ، كما ناقض نفسه بنفسه فى النسبة العامية ذاتها ، فبينما نجده يراها الحق الذى لا يعول على غيره (65) نجده فى مواضع أخرى يثبت النسبة الحميرية للبربر قاطبة أو لبعض قبائلهم وكأنها لديه من الأمور المسلمة التى لا تقبل المناقشة لاجماع المؤرخين عليها (66) وبينما نراه ينكر نسبة البربر الى جالوت والعماليق وحمير ، ويرفض دعوى هجرتهم الى المغرب من الشام (لأن مثل هذه الأمة المشتتة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض لا تكون مننقلة من جانب آخر وقطر محصور) ولأن (البربر معروفون فى بلادهم واقايلهم متحيزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الاسلام) - نراه يسلم بهجرة الكنعانيين جدود البربر من مواطنهم الأصلية بفنيقياس وفلسطين بعد ما قتل ملكهم جالوت على يد داود ملك بنى اسرائيل .

وعلى أى حال فان ابن خلدون على أهمية كتابه واعتباره أعظم مؤرخ داخل القبائل البربرية وعاشر ملوكها وأمراءها ورؤساءها وكتب عنها لا يمكن

(65) تاريخ ابن خلدون 6 : 191 .

(66) تاريخ ابن خلدون 6 : 231 .

أن يكون كلامه حجة في الجزم بأصول البربر لأنه كلام متناقض أولا ، ولأنه اعتمد ثانياً الروايات والنقول التي لا تقوم مقام المقاييس العلمية الدقيقة .

والذى نراه نحن فى موضوع أصول البربر وأنسابهم هو ما يراه العلماء المعاصرون المجردون عن كل هوى استعمارى وتمصب سلالى من أنهم شعب متميز بلغة وأخلاق ومزاج داخل المجموعة القوقازية ، له من الخصائص السلافية ما لشعوب البحر الأبيض المتوسط وجنوب غرب آسيا ، وقرابة غير وشيجة مع سودان افريقيا بحكم الجوار ، وذلك يدل على شدة تفاعله مع الشعوب المحيطة به خلال تاريخه الطويل ، كما يصدق دعوى طائفة من المؤرخين فى نسبة بعض القبائل البربرية الى أصول عربية تلك الدعوى التى لا يمكن أن تكون صادرة فقط عن الشعور بذل الغلبة والرغبة فى عدم أداء الضرائب كما ذكر ابن خلدون ، لأن البربر لهم من عزة النفس والافتخار بالنسب كالعرب ما يدفعهم الى محو المذلة وغسل العار بحد السيف لا بالتنكر للقومية وانتحال الأنساب الأجنبية .



المجتمع البربري

يقوم النظام الاجتماعي عند البربر على أسس قبلية محضة ، فالقبيلة هي عماد النظام ومحور الحياة سواء كانت رحالة تعيش على الريادة (67) والغزو ، أو مستقرة تنكسب من الفلاحة وتربية الأنعام .

وتتربك القبيلة من عشائر وأسر لأفرادها وأعضائها من الولاء لها والتعلق بها أكثر مما لهم نحو القبيلة نفسها ، فالعصبية عند البربر تقوى كلما ضاق المجتمع وتضعف كلما اتسع ، فهم يشبهون في ذلك العرب الذين كان شعار الواحد منهم : انا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب .

ويرأس الأب أو الزوج الأسرة وله سلطان مطلق عليها ، وهو أعلا مقاماً وأشد احتراماً من الأم والزوجة ، وتعتبر الأنثى على العموم في أكثرية القبائل البربرية شيئاً تافهاً ، ولذلك أجبرت على القيام بكثير من الخدمات الشاقة وعدت من جملة التركة إذا هلك هالك ، وصار تعدد الزوجات واتخاذ الخليلات والصدىقات أمراً مألوفاً ، على أن العاطفة لم تبخل على المسراه البربرية بالتقدير والتكريم اما بدافع البرور بالأمومة واما بدافع العشق للجمال ، وفي بعض القبائل البربرية كان نظام الأمومة معمولاً به ، وقد رواه شيخ المؤرخين هيرودوتس في الماضي ، ولا تزال بقية منه عند بربر الصحراء وهكاري حيث لا يعترف رسمياً بالابوة ، ويتبع الأبناء في الميراث أخوالهم لا ذوي قرباهم من جهة الأب .

وتؤلف الأسر والعشائر في نطاق القبيلة حلفاً في ساعات العسرة ، وتسير صفّاً واحداً لشن غارة على عدو وتقف كالبنيان المرصوص لصد

(67) حرفة الأعراب الرواد الذين يحلفون بمواشيهم الى الرماح مقابلين مدبرين .

محطات مقبر ، وهم يلبيون فى ذلك نداء الدم ولا يستجيبون لداعى العقل ،
اذ من العار أن يخفروا ذمة جارهم أو يخذلوا أخاهم وحليفهم سواء كان الحق
فى جانبه أو فى جانب غريمه . فكانما ضرب فيهم المثل : انصر أخاك ظالماً أو
مظلوماً ، أو كانهم بنو مازن الذين وصفوا بانهم :

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

أو بنو غزية الذين قال قائلهم :

وهل انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزیه ارشد

على ان تحالفهم قلما يتعدى نطاق القبيلة فيشمل عدداً من القبائل ،
الا اذا كانت تنتمى الى أب واحد ، والسبب فى ذلك قوة العصبية القبلية عندهم
وضعف العصبية القومية أو الوطنية ، وقد تعرضت أوطانهم لغزوات أجنبية
عديدة فكانت كل قبيلة تستقل بأمر دفاعها وتستमित وحدها فى مقاومة
عدوها ، دون أن تفكر فى الاستنجاد بالقبائل المجاورة لها أو تفكر هذه فى
بجدها ، وهذه حالة لا تخصها وحدها ، بل هى حالة كل المجتمعات البدائية
الى لا تخضع لحكومة تجمع شتاتها ونظام يوحد أمرها بما فيها المجتمع
العربى الجاهلى .

ولكل قبيلة قرية أو قرى تلتقى فيها أسبوعياً يوم عقد السوق لبيع
الفلات وشراء لوازم الحياة واصلاح الآلات والنقاضى لدى الحكام وتلقى البريد
واستشارة الأطباء ، وتنتخب القبيلة أو العشيرة مجلس القرية المسمى
(الجماعة) وتختار الجماعة من بين أعضائها رئيساً لها يسمى أمغار ومعناه
الكبير ، وهو يماثل شيخ القبيلة أو العشيرة عند العرب فى القوة والنفوذ
ووجوب الاحترام ، وغالباً ما يكون من ذوى العصبية والفنى ، ورجاحة العقل
والهيبة من الشروط اللازمة له ، والقرية هى قمة النظام السياسى والادارى
وأكبر الخلايا الاجتماعية عند البربر ، اذ لم يثبت أنهم شيدوا فى جاهليتهم
مدناً كبيرة أو أسسوا دولا عظيمة ، وأكثرية المدن التى شيدت فى بلاد المغرب

قبل الاسلام هي من بناء الفنيقيين أو القرطاجنيين أو الرومان أو الأعرابي ، كما أن الممالك البربرية التي يحدثنا التاريخ عنها أحاديث غامضة إما هي زعامات ظهرت في فترات زمنية مضطربة لمقاومة عدو ، أو إمارات كانت تعيش في كنف الأجانب وحمايتهم كما كان مناذرة الحيرة يعيشون في كنف الفرس وغساسنة الشام يعيشون في كنف الروم .

وتنقسم القبائل البربرية الى قبائل مستقرة وأخرى رحالة ، فالأول تسكن بيوتاً مبنية داخل دشرات (68) محصنة، وتسكن الثانية خياماً مقامة داخل دواوير (69) ، فالخيام تصنع من الصوف أو الوبر على شكل مسندير أو بيضى ، ويتنافس المتحرفون في صنع الخيام الفخمة الكبيرة التي تسع المئات من الناس ، ويفصلون داخلها تفصيلاً بحيث تكون مشتملة على بيوت السكن ومخازن المولة والمطبخ وباحة استقبال الضيوف ، وهم يسكنونها على سعتها وكثرة تكاليفها ومنهم من يعدها للحفلات الأسرية والأعياد والمواسم القبلية فقط ، ومن أشهر الخيام وأفخمها خيام قبيلة زيان بالأطلس المتوسط من المغرب الأقصى ، أما الديار فيراعون في بنائها طبيعة المكان ، ففي الجبال حيث تراكم الثلوج وتكثر الأمطار يبنونها بالحجارة ويسقفونها بالطين في شكل بيضى يسهل انصراف المطر والثلج عنها ، وقد اهتموا بعد الطس الى القرمود فاستعملوه في تغطية سقوفها ، وفي الجهات الجنوبية حيث الحفاف يبنونها بالطين ويسقفونها بالخشب وغيره من أنواع النبات ، وفي المناطق الوسطى المعندلة تبنى بالحجارة أو بالطين فقط وتسقف بالورقة والجائزة أو بالأعمدة والأغصان مع تبليطها من أعلا بالطين منعاً للمطر من النفوذ الى داخل البيوت ، واختص البربر بنوع من الديار يبنى بجدارين متوازيين

(68) ويقال أيضاً المدشر : القرية ، واصلها الجشرة والجشر .

(69) جمع دوار : مخيم للأعراب الرحل بقام على شكل مسندير لتمكن المراقبة منه والدفاع عنه ، وهو كالشجرة العنبة عند السكان المستقرين ، وعندما يدخل فصل الشتاء ويقرب البرد وينعدم الكلا يسحب الرحل الى سفوح الجبال أو الأراضي الشمالية السهلية فيسكنون بيوتاً مبنية ساء بسيطاً يسمى الواحد منها مشتي ، فالجدة عند الرحل أساسها الدوار والمشتي ، وعند المستقرين القرية والدشرة أو المدشر ، ويطلق اسم الخبة أحياناً على المسكن الواحد سواء كان مسياً بحجارة أو منسججاً من وبر أو صوف .

يملأون ما بينهما بالحجارة وذلك لمقاومة الحر والبرد ، ومن البربر من ينحس مسكنه في جبل أو جرف كما يرى في جبل الحاجب و كندر بالمغرب الأقصى ، ومن يسكن بيوتاً من القصب تسمى الموالات أو الأعشاش أو الخصاص (70) ، وقد حلت قبائل وعشائر أسماء ذلك النوع من السكن فسميت **موالين النوالات** ، و **الأعشاش** و **الخصاص** .

وقد قارن العلماء بين البيوت البربرية وبين بيوت الشعوب الأخرى ، فوجدوا الشبه كبيراً بين هندستها وبين هندسة بيوت سكان بحر ايجة وإيريا والجنوب العربي والحيشة ، وكانت هذه المقارنة مدعاة لهم إلى الحديث عن أصول البربر وعلاقتهم السلالية بشعوب تلك الأقطار .

واعتاد البربر القدماء أن يجعلوا لمساكنهم آلهة وأخرى للدواوير والقرى تحميها من كل شر يحتمل أن يطرأ عليها، وكانت لهم اعتقادات وشعارات من هذا القبيل ما زالت بقاياها موجودة إلى الآن بالبلاد المغربية ، من ذلك تعليق قدر مقلوب مسود اللون من أثر دخان الطبخ على الجدار وقاية للمنزل من العين والأرواح الشريرة ، وتعليق الشقوف وجامم الدواب والكف المبسوطة (الخميسة) على الأشجار والجدران لنفس الغاية ، وقد يحمي الدار والقرية الشجرة بإحتمالها أو القط أو الأفاعى أو أطلال الجدران ، فيحترمها السكان ، ويستأمنونها قبل السكن ويحتفلون بها في مواسم معلومة فيوقدون بقربها الشمع والفئائل ويشبتون الزنجلان ويهرقون عليها الحليب ويطلونها بالحناء ، وتلتجئ إليها المعجزة لتحقيق بعض الرغبات كتزويج عانس وإرجاع غائب وحل ثفاف وتحبيب زوج في زوجته ، وجمع حبيب بحبيبتة ، وللقري أيضاً حمايتها من مسنمات الصخور وكبار شجر الزيتون الوحشي .

ويلبس البربر ثياباً منسوجة من صوف في الغالب ، وهي بالنسبة للرجل المتوسط مكونة من قميص (تشامير) وسروال وقشابة وجلباب

(70) النوال في المرف المغربي بيت من قصب ج نوالات ونوايل ، والعش بيت يبنى من حطام الميدان والنات ح أعشاش شبه عش الطائر ، والعش يضم الماء بيت من شجر أو قصب جمع أخصاص وخصاص وخصوص .

(جلانه) وبرنوس ، ويلبس الرجال فى بعض القبائل الحايك أو الكساء بدل الجلابة والبرنوس كالقبائل الساكنة على ضفاف وادى ملوية بالمغرب الأقصى والأخرى الساكنة بجنوب القطر التونسى واقليم طرابلس ، ومن السراويل قصيرة لا تتجاوز الركبة (قندريسة) وأخرى طويلة تصل الى الكعبين يظن انها مقتبسة من الكوليين (71) وكلاهما يشد على الخصر بتكة ، ويتعمل الرجال فى الحالات العادية حذاء جلدياً من النوع المسمى (البلفة) فى المناطق الجبلية والسهول الشمالية ، ومن نوع النعالة المصنوعة من جلد أو حلقة أو دوم فى المناطق الصحراوية ، واثناء الحرث يلف الحراث على قدمه قطعة جلد تسمى بوغفاس تشد بشريط على الساق ، واثناء الحرب وسباق الخيل ينتعلون خفاً جلدياً مزخرفاً يسمى الحف أو التماق ، والجوارب (التقاشير) تلبس فى فصل الشتاء فقط اتقاء من البرد ، وهى أيضاً محبوكة من صوف ، ويعتم الرجال بعمامات قطنية أو كمانية، منها الخفيفة التى تسمى (الرزة) والكبيرة المسماة بـ (الكنور) ، وقد يكتفون بلبس طاقية أو شاشية فى الحالات العادية ، وعندما يدخل الصيف أو يبدأ الحصاد يضعون على رؤوسهم الحلقة قبعات مصنوعة من دوم تسمى (المظل) أو (تارازا) عريضة الحواشي للتوقى من ضربات الشمس ، وعالماً ما ينملدون حناجر وشكارات ، وينفقد الموسرون تهليل قضية أو جلدية تحتوى على تماثم وتعاويذ ، وبعد انتشار الاسلام صارت تحتوى على آيات قرآنية أو دعوات دينية ماثورة ، أو صلوات على النبى عليه السلام .

أما المرأة فتلبس قميصاً قطنياً وسروالا وحنديرة من صوف فى الاوقات الباردة وأزاراً حريرياً فى الأخرى المعتدلة والحارة وتشمر عن ذراعيها بتخمال حريرى مطروز بالصقلى (خيوط الذهب) وتنتعل حذاء من جلد مطروزاً بالحرير والصقلى يسمى (الشربيل) وتلبس أيضاً جوارب صوفية جميلة الطرز وتغطي رأسها بسبينة حريرية كما تحتزم بحزام حريرى عريض ، وأكثر عليها مصنوع من الفضة كالخلاخل والدمالبيج والخواتم والمقاتل (الاقراط) والبسيطة التى توضع على الصدر المتألفة من المسكوكات الفضية أو الذهبية (السلطاني - اللويز - الضبلون) وعقود من ودع وعقيق ومرجان .

وتتزين المرأة أيضاً بوشم أعضاء من حسنها كالوجه والذراع والمعد والساق ، ويقال ان الوشم نشأ في الأصل عن ضرورات افنتشتها كثرة الغنى وتوالى الحروب ، اذ كان لكل قبيلة رموز وأشكال خاصة في الوشم يميز بها أفرادها رجالا ونساء ، حتى اذا سبيت النساء وأسر الرجال أمكن التعرف على قبيلتهم الأصلية من وشمهم ، وقد كانت القبيلة المغلوبة تسترد أبناؤها وبناتها الذين يسبون في الصغر وينشأون كالعبيد لدى القبيلة الغالبة ولو مضى على أسرهم وسبيهم عشرات السنين .

وتقوم المرأة البربرية بنسج الثياب وصنع الزرابى ، وتتفنن في ذلك تفناً يدل على حسن ذوقها ، وقد اشتهرت بعض المراكز بنسوجاتها الصوفية الجميلة كبزو ووزان وشيشاوة وخنيفرة في المغرب الأقصى ، وتلمسان وبسكرة وعناية (بونة) بالمغرب الأوسط ، وجربة بالمغرب الأدنى ، والهيا تسب الثياب البريوية والوزانية والبسكارية والبونية والجربية الشهيرة (72) .

وطعام البربر بسيط ولكنه لذيذ ، يعتمدون فيه على مزروعاتهم وماشيتهم ، ولا تكثر فيه التوابل كما تكثر في طعام الحضار ، وأشهر ألوانه الكسكسي الذي يتفننون في طبخه على أشكال مختلفة وهو الطعام الوطني لأهل المغرب ، والمشوى أو الكاشوش وهو عبارة عن حمل ينضج ببطء على صندبة الجمر ، ولنساقهم مقطرة كبرى على أعداد أنواع أخرى شهية بسيطة في آن واحد من الطعام ، كالخبز المعجون بقليل من الحليب والزبد المسمى بالمحراش ، والبقرير والثريد والرعائف والحساء والعصيدة والسفنج والصيكوك ، ويدخل الزبد والسمن والحليب والعسل في أعداد الأطعمة ، ويقدم الحليب والنمر للرؤساء والضيوف ، ويندر الخمر رغم وجود العنب الكثير ، ويفتات الفقراء بأنواع أخرى من الأطعمة تقل جودة وكلفة ، كخبز الشعير والبن المخيض والزيتون الملباس والزميتة (السويق) والبيصارة (الفول) ، وياكل الصحراويون الجراد اذا اجتاحت أسرابه البلاد في السنين العجاف .

(72) من الأمثال القاسية العنيفة التي سمعتها مرة في حياتي : (تبارك الله على هذا البر الافريقي الذي حانا من ترواة) يصرب استهزاء بالشئ الناعم يحال فيه . وافريقيا معروفة ، وترواة اسم قبيلة اندثرت اليوم ، وميت تنسب اليها جبال تدرومة الواقعة شمال تلمسان ، ولا شك في انهما كانتا من مراكز نسج الثياب النفيسة في الماضي .

وينقسم البربر الى قسمين : بربر رحالون يرتادون الكلا بمواشيهم وينقلون بسبب ذلك من جهة الى أخرى ، وهاؤلاء لا يحترفون تجارة ولا صناعة ولا فلاحة ، وانما يعيشون من نتاج ماشيتهم ومن الفئام والأسلاب التي يستولون عليها خلال الحروب أو أثناء قطع الطريق ، وربما تعاطى الأغنياء الزراعة بواسطة عبيدهم ومواليهم المسمون **الجراطين** ، وفي هذه الحالة يقول ابن خلدون : (ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعى فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها الريف الى الصحراء والقفرة الأملس ، ومكاسبهم الشاء والبقر والخيول في الغالب للركوب والنتاج ، وربما كانت الابل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب ، ومعاش المستضعفين منهم بالفلاح ودواجن السائمة ، ومعاش المعتزين أهل الانتاج والاطمان في نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة (73) .

أما القسم الثانى فهو المستقر ، وبربر هذا القسم أحرب الى الحضارة من سابقيهم وأشد لصوقاً بالأرض منهم بها ، وقد نتج عن استقرارهم انتظام حياتهم على قواعد رتيبة ، واشتغالهم بالمهن التى يعدها الرحالون حميرة كالزراعة والصناعة والتجارة ، ونشأت فيهم بسبب ذلك غريزة الادخار والاقتصاد والحرص على جمع المال ، وقد اشتهرت منهم قبائل كثيرة بالمهارة فى التجارة والاستهانة بكل المشاق والاططار فى سبيل جمع المال ، كأهل سوس ومزاب وجزيرة جربة .

وكان لقدماء البربر ديانات ومعتقدات بعضها ونسب محلى وبعضها من معتقدات الجوالى التى طرأت عليهم من الشرق وأديانها . فمن معتقداتهم الايمان بالروحانيات التى تمثل صورتها فى وجود ارواح كالجن مثلاً فى العناصر الطبيعية من عيون وانهار وأحجار وجبال وأشجار وأطلال وغيرها ، ولا تزال قبائل كثيرة تعظم حرمان هذه العناصر وتقيم لها مواسم سنوية وتحج اليها حجاً ، وكانوا أيضاً يؤلهون بعض الحيوانات اما بداع محلى واما بداعى التقليد لبعض الشعوب التى كانت تجاورهم كقدماء المصريين . وهذا النوع من

الاعتماد أو العبادة يسمى بالطوطمة وهي أن يعتقد الانسان أو القبيلة ان جده
الأعلا نوع من الحيوان ، فيكون لزاماً عليه حينئذ أن يحترمه ويمدسه ولا يفله
ولا يأكل لحمه ولا يضربه ولا يؤذيه ، ويسمى ذلك الحيوان بالطوطم ، ومن
الطوطم البربرية الأفعى واليوم والحمام والطاووس والقرود والقط والضفدع ،
وقد عثر في جهات كثيرة من المغرب ولاسيما في الجهات الشرفية على صورة
الاله (أمون) وهو كبش أقرن بين فرنيه قرص الشمس المستدير ، وهو من
آلهة قدماء المصريين المعروفة . وقد ذكر الشاعر الافريقي كوريبوس Corippus
في قصيدته اليوحناوية La Johannide أن قبيلة **اللاغطان** الطرابلسية كانت
تعبد ثوراً يدعى غرزيل ، كما ذكر الجغرافي الأندلسي الشهير أبو عبيد بن عبد
العزيز البكري المتوفى سنة 487 هـ في كتابه المسالك والممالك ان قبيلة بربرية
كانت تعبد ثوراً بجنوب المغرب في القرن الخامس الهجري (74) .

وكانت عبادة الاجرام العليا من شمس وقمر معروفة عندهم ، وقد
وحدت منقوشة على الصخور في جهات عديدة ، كما لا تزال بعض العوائد تدل
عليها في المغرب الى اليوم ، فمن عادة الأطفال عند الانغار أن يرموا السن أو
الهرس المقلوع أمام قرص الشمس هاتعين : (أعطيتك سن الحمار ، أعطى
سن الغزال) ! .

ولما ظهرت الديانات السماوية بالشرق بلغت اصداؤها الى المغرب
طبعاً اما بواسطة الجوائ الشرفية المهاجرة اليه واما بواسطة الفاتحين الذين
استولوا عليه ، وفشت الديانة اليهودية والديانة النصرانية في بعض القبائل ،
وقد اشتهر من نصارى البربر بعض الشخصيات الممتازة كدوناتوس صاحب
المذهب الشهير الذي زاحم الكاثوليكية ، والقديس أغستينوس أسقف عنابه
(بونة) الذي حارب الدوناتية حتى تضاعف أمرها ، ولكن أكثرية القبائل البربرية
بقيت وثنية أو مجوسية حسب تعبير ابن خلدون حتى جاءها الاسلام
فخالطت بشاشته قلوبها وكانت لها مقامات صدق في تبليغ الدعوة المحمدية
الى أسم أوربا وشعوب الصحراء والسودان .

(74) مؤرخ التاريخ العام للجزائر من 40 والمسالك والممالك (القسم الخامس بوصف

الريفية والمغرب) لابن عبيد من 355 .

ويتكلم البربر لغة من أقدم لغات العالم ، اختلف العلماء فى ارجاعها الى اصول سامية وحامية ويافثية تبعاً لاختلافهم فى ارجاع البربر الى اصول سلالية ، والقالب أنها تنتمى الى الأسرة الحامية التى هى فرع من فروع اللغة السامية القديمة التى كان يتكلمها أهل جزيرة العرب وخصوصاً سكان اليمن وحضرموت ، وهى قريبة جداً من لغة قدماء المصريين التى لا تزال منطوقة فى بلاد النوبة ومستعملة فى بعض الكنائس القبطية بمصر ، وقد اقتبست البربرية ألفاظاً كثيرة من لغات المهاجرين والفاثحين سيما اللغة العربية التى أمدتها بكل الألفاظ الدينية والتقنية والحضرية ، ومع ان الشعب البربرى فى الشمال الافريقى يتكلم لهجات عديدة يختلف بعضها عن بعض فان مرجعها الى أصل واحد كما حقق ذلك العلماء الذين درسوها من عرب وعجم ، لكنها لا تقوى على البقاء لأنها لا تكسب ، ولا عبرة بالحروف التى كان يستعملها أهل منطقة مكار السماء ببيضاغ فانها بقية من بقايا التأثير القبطى فى تلك المنطقة القريه مصر وبلاد النوبة ، كما ان استعمالها قاصر على طرف من تلك المنطقة وعبر معروف فى سائر الشمال الافريقى ، وبسبب ذلك وسبب بدائية البربرية لم تحفظ للبربر آداب بلغتهم ولا دونت لهم آثار ذات طابع علمى أو ثقافى ، والآثار المنسوبة الى البربر كتب جميعها قبل الاسلام باللغات النوبيقية أو الرومانية أو اليونانية ، وكتبت بعد الاسلام باللغة العربية التى برع فيها وفى آدابها علماء بربر تفوق فيها بعضهم على أهلها ، وقد حاول بعض فقهاء البربر أن يعربوا عقيدة الاسلام وأحكامه من نفوس البربر وعقولهم فترجموا بعض الكتب الدينية الى اللهجات البربرية المكتوبة باللغة العربية ، ولكنها كانت محاولات قليلة لأن البربر كانوا يتسابقون بعد حفظ القرآن الى تعلم اللغة العربية ودراسة شريعة الاسلام عن طريقها ، واللغة أو اللهجات البربرية آيله اليوم الى الانقراض ، وقد انقرضت فعلاً فى تونس وطرابلس أو كادت ، وأصبح المسكلمون بها الى جانب العربية فى الجزائر قلة قليلة ، ولكن لا يزال يتكلمها مع العربية نحو الثلث من سكان المغرب الأقصى، ولولا المجهودات العظيمة التى بذلها الفرنسيون طيلة مئة وثلاثين سنة فى محاربة العربية وخلق فومية بربرية لاستمر الشمال الافريقى كله وصارت العربية هى لغة التخاطب الوحيدة فيه ، ومن المتوقع أن تلفظ هذه اللهجات أنفاسها الأخيرة فى الخمسين سنة

المقبلة اذ كلما انتشر التعليم واتسعت شبكة المواصلات تضاءلت وفسحت المجال للغة العربية الفصيحة والعامية .

ان الشعب البربري شعب قوى صبور كريم ، يحب افرادة الفخر ويتعشقون المجد ويهيمنون بالعلا ، ويجمعون في المناطق الخصبة الفنية بين جمال الجسم وخفة الروح وحسن النية ولطف العشرة ، وهو من الشعوب الحربية التي تضرب بشجاعتها الامثال ، وعندما يتوفر لديهم السلاح وحسن النظام ومهارة القيادة يفعلون في ميادين الحرب ما تحار فيه العقول ويبهر الالباب ، وهو الى ذلك شعب مرح طروب يحب الموسيقى والرقص واقامة المواسم والحفلات ، وفولكلوره من أغنى فولكلورات الدنيا التي تحرز كلما عرضت الرضا وتستأثر بالاعجاب ، والبربر كرام النفوس لا يبخلون على ضيغهم بما يملكون وما لا يملكون ، وقد يبلغ بهم الجود والحرص على تأنيس الضيف الى تقديم اكرم ما يحرص الأب أو الزوج على صيانتة اليه ، لكن فيهم الى جانب ذلك بعض الخصال الذميمة التي لا يخلو منها شعب من الشعوب ، من أعظمها العوصى التي تعلل بحجب عارم للحرية والتي كانت سبباً في حلول كثير من الكوارث والمصائب بهم وببلادهم في القديم والحديث .

ويلد لي أن أختتم هذا الفصل بإيراد فقرات من كلام ابن خلدون عن شيم وأخلاق هذا الشعب العظيم :

(وأما تخلقهم بالفضائل الانسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة ، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم ، مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ، ومدعاة المدح والثناء من الخلق : من عز الجوار وحماية النزيل ، ورعى الاذمة والوسائل ، والوفاء بالقول والمهد ، والصبر على المكاره ، والثبات في الشدائد ، وحسن الملكة ، والاغضاء عن العيوب ، والتجافي عن الانتقام ، ورحمة المسكين ، وبر الكبير ، وتوقير أهل العلم ، وحمل الكل ، وكسب المعدوم ، وقسرى الضيف ، والاعانة على النوائب ، وعلو الهمة ، واباية الضيم ، ومشاقة الدول ، ومقارعة الخطوب ، وغلاب الملك ، وبيع النفوس من الله في نصر دينه . — فلهم في ذلك آثار تقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون

أسوة لمبعبه من الأمم ، وحسبك ما اكتسبوه من حميدها وانصفوا به من شريفها أن قادتهم الى مراقى العز ، وأوفت بهم على ثنايا الملك ، حتى علت على الأيدي أيديهم ، ومضت في الخلق بالقبض والبسط احكامهم) .

(وأما اقامتهم لمراسم الشريعة واخذهم بأحكام الملة ، ونصرهم لدين الله ، فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين لاحكام دين الله لصبيانهم ، والاستفتاء في فروض أعيانهم ، واقتفاء الأئمة للصلوات في بواديهم ، وتدارس القرآن بين أحيائهم ، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم ، وصياغتهم الى أهل الخير والدين من أهل مصرهم التماساً للبركة في أنارهم وحسن الدعاء من صالحهم ، وغشيانهم البحر لفضل المراقبة والجهاد ، وبيعهم النفوس من الله في سبيله وجهاد عدوه — ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم ومتين ديانتهم التي كانت ملاكاً لعزهم ، ومقادراً الى سلطانهم وملكهم ، وكان المبرر منهم في هذا المنتحل يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي وبنوه ، ثم يعقوب بن عبد الحق من بعدهم وبنوه ، فقد كان لهم في الاهتمام بالعلم والجهاد وتشبيد المدارس واختطاط الزوايا والربط وسد الثغور وبذل النفس في ذات الله وانفاق الأموال في سبيل الخبرات ، ثم مخالطة أهل العلم وترفع مكانهم في مجالسهم ومفاوضتهم في الاقتداء بالشريعة والالتقياد لآشاراتهم في الوقائع والاحكام ومطالعة سير الأنبياء وأخبار الأولياء وقراءتها بين أيديهم من دواوين ملكهم ومجالس أحكامهم وقصور عزهم والتعرض بالمعاضل لسماع شكوى المتظلمين وانصاف الرعايا من العمال والضرب على أيدي أهل الجور ، واتخاذ المساجد بصحن دورهم وسدة خلافتهم وملكهم يعمرونها بالصلوات والتسبيحات والقراء المرتلين لتلاوة كتاب الله أحزاباً بالعشى والاشراق على الايام ، وتحصين ثغور المسلمين بالبنيان المشيد والكتائب المجهزة ، وانفاق الأموال المريضة شهدت لهم بذلك آثار تخلفوها بعدهم) .

(وأما وقوع الخوارق فيهم وظهور الكاملين في النوع الانساني من اشخاصهم ، فقد كان فيهم من الأولياء المحدثين أهل النفوس القدسية والعلوم الموهوبة ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة ، والكهان المفطورين

على المطلاع للأسرار المغيبة ومن الغرائب التي خرقت العادة وأوضحت أدلة القدرة ما يدل على عظيم عناية الله بذلك الجيل وكرامته لهم ، بما آتاهم من جماع الخير وآثرهم به من مذاهب الكمال ، وجمع لهم من متفرق خواص الانسان ، ينقل ذلك في أخبار توهم عجائب (الخ الخ (75) .

أقسام البربر

لم يلفت النظام القبلي السائد فى الشمال الافريقى أنظار الأمم والشعوب التى اتصلت بسكانه قبل العرب ، فلهذا كانت تطلق عليهم كلمة بربر دون تمييز بين طائفة تعيش على نمط من الحياة وبين طائفة أخرى تعيش على نمط غيره ، والتقسيم الوحيد الذى أثر عنها كان يتملق بالبلاد لا بالسكان ، ويقوم على اعتبارات جغرافية وإدارية ، لا على اعتبارات اجتماعية وقبلية ، وربما يرجع سبب ذلك الى ان تلك الأمم كانت بعيدة عن البداوة لا تعرف المجتمعات القبائلية ولا تتفهم طبائع أهلها ، أو أنها لم تحتك بالبربر احتكاكاً كبيراً ولم يتغلغل سلطانها الى داخل البلاد .

أما العرب الذين جاءوا الى بلاد المغرب فى أواخر القرن السابع فانهم فهموا الحياة فيها حق الفهم ، اذ وجدوها لا تختلف عن حياة بلادهم فى شيء ، كما أنهم توغلوا فى داخليتها وخالطوا قبائلها وساكنوهم وصامروهم وعاشوا وإياهم فى كنف الاسلام متساوين ، فلهذا كانت لهم نظرة أخرى الى البربر غير نظرة الأمم والشعوب التى تعرفت عليهم قبلهم ، وفهم آخر لمجتمعهم غير فهمهم ، وتقسيمات أخرى غير تقسيماتهم تقوم على اعتبارات قبلية لا على اعتبارات جغرافية أو إدارية تبعاً لذلك .

لقد قسم الاغريق والرومان البلاد المغربية الى افريقيا ونوميديا وموريطانيا قيصرية وأخرى طنجيطانية ، وجيتوليا ، وحافظ العرب على روح هذا التقسيم لما جعلوها مشتملة على مغرب أقصى ومغرب أوسط ومغرب أدنى (أو افريقية) وصحراء ، ولكنهم زادوا على هذا التقسيم الترابى فقسموا السكان أنفسهم الى بربر بتر ، وبربر برانس .

وقد وقف الباحثون العصريون حيارى أمام هذا التقسيم الجديد يحاولون أن يجدوا له تمليلاً أو تأويلاً ، ويتساءلون عن الأسس التى بناها العرب عليه

ومبروا بها بين طائفتين مختلفتين من السكان ، فعلى أساس وجود بربر من أهل الوبر (سكان الخيام) وبربر من أهل المدر (سكان البيوت) حاول كوتيي Gautier تأويل انقسامهم الى بتر وبرانس ، فقال ان البربر هم أهل البداوة والرحلة ، والبرانس هم أهل الحضارة والاستقرار ، وذلك يشبه انقسام البربر في التاريخ القديم الى نوميديين وموريطانيين وانقسامهم في التاريخ الحديث الى عرب وقبائل (76) وهذه النظرية ذات حظ من الصحة والصواب ، لأن معظم قبائل البرانس يعيش عيشة استقرار في السهول والجبال الخصبة التي تكثر فيها الأمطار وتجدو التربة باطيب الفلال ، بينما يعيش معظم قبائل البتر متنقلا بين السهوب والهصاب والمناطق الرعوية الصحراوية أو القريبة من الصحراء ، ولكن هذا الاختلاف في الحياة الاجتماعية بين البرانس والبربر لا ينطبق على جميع قبائلهم ، فالحضارة والبداوة متبادلان بسما ، فبعض قبائل البرانس يعيش في جوف الصحراء عيشة بدوية تمثل أنقى صور البداوة كقبائل الملمتين الذين يسميهم الكتاب الأوربيون الرعاة الكبار أو الجمالين الرحالة الكبار تميزاً لهم عن الرعاة الصغار رعاة البقر والغنم ، وقد طلت قبائل الملمتين تعيش عيشتها البدائية في قلب الصحراء تقتات من التمر والفديد وحليب النوق ، ولا تعرف الخبز ولا الدقيق في حين كان العرب ينون صروح الحضارة ويحيون حياة البذخ والترف في المغرب الشمالي والأندلس ، ومثل هذا ينطبق على قبائل البتر المتبدية ، فقد كانت منها قبائل مستقرة تعيش عيشة حضرية مثل قبيلة كومية وقبيلة أوربة .

ومن الباحثين من رجح أن يكون الفارق بين الطائفتين ثقافياً ، ذكراً أن قبائل البرانس المستقرة تأثرت بمظاهر الحضارة البونيقية واللاتينية والافريقية بينما بقيت قبائل البتر بمعزل عنها لبداوتها ورحلتها ، ولكن رد

Gautier : Le Passé de l'Afrique p. 242 (76) وقد اعاد الفرنسيون أن

يسموا البربر في الجزائر قبائل ، والبلاد البربرية بلاد القبائل Le Kabylie

على من رأى هذا الرأى بمثل ما رد على من رجح أن يكون الفارق اجتماعيا من ان البداوة والحضارة أو النقلة والاقامة متبادلة ومشتركة بين الطائفتين معا .

وفكر وليام مارسي فى تفسير لفظتى البتر والبرانس تفسيراً لغوياً وتقسيم البربر الى طائفتين على أساس الثياب التى تلبسناها ، فعنده ان العرب نظروا فى البربر فلاحظوا اختلافاً فى أزيائهم ، فمنهم قبائل ترتدى البرنس الطويل ذا القب (77) المخروطى وهذه سموها البرانس ومنهم قبائل تلبس برنساً قصيراً لا قب له وهذه سموها البتر أى الناقصة المبتورة مثل بتره زياد ابن أبيه ، وهذا التأويل غريب يبعث على الضحك والسخرية وهو لا يخرج عن كونه مجرد افتراض لا يقوم على أساس قوى ، وقد لاحظ كوتبي الذى حسبته ينبنى على معرفة عميقة باللغة ! انه افتراض لا ينطبق على القبائل البربرية كلها ، فالملمنون من بربر الصحراء يصعب ادراجهم فى طائفة من الطائفتين ، وهم برانس ولكنهم لا يلبسون البرنس مطلقاً ، ولا يحتمل انهم لبسوه فى عصر من العصور ، كما لا يظن ان هناك علاقة بين قب البرنس وبين اللثام عند اهل الصحراء ، ثم يلاحظ كوتبي أن البرنس هو لباس الفرسان ، وان الذين يلبسونه حالياً فى المغرب هم حفدة البتر على الخصوص .

ومن الباحثين من جعل الفارق شبه سلالى ، فذكر ان الطائفتين تمثلان موجنين مختلفتين احدهما تمثل اهل البلاد الأصليين والآخرى تمثل الوافدين الجدد الذين اغتصبوا منهم بلادهم وزاحموهم فيها ، ولعل هذه النظرية اصح النظريات لوجود ما يدل عليها من روايات النسابين والمؤرخين واستنتاجات الباحثين الاجتماعيين ، واليها مال العلامة رود Rodd الذى يعد من أكبر الباحثين فى التوارك (78) والمؤرخين لهم فى العصر الحاضر ، فقد ذكر ان هذا التقسيم باق الى اليوم فى قبائل التوارك ، وان القرية الواحدة تشتمل على عنصرين متباعضين بفضاً سرمدياً ، أحدهما ينتمى الى البرانس والآخر

(77) غطاء الرأس المصنوع بجلافة أو منوس .

(78) التوارك قبائل الصحراء المغربية ويكتب المشارقة الاسم طوارق وهو خطأ .

يعتري الى البتر ، وعلل ذلك بأن هذا الخلاف الدائم لا بد أن يكون مسبباً
في الأصل عن اختلاف سلال (79) .

وذكر ابن خلدون أن علماء النسب متفقون على أن البربر يجمعهم
جذعان عظيمان ، أحدهما يسمي مادغيس الملقب بالابتر ولذلك يقال لشعوبه
البتر ، والآخر يدعى برنس ويقال لشعوبه البرانس ، وذكر أن بين النسابين
خلافاً هل هما لأب واحد ؟ فمن ابن حزم فيما حدثه به يوسف الوراق عن أيوب
ابن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لأب واحد ، وربما نقل عن أيوب بن أبي
يزيد نفسه أنهما لأبوين متباعدين ، ويصحح ابن خلدون رواية ابن حزم عنه
لأنه أوثق .

ويتفق نسابو البربر كهانيء بن بكور الضريس ، وسابق بن سليمان
المطماطي ، وكهلان بن أبي لؤي ، وغيرهم أن البتر من ولد بر بن قيس بن
عيلان ، والبرانس من ولد برنس ، بن سفيجو ، بن أبزج ، بن جناح ، بن واليل ،
بن شراط ، بن تام ، بن دويم ، بن دام ، بن مازيغ ، بن كنعان ، بن حام .

ومهما كان من أمر هذا التقسيم فانه يدل على حالة البلاد ويتلاءم مع
نسبة سكانها وطبيعة مجتمعهم القبلي ، كما يدل تقسيم العرب الى عدنانية
وفحطانية على نفس الحالة والطبيعة ، وادراك هذا التقسيم ينير السبيل لفهم
تاريخ البربر قبل الاسلام وبعده ، فقد أثر تأثيراً عميقاً في علاقة البربر بالأمم
والشعوب التي وفدت عليهم مهاجرة مسالمة أو محاربة منحدمة ، كما أثر
النزاع بين البرانس والبتر أثراً بعيد المدى في علاقة البربر بالعرب بعد مجيئهم
الاسلام ، فقد حالفت قبائل زناتة البترية العرب منذ البداية بينما حملت قبائل
البرانس عبء المقاومة والدفاع ، ولما دان البربر لسلطان الاسلام حالفت
زناتة البترية الخلافة الأموية ووالت صنهاجة البرنسية العلويين وتعصبوا لهم
وأيدوا الامام ادريس بن عبد الله الكامل حينما التجأ الى المغرب الأقصى ، وعندما
نبغت نابغة الفاطميين واستقام لهم الأمر كانت كنامة وصنهاجة من البرانس

خير أعوانهم وأكثر جنودهم حمية وإخلاصاً ، فلذلك أمعنوا في اضطهاد الزناتيين والفتك بهم حتى اضطروهم الى الاعتصام بالخلافة ، وأصبح الصراع في المغرب بين الأمويين والفاطميين ثم الزيريين مجرد نزاع بين صنهاجة وزناتة في الواقع أى بين البتر والبرانس ، وكان بلكين بن زيرى أمير صنهاجة يقول : لا أمان عندى لبربرى ركب فرساً أو نتج خيلاً أبداً حيثما سلك من البلاد (80) وقريب من ذلك حدث فى الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية ، اذ احتدم النزاع بين زناتة وصنهاجة مما هدد الوحدة الإسلامية يومئذ بالخطر الجسيم (81) .

(80) مفاخر البربر فى القرون الوسطى ص 4 .

(81) قيام دولة الرابطين ص 32 .

البربر البستي

تنتمي هذه الطائفة من البربر الى مادغيس الأبتري بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

قال أبو محمد ابن حزم في الجهمرة : ما علم النسابون لقيس بن عيلان ابناً اسمه بر أصلاً (82) .

وعند نسابي البربر ، وحكاة البكري وغيره : انه كان لمضر ولدان . الياس وعيلان ، أمهما الرباب بنت حيدة بن عمرو بن معد بن عدنان ، فولد عيلان بن مضر ولدين : قيس ودهمان ، أما دهمان فولده قليل ، وهم أهل بنت من قيس يقال لهم بنو أمامة ، وكانت لهم بنت تسمى البهاء بنت دهمان ، وأما قيس بن عيلان فولد له أربعة بنين : سعد وعمر ، أمهما عربية اسمها مزنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار ، وبر وتماضر ، أمهما كنعانية (بربرية) من الشام اسمها تمرغ بنت مجدل بن غمار بن مصمود ، وكانت قنائل البربر يسكنون يومئذ الشام ويجاورون العرب في المساكن ويشاركونهم في المياه والمراعى والمسارح ويصهرون بهم . فتزوج بر بن قيس بن عيلان بنت عمه البهاء بنت دهمان بن عيلان ، فعسده اخوته على ذلك ، فحشت أمه - وكانت من دهاة النساء - عليه منهم ، وكاتبت أخواله سراً ثم رحلت اليهم مع ابنها وزوجته وهم اذ ذاك ساكنون بفلسطين وأطراف الشام ، فولدت البهاء لبر بن قيس ولدين : علوان ومادغيس ، فمات علوان صغيراً وبقي مادغيس فكان يلقب بالأبتري ، وهو أبو البتري من البربر ، وتزوج مادغيس بن بر بأملل بنت واطاس بن محمد بن مجدل بن غمار فولدت له زحيك (83) بن مادغيس .

(82) جهمرة أنساب العرب ص 495 .

(83) كتب هذا الاسم في مراجعتنا المطبوعة والمخطوطة مرة زحيك بالحاء ومرة زحيك بالحيم . ومرة ثالثة زحيك ، ولم نستطع ترجيح أحدهما على الآخر فوجب التنبيه .

وقال الطبري : خرج بر بن قيس ينشد ضالة بأحياء البربر فهوى
جارية وتزوجها فولدت .

وعند غيره من نسابة البربر انه خرج فاراً من أخيه عمر بن قيس ،
وفي ذلك تقول اخته تماضر :

لتبكي كل باكية اخاصا	كما أبكى على بر بن قيس
تحمل عن عشيرته فاضحى	ودون لقائه انضاء عيس

ومما ينسب الى تماضر أيضاً :

وشطت ببر داره عن بلادنا	وطوح بر نفسه حيث يمما
وأزرت بسر لكنة أعجمية	وما كان بر في الحجاز بأعما
كأنا وبراً لم نفر بجيادنا	بنجد ولم نقسم نهابةً ومفتما

وإذا كان الرواة قد أطلقوا لخيالهم العنان فرسموا لنا الصورة
المقدمة عن خروج بر الأبتى من الحجاز ولحقه مع أمه بقبائل البربر بفلسطين
فانهم لم يرسموا صورة مماثلة عن خروج البربر البتر أبناؤه عن فلسطين
ودخولهم الى المغرب ، الا ما يذكرونه من هجرة الكنعانيين بعد انهزامهم أمام بنى
اسرائيل ، وقد سبق لنا ان ذكرنا أن اليهود هم الذين سموا أولئك الكنعانيين
بربراً فحملوا معهم الاسم وعرفوا به وحده اثناء انتقالهم الى المغرب وبعده .

ويتألف البربر البتر من شعوب كثيرة يجمعها أربعة أجدام (84) :

(I) أداسة بنو أداس بن زحيك بن مادغيس الأبتى بن بر بن قيس بن
عيلان ، ويطونهم كلها فى هواره لأن أم أداس تزوجها بعد زحيك بن مادغيس -
اوريف بن عمه برنس والد هواره على القول بأن مادغيس وبرنس أخوان ، فدخل
نسب بنيه كلهم فى هواره .

(84) الجدم فى اللغة الأمل ، يقال جدم الشجرة ، وجدم القوم ، وجدم الأسنان ما ينبت ،
وجدم الرجل أهله وعشيرته ، وفى الحديث (لم يكن رجل من قريش الا له جدم بمكة) .

(2) **بنو لوا** الأكبر بن زحيك بن مادغيس الأبتري ، ومنهم بطنان عظماء **نقزاة** بنو نقزاد بن لوا الأكبر ، **ولواتة** بنو لوا الأصغر المسمى باسم أبيه .

(3) **نفوسة** بنو نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتري ، وهم من أوسع قبائل البتر وفيهم شعوب كثيرة .

(4) **ضريسة** (85) بنو ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتري ، ويجمعهم جذمان عظيمان : بنو تمصيت بن ضريس ، وبنو يحيى بن ضريس .

وقبائل البربر البتر في معظمها قبائل رحالة بدوية تنزل بسلسلة الأودية الرعوية الممتدة امتداداً متصلاً من طرابلس الى تازة ، وتنتشر في أقاليم النخيل الممتدة من غدامس الى السوس الأقصى ، وتكون غالبية سكان القرى الصحراوية ، ومنها قبائل بالمناطق التلية ، وقد أصبحوا يحكم لصوقهم بهذه الأوطان أهم قبائل البدو بالمغرب وأكثرها نقلة وترحالاً ، وتمتاز بالروح الحربية العالية والتفوق في القتال ، وفرسانها من أشجع فرسان البربر قاطبة ، وقد قامت بدور من أكبر الأدوار في نشر الإسلام بالمغرب والأندلس والصحراء وتحملت تضحيات كبيرة في جهاد أعداء الدين .

أما اعتزازها بالنسبة العربية فلا يعادله اعتزاز ، وقد استمسك بها كتابها وشعراؤها وافتخروا بها على من عداهم ، وألقوا بها حجراً أفواه الساعين في تاريت نار العصبية بين العرب والبربر .

فمن ذلك قول عبدة بن قيس العقيلي :

توقف هداك الله سبيل الأطايب	الا أيها الساعى لعرقة بيننا
نمانا وهم جد كريم المناصب	فأقسم أسا والبرابر أخوة
وفي حومة يشفى عليل المحارب	أبونا أبوهم قيس عيلان في الذرى
على رعم أعداء لثام المناقب	فنحن وهم ركن منيع وأخوة
وبر لنا ركن رفيع المساكب	فانا لمر ما بقى الناس ناصر

(85) كتب هذا الاسم في جمهره ابن حزم ومواضع من تاريخ ابن خلدون ص ١٠٠ ، وكتب ضريس الذي ينسب اليه العقيل ص ١٠١ ، وفي مواضع أخرى من تاريخ ابن خلدون وكتب كثيرة مرة كتب ضريسة وضريس .

بعد لمن عادى سوابق صمراً
وبر بن قيس عصبة مضرية
وقيس قوام الدين في كل بلدة
وقيس لها المجد الذي يقتدى به
وبيضاً تقط الهام يوم المضارب
وفي الفرع من أحسابها والذائب
وخير معد عند حفظ المناسب
وقيس لها سيف حديد المضارب

ومن ذلك أيضاً قول يزيد بن خالد يمدح البربر :

أيها السائل عنا اصلنا
نحن ما نحن ؟ بنو بر الندي
وابتنى المجد فأورى زنده
ان قيساً يعتزى بر لها
ولسا المخر بقيس انه
ان قيساً قيس عيسلان هم
حسبك البربر قومي انهم
وبيض تضرب الهام بها
أبلغوا البربر عني مدحاً
قيس عيسلان بنو العز الأول
عرف المجد وفي المجد دخل
وكفانا كل خطب ذي جليل
ولبر يعتزى قيس الأجل
جدنا الأكبر فكاك الكبيل
معدن الحق على الخير دليل
ملكوا الأرض بأطراف الأسل
هام من كان عن الحق نكل
حيك من جوهر شعر مستحل



البربر البرانس

هاؤلاء هم البربر المستقرون الذين ينزل معظمهم فى المناطق الساحلية القريبة من البحر والأخرى الجبلية الممتدة عبر المغرب ، وفى هذه المناطق التى تطيب فيها التربة وتكثر الأمطار تكون الزراعة ميسورة والحياة المستقرة بداعى المصلحة أمراً مفروضاً ، وقد تمكنت قبائل البرانس بحكم استقرارها ومجاورتها لسيف البحر ان تتحضر وتتأهل المال وتسميد مما كان المهاجرون والقاتحون الأجانب ياتون به من مدييات وثقافات ، كما سم فيها لنفس السبب روح المعاومة وكثر تعلقها بالأرض التى تقيم فيها والى لم نألف ان تبرحها كالبتتر الرحل ، وهذا ما جعلها تستमित فى مقاومة العرب لأول الفتح الاسلامى بينما وضع البتر أيديهم فى أيدي العرب لتشابه الحياه عند الغريقين واستهدافهما لكثير من المقاصد المنبعثة عن غرائز طبعها أو عادات ألعاما .

وقد وصفهم ابن خلدون فقال انهم كانوا على عهده من أوفر فئائل البربر وأكثر أهل المغرب ، فلا يكاد قطر من اقطاره يخلو من بطن من بطونهم ، فى جبل أو بسيط ، حتى زعم كثير من الناس أنهم الثلثان من البربر ، وكان لهم فى الحروب ذكر ، وفى الخروج على الأمر شان .

اما شعوبهم فاتفق النسابون على انها منحصرة فى سبعة :

أ - **أزداجة** : ويعرفون أيضاً بوزداجة ، ويعددهم بعض النسابين البربر من البتر ، ويقال ان ازداجة من زناتة ، ووزداجة من هواة .

ب - **أوربة** : بنو أورب بن برنس ، وهى بفتح الألف وفتح الواو وسكون الراء ، وتعرف اليوم بوربة فقط .

ت - أوريقة : بنو أوريغ بن برنس ، ويؤم كثير من النسابة أنهم يرجعون إلى أصل عربي .

ث - كتامة : بنو كتام أو كتيم بن برنس ، ويؤكد سسابو العرب أنهم عرب حميريون .

ج - مصمودة : بنو مصمود بن برنس .

ح - صنهاجة : بنو صنهاج بن برنس ، ويؤكد النسابة العرب أنهم من العرب الحميريين مثل كتامة ، وأصل الكلمة صناك بالصاد المشم بالزاي والكاف القريب من الجيم (الزناكة) إلا أن العرب نقلوه إلى لسانهم وزادوا فيه الهاء بين النون والالف .

خ - عجيسة : بنو عجيس بن برنس ، وأصل عجيس عدس بتشديد الدال ومعناه البطن بالبربرية ، فلما عربيه العرب قلبوا داله جيماً محملاً .

وقد زاد النسابة البربري سابق المطماطي وأصحابه لمطة و هسكورة و كزولة في شعوب البرانس ، وأنكر نسابون آخرون أن تكون صنهاجة وكنانة من شعوبهم مؤكداً أنهما شعبان عربيان تخلفا في المغرب بعد غزوة قام بها العرب في زمن سحيق ، ومثل هذا ادعوه في حق زناقة بالنسبة للبربر البتر ، وكيفما كان حجج المثبتين والمنكرين فالشيء المحقق هو أن هذه القبائل وغيرها من القبائل المتنازع في نسبها كانت معروفة في المغرب من قديم ، وموجودة فيه قبل وفادة العرب الجدد الذين جاءوا إليه مع الاسلام ، فلذلك سندكرم مع قبائل البربر مشيرين إلى ما وقع من الخلاف في انسابهم وتواريخ استقرارهم بالمغرب لدى الكلام على كل قبيلة .



شعوب البستر

1 - شعب اداسة

بنو أداس بن زحيك بن مادغيس الأيتر ، اختلطت قبائلهم بقبائل
هواراة البرنسبة ، لأن أم أداس تزوجها بعد زحيك ابن عمه أوريج بن برنس
والد هواراة على القول بأن مدغيس وبرنس اخوان .

من أشهر قبائلهم :

أ - أندارة (86)

ب - أوطيطة

ت - ترهونة (87) باسمها سميت مدينة ترهونة قرب طرابلس ،
ومها فرقة مستقرة على عدوتي وادي لكوس شمال مدينة وزان بالمغرب الأقصى ،
تعرف باسمها الأصلي المغرب : رهونة .

ث - صنبرة (88)

ج - هداغة

ح - هنزولة (89)

خ - وشتانة (90) منها قبيلة معروفة باسمها مستقرة بالجبال
القريبة من نهر مجردة بالقطر التونسي ، وكانت فرقة منها تسكن جبل زالغ
المشرف على مدينة فاس ، واليها يسبب الموضع المسمى باب وشنانة منه .

(86) كتبت أيضاً أندرة ووالدة .

(87) كتبت أيضاً خطاً ترهنة .

(88) كتبت أيضاً صنبرة .

(89) كتبت أيضاً خطاً هيرونة وحرورقة وعترونة وهنزورة .

(90) كتبت أيضاً خطاً وسفارة ووشنانة .

2 - شعب لواتة

هم بنو لوا (بضم اللام) الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك بن مادعيس الأبتى ، ذكر النسابة أن لوا الأكبر خلف ابنه لوا الأصغر حملاً فسمى باسم أبيه .

وكانت القبيلة تدعى فى الأصل لوات على عادة البربر فى إضافة الألف والهاء إذا أرادوا التعميم فى الجمع ، فلما جاء العرب حملوه على الأفراد والحقوا به هاء الجمع فصار لواتة .

ذكر لابن حزم فيما يرويه فى الجهمرة (91) أن نسابى البربر يزعمون أن لواتة ومزاتة وسدراتة من القبط ، وأنكر ذلك ابن خلدون بشدة قائلاً . ليس ذلك بصحيح ، وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر فى ذلك . وقبائل لواتة كثيرة جداً ، يرجع المعروف منها الى أربعة من أبنائه : راير ، وكطوط ، وماصل (92) ، ونيطط .

فمن ابنه زاير :

أ - مزينة - من أكبر قبائل لواتة ، ما زالت فرقة منها بالمغرب الأوسط معروفة باسمها الأصلي قرب مدينة سطيف .

ومن ابنه كطوط :

ب - جدانة - ربما كانت منها قبيلة كدانة (بجيم بدوى) احدى قبائل أولاد سعيد بشاوية المغرب الأقصى .

ت - مفاغة

ومن ابنه ماصل :

ث - عزوذة - ما زالت بقية منها قرب مرسى أزفون بجبال زاوطة من المغرب الأوسط معروفة باسمها الأصلي .

(91) جهمرة أنساب العرب ص 498 .

(92) كتب أيضاً ماضل وماصلة .

ج - اكودة (93)

ج - جرمانية : عدما سابق المطاطى من بطون ماصل اللواتيين ، منها بطن مندمج فى قبيلة بنى محمد القريبة مساكنها من بجاية .

خ - مفانة : يوجد بطن بهذا الاسم مندرج فى قبيلة الدواير بحوز وهران .

ومن ابنه نيطط :

د - سدواتة : وهم بطون كثيرة اختلطت بقبايل مغراوة وبتونها ، قال ابن حزم فى الجمهرة : ويقال أن مغراو - وهو من زناتة - تزوج أم سدرات ، فصار سدرات أخا أولاد مغراو لأهمهم واختلط نسبه بهم (94) ، ولهذه القبيلة فروع كثيرة وبتون عديدة مستقلة بنفسها ومعروفة باسمها الأصلي أو مندمجة فى غيرها ومعروفة بأسماء فرعية ، منها قبيلة سدراتة قرب مدينة برج بوعريرج بالمغرب الأوسط ، وقبايل (آيت سدرات) القريبة من وادى درعة بالمغرب الأقصى .

كانت قبيلة لوانة تقيم بمواطنها الأصلية بالأقاليم الشرقية وخاصة سرفه وعلى حدود مصر ، وكانت لهم فى الماضى مدن عريقة مثل لبدة ورويدة وبره وفصر حسان . ولما بدأ المسلمون محاولاتهم الأولى لفتح الشمال الأفريقى كانت لوانة أول قبيلة واجهوها فأسلمت وأعانتهم على الفتح وانساحت معهم الى جهات طرابلس وشط الجريد وجبل أوراس ومنطقة الزاب ، وانتشرت بتونها وفروعها الكثيرة بعد ذلك فى جميع بلاد المغرب من نهر النيل الى المحيط الأطلسى ، فمنهم بواحات مصر وقرى الصعيد والجبال المعروفة بهم قبلة قابس وصفاقس ، وأحياء بالجبال المطللة على سهل متيجة ، وبسيط تاكرات الغرب من بجاية ، وبجهات وادى مينا (وهران) ، وفاس وتادلة من المغرب الأقصى ، وقد اندثرت بعض البتون والأحياء اللواتية اليوم من تلك الجهات أو اندرجت فى قبائل طرات عليها ، ولكن بعض القرى بقى مع ذلك يحمل اسمها لسكنائها بها فى القديم .

(93) كذا كتبت فى جمهرة ابن حزم وتاريخ ابن خلدون وكتبت فى الأخير أيضاً اكودة ويطلب عل الظن أنه تصحيف .

(94) جمهرة أنساب العرب ص 497 .

3 - شعب نفزاوة

هم بنو يطوفت (95) بن نفزاو، بن لوا الأكبر، بن زحيك بن مادغيس الأبتري ، وينطق زاي نفزاوة بين الزاي والشين .

كانت قبائل نفزاوة تقيم في الأول جنوبي شط الجريد وما يتاخمه من اقليم طرابلس شرقاً وصحراء عمالة قسنطينة غرباً حتى سميت المنطقة كلها بلاد نفزاوة ، ثم تفرقت تلك القبائل بعد ذلك في سائر المغرب حاملة معها أسماءها الفرعية ولم تبق الا قبيلة واحدة صغيرة تحمل الاسم الأصلي بشط الجريد ، ويقال أن قبيلة نفزة الموجودة في شمال القطر التونسي هي إحدى قبائل نفزاوة ، وان اسمها عرب واختصر أثناء فرارها أمام الزحف الهلال من مواطنها الأصلية بالجنوب إلى مواطنها الجديدة بالشمال .

من أشهر قبائلهم :

أ - **زاتيمة :** (96) بهذا الاسم تعرف اليوم منها قبيلة تسكن على بعد 50 كلم الى الجنوب الغربي من مرسى شرشال ، بعمالة الجزائر .

ب - **وهيلة :** كانت بقيتهم في عهد ابن خلدون بواحي بادس مدمحون في غمارة ، وكان منهم لعهد مشيخته أبو يعقوب البادسي أكبر الاولياء وآخرهم بالمغرب .

ت - **مجر :** (97) لعلها بفتح الميم وسكون الجيم وضم الراء مع مد ، فاذا كانت كذلك فبقاياها مندمجة في قبيلة زروال المغربية (بطن بني مجرو)

ث - **مونيصة :** قال ابن خلدون لا يعلم لهم موطن ، ومن أعقابهم اوزاع بين احياء العرب بافريقية، منهم قبيلة شهيرة تحمل الاسم نفسه مستقرة شمال اقليم تازة من المغرب الأقصى .

ج - **مكلاقة :** عدما ابن حزم في الجمهرة من قبائل نفزاوة ، وكذلك ابن خلدون فيما نقله عن سابق المطماطي ، لكنه أورد قولاً ضعيفاً ينفي نسبتها

(95) يكتب وينطق أيضاً يطفن بنون مد ، ومنه قبيلة بني يطفن شمال المغرب الأقصى .

(96) كتبت زيتم في جمهرة ابن حزم .

(97) كتبت أيضاً مجر .

الى نفزاوه و يرفع نسبها الى حمير ، ويذكر ان مكالات وقع الى يطوفت بن نفزاو صغيراً فبناه فقط ، كانت مواطنها غير بعيدة عن مكناس ، وذكر البكرى أنها واقعة في الطريق بين فاس وسجلماسة على بعد مرحلتين جنوب مدينة صفرو ، ويعرف بها موضع قرب مدينة فضالة بالمغرب الأقصى ، وتنسب اليها أسر نبيها .

ح - غساسة : سكنت منها فرقة بساحل بطوية من ريف المغرب الأقصى ، واليها تنسب قرية غساسة المسماة لمدينة مليلية من الجهة الغربية ، وكانت في الماضي حاضرة البحر ومرسى أساطيل المغرب ، وهي من المدن المغربية التي وصفها لسان الدين بن الخطيب في كتابه (معيار الاختيار) في ذكر المعاهد والديار) ، والقبيلة مندرجة اليوم في قبائل قلعية ، وقد تنوسى اسمها الأصلي ولم تبق الا أسماء أسر تذكر به ، كما اندثرت القرية نفسها وبقيت منها أطلال واسم ميربر .

خ - سوماتة : كانت بقية منها في جهات القيروان ، واستقرت فرقة منها قرب مليانة بالمغرب الأوسط ، وفوق ترابها توجد اليوم قرية حمام ريفنة وقرية بومدفع ، واستقرت فرقة أخرى ببجبال الهبط من المغرب الأقصى ، وهي معروفة باسمها الأصلي بين قبائل جباله باقليم تطوان ، وباسمها المبربر تسمى قرية (يسوماتن) من قرى قبيلة بني جناد ببجبال زاوارة بالقطر الجزائري .

د - ورغوس : كذا كتبت في جمهرة ابن حزم ، وكتبت في تاريخ ابن خلدون ووردغوس والظاهر أن الأول أصح لوجود ما يدل عليه في كتب أخرى ككتاب المسالك والممالك (98) الذي ذكر قبيلة ورغوس من جملة القبائل البربرية التي كانت تسكن مدينة تيجس العتيقة ، وتوجد اليوم بحوز بسكرة قبيلة تسمى ودغروس لعلها من بقايا القبيلة المذكورة .

ذ - وددين

ر - دركول (99)

ز - وسيف : (100) منها اليوم فرقة ببجبال زاوارة من المغرب الأوسط

(98) كتاب المغرب ، في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص 63 .

(99) كتب في جمهرة ابن حزم ورجول ، وأحسبه تصحيحاً لاسم دركول الذي توجد منه بطون كثيرة بالمغرب .

(100) كتبت أيضاً ورسيف في تاريخ ابن خلدون .

يعرفون بنى زسييف ، وفرقة (آيت وسييف) باقليم سوس ويطون مندرجه فى مسائل رعيطة ومتناكة ومكوّنة وسكساوة من المغرب الأقصى .

ط - ولهاصة : أكبر قبائل نفزاوة ، سميت باسم أبيها ولهاص ، بن يطوفت ، بن نفزاو ، والى ولديه ترغاش ودحية تنتمى بطونها العديدة ، تسكن اليوم فرقة من قبيلة ولهاصة على عدوتى نهر تافنا عند مصبه بالبحر المتوسط . شمال تلمسان ، وتسكن فرقة أخرى منها ببسيط عنابة جنوب بحيرة فزارة كانوا فى زمن ابن خلدون بركبون الخيل وياخذون بمذاهب العرب فى زيهم ولقتهم وسائر شعارهم كما هو حال هواة ، ودخلت منها فرقة أخرى الى الأندلس مجاهدة تنسب اليها أسر أندلسية مجيدة كاسرة الفاضى منذر بن سعيد البلوطى .

4 - شعب نفوسة

بنو نفوس بن زحيك بن مادغيس الأثر .
قال ابن خلدون : هم بطن واحد تنسب اليه نفوسة كلها ، وكانوا من أوسع قبائل البربر وفيهم شعوب كثيرة .
كانت مواطن جمهورهم باقليم طرابلس ، واليهم ينسب الجبل المشهور الواقع قبلها ، وكانت مدينة صبرة فى مواطنهم وتعزى اليهم ، وهى كانت باكورة الفتح لأول الاسلام وخربها العرب بعد استيلائهم عليها فلم يبق منها الا الأطلال ورسوم خافية ، ثم تفرقوا بعد ذلك بعمليات مصر والمغرب من أشهر قبائلهم :

أ - بنى زمور : وهم غير قبائل زمور وزمورة البرنسيين ، ولكنهم يختلطون بهم ويلتبسون للاسم الموحد لكلا الفريقين .

ب - ماطوسة : توجد بقاياها مندرجة فى قبيلة بنى خلفون على الضفة اليمنى لوادى يسر شرقى الجزائر .

ت - بنى مسكور (IOI) منهم بطن مدمج فى قبيلة آيت ونير الساكنة قرب زاكورة بالمغرب الأقصى .

5 - شعب ضريسة

بنو ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبر .

تنتمي قبائلهم كلها الى ولديه تمصيت (102) ويحيى .

فمن ولد فاتن بن تمصيت :

أ - **دونة** : (103) اخوة مميلة ومعدودون منها ، منهم فرقة مندمجة في قبيلة بني بودرار بجبال جرجورة بالمغرب الأوسط ، وأخرى (ودرنة) بجنوب القطر التونسي .

ب - **كشانة** : هم أيضاً اخوة لمخيلة ومعدودون منها ، منهم فرقة مندرجة في قبيلة البهايل القريبة من صفرو بالمغرب الأقصى .

ت - **كسومية** : يكاف بدوي ، كانوا يعرفون قديماً بصطمورة أو صدفورة ، ولهم ثلاثة بطون منها تفرعت قبائلهم وبطونهم : ندرومة وصقارة وبني يلول ، وكانت مواطنهم الأصلية بجبال ترارة الواقعة على سيف البحر شمال عرب تلمسان ، وهم قبيل عبد المومن بن علي مؤسس دولة الموحدين من بني عابد منهم ، خف جمهورهم الى مراكش وسكنوها على عهد الدولة الموحدية فاعتضد بهم خلفاؤها وأنفقوهم في الفتوح والعسكرة فاكلهم الأقطار فانقضوا وبقيت منهم بمواطنهم الأصلية بقايا .

ث - **لماية** : من اكبر قبائل ضريسة وأوفرها عدداً ، كانوا طواعن بإفريقية والمغرب وجمهورهم موطناً بالنخوم الجنوبية مما يلي الصحراء ، وهم الذين نزل عليهم عبد الرحمان بن رستم مؤسس الدولة الرستمية فبايعوه بالخلافة وبنوا له مدينة تيهرت ، ثم اكلتهم الحروب التي حدثت فيما بعد بين الممالك والامارات المغربية وخربت تيهرت التي اختطوها فهلكوا بهلاكها وبقيت منهم فرق أوزاعاً في القبائل ، باسمهم سميت قرية لماية الواقعة بين زوارة وطرابلس .

(102) يكتب ويقرأ أيضاً تمريت .

(103) كتبت أيضاً دونة .

ج - مديونة : من أشهر قبائل المغرب ، كان جمهورهم بنواحي تلمسان بين جبل بني راشد والجبل المنسوب اليهم قبلة وجدة ، ودخلت منهم جماعات وفيرة العدد الى الأندلس مع طلائع الفتح الاسلامى فكان لهم بها استفعال ، ثم زاحمتهم القبائل فى بلادهم حتى ألجأتهم الى حصون جبل تاسالة وجبل وجدة ، منهم فرق معروفة باسمها الاصل بالمغربين الاقصى والأوسط ، وبطون مندرجة فى قبائل أخرى ومواضع مسماة باسم القبيلة أو مضافة اليه .

ح - مطاطة : اسم أبيهم مصكاب ، ومطاط ليس الا لقباً له ، وتعتبر مطاطة شعباً لاشتمالها على قبائل عديدة لا يخلو منها مكان بالمغرب ، واليهم ينسب الجبل الشهير الواقع فى جنوب القطر التونسى وسيأتى الكلام مفصلاً عنهم فى القسم الثالث من هذا الكتاب .

خ - مطقرة : (104) من أوفر قبائل ضريسة ، كان جمهورهم بالمغرب الأقصى على عهد الفتح الاسلامى ، وساهموا فى فتح الأندلس مع طارق ابن زياد وأجازت منهم أمم اليها بعد ذلك واستقروا بها ، وهم موجودون اليوم بنواحي تلمسان وفاس وقرى تافيلالت وتوات ، ومنهم أوزاع فى أعمال المغرب الأوسط وافريقية .

د - مغيرة : كان منهم جمهوران أحدهما قرب مصب وادى شلف بالمغرب الأوسط ، والآخر بالمغرب الأقصى ، وهم احدى القبائل التى قامت بنصره الامام ادريس بن عبد الله الكامل لما حل بالمغرب وحملت البربر على طاعته والدخول فى أمره ، لم يبق منهم على عهد ابن خلدون بمواطنهم الشرقية جمع ولا حى ، وأكثريتهم موجودة اليوم بناحية فاس وصفرو وتازة من المغرب الأقصى .

ذ - مدينة : احدى القبائل التى قامت مع مغيرة لنصرة ادريس ابن عبد الله الكامل ، منها بطن مندرج فى قبيلة شراكة قرب فاس ، وبها سميت قرية قرب تطوان .

(104) تكتب أيضاً بدال مديونة ، وعد فرق النسابون والمؤرخون بين مطقرة تلمسان ومدينة تافيلالت والمغرباء فجمعوا الأولى بالطاء والثانية بالذال .

ومن ولد يحيى بن ضريس :

ز - زناتة : من ولد أجانا أو زانا (105) بن يحيى بن ضريس ، اضميحت اليه الألف والنساء للتعميم عند الجمع على طريقة البربر فصارت جانات أو زانات ، فلما عربيه العرب عاملوه معاملة المفرد وأصافوا اليه هاء الجمع فصار زناتة ، وقيل فى نسبهم أنهم عرب كما سيأتى فى القسم الثالث . وهذا الشعب من أكبر شعوب البربر على الإطلاق تسنموا ذروة الملك والامارة فى الاسلام مرات عديدة ، فمنهم بنو مدرار ملوك سجلماسة ، وخلفاء الموحدين ، وبنو مرين ملوك فاس وبنو عبد الواد ملوك تلمسان وسواهم ، وتنضوى تحت زناتة قبائل كثيرة وبطون عديدة ، وكانت مواطنهم الأصلية بصحراء المغرب ما بين غدامس الى وادى الساوره ، ثم طلعت منهم جماعات الى التل فاستوطنت المغرب الأوسط وملأت سهوله وجباله حتى سمي وطن زناتة كما استوطنوا القسم الشرقى من المغرب الأقصى الى جبال تازة ، وهم موجودون اليوم فى كل مكان بالبلاد المغربية ، معروفون باسمهم الأصل أو بأسماء قبائلهم وبطونهم الفرعية ، وسيأتى تفصيل الكلام عليهم جميعاً فى القسم الثالث من هذا الكتاب .

ظ - زوارة : منهم بطون مندمجة فى قبيلة بنى موسى (دوار سيدى حمودة) وقبيلة صنهاجة (دوار الشركة) وقبيلة أولاد عطية (دوار الصوادق) بالمغرب الأوسط ، وبهم سميت المدينة الساحلية الواقعة الى الغرب من طرابلس ، وقد التفتت هذه القبيلة على كثير من المؤرخين والنسابين فحسبوها قبيلة زوارة التى يرجح أنها من بربر كتامة البرانس .

ك - زواغة : بنو سمكن (106) بن يحيى اخوة زوارة ، ينقسمون الى ثلاثة بطون : بنو دمر بن زواغ ، وبنو واطيل بن زحيك بن زواغ ، وبنو ماجر ابن تيفون بن زواغ ، وهم أوزاع فى القبائل منتشرون فى جميع البلاد المغربية ، منهم قبيلة معروفة باسمهم الجامع فى ناحية فج مزالة بالقطر الجزائرى ،

(105) ويكتب أيضاً شانا بالشين .

(106) توجد بأفليم وزواغات من المغرب الأقصى قبيلة تسمى آيت سمكن .

وكانت منهم في أول الفتح الاسلامي فوفة بظاهر فاس اليها ينسب بسيط
زواغة الواقع بينها وبين صفرو وجبل كندر .

ل - مكناسة : هم في الحقيقة شعب كبير تطوى تحنه جميع بطون
مكناسة واوكته وورتناج أبناء ورسطف بن يحيى بن ضريس والقبائل المتفرعة
عنها ، كانت مواطنهم الأصلية على وادي ملوية من لدن منبعه بجبال الأطلس
المتوسط الى مصبه بالبحر الأبيض وما يقارب ذلك الوادي من جبال وسهول ،
وباسمهم سميت مدينة مكناس الحاضرة المغربية الشهيرة ، ولا تزال
بقاياها بجوار تازة تدعى باسمها الأصلي ، وكذلك توجد قبيلة منها تحمل نفس
الاسم قرب مدينة عمى موسى بعمالة وهران ، وتوجد أوزاعها وقبائلها
الفرعية بسائر أقطار المغرب العربي ، ودخلت منها فرق الى الأندلس نبه منها
بعض البيوت كبيت بنى وانسوس رهط الوزير سليمان بن وانسوس .



شعوب البرانس

1 - شعب أزداجة

يعرفون أيضاً بوزداجة ، وكثير من نسابة البربر يعدونهم فى بطون زناتة ، وقد يقال أن أزداجة من زناتة البثرية ، ووزداجة من هواة البرنسية .

كانت مواطنهم بناحية وهران من المغرب الأوسط ، وكانت لهم كثرة ووفور ، واعتزاز وآثار فى الفتن والحروب الى أن استأصلهم يعلى بن أبى محمد اليمرسى بأمر الخليفة الناصر الأموى سنة 443 وهجر الرؤساء منهم الى الأندلس فلم يبق منهم الا أوزاع تقيم على حال من السذل والهضيمة وتتنظم فى عسداد القبائل الفارمة .

من بطونهم :

أ - مسطاسنة : يقال أنهم بطن مندرج فيهم فقط ، ويقال أيضاً أنهم ولد مسطاس أخى أزداج ، منهم أوزاع بالمغرب الأقصى ، وأسرة شهيرة .

ب - بنى مسكن بجيم بدوية كانوا مجاورين لوهران .

2 - شعب أوربة

ولد أورب بن برنس ، كانوا من القبائل التى لها الكثرة والغلب لعهد الفتح الاسلامى لوفرة عددهم وشدة بأسهم وكان أميرهم يومئذ سكرديد بن زوغى بن بارزت بن برزيات توفى سنة 71 هـ بعد ما ولى عليهم 73 سنة ، لا تزال بقاياها بناحية تازة معروفة باسمها الأصلى المغرب (وربة) ، وتزعم قبيلة آيت وديبل أنها منحدرة منها .

من قبائلهم :

أ - ديقوسة

ب - رغبوة : لا تزال معروفة بهذا الاسم شمال اقليم فاس ، ومنها بطن مدرج في قبيلة التلاعمة (دوار راس سكين) بالمغرب الأوسط .

ت - زهجوكة : كتبت في تاريخ ابن خلدون زهكوجة ، وينطق بها اليوم محلياً جهجوكة أيضاً ، كانت موطنها بجهات القصر الكبير من المغرب الأقصى ، وبها سميت قرية هناك ذكر البكري أنها كانت مقر أحد أمراء الأدارسة ، وزهجوكة مشهورة بين قبائل جباله بالرقص والغناء وتضرب بها الأمثال في ذلك .

ث - بجاية : لامها أصل كلام لمدينة و لمثونة الصنهاجيتين ، ما تزال موحودة قرب وادي ورغة شمال اقليم فاس ، وقد حرفت الى بجاية في النسخ المطبوعة من تاريخ ابن خلدون ، والصواب هو ما أثبتناه ، لأن بجاية بعيدة عن موطن أوربة ، ومعدودة من قبائل كتامة أو صنهاجة بالمغرب الأوسط كما سيأتي .

ج - مزبانة : تعرف اليوم بمزبات فقط ، موطنها قرب وادي ورعة شمال اقليم فاس .

ح - نفاسة

خ - ونيجة

3 - شعب أوريفة

ويقال لشعب أوريفة وريفة أو ريفة اختصاراً ، ويقال لهم أيضاً هواره تغليباً ، وهم بنو أوريف بن برنس .

زعم كثير من النسابين أن شعوب أوريفة وقبائلها من عرب اليمن ، وقيل من عاملة إحدى بطون قضاة ، أو من ولد المسور بن السكاسك بن وائل ابن حمير ، وإذا تحروا الصواب في نسب أوريف قالوا انه ابن خبور بن المشني ابن المسور ، وعند هاؤلاء النسابين أن هواره وصنهاجة ولمطة وكزولة وهسكورة اخوة يعرف جميعهم ببني ينهل وأن المسور جددهم جميعاً وقع الى

البسر ونزل على بنى زحيك بن مادغيس الأبتري ، وكاسوا أربعة - أداس ،
وصريس ، ولوا ، ويعوس ، فزوجه اختهم تيصكي (107) العرجاء بنت زحيك .
وبطون أوريفة التي تنفرع عنها شعوبهم وقبائلهم كثيرة جداً فيها
من أبناء أوريف وفيها من أبناء غيره ، وقد تقدم أن قبائل أداسة البترية اندمجت
في هواراة منهم ، كما اندمج فيهم عدد آخر من القبائل البرنسية قبل الاسلام ،
ومن القبائل العربية بعده .

وكانت مواطن جمهورهم لأول الفتح الاسلامي بنواحي طرابلس وما
يليه من برقة ، طواعن وأهلين ، ثم انساحوا مع الزخوف الاسلامية الى سائر
جهات المغرب والصحراء ، وعبروا البحر مجاهدين الى الأندلس مع طارق بن
زياد ، والى صقلية مع أسد بن الفرات ، وكانت لهم وقائع وأيام وحوادث وآثار
كثيرة في القرون الأولى التي تلت دخول المسلمين الى البلاد المغربية .

ويندرج تحت اسم أوريفة أربعة شعوب وعدد من القبائل والبطون .
أما الشعوب فهي المتنسلة من أبناء أوريف الأربعة :

- 1 - ملد بن أوريف ويقال لقبائله بنو لهان أو لهانسة فقط .
- 2 - مقر بن أوريف وينطق ويكتب أيضاً مقر بالعين على عادة أهل
الصحراء في قلب القاف غيناً .
- 3 - قلدن بن أوريف .
- 4 - هوار بن أوريف .

أما القبائل والبطون المندمجة فيهم فمنهم قبائل شعب أداسة التي
سبقت لدى الكلام على شعوب البتر ، يقال أن أم أداس تزوجها بعد زحيك بن
مادغيس الأبتري - أوريف بن برنس فاختلط نسب أداسة مع نسب أوريفة
بسبب ذلك ، ومنهم قبائل برنسية وأخرى عربية شاركتها في المواطن
والمراعي طوعاً أو كرهاً ، ورافقتها في الزخوف والمرابط فأصبحت وإياها
شيئاً واحداً .

(107) تكتب أيضاً وتمنق تيسكي وتيزكي .

وحميع هذه الشعوب والقبائل والبطون الوريقية غلب عليها اسم
هواره ، لأن هوار بن أورينج أكبر اخوته سنًا وأسيرهم ذكرًا فانتسبوا اليه
جميعاً .

فمن قبائل لهانة بنى لهان بن ملد بن أورينج :

أ - اسيل

ب - سطات : كتبت في تاريخ ابن خلدون سطط ، وفي جمهرة
ابن حزم سئات ، لعل اليها نسبة المدينة القريية من الدار البيضاء ، وليس
منها قبيلة سطة الشهيرة باقليم فاس ، فهذه من شعب صنهاجة كما سيأتى .

ت - مليلة : من أكبر قبائل البلاد المغربية لها فروع في جميع
الجهات مسنعة بنفسها أو مندمجة في غيرها ، وينسب اليها عدة مواضع .

ث - مسراقة : باسمها سميت المدينة الطرابلسية الشهيرة .

ج - ونيفن : عدما سابق المطماطى في جملة قبائل لهانة .

ح - ورقل : لعل منها بطن ورقلة المندرج في قبيلة أولاد سبدي
يحبى (دوار ابن الكفيف) المستقرة قرب تبسة بالمغرب الأوسط .

ومن قبائل مقر أو مقر :

خ - زمور : يوجدون بكثرة في جميع البلاد المغربية .

د - كبا : كذا وردت في جمهرة ابن حزم وكتبت (كباد) في تاريخ
ابن خلدون .

ذ - كركودة : من القبائل التي زادها سابق المطماطى وأصحابه .

ر - ماواس : منهم فروع بالمغرب كانت مندرجة في قبيلة بطوية .

ز - منداسة : أبناء منداس بن مقر ، اليهم ينسب وادى منداس من
عمالة وهران وكانت مواطنهم هناك الى أن استفحل أمر مطماطة فأخرجوا
منداسة منها وغلبوهم على أمرهم ، وهم قبيل سعيد بن عبد الله المنداسى الشاعر
الفعل صاحب (العميقة) في مدح الرسول ومادح السلطان مولاى اسماعيل
ابن الشريف العلوى .

ط - مسراى : وكتبت أيضاً مسراى ومسرات .
ظ - ورجسين : عدما سابق وأصحابه فى بنى مقر ، وهم موجودون
اليوم قرب عنابة معروفون باسمهم الأصل : بنى ورجين .
ومن قبائل فلدن :

ك - بيانة : كتب أيضاً بيانة .
ل - فل : كتب أيضاً فل ، ويظهر أن الأول أصح لوجود ما يدل
عليه من أسماء القبائل البربرية مثل آيت وفلة .
م - قمصانة : كتب أيضاً قمصانة .
ن - ورصطيف : كتب أيضاً ورصطيف .

ومن ولد هوار بن أوريج قبائل بنى كهلان التى هى :
ص - زكاوة : يوجدون بناحية شرشال والأصنام بالمغرب الأوسط ،
وبجبال الهبط بالمغرب الأقصى ، وقد كتب الاسم بالواو بدل الراء فى تاريخ
ابن خلدون (زكاوة) والأول أصح ، إذ لا تعرف قبيلة بالاسم الأخير فى
البلاد المغربية .

ض - مجريس
ع - مسلاتة
غ - غريسان : بها سميت قرية واقعة جنوب مدينة طرابلس .
ف - وورغة : لا تزال منها بقية بالجنوب التونسى ، واليها ينسب
نهر بشمال المغرب الأقصى كانت فرقة منها تسكن على عدوتيه .
ويقال أن من بنى كهلان الهواريين أيضاً قبائل ونيفن وورجين ومليلة
التي تقدمت ، وكذلك

ق - بنى كسى
س - لشوة
ش - هكارة : سكان المنطقة الوسطى والشرقية من صحراء المغرب ،

وبهم تعرف المنطقة كلها هكار ، وأصل هكارة هواره قلبت العجمة وأوا أعجماً يخرج بين الكاف العربي والقاف .

ه - هيوارة : عدما سابق وأصحابه من جملة قبائل بنى كهلان الهواريين ، وذكرهم ابن خلدون مع بطون بنى يلول من كومية .

و - ورتاكط

4 - شعب كتامة

من أشهر شعوب البربر وأشدهم قوة وبأساً وأكثرهم استغناء وتمرساً بالحضارة ، ينسبون الى أبيهم كتام أو كتم بن برنس ، ويؤكد الطبرى وابن الكلبي وغيرهما من نسابي العرب أنهم من حمير ، وأن امرئيش بن فيس ابن صيفي من ملوك التبايعه الذي افتتح افريقية بقبائل العرب في زمن قديم خلفهم وصهاجة به عند رجوعه من غزوته وسماهم البربر لما رأى من لعظهم وتغير لغتهم بعد اختلاطهم بأهل البلاد الأصليين عدة سنوات .

كانت قبائل كتامة موجودة من قديم في جميع نواحي المغرب ، الا أن جمهورهم كان عند الفتح الاسلامي موطناً بارياف اقليم قسنطينة وشرقي المغرب الأوسط على العموم من جبل أوراس جنوباً الى سيف البحر ما بين عنابة وبجاية ، وكانت لهم في تلك المواطن مدن مذكورة مثل سطيف وباغاية وتقاوس وبلزما وميلة وقسنطينة والقل وجيجل ، أكثرها لهم وبين ديارهم ومجالاتهم ، لكنهم تنكروا مع ذلك لنسبهم وأخذوا يفرون منه بعد ما أصبح المثل السائر في الدلة بن القبائل لما نكرتهم الدول بسبب انتحالهم لبعض المذاهب الشاذة ، ولم تبق منهم الا قبيلة واحدة معروفة باسمها الاصل مستقرة بشمال المغرب الأقصى .

ولكتامة قبائل وبطون كثيرة يجمعها كلها ابناء غرسن ويسودة .

فمن قبائل غرسن

- بنو يناوة وهم :

أ - **جيملة** : بكسر الجيم ومد وسكون الميم ، ما زالت معروفة الى اليوم بهذا الاسم ، وهي ساكنة على عدوتى وادى جندين بين جيجل وسطيف من المغرب الأوسط .

ب - **لهيصة** : لا تعرف مواطنهم ، ومنهم القائد الشهير أبو حميد دواس بن صولان اللهيصى الذى عقد له على تيهرت القائد عروبة بن يوسف الكتامى سنة 298 .

ت - **مسائلة** : توجد بقاياها اليوم معروفة بهذا الاسم مندرجة فى قبيلة الساحل القبلى (دوار تالا - ايماسين) بين أقبو وسطيف بالمغرب الأوسط .
- وبنو ينطاسن وهم :

ث - **اجانة**

ج - **أوفاس**

ح - **غسمان**

- وبنو أيان وهم :

خ - **ملوثة** : وتكتب أيضاً ملووسة بالسين ، منهم قبيلة شهيرة معروفة باسمها الى اليوم مستقرة بجوار المسيلة بالمغرب الأوسط ، وبطن مندرج فى قبيلة أنجرة بين سبتة وطنجة سميت به قرية دعاها أبو عبيد المكرى ملووسة ، ومن ملووسة أيضاً بنو زلدوى أهل الجبل المطل على قسنطينة .

- ومن قبائل غرسن أيضاً :

د - **ماوطن**

ذ - **معاذ**

ر - **قلان**

- ومن قبائل يسودة بن كتام :

ز - **دنهاجة** : منها بطن معروف باسمها الى اليوم مندرج فى قبيلة زرديزة (دوار بوطيب) المستقرة بين سكيمة وعابية ، وذكر ابن خلدون أن

الها تسبب قصور كتامة بالمغرب لعهد (108) ، وذكر أبو عبيد في المسالك والممالك مكاناً مسوياً بهم قريباً من جبل صرصر يسمى قصر دنهاجة ، قال انه على تل وتحته نهر عظيم وفيه آثار للأول ، وبه كان ينزل ملوك المغرب في قديم الدهر .

ط - متوسة : ما زالت معروفة بهذا الاسم الى الآن مع مجموعة قبائل الحراكلة قرب مدينة العين البيضاء بعمالة قسنطينة ، ومنها بطن مندمج في قبيلة جيملة الساكنة بن جيحل وسطيف يدعى متوسين .

ظ - فلاسة

ك - وريس

ل - زواوة : عدهم بعض النسابين اخوة زواغة البتريين من ولد سميكان بن يحيى بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتري ، واضطرب ابن حزم في الجمهرة فذكرهم مرة مع قبيلة ضريسة البتريّة (109) ومرة جعلهم من كتامة لما تكلم على البيوتات البربرية بالأندلس (110) وحصل مثل هذا التردد لابن خلدون فذكرهم مع البتر ومع البرانس مع ميله الى الاعتقاد أنهم من كتامة للموطن ونحله التشيع معهم لعبيد الله الفاطمي ، (والمواطن أوضح دليل عليه ، والا فأين مواطن زواغة وهي بطرابلس وبالمغرب الأقصى من مواطن كتامة) ؟ وهو يرى أن التصحيف هو الذي حمل على الغلط في نسبهم ، فقد صحف اسم زواوة بالزاي اخوة زواغة الى زواوة بالواو فاستمر التصحيف وجمعت زواغة وزواوة معاً في نسب سميكان . ويظهر لي أن ابن خلدون نفسه وقع هنا في خطأ بسبب التصحيف ، فالاسم الذي صحف وكسان مثار هذا الالتباس هو **زواوة** بالراء التي سميت بها مدينة وتعرف منها بطون الى اليوم ، وليس زواوة التي لا تعرف بين قبائل البربر في قديم ولا حديث .

(108) تاريخ ابن خلدون 6 ، 302 والمعروف أن مدينة القصر الكبير الواقعة بين ماس وطنجة هي التي كانت تعرف بقصر كتامة أو قصر عبد الكريم .

(109) جمهرة أنساب العرب ص 495 .

(110) جمهرة أنساب العرب ص 501 .

وزواوة فى الحقيقة شعب كبير يشتمل على عدد من القبائل ، وهم يسكنون الجبل المنسوب اليهم الواقع الى شرق مدينة الجزائر بين بجاية ودلس ، (وهو أعصم معاقلمهم وأمنح حصونهم ، فلهم به الاعتزاز على الدول ، والخيار عليها فى اعطاء المغرب (III)) ، ومنهم أوزاع مستقرة فى سائر البلاد المغربية . وسيأتى الكلام على قبائلهم وبطونهم مفصلاً فى القسم الثالث من هذا الكتاب .

م - **كنامة** : قبيلة مستقرة بأقليم الحسيمة من المغرب الأقصى ، وهى معدودة مع مجموعة **صنهاجة السراير** رغم اختلافهما فى النسب .

ن - **مصالة** : تنطق أيضاً مزالة بأشمام الزاى صاداً ، ما زالت معروفة الى اليوم باسمها ، مستقرة بالعدوة اليسرى لوادى يداس على بعد 26 كلم الى الشمال الغربى من مدينة بجاية ، والىها تنسب مدينة فج مزالة الواقعة الى الجنوب من مرسى جيجل .

ص - **بنى قنسيلا**

ض - **سدويكش**

ع - **بنى يستيتن** : يعرفون اليوم بستيتن وأهل ستيتن ، منهم قبيلة مستقرة قرب البيض على بعد 20 كلم الى الشمال الشرقى منها ، ومنهم فرقة مندرجة فى بنى كلال بجهة دبدو بأقليم وجدة .

غ - **هشتيو**

ف - **بنى تليلان** : ما زالوا موجودين معروفين باسمهم قرب الميلية بأقليم قسنطينة .

3 - شعب مصمودة

هم أقحاح البربر الذين لم يختلطوا بسواهم الا نادراً ، وأهل المغرب الأقصى الأولون المختصون بسكنى جباله منذ الأحقاب المتطاولة ، لم يخرجوا منه الا بعد مجيء الاسلام اما لنشره بين من يجاورهم من الأمم والشعوب ، واما لتوطيد نفوذ الامارات والممالك المغربية فيما خلف وطنهم من أوطان .

وهم أبناء مصمود بن برنس أبى شعوب البرانس

كانت مواطنهم الأصلية تبتدىء فى شمال المغرب الأقصى ، من حدود
بسلاد الريف من جهة الشرق الى المحيط الأطلسى من جهة الغرب ثم
تمتد مساحة الى الجنوب شاملة سهول أزغار (الغرب) وتامسنا (الشاوية)
ودكالة والحوز حتى تتصل بجبال الأطلس الكبير الى سفوحها الخلفية المظلة
على اقليم سوس ، ثم تسير شرقاً من رؤوسها الداخلة فى المحيط الأطلسى الى
ملتقاها بجبال الأطلس المتوسط بين تازة وتادلة عند ثنية المعدن المعروفة
ببنى فازاز المفضية الى آكرسلوين بناحية سجلماسة حيث تبتدىء مواطن
الزناكة (II2) فهم أهل الجبال وغيرهم أهل البساط الا قليلا .

وتشتمل مصمودة على شعوب وعدد كبير من القبائل تعرف بأسماء
فرعية ، ولم يبق معروفاً منها بالاسم الا قبيلة واحدة مستقرة قرب
مدينة وزان الى الشمال الغربى من فاس ، وبطون مندمجة فى قبائل مصموديه
وعبر مصمودية بالمغرب الأقصى والجزائر ، وفيما يلى أهم شعوب مصمودة
وقبائلها :

١ - **برغواطية** : أكد ابن خلدون فى صيغة الجزم أن برغواطيه
(شعب من شعوب المصامدة معروف (II3) بعد ما ذكر قبل هذه العبارة بقليل
(أنهم كانوا شعباً كثيرة متفرقة (II4) والذي يتتبع كلام المؤرخين الذين
عاشوا قبل ابن خلدون بقرون وكانوا معاصرين لبرغواطية يفهم أن هذه الكلمة
ليست لها دلالة سلالية بالمرءة وانما تدل على نحلة دينية أطلقت على القبائل
التي اتبعتها فليل لها برغواطية كما يقال الشيعة والحوارج والرافضة والمعتزلة ،
وأصل الكلمة على ما ذكر المؤرخون أن صالح بن طريف أو يونس مؤسس
ديانة برغواطية أصله من فحوص برباط بالأندلس فليل لكل من دخل فى الديانة
التي ادعى أنه أوحى اليه بها برباطى أو أبرباط ، ثم أحاله العرب بالسنتهم الى

(II2) أو الصناكة بالصاد : صنهاجة الجنوب .

(II3) تاريخ ابن خلدون 6 : 435

(II4) تاريخ ابن خلدون 6 : 428

برعوط وأضافوا اليه هاء الجمع فصار برعواطة ، أما أتباع هذه النحلة الدين يطلق عليهم هذا الاسم فهم بنو صالح بن طريف واثنتا عشرة قبيلة من قبائل البتر والبرانس ذكرها بأسمائها أبو عبيد البكري في المسالك والممالك (II5) كما ذكر سبع عشرة قبيلة أخرى كانت تطيعهم وتحسب من مملكتهم مع بقائها متمسكة بالاسلام .

كانت المنطقة التي شاعت فيها ديانة برعواطة هي منطقة تامسنا بالمغرب الأقصى الممتدة من نهر سلا (II6) الى نهر أم الربيع ، أى ما يعادل المنطقة التي تسكن فيها حالياً قبائل الشاوية وزعير ، وكانت في الأصل موطناً لزناتة وزواغة حتى نزل بها طريف صاحب ميسرة الحقيير الذي سن لأهلها مذهباً لم يلبث ابنه صالح أن صيره ديانة ، فانضمت اليهم قبائل أخرى عرفوا وإياهم باسم المذهب الذي يدينون به ، وقد استمر هذا المذهب قائماً الى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ولكن أتباعه بقوا منذ تأسيسه معرضين لهجمات الامارات والممالك الاسلامية بالمغرب والأندلس وتنكيلها ، ومن أشهر الأمراء والقواد الذين فنكوا بهم الأمير تميم اليفرنى بعد سنة 420 والفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى داعية الموحدين الذى استشهد وهو يقاتلهم بكريفة من أرض زعير سنة 450 .

وقد اندثر اسم برعواطة منذ ذلك التاريخ وحل محل أتباعه في مواطنهم أو شاركهم فيها قبائل عربية طارئة وأخرى بربرية متعربة مثل مالك وسفيان ، وعامر وحصين ، والشاوية وزعير .

ب - **تينملل** : (II7) من قبائل مصبوذة على عهد الموحدين ، كانوا يعدلون هرغة قبيلة المهدي بن تومرت داعيتهم في التعصب له لتحيزه اليهم وبناء داره ومسجده بينهم ، وقد ذكر صاحب كتاب (الأنساب) في معرفة الأصحاب (أحد عشر بطناً (II8) لتينملل ، وتسمى القبيلة اليوم

(II5) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 140 .

(II6) سماه أبو عبيد في المسالك والممالك نهر وانسيغن وقال انه يقع في نهر سلا تحت الرباط في البحر المحيط فهو ولا شك أحد روافد نهر أبي رقراق الحالي .

(II7) تكتب أيضاً تينمل وتينملل .

(II8) أخبار المهدي بن تومرت ص 40 ط باريس 1928 .

أهل وادى نفيس وهى واقعة الى الجنوب الغربى من مراكش قرب قرية أميزميز ، ولم يبق معروفاً منها بتيتمل الا المكان الذى يوجد فيه مسجد المهدي بن تومرت وقبور الموحدين المنبوشة .

ت - حاحة : هم شعب يشتمل على عدد من القبائل ، ما زالوا معروفين باسمهم الاصلى ومستقرين بمواطنهم الاولى على سيف البحر بين مدينتى الصويرة وأكدير .

ث - دكالة : من النسابين من عددهم من صنهاجة ، ولعل السبب الذى أوقعهم فى ذلك الخطأ ما رأوه من تعصب دكالة للدولة اللمتونية فى منتصف القرن الخامس الهجرى خلاف سائر قبائل مصمودة التى بادرت الى الدخول فى دعوة الموحدين ، وما زالت دكالة مستقرة اليوم حيث كانت فى القديم ، على سيف البحر والسهول المجاورة له بين وادى أم الربيع ووادى نسيغة (تنسيقت) ، وهم شعب يشتمل على عدد كبير من القبائل والبطون . وقد داخلهم فى القرن السادس والقرن السابع من الهجرة العرب من موجه الهلاليين وأحلافهم فعربوهم وانقسمت دكالة منذ ذلك العهد الى دكالة الحمراء وهى الجنوبية التى تحيط بآسفى وتسمى اليوم عبدة ، ودكالة البيضاء وهى الشمالية التى تحفظ اسم دكالة .

ج - وكراكة : أشرف قبائل مصمودة لسيقتهم الى الاسلام وجهادهم فى سبيله حتى ليقال أن قدماءهم شدوا الرحلة الى النبى محمد (ص) بمكة فى أول ظهوره وكلموه باللفة البربرية فأجابهم بها وأسلموا ورجعوا للمغرب ، كانت مواطنهم على عدوتى وادى نسيغة (تنسيقت) عند مصبه فى البحر ثم تلاشوا فى القبائل فبعضهم بسوس وبعضهم بالسراغنة وبعض آخر فى جهات أخرى ، ولم يبق منهم فى مواطنهم الاولى الا قبيلة صغيرة مندمجة فى شعب الشياظمة .

ح - كدميوة : ذكر مؤلف (كتاب الأنساب) لها 46 بطناً ، وقسمها الى كدميوة الجبل وكدميوة الفحص ، وهى مستقرة الى الجنوب من مراكش وبها تقع قرية أميزميز .

خ - **كلاوة** : تقع الى الجنوب الشرقي من مراكش بينها وبين ورزازات ، وهي اليوم منقسمة الى كلاوة شمالية (دائرة آيت ورير) وكلاوة جنوبية (دائرة ورزازات) .

د - **كنفيسة** : تقع شمال وادي سوس ، ذكر في كتاب (الأنساب) لها اثنان وعشرون بطناً وعد بعضها ، وأكثر هذه البطون قبائل مستقلة اليوم بنفسها معروفة بأسمائها الفرعية مثل **زداغة** (ادا وزداغ) و **مشتاكة** و **مدلاوة** و **سكساوة** الخ .

ذ - **صادة** : تعريب كلمة **ايصادن** و **اصادن** و **اصادة** ذكروا في كتاب (الأنساب) ، في معرفة الأصحاب) مرة مع هسكورة الظل ، ومرة مع القبائل المضافة ، وذكر ابن خلدون أن منهم بطن مسفاوة وبطن ماغوس ، وروى في صيغة الاحتمال ان منهم أيضا غمارة ورونة وأمول ، ويظهر أن القبيلة كانت لها فروع بشمال المغرب ووسطه ، فقد ذكرهم أبو عبيد البكري في مسالكة وممالكة من جملة القبائل المضافين الى برغواطة ، كما ذكر لهم مدينة فريبة من وادي ورغة قال انها مدينة بها آثار للأول ذات أعناب وأشجار كثيرة .

ر - **غمارة** : هم مصمودة الشمال ، ومن أشهر شعوب البربر وقبائلهم ، سموا باسم والدهم غمار بن مصمود ، وقيل غمار بن سطايف بن مليل بن مصمود ، وقيل غمار بن اصاد بن مصمود ، وتزعم العامة أنهم عرب غمروا في الجبال فسموا غمارة ، وهو مذهب عامي .

كانت مواطنهم تمتد على ساحل البحر المتوسط من حد بلاد الريف الى المحيط الأطلسي ، ثم تمتد على السهول الساحلية حيث كان يسكن بنو حسان منهم قبل دخول العرب الهلاليين حتى تصل الى تامسنا حيث مواطن قبائل برغواطة ، ثم حدثت تغيرات كثيرة في مساكن القبائل المصمودية منذ القرن السادس الهجري الذي غمرت فيه المغرب موجات من العرب الهلاليين والمنضافين اليهم فزاحموا قبائل البربر ومنهم غمارة بالسهول وأجأوها الى الجبال واضطر من بقي منها في غير الجبل الى التعرب والاندماج فيهم ، وقد

تضاءلت المطفة التي تسكنها القبائل المسماة اليوم غماره وهي واقعة الى الجنوب الشرقي من تطوان على ساحل البحر ، ولكن قبائل غمارة المعروفة بأسمائها الفرعية ما زالت تصدر منطقة أوسع وأكبر ، كما أن قبائل أخرى معروفة بالاسم الأصلي أو الأسماء الفرعية انتقلت من مواطنها الأولى الى مواطن جديدة بالمغرب الأقصى والمغرب الأوسط ، وسنتكلم بأسهاب على قبائل هذا الشعب ومواطنها الحالية في القسم الثالث من هذا الكتاب .

ز - هرغة : قبيلة المهدي بن تومرت داعية الموحدين ، واسمها البربري أوغن ، يظهر أنها كانت قبيلة كبيرة ، وعدد صاحب (الأنساب) بطونها والمضافين إليها ، لكنهم دثروا وتلاشوا وانتفقوا في القاصبة من كل وجه ، لما كانوا أشد القوم بلاء في القيام بالدعوة وأصلاحهم لنارها بقرابتهم من صاحبها وتعصبهم على أمره ، ولم يبق منهم الا اخلاط وأوشاب ، أمرهم الى غيرهم من رجالات المصامدة لا يملكون عليهم منه شيئا (II9) .

بقاياهم موجودة اليوم باقليم أكدير الى الشرق من مدينة روداه (ترودانت) قرب وادي سوس .

ط - هزوجة : ذكروا في كتاب (الأنساب) بالاسم السابق المعرب وبالاسم الأصلي المبربر إيليزوكن وعدوا فيه من جملة القبائل ، ولا تعرف اليوم قبيلة بهذا الاسم ، وأحسب قبيلة الزرقيين الموجودة الى الجنوب من وادي درعة من بقايا قبيلة هزوجة .

ظ - هزميرة : كانت مستقرة بحوز مراكش .

ك - هنتاتة : واسم جدهم هنتات ينتى بلسان المصامدة ، ذكر لهم في كتاب (الأنساب) تسعة بطون مثل غيايسة ووزكيتشة ، فلا شك أن مواطنهم كانت حيث القبيلتان المذكورتان جنوب مراكش ، كانوا على عهد الموحدين تلو قبيلة هرغة وقبيلة تينملل بما كانوا عليه من الكثرة والبأس ولما

كان لشيخهم أبى حفص عمر بن يحيى - جد ملوك الدولة الفخمية - من صحبة المهدي والاعزاز على المصامدة وقد انمحي اسم هنتاة اليوم وحلت محله أسماء بطونها التي ارتقت الى قبائل ، ولكن بعض الأسر ما زالت تنسب اليها خصوصاً بمدينة صفاقس .

ل - هيلانة : بنو ايلان بن مصمود ، وذكر ابو عبد الله بن ابى المجد فى كتاب الأنساب له : أنه ايلان بن بر بن قيس بن عيلان ، وان هيلانة عرب صريحون ، وأنهم خلاف المصامدة ، كانت مواطنهم بحوز مراكش ، واليهيم ينسب باب ايلان منها ، كما ينسب اليهم أغمات ايلان ، ولم يبق لهم اليوم وجود بهذا الاسم .

م - وريكة : معروفون باسمهم الى اليوم مستقرون بمواطنهم فى الحال الشاهقة جنوب مراكش على حافتي الوادي المضاف اليهم .

ن - وزكيتة : يوجدون اليوم قرب مراكش حيث مواطنهم الأصلية ، وهم قسمان : قسم يعرف بالاسم العرب وزكيتة قرب آسنى ، وقسم يعرف بالاسم المبربر آيت واوذكيت قرب ورزازات ويشتمل على 25 قبيلة . ومنهم بطون مندرجة فى قبائل أخرى .

ومن القبائل المضافة الى المصامدة وليست منهم قبائل هسكورة وجزولة ولطة فهذه معدودة من شعب صنهاجة نسباً ، ولكن لما كانت مواطنهم باقليم سوس وناحية درعة مجاورة لمواطن المصامدة بجبل درن وكانت بعض الأحداث التاريخية نظمتهم جميعاً فى سلك واحد فان من المؤرخين من عددهم مع مصمودة مع تنبيهه الى أنهم ليسوا فى النسب منهم ، ومن هاؤلاء المؤرخين صاحب كتاب (الأنساب فى معرفة الأصحاب) اصحاب المهدي بن تومرت ، واضطرب ابن خلدون فعددهم مرة مع صنهاجة (I20) ومرة مع المصامدة (I21) أما نحن فى هذا الترتيب السلالى الذى تتبعه فى هذا الكتاب فنذكرهم مع

(I20) تاريخ ابن خلدون 6 : 240 .

(I21) تاريخ ابن خلدون 6 : 552 .

شعبهم الصنهاجي ، لأن الاستقرار بموطن من المواطنين والنشيع لدعوة من الدعوات لا يرقيان إلى مرتبة العلاقة السلالية عند قبائل المغرب .

وقبائل المصامدة أكثر مما سبق عده ، وقد اقتصر المؤرخون على ذكر من نبه منها في أول الاسلام كقمارة وبرغواطة ، أو على عهد الموحدين كالقبائل السبع التي دخلت في دعوتهم قبل فتح مراكش ويسمونها السابقة وبعض القبائل المضافة اليهم منهم ومن غيرهم ، ومن تلك القبائل من دثر اسمه وتلاشى رسمه واكبلته حروب الموحدين وحل محله في موطنه قبائل مصمودية أخرى أو عربية طارئة ، ومنه من نزل إلى رتبة بطن واندرج في قبيلة أكبر ، ومنهم بطون صغيرة ارتفعت اليوم إلى مصاف القبائل وكانت لا تحسب من قبل إلا مسع غيرها كسكتانة من تينملل ، وغياية من هنتاتة ، وسكساوة من كنفيصة الخ .

6 - شعب صنهاجة

بنو صنهاج بن برنس أبي البربر البرانس .

وأصل الكلمة صناك بالصاد المشم زايا والكاف القريب من الجيم (زناك) فلما عربه العرب زادوا الهاء بين النون والالف فصار صنهاج ثم اضافوا اليه هاء الجمع وأطلقوا الكلمة على جميع القبائل المتناسلة منه .

واختلف النسابون في نسب صنهاجة ، فمن ابن الكلبي والطبري أنهم وكتامة من حمير ، وزعم بعض النسابين أن أباهم صنهاج هو ابن يصوكان (122) بن ميسور بن الفند بن أفريقش بن قيس ، وذكر آخرون أنه صنهاج بن المثنى بن المنصور بن المصباح بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير الأصغر من سبأ ، نقل ذلك ابن النحوي أحد مؤرخي دولتهم وجعله ليحصب ، أما المحققون من نسابي البربر فيذكرون أنه صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن كيمتا بن سدر

بن مولان بن يصلين بن يبرين بن مكسيلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو بن
مصرييم بن حام ، ويزعمون أن جزول ولمط وحسكور اخوة صنهاج ، وأن أهم
هى تيصكى المعروفة بالعرجاء بنت زحيك بن مادغيس الأبتى وبها يعرفون .

وصنهاجة شعب كبير جداً ذكر بعض المؤرخين أن قبائلهم وبطونهم
تنتهى الى سبعين ، وهم موجودون فى كل مكان بالمغرب لا يكاد يخلو منهم
جبل ولا بسيط ، وكانت المواطن التى اختصوا بسكنائها فى الأول اربعة :
أ - الناحية الواقعة بين بجاية والمسيلة ومليانة ولمدية والبحر بالمغرب
الأوسط ، ب - والناحية الواقعة بين نهر كرط وبلاد غماره والبحر المتوسط
بالمغرب الأقصى ، ت - والناحية الواقعة بين المحيط الأطلسى ووادى درعة
والسفوح الخلفية لجبال الأطلس ، ث - والصحراء الكبرى الممتدة من
عدامس الى البحر المحيط وبلاد السودان بأقصى الجنوب .

وقد قسم صاحب كتاب (الأنساب) صنهاجة الذين كانوا يجاورون
المصامدة بالناحية الثالثة الى **صنهاجة الظل** و **صنهاجة القبلة** ، ولا شك فى انه
يعنى بالفريق الأول سكان الجبال ، وبالفريق الثانى سكان البسائط القاحلة
القريبة من وادى درعة المعرضين للشمس باستمرار ، وقسم ابن خلدون
صنهاجة عموماً الى أهل مدر وهم سكان المناطق الشمالية المقيمين فى بيوت
مبنية ، وأهل وبر وهم قبائل الملتئمين الرحل سكان الخيام بأقصى الجنوب ،
ثم قسم صنهاجة الساكنين بشمال المغرب الأقصى الى **صنهاجة العز** وهم
المتنوعون بالجبال الوعرة عن أداء الضرائب ، و **صنهاجة البز** وهم سكان
نهر ورغة المحترفون بالحرارة والحيابة ، أما القبائل الساكنة بقرب مدينة
أزمور فهى **صنهاجة الدال** لأنها تطيع الحكومة وتؤدى الضرائب وتنفرد عند
الاستنفار ، ولا يزال هذا التقسيم جارياً على القبائل التى تدعى صنهاجة بشمال
المغرب الأقصى مع تغيير فى الأسماء ، فهم اليوم يقسمون الى **صنهاجة غلو**
و**صنهاجة السراير** و**صنهاجة مصباح** ، وهذا الفريق الأخير يقسم بدوره الى
صنهاجة الشمس و**صنهاجة الظل** .

ونستعرض فيما يلى أهم قبائل صنهاجة وبطونها :

* انجفة : ط صجافة

* انوغة : ط وأنوغة

١ - بجاية : اسم قبيلة صنهاجية كانت تسكن الجبال الواقعة غرب وادي سمّام قريباً من البحر ، كان بساحلها مرسى بنى قربه الناصر بن علناس أحد ملوك بنى حماد مدينة سماها الناصرية سنة 470 لكنها بقيت تعرف عند الناس باسم القبيلة ، وقد تشتت بجاية بعد ذلك وصارت أوزاعاً في القبائل ولم يبق يذكر بها الا اسمها الذي تحمله مدينة الناصرية المبنية في ترابها ، ولست أدري اقبيلة بجاية المتوطنة بشمال القطر التونسي من بقايا بجاية أم لا .

ب - بطوية : ويقال أيضاً بطيوية قبيلة شهيرة لها ذكر يذكر في التاريخ المغربي كانت مواطن معظمهم يريف المغرب الأقصى وشبه جزيرة هرك الذي تقع على ساحله الشرقي مدينة مليلية وعلى ساحله الغربي قرية غساسة ، وكانت بطوية تشتمل على ثلاثة بطون كبيرة : بنى ورياعل قرب المزمة (الحسبة) وبقيوة جيرانهم الغربيين ، وأولاد علي بتفرسيت ، وقد حلت الفروع محل الأصل وتلاشى اسم القبيلة في تلك الناحية فلا يذكر به الا أسماء بعض الأسر (النبطوى + أبطوى) ، نعم يوجد في ناحية الجديدة بطن مندمج في قبيله أولاد بوعزيز يحمل اسم بطوية ، كما توجد قبيلة وقرية (123) يحملان اسم بطوية أيضاً قرب مدينة أرزيو بعمالة وهران من المغرب الأوسط .

ت - تاوكة : بجيم بدوى احدى قبائل المثلثين بالصحراء والنسبة اليها تاركى جمع تواركة وتوارك ، والاسم الأخير حرفه تراجمة الشرق الى طوارق ، انتقلت منهم بطون الى الأقاليم الشمالية كانت تختص بخدمة القصور الملكية ، ولهم حتى شهير برباط الفتح مجاور للقصر الملكي كان لا يسكن فيه من ليس منهم .

ث - تلكانة : بنو تلكات بن كرت ، كان لهم التقدم على قبائل صنهاجة بالمغرب الأوسط ، ومنزلتهم بينها كمنزلة لمتونة من المثلثين ، ومن

أكبر بطونهم بنو مناد الذين ينتمى اليهم ملوك صنهاجة بنونس والمغرب الأوسط (بنو زيري وبنو حماد) .

ج - جزولة : بجيم بدوى اخوة صنهاجة لام ، فلذلك اضيفوا اليهم في الترتيب ، ويدرجهم بعض النسابين والمؤرخين في مصمودة لقرب مواطن الغريقين ، فقد كانت مصمودة تسكن جبال درن وجزولة تسكن قربهم باقليم سوس ، وبجهاته كانوا يظعنون حتى زاحمهم به عرب معقل وغلبوهم عليه بعد حروب فصارت جزولة لهم خولا واحلافا ، وكانت منهم أوزاع بوسط القطر الجزائري أيضا ، واليهم ينسب جبل أكرول منه

ح - بني جعد : توجد بقاياهم قرب البويرة وعين بسام جنوب مدينة الجزائر .

خ - بني حميد : بقاياهم مندرجون في قبيلة يسر الغربى (دوار يسر الويدان) شرق مدينة الجزائر .

د - بنى خليل : يعرفون اليوم ببني خليل ، مواطنهم بين بحاية وتيزي وزو .

ذ - بنى دوكون : بجيم بدوى ونون ، وينطق أيضا دركول بكاف ولام ، منهم فرقة مستقرة بناحية زمورة القريبة من غليزان من المغرب الأوسط ، ويطون مندرجة في بعض القبائل الصنهاجية بشمال المغرب الأقصى ،

ر - بنى زروال : منهم فرقة كبيرة مستقرة على عدوتى وادى ورعة شمال فاس ، ويطن مندمج فى قبيلة أهل ستيتن قرب البيض بالصحراء ، ولست أدري أبنو زرويل تحريف لبني زروال ام هم قبيل آخر .

ز - الزناكة : تعريبه صنهاجة ، ويقال أيضا **ايزناكن** و **ايصنهاكن** ، ويسعمل اللفظ في الجنوب استعمال صنهاجة في الشمال ، منهم فريق باقليم ورزازات ، وفرقة بواحات فجيج بالمغرب الأقصى ، ويطون مندمجة فى قبائل مغربية وأخرى جزائرية .

ط - زغاوة : من قبائل الملتئين بالصحراء

ظ - كدالة : من قبائل الملتئين بالصحراء

ك - لمتونة : كبرى قبائل الملتئين بالصحراء ، أسلموا بعد فتح الأندلس وكانت فيهم الرياسة واستوثق لهم ملك ضخم توارثه منهم ملوك مذكورون ودخسوا البلاد الصحراوية ومن يجاورهم من شعوب السودان وحملوهم على الاسلام ، ثم عظم أمرهم في القرن الخامس الهجرى فطلعوا الى الأقاليم الشمالية سنة 445 واطتوا مدينة مراكش وأسسوا الدولة المرابطية التي بسطت سلطانها على المغرب الأقصى وأكثرية القطر الجزائري والأندلس والصحراء ، وهم بطون عديدة من أشهرها بنو ورتنطق ، وبنو زمال ، وبنو صولان ، وبنو ناسجة .

ل - لمديسة : لامها أصلى كلام لمتونة ولمطة ، ويكنبها بعضهم بال التعريف ، ويحذف الفرنسيون الألف واللام معاً فيكتبونها مديسة Médée فقط طاً منهم أهما زائدان ، وهم بطن من صنهاجة المغرب الأوسط ، وبأرضهم بنى الأمير بلكن بن زيرى بن مناد المدينة المعروفة بهم الواقعة على بعد 91 كلم الى الجنوب من مدينة الجزائر .

م - لمطسة : اخوة صنهاجة لام ، وهم قبائل و بطون كثيرة أكثرهم أهل وبر يظعن مع قبائل الملتئين ويقيم معهم ، وكان منهم بسوس قبيل ذكر في كتاب (الأنساب) مع عبيد المخزن ، ثم صاروا في عداد ذوي حسان من عرب معقل ، واليهم نسبة الفقيه واكاك بن زولو صاحب أبى عمران الفاسى وشيخ عبد الله بن ياسين داعية المرابطين ، منهم اليوم فرقة مستقرة بجبل زالغ المطل على فاس

ن - ننان : بقاياها مستقرة بالعدوة اليمنى لوادى السفلات احد روافد وادى يسر ، غير بعيدة عن قرية عين بسام جنوب مدينة الجزائر معروفة باسمها الأصلى حتى الآن

ص - بنى موكلة : منهم فرقة مستقرة حالياً بين فاس ووزان .

ض - مزغنة : قبيلة شهيرة كانت مستقرة حول مدينة الجزائر قبل تأسيسها واليها نسبت بعد تأسيسها (جزائر بنى مزغنة) ما زالت بقاياها معروفة باسمها الاصلى مندمجة فى قبيلة بنى سليمان الشراقة ، على الضفة اليمنى لوادى يسر ، وعلى بعد 30 كلم الى الجنوب الشرقى من قرية الاربعاء .

ع - ملوانة : تعريب كلمة ايملوان البربرية ، ذكروا فى كتاب (الانساب) بالاسمين معا مع بطون اهل تيارت من صنهاجة القبلة ، هم اليوم اوزاع كثيرة مندمجة فى قبائل المغرب الاقصى والجزائر ، منهم بطن مع سدوانة الجبل (آيت سدرات) باقليم ورزازات ، وبطن مع مرغادة (آيت مرغاد) باقليم قصر السوق ، وبطن مع الحراطين بتازارين (اقليم ورزازات) ، وبطن مع يمورة (آيت يحور) بحوز مراكش ، ودوار مع اولاد دليم باقليم الرباط ، ودوار مع سفيان باقليم الرباط ، ومنهم بالمغرب الاوسط بطن مندمج فى قبيلة بنى مسسيرة ، وفوق ترابهم توجد الحمة المسماة حمام ملوان الواقعة على بعد 45 كلم جنوب مدينة الجزائر .

غ - عليانة : من بطون صنهاجة المغرب الاوسط ، بترابها أسس الامير بلكين بن زيرى بن مناد المدينة المعروفة بها الواقعة على العدو الشرقى لوادى شلف بوسط المغرب الاوسط ، منها اوزاع كثيرة مندمجة فى قبائل المغرب الاقصى والجزائر .

ف - مسوفة : من قبائل الملمثين بالصحراء ، طلعت منهم بطون الى الشمال مع المرابطين ، منهم بطن مندمج فى قبيلة آيت وعلال باقليم ورزازات واليهم ينسب درب مسوفة بتلمسان .

ق - صنهاجة : بقيت بعض قبائل الشعب الصنهاجى تدعى بهذا الاسم العام الذى يطلق على الاصل الجامع الذى تنتمى اليه كل قبائله وبطونه . ومن هذه القبائل قبيلة مستقرة على عدوى الوادى الكبير بين عنابة وسكيكدة ، واخرى مستقرة قرب وادى يسر جنوب شرقى الجزائر .

س - صنهاجة مصباح : قبيلة مستقرة شمال اقليم فاس ، ومى منقسمة الى قسمين : **صنهاجة الشمس** و**صنهاجة الظل** .

ش - **صنهاجة غلو** : قبيلة مسفرة قرب وادي اللبن شمال اقليم تازة .

ه - **صنهاجة السراير** : قبيلة كبيرة باقليم الحسيمة من المغرب الأقصى تشتمل على سبعة بطون بلغ كل منها درجة قبيلة ، وهي : **بنى احمد** ، و **بنى بشير** ، و **بنى بوشيب** ، و **تفزوت** ، و **بنى خنوس** ، و **بنى ذوقست** ، و **كتامة** ، و **بنى سدرات** .

و - **بنى عمران** : من بطون صنهاجة المشهورة بالمغرب الأوسط ، توجد منهم به خمس قبائل : **بنو عمران** الساكنون بالساحل وبالعدوة الغربية لوادى يداس على بعد 18 كلم الى الشمال الغربى من بجاية (دوار أبراريس) ، و **بنى عمران** الساكنون قرب وادى يسر وقرية الأربعاء جنوب مدينة الجزائر ، و **بنو عمران** الساكنون قرب برج منايل وتيزى وزو شرق مدينة الجزائر ، و **بنى عمران جبالة** ، و **بنى عمران السفلية** الساكنون جميعاً قرب مرسى حيجل ، علاوة على بطون كثيرة مندمجة فى قبائل أخرى بتلك الجهات .

ى - **فشتالة** : تعريب كلمة ايفشتالان البربرية ، وبلاسمين معا ذكروا فى كتاب (الأنساب فى معرفة الأصحاب) وهم من فرقة **هنجافة** الصنهاجية ، ذكر لهم فى ذلك الكتاب اثنا عشر بطناً ، منهم اليوم قبيلة مستقرة شمال اقليم فاس .

11 - **سطة** : يوجدون بشمال اقليم فاس .

ا ب - **بنى سليب** : توجد منهم قبيلة بناحية قالمة من المغرب الأوسط
ا ت - **هنجافة** : سماهم ابن خلدون أنجفة ، والكلمتان معاً تعريب لكلمة أينكفو البربرية ، ذكروا بها معاً فى كتاب (الأنساب فى معرفة الأصحاب) وهم قبيل كبير من صنهاجة الجنوب (**صنهاجة القبلة** و **صنهاجة الظل**) ، ذكر ابن خلدون من بطونهم : **بنى مزوارت** ، و **بنى سليب** ، و **فشتالة** و **ملوانة** ، و ذكرت لهم فى كتاب (الأنساب) بطون أخرى غير المتقدمة .

أ ث - هسكورة : اخوة صنهاجة لأم ، ويدرجهم بعض الساسين والمؤرخين أحياناً مع مصمودة للجوار وعرب السكن ، وذكرهم ابن خلدون مرة مع صنهاجة (124) ، ومرة مع مصمودة (125) ، كانت مواطنهم بجبل درن (اعتصموا منه بالافق الغدد ، واليفاع الأشم ، والطود الشاهق ، قد لمس الأفلاك بيده ، ونظم النجوم في مفرقه ، وتلفع بالسحاب في مرطه ، وآوى الرياح العواصف لدجوه ، والقي الى خبر السماء بأذنه ، وأطل على البحر الأخضر بشماريخه ، واستدبر القفر من بلاد السوس بظهره ، وأقام سائر جبال درن في حجره (126) ا

قسموا في كتاب (الأنساب) الى **هسكورة القفل** و **هسكورة القبلة** ، ويحتوى كل فريق على عدد من القبائل والبطون سيقع الكلام عليها بتفصيل في القسم الثالث من هذا الكتاب .

منهم قبيلة شهيرة بأقليم ورزازات ، ويطون مندمجة في قبائل أخرى .

أ ج - بنى وارث : ويعرفون أيضاً بالاسم المبربر بنى وارثن ، نوح بعاباهم بناحية بجاية يعرفون بآيت وارث وعلى .

أ ح - وانوغة : ويقال أيضاً **أنوغة** منهم بطن مندمج في قبيلة بنى مكلا قرب قرية يسر شرق مدينة الجزائر .

أ خ - وتريكة : من قبائل الملمثيين بالصحراء .

أ د - ورتنطق : ويكتب أيضاً وتانطق ، وهو ورتانطق بن منصور بن مصالة بن المنصور بن مزالت بن أميت بن رتمال بن تلميت وهو لمتونة من قبائل الملمثيين بالصحراء ، وفيهم كانت رئاسة لمتونة .

أ ذ - بنى ودياكل : بجيم بدوى ، كان منهم فريق يسكنون بوادى بجاية وعليهم نزل الهدى بن تومرت بملاة ثلاثة أيام عند رجوعه من المشرق ، ولما طلبه العزيز أمير بجاية منعه وقاتلوا دونه حتى ارتحل عنهم الى الغرب ، ومنهم فريق آخر يسكن حالياً قرب وادى ورغة شمال اقليم فاس ، وهم غير **بنى ودياغل** بالفين ، فهؤلاء بطن من قبيلة بطوية المتقدمة .

(124) تاريخ ابن خلدون 6 : 420 .

(125) تاريخ ابن خلدون 6 : 552 .

(126) تاريخ ابن خلدون 6 : 552 .

7 - شعب عجيسة

بنو عجيسة بن برنسى ، ومعنى اللفظ البطن بلغة البربر ، وهو بالبدال المشدد (عدس + عديسة) فلما عربه العرب قلبوا الدال جيماً مخففاً .

كان لهم بين البربر كثرة وظهور ، وكانوا مجاورين لصنهاجة بالمغرب الأوسط ، وبعض بطونهم يسكن جبل القلعة الذى بنى به حماد الصنهاجى عاصمته (قلعة بنى حماد) التى أخلق عمرانها من جدة عجيسة لما راموا كيدها مراراً فأجلب عليهم ملوكها واستلحموهم بالسيف ثم هلكوا وهلكت القلعة من بعدهم وورث مواطنهم بذلك الجبل قبيلة عياض من بنى هلال .

لم يذكر ابن خلدون قبائل هذا الشعب وبطونته ، واكتفى بالقول ان فى قبائل المغرب كثيراً منهم وان بقاياهم كانت لهذه فى صواحي تونس والجبال المطلة على المسيلة ، واذا كنا لا نستطيع أن نعرف هذه القبائل والبطون بأسمائها الفرعية فاننا نستطيع معرفة قبيلة وبطون قليلة تحمل اسم عجيسة ، فالقبيلة تقع على بعد 26 كلم الى الجنوب الغربى من مدينة بجاية ، والبطون مندمجة فى قبيلة الحضنة الشرقية (دوار الجزار - بركة) ، وقبيلة الأعراش (دوار رأس تالا تينزار - الكركور) ، وقبيلة الساحل القبلى (دوار ذرا قبيلة - الكركور) بالمغرب الأوسط .



مواطن البربر في القديم

ليس من الهين على المؤرخ أن يرسم خريطة تحدد بتدقيق مواطن القبائل البربرية في القديم أو على الأخص عند ظهور الاسلام الذي أحدث مجيئه الى المغرب عدة تحولات جذرية وتطورات عميقة في جميع الميادين ومنها ميدان الاختلاط السلالي وميدان استيطان السكان ، فالقبائل المغربية عاشت من أقدم العصور الى العصر الحديث عصر الاحتلال الأوربي لبلاد المغرب - حرة طليقة تنتقل من جهة لأخرى اما انتجاعاً للعرى وطلباً للرزق ، واما اضطراباً تحت ضعف الأحداث القبلية وتنفيذ الأوامر الحكومية ، فهي لم تكن تنقيد بقوانين الهجرة أو تخضع لشروط الاستيطان التي عرفت فيما بعد ، كما أن نظم الحدود والتبعيات السياسية ومراقبة المسافرين لم يكن لها وجود يومئذ ، والعقيدة الدينية كانت فوق جميع الاعتبارات السياسية ، والمواطنة الاسلامية كانت هي الجواز المشترك العام الذي يخول لكل مسلم أن ينتقل عبر بلاد الاسلام كافة ويستقر منها حيث يشاء معتبراً في كل منها مواطناً له ما لأهلها الأصليين من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات .

ومن جهة أخرى لم يمن المؤرخون والجغرافيون المسلمون في الصدر الأول للاسلام بدراسة المجتمعات القبلية دراسة دقيقة وضبط المواطن التي تستقر بها كل قبيلة ، وانما كانوا يكتفون بالإشارة العابرة الى ما يحيط بالمدن والقرى من قبائل ويسكن بها ، والى ما قد يكون من مدن وقرى في مجالات القبائل وبين ديارها ، ولعل ذلك لم يكن ناشئاً عن غفلة منهم ، وانما مرده الى القبائل ذاتها التي لم يكن يقر لها في موطن قرار ، لا يلافها النقلة والترحال ، وادمانها على النجعة والتجوال .

ويرجع الفضل الى ابن خلدون في اعطاء معلومات مفصلة عن قبائل المغرب العربى وتوزيع مواطنها ، فالذين سبقوه لم يعنوا بتصنيفها تصنيفا منهجيا مرضيا حسب الترتيب الزمنى الصحيح ولم يميزوا بين القديم منها والحديث ، أما هو فقد تتبع شعوب البربر وقبائلهم شعباً وشعباً وقبيلة قبيلة ، وبين مواطنها الأصلية وتنقلاتها من جهة الى جهة واستقرارها فى المواطن التى انتهى بها المطاف اليها على عهده ، معتمداً على كتب من سبقه من النسائين والمؤرخين ولا سيما البربر منهم ومضيفاً خبرته وتجاربه وما له من معلومات خاصة ، فلقد كان أحد رجال الدول المغربية النابهين فى القرن الثامن الهجرى ، وعمل فى أدنى المغرب مع بنى حفص كما عمل فى أقصاه مع بنى مرين ، واستقر فى وسطه بين مجالات العرب وأحياء البربر حيث ألف تاريخه الكبير ، وأطلع على خزائن كتب الملوك ووثائق الحكومات ، وسمع من أفواه الوزراء والكتاب والعمال والشيوخ المحنكين ، فلا غرو أن يعتمد عليه المؤرخ فى تحديد مساكن البربر وضبط مواطنهم فى المدة الواقعة بين الفتح الاسلامى فى القرن السابع ودخول العرب الهلاليين واحلافهم فى القرن الحادى عشر ، بل وفى ضبط مساكن هاؤلاء وأولئك الى الوقت الذى رحل فيه من المغرب ليقضى بقية حياته فى المشرق .

وإذا ألقينا نظرة عامة على مواطن البربر فى الشمال الافريقى لأول الفتح الاسلامى نجد أن البتر منهم اختصوا بسكنى اقليمى برقة وطرابلس وشط الجريد وجبل أوراس وبلاد الزاب ثم تصعد مواطنهم الى الشمال فى جهات تاهرت حتى تصل الى جبال الظهرا ومجرى نهر شلف فتطل من هناك على البحر فاصلة قبائل صنهاجة وكنامة البرنسية بالشرق على اخواتها بالغرب ، ثم تسير مغربة حتى تجاوز نهر ملوية الى حدود بلاد الريف وجبال التسمول وغيانة و البرانس حيث تبتدىء مواطن البرانس من صنهاجة وكنامة ومصمودة بالمغرب الأقصى ، وإلى الجنوب من كل ذلك توجد مواطن القبائل البرنسية التى ينتمى جلها فى الشرق الى هواره وفى الغرب الى صنهاجة وبين القطاعين الشمالى والجنوبى توجد مجالات القبائل الزنانية من غدامس الى البحر المحيط ، وذلك قبل صعودها الى الشمال وتقلبها عليه وتأسيسها لممالك وامارات استأثرت بحكم نصفه الغربى .

وكانت قبيلة **لواتة** أولى القبائل البربرية التي تسكن بتخوم المغرب الشرقي وتجاور قبائل غير بربرية خارج حدوده ، فقد كانت تعمر جميع اقليم برقة وجزءاً كبيراً من اقليم طرابلس وتبلغ بطونها في النجعة شط الجريد ، وهي أول قبيلة واجهها العرب عند دخولهم الأول الى المغرب فأمنت وأسلمت وصارت لهم دليلاً خريئاً على استكشاف الأراضي التي تجاورهم غرباً ونصييراً قوياً على تطويع القبائل التي تسكنها ، وقد ذكرهم ابن عبد الحكم (127) في كتابه عن فتوح مصر وافريقية وهو من اقدم المؤلفين المسلمين الذين كتبوا عن الفتح العربي لأرض المغرب ، وذكر ابن خلدون انه كان للواتة في الماضي مدن عريقة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان ، ويظن بعض المؤرخين ان اسم لوبيا الذي أطلقه اليونان على بلاد المغرب مشتق من اسم لواتة التي كانت قبائلها تعمر جانبها الشرقي وهو الجانب الأكثر احتكاكا ببلاد اليونان والأقرب مسافة اليها (128) والى الغرب من **لواتة** كانت توجد مواطن **نفزاوة** التي عرف باسمها الجنوب التونسي كله وما يتاخمه من بلاد طرابلس شرقاً وجنوب عمالة قسنطينة غرباً ، ومن أوسع بطون نفزاوة وأشدهم بأساً بطن **ورفجومة** الذي كان له تمنع بطرف من جبل أوراس وفتن وثورات في النصف الأول من القرن الثاني الهجري تمكنوا في بعضها من الاستيلاء على القيروان وقتل من كان يسكنها من قریش وسائر العرب ، وخلف اللواتيين والنفزاويين كانت تسكن قبيلة **نفوسة** التي يعرف بها الجبل الشهير الواقع جنوب مدينة طرابلس ، وقبيلة **سدواة** التي سميت بها منطقة وركلة ، وبقرهم كانت مواطن **هواة** و **مطماطة** ، والى هذه القبيلة الأخيرة ينسب جبل شهير بجنوب القطر التونسي .

والى الغرب من مواطن نفزاوة كان موطن قبيلة **جواوة** الشهيرة بجبال أوراس ، وهي قبيلة الكاهنة التي أعيت العرب لأول الفتح ، كما انها من شعب زناة الذين غمروا المغرب الأوسط فيما بعد حتى عرف بهم وسمى

(127) فتوح افريقية والأندلس من 28 .

Gautier. Le Passé de l'Afrique p. 230 (128)

باسمهم ودعى وطن زناتة ، ومن جبل أوراس الى غرب منطقته الزاب كانت مساكن قبيلة **أوربة** (وربة) التي دحرها العرب لأول الفتح وساقوها أمامهم الى المغرب الأقصى ، ثم مواطن **مغراوة** الى الشمال الغربى على وادى شلف ، ومغيلة على ساحل البحر شرقى مصبه ، و بنى يفرن و مديونة الى الجنوب والجنوب الغربى من وهران وتلمسان ، وشمال هذه المدينة كانت قبيلة **ولهاصة** على مصب وادى تافنا وقبائل **سطفوة** أو **كومية** بجبال ترارة ، وقد ضعف أمر هذه القبيلة العظيمة منذ أيام الموحدين الذين أنفقوها فى العسكرية والحروب حتى ذكر انهم نقلوا منها دفعة واحدة 50.000 فارس الى مراكش ، ولكن **نمرومة** التى هى احدى بطونهم والتى تسمى بها مدينة طيبة لطيفة بلك الجبال بقيت تذكر بها ، والى الغرب والجنوب من كومية كانت مواطن **مظفرة** أو (مدغرة) ، وهى قبيلة كبيرة عمرت المنطقة الممتدة من توات الى سجلماسة ، والى الشمال من مواطنهم بسهول انكاد وما يقع أمامها وخلفها من جبال الى ممر تازة كانت تسكن قبائل **زناتة** ، ومن أشهر القبائل المعدودة منها قبيلة **مكتاسة** التى كانت تسكن بطونها على طول نهر ملويه من منبعه بالأطلس المتوسط قرب اقليم تافيلالت الى مصبه بالبحر الأبيض المتوسط.

أما البربر البرانس فأكبر شعوبهم **كنامة** و **صنهاجة** و **مصمودة** ، لقبائل **كنامة** كانت مواطنها بعمالة قسنطينة وجزء من غرب القطر التونسى من جبل أوراس الى شاطئ البحر ، وكانت لهم هناك مدن مذكورة مثل القل وجيجل وعنابة وقسنطينة وسطيف وباغاية وبلزمة ونقاوس وميلة ، ويرجع ان قبائل **زواوة** الساكنة الى الغرب منهم أيضاً ، وكانت مواطن قبائل **صنهاجة** غربى مواطن **كنامة** بين بجاية والمسيلة ولمدية والبحر ، ومن أكبر حواضرهم عاصمة الجزائر التى كانت تدعى جزائر بنى مزغنة اضافة الى احدى قبائلهم الشهيرة ، وبجوار **صنهاجة** كانت تسكن قبيلة **عجيسة** البرنسية بجهات المسيلة وقلعة بنى حماد ، وقبيلة **لماية** البثرية التى كانت تسكن قرب تاهرت ، وبعد ذلك تسود القبائل البثرية شمالا وجنوبا باستثناء منطقة وهران التى كانت تسكنها قبائل **أزداجة** البرنسية ، ولا يعود للقبائل البرنسية ظهور إلا عند الوصول الى سلاسل جبال الريف والأطلس المتوسط ، فابتداء من نهر

كرط توجد منطقة تسكنها قبائل صنهاجة مثل بطوية و بني ورياكل و بني زروال ، وبعدها تبدأ قبائل شعب مصمودة بغمارة شمالا ودكالة وسطا وقبائل جبل درن جنوبا حيث تعود قبائل صنهاجة الجنوبية (الزناكة) الى الظهور من جديد وفي اقليم سوس وما يجاوره شرقا من اقاليم درعة وسجلماسة والمنطقة الواقعة بين ممر تازة والصحراء ، وفي المنطقة التي تمثل وسط المغرب الأقصى كانت تسكن قبائل بترية مستقرة مثل وشتانة وزمور وصدينة ومغيلة و مديونة ومطماطة وزواغة وقبيلة أوربة التي وجدها الامام ادريس ابن عبد الله الكامل مستقرة بجوار جبل زرهون فأوثقه ونصرته لقرابته من النبي وأعانتته على تأسيس الدولة الادريسية .

وراء ذلك كله كانت تسكن الصحراء المغربية الكبرى قبائل الملثميين التي ينتمى معظمها الى شعب صنهاجة وينتمى أقلها الى شعب هواره وكلاهما من البرانس ، وقد أعطى الشعب الهواري اسمه للصحراء الشرقية فصارت تدعى هكار وهو تحريف كلمة هوار كما تقدم .

ولست في حاجة - أخيراً - الى القول بأن التوزيع السابق للقبائل البربرية انما يتعلق بالفترة الممتدة من الفتح الاسلامي الى مجيء بني هلال ، وانه حتى في هذه الفترة نفسها لم تكن قبائل البربر تلتزم المقام في ناحية واحدة بل كان منها قبائل تنتقل من جهة لأخرى اما فراراً من قبيلة عدوة غلبتها واما تنفيذاً لتعليمات حكومية وصلتها ، وكانت القبيلة عندما تنتقل ترحل تارة برمتها ويرتحل تارة أخرى بطن أو عدة بطون منها حاملين معهم اسم القبيلة الجامع بينهم وبين بقية بطونها ، وهذا هو السر في اننا نجد لواءة ومطماطة و وهونة مثلاً بأدنى المغرب ووسطه واقصاه .

من مصادر هذا الفصل :

- الأثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث - لرافل لنتون ، ترجمة عبد الملك الناشف - بيروت 1963 .
- الأنيس المطرب بروض القرطاس ، في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - لأبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع - فاس 1303
- الاعلام بمن حل مراکش وأغمات من الاعلام - للعباس بن ابراهيم التمارجي المراكشي - فاس 1936 .
- الاستقصا ، لأخبار دول المغرب الأقصى - لأحمد بن خالد الناصري - الدار البيضاء 1956 .
- × - الانساب ، في معرفة الأصحاب - لمؤلف مجهول - باريس 1928 .
- × - أسفى وما اليه قديماً وحديثاً - لمحمد بن احمد العبدى الكاوى - القاهرة 1353 .
- تاريخ الجزائر العام - لعبد الرحمان الجيلالى - بيروت 1965 .
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث - لمبارك بن محمد الهلالى الميلي - بيروت 1963 .
- تاريخ المغرب العربى - لمحمد على دبور - القاهرة 1964 .
- تاريخ المغرب العربى - للدكتور سعد زغلول عبد الحميد - القاهرة 1965 .
- تطور الجنس البشرى - للدكتور محمد السيد غلاب - القاهرة 1963 .
- جبهة انساب العرب - لعلى بن احمد بن حزم الأندلسى - القاهرة 1962 .
- رحلة التيجانى - لعبد الله بن محمد بن احمد التيجانى - تونس 1958 .

- كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من الملوك ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) - لعبد الرحمان بن خلدون الخضرى التونسى - بيروت 1961 .

- المعجب ، في تلخيص اخبار المغرب - لعبد الواحد المراكشى - سلا 1938 .

- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب - لعبد الله بن عبد العزيز البكرى - باريس 1965 .

- موجز التاريخ العام للجزائر - لعثمان الكماك - تونس 1344 .

- نبد تاريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى (منتخب من كتاب مفاخر البربر) - لمؤلف مجهول - الرباط 1934 .

- نظرات في تاريخنا القومى - للحاج محمد بنونة - تطوان 1934 .

- فتوح افريقية والاندلس - لعبد الرحمان بن عبد الحكم - بيروت 1964 .

- قيام دولة المرابطين - للدكتور حسن احمد محمود - القاهرة 1957 .

٨ - اليمن من الباب الخلفى - تأليف هانز هولفريتز ، ترجمه خيرى حماد - بيروت 1961 .

- Répertoire Alphabétique des tribus et douars de l'Algérie - Alger 1879 .

- Répertoire Alphabétique des tribus et douars - Communes de l'Algérie - Alger 1900 .

- Répertoire Alphabétique des Confédérations des tribus, des tribus, des Fractions de tribus et des Agglomérations de la Zone Française de l'Empire Chérifienne - Rabat 1939 .

- Répertoire Alphabétique des Agglomérations de la Zone Française de l'Empire Chérifienne - Rabat 1941 .

العرب

العرب احدى الامم التى جعلتها التوراة من نسل سام بن نوح ، ولذلك اصطلح المؤرخون على عدها من جملة الامم السامية مثل الاشوريين والبابليين والعبرانيين والحبيشة والآراميين ، وتعتقد طائفة من الباحثين ان المهد الاول لهذه الشعوب كان شطوط الفرات وبادية العرب ، فلما تكاثروا وضافت بهم الأرض تفرقوا فى البلاد المجاورة لمهدهم الأصلي وتشعبوا فيها وتفرعت لغتهم الأولى الى لهجات صار بعضها يتباعد عن بعض بطول الزمان وتطور الفكر وانتشار العمران حتى أصبحت لغات مستقلة .

اتخذ العرب أرض الجزيرة المنسوبة اليهم فى جنوب غرب آسيا وطناً لهم بدواً بالفون الخيام وحضراً يعمرون المدائن والقرى بينما اسنقر الاشوريون والبابليون فى العراق ، والآراميون فى الشام ، والعبرانيون فى فلسطين ، والفنيقيون فى سواحل الشام والأشيويون فى الحبيشة ، وكان جنوب الجزيرة العربية منطقة تساعد طبيعتها على الاستقرار وقيام الحضارات ، فكان سكانها أقرب الى الحضارة منهم الى البداءة ، وكان شمالها منطقة أكثر قحولة وأشد جفافاً فكان سكانها تبعاً لذلك يقضون حياتهم فى النجعة والارتياح وطلب الرزق بمواضى السيوف والرماح ، لا يذوقون طعم الاستقرار ، ولا تساعدهم طبيعة الأرض التى يسكنونها على اقامة المدن وانشاء الحضارات .

وتدل الدراسات العلمية الدقيقة على أن لفظتى العروبة والعرب ترادف لفظتى الباية والبدو ، وان العرب أنفسهم كانوا يسمون بلادهم عربية أى أرض البدو ، فلما تحضر منهم من تحضر وسكن منهم من سكن فى مدن مبنية بالحجارة والطين باليمن والحجاز وحوارن وغيرها لم يعد لفظ العرب محصوراً فى البدو ، فاضطروا الى استعمال كلمات أخرى للتمييز بين الفريقين ، فقالوا

البدو والحضر ، أو أهل المدر وأهل الوبر . ومنذ ذلك الحين بدأ لفظ العرب يأخذ معنى سلاليّاً جنسيّاً ولم يعد يدل على حالة اجتماعية ، ولم يبق يذكر بدلالته الأصلية الا كلمة أعرابي التي تعادل كلمة بدوى ، باستثناء أرض المغرب الذى بقيت فيها كلمة عروبة وعرب تردف كلمة بداوة وبدو حتى الآن .

ويمكن وصف العربى الأصيل بأنه انسان أسمر اللون مائل الى البياض، ذو وجه بيضوى منبسّط وعينين براقتين سوداوين يملوهما حاجبان كثيفان ، وأنف أقتى وجبهة غير عالية ولا منخفضة وهامة مرتفعة وبنية كاملة وعضلات قوية نشيطة وأطراف معتدلة متناسبة مع تكوين الجسم

ويقسم العرب الى ثلاثة أقسام

(1) عرب بائدة

(2) وعرب عاربة

(3) وعرب مستعربة

وأما العرب العاربة فهم العرب القحطانيون الذين نزلوا فى جنوب معروف ، والمعلومات المتعلقة بهذا القسم من العرب ضئيلة جداً ، جلها أخبار مفتضبة وردت فى القرآن وأساطير مستملحة وشاها الرواة ، ويذكر المؤرخون والقصصيون من هذه القبائل عاد و ثمود و مدين و طسم و جدیس و العمالقة وأميم و جرهم وكلها من ولد ارم بن سام الا العمالقة فيما يذكر النسابون فانهم من نسل أخيه لاوذ بن سام ، وكان لبعضها دول وملوك فى جزيرة العرب امتد ملكهم الى الشام ومصر

وأما العرب العاربة فهم العرب القحطانيون الذين نزلوا فى جنوب الجزيرة العربية واتخذوا اليمن لهم موطناً ، وهم من ولد يعرب بن قحطان الذى يقال انه أول من نطق باللسان العربى وجعلت له التحايا الملوكية ، وفى ذلك يقول حسان بن ثابت الصحابى

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أبينا ، فصرتم معربين ذوى نفر
وكنتم قديماً ما لكم غير عجمة كلام وكنتم كالبهائم فى القفر

واشتهر بعد يعرب ابنه يشجب ، ثم حفيده عبد شمس بن يشجب الملقب بسبأ ، وهو مؤسس المملكة السبئية وباني السد العظيم القريب من عاصمتها مأرب ، وقد خلف سبأ هذا عدة أولاد أشهرهم حمير و **كهلان** اللذان تنسلت منهما جل القبائل القحطانية ، فمن أشهر بطون حمير **قضاعه** التي منها **بلي** و **جهينة** و **كلب** و **بهاء** و **بنو نهد** و **جرم** ، ومن أشهر بطون كهلان **الأزد** و **طيء** و **مذحج** و **همدان** و **كندة** و **مراد** و **لخم** و **جدام** .

وقد بقيت القبائل القحطانية متوطنة باليمن وسائر الجنوب العربي الى أن تهدم السد سنة 447 م حسبما حقق ذلك العلامة الألماني غلازر على عهد ملكهم عمرو بن عامر بن مزيقا فخر ب سيل العرم مأرب وأزعج عنها سكانها وقضى على دولة السبئيين ولاذ من نجا منهم بالفرار والهجرة الى الشمال الذي كانت بعض بطونهم سيقتهم اليه بسبب سوء الأحوال الاقتصادية ، وضرب المثل بتعرق جمعهم وتشتت شملهم ف قيل : (تفرقوا أيدي سبأ) .

وكان من القبائل القحطانية من أجهدها الرحلة فسكنت البادية وقنعت بعيشتها القاسية ، ومن أمعن في المسير فسكن القرى والمدائن بأطراف الشام والعراق وعاش فيها عيشة متحضرة شبيهة بعيشتها في موطنها الأصلية التي هاجرت منها . وكان الذين هاجروا من حمير قبائل **قضاعه** ، فاستوطنت **تنوخ** العراق ، و **كلب** بادية الشام ، و **عدوة** وادي القرى في الحجاز ، وكان الذين هاجروا من كهلان قبائل **الأزد** فنزلوا عمان ، ومنهم **الفساسنة** في الشام ، و **خزاعة** بمكة ، و **الأوس** و **الحزرج** بيشرب ، ومن كهلان أيضاً **بنو لخم** ملوك الحيرة الذين منهم المناذرة ، و **بنو طيء** في جبل أجأ وجبل سلمى ، و **بنو عاملة** و **جدام** في بادية الشام ، و **بنو كننة** الذين كانوا رؤساء بحضرموت يخضعون للتبابعة فامتد سلطانهم الى الجهات الشمالية فسادوا قبائل **غطفان** و **أسد** في نجد ، و قبائل **بكر** و **ثعلب** في ديار ربيعة ، وبلغ الأمر بالحارث بن عمرو من ملوكهم الى منافسة المناذرة و **الفساسنة** ، وهو الذي ولاه قباذ الفارسي ولاية الحيرة مكان المنذر بن ماء السماء ، فلما توفي قباذ تولى أنوشروان فأرجع المنذر الى سابق عمله ، ففر الحارث بماله وأهله ، وتبعه المنذر في

جمع من تغلب وايد فنجا الحارث ونهب ماله ، وأخذ ثمانية وأربعون من وجهاء قومه وسبقوا الى مصارعهم بدار بنى مرينا ، وفيهم يقول امرؤ القيس راثياً :

الا يا عين بكى لى شنيناً وبكى لى الملوك الذاهبين
ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلوننا
فلو فى يوم معركة أصيبسوا ولكن فى ديار بنى مرينا

وأما العرب المستعربة ويعرفون أيضاً بالعدنانية فهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل من جاريته هاجر ، جاء أبوه ابراهيم - وهو كلدانى الأصل - به وبأمه الى موضع مكة الحالى فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وجاءت اثر نزولهم جرهم وقطوراء من قبائل اليمن فسكننا مكة ، ولما شب اسماعيل وجد نفسه بين جرهم فتزوج سيدة بنت مضاى الجرهمى ورزق اثنا عشر ولداً هم اصل العرب المستعربة أو العدنانيين .

تنقسم القبائل العدنانية الى فرعين عظيمين : عك ومعد ، اما عك فنزلت فى نواحي زبيد جنوبى تهامة وبقيت منهم بها بقية الى ظهور الاسلام ، وليس لهم تاريخ يذكر ولا كبير شأن ، وأما معد فهم البطن العظيم الذى انحدرت منه قبائل عدنان ، وهم ينقسمون الى قسمين : نزاو وقنص وقد هلكت قنص وبقي النسل والكثرة فى نزاو ، وهم عدة فروع ، أشهرها : وبيعة ومضر وايد وانمار .

كانت مواطن وبيعة فى مهبط الجبل من غمر ذى كندة الذى يبعد عن مكة بمسيرة يومين ، وببطن ذات عرق وما حاذها من بلاد نجد الى اغوار تهامة .

وكانت قبائل مضر تقيم فى حيز الحرم الى السروات وما دونها من الفور وما والاها من البلاد .

وكانت مواطن انمار وايد فى الأول بين مواطن مضر وبلاد نجران وما يجاورها الى ان اضطرت الأولى الى الرحيل من تهامة الحجاز لسرات عسير اثر حروب وقعت بينها وبين أخواتها من ربيعة ومضر مخلفة وراءها قبيلة خثعم

وقبيلة **بجيلة** ، والى ان اضطرت الثانية الى الرحيل الى العراق بعد ما تنازعت السلطة مع شقيقاتها على الحرم ، فوقعت بينها وبين الفرس فى مهاجرها وقائع فتك بهم فى آخرها الملك سابور ذو الاكتفاف .

وتعتبر **وبيعة** أقوى القبائل العدنانية وأعظمها ، وقد نزحت هى أيضاً عن الحجاز بعدما جاذبت **مضر** حبل السلطة عليه ، فاستولت على أماكن عديدة من الجزيرة ، فنزلت قبيلة **عبد القيس** البحرين ، ونزلت **بكر** و **ثعلب** و **عذرة** طواهر نجد ، وبعد نزوحها استقلت **مضر** بأمر الحجاز وانتشرت بطونها وافتخادها وعشائرها فى مناكبه ، وكان منها **فرعان** عظيمان : **خندف** و **قيس عيلان** الذى تنتمى اليه قبائل **البتير** **البربرية** ، كما كان منهم **قريش** سادة مكة وهم **بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر** ، وفهر هو الملقب بـ **قريش** ، فكل من كان من ولده فهو **قرشى** ، وكل من انتسب الى اعلا منه فهو **كنانى** فاذا علا فوق **كنانة** فهو **مضرى** .

وقد بلغت **قريش** ذروة الشرف والمنعة فى أيام **قصي بن كلاب** حيث يبدأ تاريخ مكة الفعلى لقيامه على حكومة قبيلة **خزاعة** اليمنية ، واستنثاره دونها بحكم مكة وسدانة البيت الحرام .

ويعتبر **قصي** معدن **قريش** ومنظم حكومتها ، فلما كبر وضعت قواه أسند الحكم الى ابنه **عبد الدار** وتولاها أبنائه من بعده ، ولكن بنى **عبد مناف** بنى **قصي** كانوا أشرف قومهم وأعظمهم مكانة ، فأجمع **هاشم** و **عبد شمس** والمطلب و **نوفل** بنو **عبد مناف** على انتزاعه من بنى **عبد الدار** ، وكادت تحدث فتنة بين **قريش** لولا ان اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة لبنى **عبد مناف** وان تبقى الحجابة والندوة واللواء لبنى **عبد الدار** .

والى **هاشم** آلت زعامة **قريش** وحكومة مكة بعد **قصي** ، ولم يكن أحد ينافسه لما له من المؤهلات الخاصة ، ولما توفى خلفه ابنه شيبه الملقب فيما بعد بـ **عبد المطلب** وهو والد **عبد الله** أبى **النبي** **محمد** صلى الله عليه وسلم .

وتشتمل **قريش** على اثنى عشر بطناً هم :

1) بنو الحارث بن فهر 2) بنو عامر بن لؤى 3) بنو سهم بن عامر
4) بنو تميم بن مرة 5) بنو زهرة بن كلاب 6) بنو عبد الدار 7) بنو محارب بن
فهر 8) بنو عدى بن كعب 9) بنو جمح بن عمرو 10) بنو مخزوم بن يقظة II)
بنو أسد بن عبد العزى 12) بنو عبد مناف .

وقد انقسمت عبد مناف الى بنى هاشم و بنى أمية و بنى المطلب
و بنى نوفل .



عاشت الأمة العربية فى جزيرتها منعزلة عن غيرها من الأمم والشعوب
فحافظت بسبب ذلك على نقاوتها السلالية وكثر حفظ أفرادها لأنسابهم
وافتحارهم بأبائهم وأجدادهم ، ومن البديهي أن يكون لهذه الأمة تاريخ ، ولكنه
تاريخ بقى يكتنفه الغموض وتختلط فيه الحقيقة بالخيال الى السنين الأخيرة
التي كثرت فيها الدراسات العلمية الدقيقة وتعددت الوسائل الفعالة لاستجلاء
الغامض وتمييز الراشئ من الصحيح ، فأمكن بهذه الوسائل وتلك الدراسات
كشف الحجب عن جوانب كثيرة من ماضى الأمة العربية قبل الاسلام ،
ومقارنته بماضى كثير من الأمم التي تشبه العرب فى بداوتهم وطبيعتهم ، ومن
الواضح ان هذا الماضى لا يرتفع الى مستوى ماضى الأمم المتحضرة التي ساعدتها
طبيعة أرضها على انشاء الممالك وتشبيد الحضارات كالليونان والرومان
والعنيفيين وندماء المصريين ، خلافاً للدعوى الواهية التي بدأ يروجها فى السنين
الأخيرة بالشرق بعض الكتاب المتحمسين المندفعين الى التنبجح والادعاء بدافع
التعصب السلالى الذى لم يبق عقل سليم يقبله فى القرن العشرين .

وقد قسم المؤرخون المحدثون تاريخ العرب قبل الاسلام الى ثلاثة
أقسام اعتباراً للأدوار التاريخية الكبرى التي تناوب فيها العرب السيادة على
جزيرتهم .

فالدور الأول كانت فيه السيادة لقبائل القسم الشمالى وأكثرهم من
العرب البائدة ، ومن هاؤلاء **العماليقة** الذين سماهم اليونانيون الهيكسوس

(العرب الرعاة) وقد كانت مواطنهم في شمال الحجاز مما يلي شبه جزيرة سيناء ، وهم الذين فتحوا مصر باسم (الشاسو) ودامت دولتهم بها من سنة 2214 الى سنة 1703 ق . م . ومنهم قبيلة عاد اخوان النبي هود ، وتمود اخوان النبي صالح ، ومدين اخوان النبي شعيب وقصصهم مذكورة في القرآن ، والى القبيلة الأخيرة من النبي موسى من أرض مصر بعد ما وكز أحد ابنائها وقضى عليه ، فأقام عند النبي شعيب وتزوج ابنته .

والدور الثاني كانت السيادة فيه لعرب القسم الجنوبي وأكثرهم من القحطانيين الذين عرف لهم التاريخ أربع دول : 1) دولة معين التي كانت عاصمتها القديمة معين الواقعة في بلاد الجوف الجنوبي شرقي صنعاء وعاصمتها الحديثة مدينة قرنا ، ويقدر بعض العلماء بداية هذه الدولة حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وكانت متأثرة كثيراً بالحضارة البابلية ، وتدل قرائن كثيرة على أن سلطان هذه الدولة انبسط على الجزيرة العربية كلها الى الخليج الفارسى والبحر الأبيض المتوسط . 2) مملكة سبأ التي كانت عاصمتها في السدول صرواح ثم صارت مأرب لما اتسعت الدولة ، ولا يعرف تاريخ قيام هذه الدولة بالتدقيق ولكنها كانت موجودة في القرن التاسع قبل الميلاد في عهد الملك الاسرائيلي سليمان بن داود الذي تزوج ملكتها بلقيس ، وتدل الآثار على أنها استمرت الى سنة 115 ق . م حين انتقلت العاصمة الى ريدان (ظفار) 3) الدولة الحميرية التي هي فرع من دولة سبأ ، ابتدأت هذه الدولة سنة 115 ق . م وصار ملوكها يدعون بالتبابعة سنة 275 حين ضمت اليها حضرموت وانتهت سنة 525م أيام ذي نواس الحميرى وهو آخر ملوكها ، وقد نبغ في هذه الدولة ملوك كبار وقواد فاتحون حاربوا الفرس والأحباش وغيرهم وفتحوا مدناً وأقطاراً نائية ، ويقال ان أحد ملوكهم وصل الى بلاد المغرب وخلف به أجناداً من جيشه هم أصل قبيلة كنانة و صنهاجة 4) دولة القحطانيين خارج اليمن ، وهى فى الحقيقة امارتان احدهما غسانية بالشام كانت تحت حماية الروم ، والأخرى لخمية بالحيرة تحت حماية الفرس ، وقد استمرت الدولتان الى ان قضى عليهما المسلمون بعد موت النبي بقليل .

والدور الثالث عادت فيه السيادة الى عرب الشمال وأكثرهم من العداسين ، ولم يكن للعرب في هذا الدور دولة ولا حكومة بالمعنى الصحيح للكلمتين ، ولكن بدأت فيه قبيلة قريش تفرض وجودها واحترامها على القبائل العربية الأخرى وكانها تنهيا لحمت خطير حتى صارت لها الكلمة المسموعة والجانب الموقر ، وصار العرب اذا تفاخروا بقبائلهم وأنسابهم يستثنونها من المفاخرة لأقاربهم بتفوقها عليهم جميعاً :

فأما الناس ما حاشا قريشا فأنا نحن أحسنهم فصالا

وفي أيام قصي بن كلاب الجسد الخامس للنبي محمد عليه السلام انتزعت قريش من خزاعة ما بقى لها من نفوذ بمكة ، وهى قبيلة يمنية هاجرت من اليمن الى الحجاز عقب سيل العرم واستقرت بمكة وجاذبت جرحهم حب السلطة فيها الى ان انتزعت منها ، وبقيت مستمسكة به الى ان حصل بينها وبين بطون كنانة نزاع عليه أدى الى قسمة المناصب الحكومية بينهم ، فكان الحكم وما اليه لخزاعة ، والقضاء وشؤون الدين لكنانة ، واستمر الحال كذلك الى ان كثرت بطون كنانة واشتدت عصيبتها فتنازعت خزاعة ثانيا بزعامه قصي بن كلاب وسلبتها ما بقى لها من مناصب الحكم ، فجمع قصي حينئذ قريشا من منازلهم بين كنانة واستقر بهم فى مكة ونقلهم من البداوة الى الحضارة ، وتيمنت قريش به فصرفوا اليه مشورتهم ، وأسسوا (دار الندوة) ازاء الكعبة لمشاورتهم ، وتصدى قصي للعناية بشؤون الحج وتهيئ ما يترتب عن مجيئ الحجاج بأعداد وفيرة من ماء وغذاء وفرض على قريش خراجاً يؤدونه ، واجتمع له الشرف كله ، وصارت له الحجابة والسقاية والرقادة والندوة واللواء ، فكان بها فى حكم الأمراء والملوك .

وآلت الزعامة فى مكة الى هاشم بن عبد مناف بن قصي ، وكان رجلاً ذا مؤهلات خاصة ومواهب لم يستطع أحد من قومه ان يفكر معها فى منافسته ، وهو الذى بذل فى نفوس قريش حب التجارة وزين لها الكسب وسن لها رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام ، فأضافت مكة الى مجدها الدينى التليد مجداً اقتصادياً طريفاً ، وازدهرت فى أيامه سنة 464 م وسمت مكانتها فى جميع جهات الجزيرة العربية .

وتوفى هاشم فى احدى رحلاته بغزة بعد ما عقد معاهدات تجارية وسياسية مع فارس والحبشة والامبراطورية الرمانية والامارات العربية بالشمال والجنوب ، فخلفه أخوه المطلب فى زعامة مكة حتى كبر ابنه شيبه بن هاشم فقام فى مناصب ابيه وسمى بعد ذلك عبد المطلب ، وهو الذى تعرضت مكة فى أيامه سنة 570 لغزو الحبشة بقيادة ابرهة عامل النجاشى باليمن فانكسروا بعد ما تفشى فيهم مرض الجذرى وجعل كيدهم فى تضليل .

وقد تعرضت الجزيرة العربية خلال تاريخها المتقدم على الاسلام لعدة غزوات خارجية ، فكان الفرس يغيرون عليها من الشرق والشمال ، والروم يغيرون عليها من الشمال الغربى ، ولكن غاراتهم لم تكن مركزة ولا مستقرة نظراً لوعورة المسالك وصعوبة الطبيعة ، اما الغزوات التى كان لها طابع استعمارى فهى الغزوات الآتية من بلاد الحبشة عن طريق مضيق باب المندب ، وقد استطاع الأحباش أن يثبتوا أقدامهم فى بلاد اليمن عدة مرات ، وبواسطتهم دخلت النصرانية الى تلك البلاد ، وفكروا ذات مرة فى الاستيلاء على مكة وتخريب الكعبة ولكنهم انهزموا شر انهزام بمعجزة سماوية ، وكان ذلك عام 570 الذى سماه العرب عام القيل ، وهو العام الذى ولد فيه نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .



المجتمع العربي

يخضع مجتمع كل أمة لعدد من المؤثرات الجغرافية والعقلية والنفسية ويتكيف بها ، فهو من جهة وليد الأرض وما يلازمها من جذب أو خصب ، وغنى أو فقر ، وهو من جهة أخرى وليد ما ينصف به سكانها من غباوة أو ذكاء ، وعلم أو جهل ، وجد أو كسل ، وما يشغل عقولهم ويملا قلوبهم من عقائد وأديان.

وإذا ألقي الإنسان نظرة على موقع الجزيرة العربية من الخريطة العالمية وجدها تقع في المنطقة الاستوائية التي يشتد حرها ، وفي شبه جزيرة معزلة قاحلة بجنوب غرب آسيا يتعدم فيها الماء والنبات أو يكاد ، محرومة من كثير من النعم والمزايا التي تيسر العيش في أقطار أخرى وتجعله رخيئاً رعيئاً ، فلا عجب أن يكون المجتمع العربي يتسم في معظمه بطابع البداوة ، ويسوده نظام القبيلة ، ويغلب فيه جانب الاضطراب على جانب الاستقرار ، ويتصف أهله في نفس الوقت بكل ما يتصف به البدو من شجاعة واقدام ، واعتماد على النفس وتحمل للمشاق ، واکرام للضيف وحماية للجار .

ويمكن أن يوصف الفرد العربي — قبل تطوره العظيم بتأثير الاسلام — بأنه انسان ذو شخصية قوية تتجلى في أنانيته وأثرته وحب الخير لنفسه دون غيره وانفراده بالمجد والجاه وطيب الأحدثة وكریم السجایا والخصال ، وعشقه للحرية ونزوعه الى الاستقلال ، كما تتجلى شخصيته في جلدته وصبره على الفقر والجوع ومغالبتة للطبيعة القاسية في صحرائه العاتية التي تلفحه بحرماً حتى تتركه هزبل الجسم يابس الجلد أسمر اللون أسود الشعر ، وتستولى على احساسه بوحشتها فتصير مرهف السمع حاد البصر سريع التأثير متوتر الأعصاب ، وتدفعه بامحالتها وقحطها الى انتجاع المراعى والارتحال في طلب الرزق من مكان الى مكان، واعتماد الغزو وشن الغارة لضمان العيش عند ما تشتد الضائقة ولا يكون بغير الطعن والضرب بقاء .

وكانت القبيلة هي أساس النظام ، والخلية الكبرى في دنيا العرب سياسياً واقتصادياً ، فكانت الصلة قوية بين الفرد وقبيلته كلاهما يخلص للآخر ويحامي عنه ويستमित من دونه ويؤو بحظ من فخره أو عاره ، ولكن الصلات كانت ضعيفة بين القبائل التي لم يكن بعضها يجتمع ببعض الا في حلف موقوت ، فلذلك لم يستطع العرب في هذا الجو القبلي المتقطع أن ينشئوا دولة قوية او مجتمعات راقية ، ولم يتمكنوا لبعده الشقة وصعوبة الاتصال ان يضعوا مقادتهم في يد حكومة مركزية تجمع شتاتهم وتوحد كلمتهم وتعلمهم النظام وتحكمهم الى قانون ، وقصارى ما كانوا يبلغون اليه أن يدعن أفراد كل قبيلة الى سيد منها اذا رأوا في سيادته خيراً وتوفرت لديه أدوات الرئاسة من شجاعة وفصاحة وحلم وغنى وكرم ، وغالباً ما كانت هذه السيادة تنتقل في القبيلة من بيت الى بيت لأنانية العربى وتنافس العشائر وحرص كل واحدة منها على ان لا تطول الرئاسة في بيت واحد فيذهب بفخر القبيلة كلها ، وأشرف البيوت عندهم بيت تتابعت فيه رئاسة آباء ثلاثة ثم اتصلت بالرابع فيسمى الكامل، كبيت حذيفة بن بدر في بني ذبيان ، وبيت ذى الجدين في بني شيبان .

وكان الأب أو الزوج هو رئيس الأسرة وله السلطة المطلقة على أهله وبنيه ، أما المرأة فكان البدوى ينظر اليها كأداة للمتعة والنسل ، ويرغب في أن تلد له غلماناً يكاثر بهم غيره ويقوى بهم مكانه في القبيلة ويديم بهم بقاءه من بعده ، ولذلك كانوا يتشاءمون من ولادة الأنثى ومنهم من كان يشدها بعد ولادتها ، وقد وصف القرآن الكريم بعبارات ناصعة حالة الرجل العربى وحيرته عند ما تولد له بنت فقال : (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيسسكه على هون ؟ أم يدسه في التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون) ! على ان عادة الوأد لم تكن عامة والا لاندثر الجنس العربى ، وإنما كانت فاشية في بعض القبائل فقط مثل أسد و قهيم حتى جاء الاسلام فنهى عنها وأبطلها ، وقد كانت المرأة العربية تشارك الرجل في كثير من شؤون الحياة : تحطب وتسقى ، وتحلب الماشية وتنسج الملابس والخيمة ، وأغلب النساء كن سافرات يقابلن الضيوف ويتحدثن اليهم ،

وكثيراً ما كن يصحبين الرجال الى الحرب ويقمن خلفهم اثناء القتال ليستميتوا في الطعن والضرب مخافة أن يلحقهم عار بسبيهن ، ولكنهن لم يكن يغنين فيها عناء الرجال بسبب ضعفهن وقوتهم ، وكان للمرأة المكان الاول في الشعر العربي فلا تكاد تخلو قصيدة من الافتتاح بذكرها والغزل بها .

وكان البدو يتزوجون صفاراً ، الذكر في الخامسة عشرة والأنثى في العاشرة أو أقل ، يخطب الرجل الى الآخر بنته ويصدقها ثم يعقد له عليها ، وله حق الطلاق وتعدد الزوجات حسب استطاعته الا اذا اشترطت عليه المرأة عدم التعدد ، وكانوا يميلون الى زواج البعداء لأنه انجب للولد وأبهى للمخلقة ، ولم يكونوا يجمعون بين المرأة وبنتها ولا بينها وبين أختها ، ولكنهم استحلوا زواج امرأة الأب الى أن حرمه الاسلام ، وربما تزوج بعضهم نساء بعض في فترات الغزو بلا عقد ، أو ذهبت المرأة الى عدة رجال فيولد الولد لا يعرف من أبوه فتلحقه أمه بمن تريد من الرجال الذين سبق لها معرفتهم ولا يرفضه الرجل ان كان ذكراً وقد يلجأون الى القيافة ويلحقونه بأكثرهم به شبهاً .

وكان البدو من العرب يسكنون الخيام ، يتخذونها من الوبر والشعر والصوف ، ويقسمونها قسمين مفصولين بستار ، يكون أحدهما وهو المقدم للرجال ويكون الآخر وهو المؤخر للنساء ، وينقلونها معهم اذا ارتادوا أو خرجوا للغزو ، وقد كانت هذه الخيام موضوعاً مثيراً للشعراء يصفونها ويصفون ما فيها ومن فيها ، ويبكون على أطلالها بعد رحيل أهلها عنها ، ويقفون على آثارها الباقية لاستعراض ذكرياتهم بها ، وكان أكثر طعامهم اللبن والتمر ، واذا نزل بهم ضيف نحروا ناقة أو ذبحوا شاة اكراماً له ، لأن اللحم مظهر من مظاهر الجود ، وكانت عادة شرب الخمر فاشية بين الأغنياء منهم حتى جاء الاسلام فحرمها ، وقلما تحدث شاعر جاهلي عن حياته دون أن يتحدث عن الخمر وكرمه اذا شرب ، وقد يتصل بالشراب الفناء ، فقد ذكر أن بعض الجواري كن يغنين في مجالس الشراب .

وكان أهل البادية من العرب يعتمدون في معيشتهم على رعاية الابل ثم على الغزو والصيد وحراسة القوافل ، وكانت عنايتهم بالابل والاستكثار

منها تفوق كل عناية ، اذ عليها معولهم في الحياة : يأكلون لحومها ، ويشربون البانها ويسسجون خيامهم من أوبارها ، ويحملون أثقالهم على ظهورها ، ويفتدون أسراهم بها ، ويؤدون المهور والديات والصدقات منها ، ويتقايضون في البيوع عليها ، وكان المترفون منهم يعنون بالخيول أيضاً ، وربما كانت أعز ما يباع عند العرب ، كانوا يطلقونها على الصيد ويتحاربون فوقها ويقيمون لها السباق ويضعون الأسماء لخيول الحلبة كالمجلى والمصلى والمسللى ، ولم يحترف منهم الزراعة الا سكان جبال اليمن وبعض المناطق الشمالية كالطائف ويشرب وخيبر ووادي القرى وتيماء ، اما الصناعة فكانوا يرونها حرفة مستزدة ويعيرون صاحبها ولا يتعاطاها في الغالب الا الغرباء والعبيد ، بخلاف سكان الحواضر القليلة الذين لم يكونوا يحجمون عن عمل يتعيشون منه سواء كان تجارة أو صناعة أو فلاحه ، وكانت مكة مركزاً تجارياً ممتازاً وأهلها تجاراً ماهرين يندعون الجزيرة العربية طولا وعرضا ، وكانت لهم على الخصوص رحلتان سنويتان أحدها شتوية توصلهم الى بلاد اليمن حيث يشرون بضاعتها والبضائع الواردة عليها من بلاد الهندكالتوابل والبخور، ورحلة صيفية الى بلاد الشام يبيعون خلالها سلع اليمن ويشتررون ما يحتاج اليه العرب من منسوجات ومصنوعات ، وكانت لهم أسواق سنوية داخلية يبيعون فيها ويشتررون ويتناشدون الأشعار ويتناقلون الأخبار ويتحاكمون الى قضاة ، ومن أشهر هذه الأسواق عكاظ بين نخلة والطائف الذي كان سوقه يعقد من أول ذى القعدة الى اليوم العشرين منه ، ومجنة الواقعة بمر الظهران قرب مكة التي ينتقلون اليها من عكاظ فيقيمون فيها الى متم ذى القعدة ، وذى المجاز البعيد عن عرفة بفرسخ كانوا يقيمون فيه ثمانية أيام من ذى الحجة ويعرفون في اليوم التاسع وهو يوم التروية ، ولم تخل الجزيرة العربية في جميع عصورها القديمة من جماعات تتكسب عن طريق الغزو ، فكانت تشن الغارات لنهب الأموال وسبي النساء والأولاد وبيعهم بعد ذلك في أسواق العبيد، وكانت الحرب بسبب ذلك وبسبب النزاح على الكلأ والماء لا تخمد نارها والحسائف لا تخف وطأتها ، ولكن حروبهم ووقائعهم المعروفة في كتب التاريخ والأدب بأيام العرب لم تكن تخلف على كثرتها وطول أمدتها ضحايا كثيرة ولا خسائر

وفيرة ، لأن الغرض الأكبر منها هو النهب والفرار بالغنائم والأسلاب ، ولأن البدو كانوا يتحامون القتل جهدهم لما يستلزمه من أخذ الثار ودفع الديات ويخلعون اللصوص والمجرمين (129) وقد ذكروا أن حرب البسوس التي دامت أربعين سنة بين بني بكر و بني قحطب لم يقتل فيها إلا عدد قليل من المتحاربين .

ولم يكن العرب في جاهليتهم يومنون بدين واحد ، وإنما كانت لهم أديان متعددة ومذاهب مختلفة يخلطون بعضها ببعض ويمزجون العقائد السماوية بالعقائد الوثنية وما هو شرك بما هو توحيد ، وقد ضعف فيهم دين إبراهيم ولكن بعض شعائره كالْحج استمرت قائمة فيهم ، وبعض معاهده كالكعبة بقيت لديهم معظمة الحرمات ، وقد أخذوا عبادة الأصنام عن اليونان والرومان الذين حملوا آلهتهم وتماثيلهم إلى الشام ، والمجوسية عن العرس ، واليهودية عن المهاجرين الاسرائيليين الذين فروا من الأشوريين ثم من الرومان بعد خراب هيكلهم ببيت المقدس سنة سبعين ، كما أخذوا النصرانية عن دعايتها الأولين وعن أهل الشام أثناء الحكم البيزنطي ، وعن أهل الحبشة الذين استقروا زمناً باليمن وبنوا فيه بعض الكنائس ، فكانت اليهودية في يثرب وفدك ووادي القرى وتيماء واليمن، فمنها قبائل اسرائيلية تعربت مثل قريظة والنظير وقينقاع بيثرب ، وقبائل عربية تهودت كلاً أو بعضاً مثل حمير وكنانة والحارث بن كعب ، وكانت النصرانية في بادية الشام وبين النهرين وحوران وجهات من البحرين واليمن وعمان ، وانتشرت في قبائل وبيعة وكننة وقضاة وغسان وتميم وجرهم ، وكانت كعبة النصارى بنجران حرماً آمناً كمنكة لا يجوز انتهاكه ، ومن العرب من كان يعبد الكواكب والنجوم ، ومنهم من عبد النار أو قال بالشنوية أو الدهرية ، وأحل زواج الأب بابنته ، وهي عقائد ومذاهب سرت إليهم من الفرس والمجوس وما عندهم من معتقدات مزدكية ومانوية ، أما عبادة الأصنام والأوثان فقد شاعت في كل مكان منذ قدم عمرو بن لحي الخزاعي ببعض التماثيل من الشام وأقامها على الكعبة ودعا العرب إلى تعظيمها وأفسد عليهم

(129) كانت القبائل تخلع من تكثر معراته من أفرادها ولا تستطيع حمايته وتنتقل عنه فيلحقها إلى قبيلة أخرى أو يعيش في البراري عيشة الصمlook الشريد متخذاً من الوحش أهلاً وجيراناً (اقرأ لامية العرب للشنفرى) .

بذلك دين اسماعيل بن ابراهيم ، ومن أشهر أصنام العرب الطواغيت الثلاثة : اللات لأهل الطائف ، والعزى لأهل مكة ، ومناة لأهل المدينة ، أما أصنام الكعبة فكثيرة منتشرة حولها وفوقها وفي جوفها وأعظمها هبل الذي كان من عقيق أحمر على صورة انسان ، وكانوا يستقسمون عنده بالقداح ، ويستخيرونه في شتى أمورهم وأعمالهم . على انهم مع كل ذلك كانوا يميلون الى التوحيد ويصرحون انهم انما يعبدون الأصنام والأوثان وشتى مظاهر الطبيعة لتقربهم الى الله زلفى ، كانوا يجعلونها وسيلة بين أيديهم للوصول اليه ونيل رضاه ، ومما لا ريب فيه ان اليهودية والنصرانية كان لهما ضلع كبير واثر فعال في توجيه افكار العرب نحو التوحيد .

ولم يكن العرب يتقنون علماً من العلوم يوضحون مناهجه ويدونون قواعده ، لأن العلم نتيجة الحضارة التي يكثر فيها المال ويسهل العيش ، وثمره المجتمعات المنظمة المهذبة ، ولكن الطبيعة كانت مفتوحة امام أعينهم لا تحجبها دور ولا قصور ، فاهتدوا بالفطرة الى كثير من أسرار الحياة ، واستفادوا بالتجربة ما استفاده غيرهم في غرف الدراسة وتلقاه من أفواه المعلمين ، فقد عرفوا النجوم ومواقعها ، والأنواء وأوقاتها ، وعرفوا طباً هدتهم اليه التجارب وتوارثوه جيلا عن جيل ، وتناقلوا أخبار الأمم المحاورة لهم من فرس وروم مع كثير من التحريف ، وكانت لهم نظرات في الحياة وخطرات فلسفية هداهم اليها العقل السليم ، ولكن أكبر ما كانوا يمتازون به هو حدة ذكائهم وحضور بديهتهم ، وفصاحة ألسنتهم ، فكان شعرهم ولغتهم وخطبهم وأمثالهم أكبر مظاهر حياتهم العقلية .

ويتكلم العرب لغتهم المشتقة من أصل سامى ، وهي إحدى اللغات العظيمة المرنة القادرة على التعبير عن كل خلجات النفس ومشاهدات الحس وخواطر العقل ومشاعر الوجدان ، ولها قدرة عجيبة على صهر الألفاظ العجمية وتصريفها حتى تصير كأنها من العربي الأصيل ، وكانت في الجاهلية مقسمة الى فرعين : فرع حميرى فى الجنوب وفرع عدنانى فى الشمال ، وكلاهما يفاير الآخر فى الأوضاع والأحكام وان شابهه فى كثير من الألفاظ والتراكيب ،

وفد تعلبت لغة عدنان في النهاية على لغة حمير بسبب ما أصاب الحميريين من تنسب وانقراض ، وضعف وانحلال ، وما توفر للعدنانيين من أسباب القوة والظهور وشيوع لغتهم عن طريق الأندية والمجامع والأسواق والحج والعوامل التجارية ، وزادها سمواً عناية المتكلمين بها باختيار الألفاظ المألوفة وإهمال الحوشى والمستقيح من الكلام حتى نشأت عن ذلك لغة أدبية واقية عرفت بلغة قریش امتد سلطانها الى سائر أطراف الجزيرة العربية لاختلاط القبائل بعضها ببعض في المهاجر والأسفار والمواسم والأسواق ، حتى اذا نزل القرآن بها زاد سلطانها توطيداً وجعل كل لهجات العرب تتضاءل أمامها حتى صارت في حكم المعدوم .

وكانت الكتابة معروفة عند العرب ولكنها قليلة الانتشار لان انتشار الكتابه ينبع فيام مجتمعات منظمة وهو ما لم تكن الطبيعة تساعد العرب عليه ، وكان عرب الجنوب يكتبون خطأ منفصل الحروف شبيهاً بالكثانة الحشسه يعرف بالمسند الحميرى ، وقد نقشوه على حجاره كثيرة كشفت عنها السعيات الأركيولوجيه في العصر الحديث ، أما عرب الشمال فانهم كانوا أجهل بالكتابه من احوانهم سكان الجنوب ، وكان خطهم يدعى بالجزم لأنه اقتطع من الأرامى النبطى ، ولم يتحول من صورته النبطية البحتة الى صورته العربية المعروفة الآن الا قبل الاسلام بقليل ، ولم يكن يعرفه منهم الا أفراد قلائل من أهل الحواضر معرفة لا تصل الى حد الجودة والاتقان ، ولذلك قلت الآثار المكتوبه به فلا يعرف منها الا آثار حوران .

ورغم أن العرب ظلوا في جاهليتهم أميين لا يقرأون ولا يكتبون فان آدابهم من منظوم ومنثور بقيت محفوظة لاعتمادهم على الذاكرة وحفظ الرواة ، فقد كان لكل شاعر راوية يحفظ شعره ، وقد تكون قبيلة الشاعر كلها راوية له اذا كان موهوباً وشعره جيداً ، كمعرو بن كلثوم السدي كان يسرى معلقته بنو تغلب كلهم ، يرويها صغارهم عن كبارهم حتى عيب عليهم ذلك وعيبرهم الشاعر بقوله :

الهى بنى تغلب عن كل مكreme	قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها ابدأ مذ كان أولهم	بالرجال لشعر غير مسؤول !

غير أن الذاكرة لم تكن وحدها كافية لتسجيل الأدب العربي قبل الاسلام ووفائه من النحل ، فضاغ منه بسبب ذلك الشيء الكثير ، كما أضاف اليه الرواة بعد الاسلام الشيء الكثير لأغراض دينية أو سياسية أو شخصية .

وجملة القول - كما يقول الأستاذ المرحوم أحمد حسن الزيات - فإن المجتمع العربي خارج القبيلة كان معكناً من الجهة السياسية والاقتصادية واللفوية ، مرتبطاً من الجهة الخلقية والعقلية والأدبية ، ولو ساغ لنا أن نحكم على العرب بمقتضى لفتهم وأدبهم لوجدنا لهم نفوساً كبيرة واذهاناً بصيرة وحكمة خيرة ومعارف واسعة ، كونوا أكثرها من نتاج قرائحهم ونسار تجاربهم ، فإن لفتهم وعي صورة اجتماعهم لم تدع معنى من المعاني التي تتصل بالروح والفكر والجسم والجماعة والأرض والسماء وما بينهما الا استوعبت أسمائه ورتبت أجزائه ، ووضع اللفظ للشيء دليل على وجوده وعلمه ، ولا يكون التمدن اللغوي الا بعد تمدن اجتماعي راق في حقيقته وان لم يرق في شكله ، عام في أثره وان لم يعم في أهله (130) .

محمد رسول الله

كان المجتمع الانساني على العموم والمجتمع العربي على الخصوص في نهاية القرن السادس الميلادي بلغ الدرك الاسفل من الفوضى والانحطاط ، وسوء التربية وقبح السلوك ، وكانت الانسانية تتطلع الى رجل منقذ يخلصها من حماة البغي والفساد التي كانت تتمرع فيها سواء كان رسولا توحى اليه الشرائع من السماء ، أو مصلحاً لا ينزل عليه الوحي ، ولكن يلهم بنظره الشاقب الى المقاصد والأهداف التي يبعث لها الأنبياء والرسل وهي اقامة نظام مؤسس على الحق والعدل والمصلحة بين الناس ، وتتوفر له الوسائل التي يفدر بها على فرض ذلك النظام واقناع الناس بالركون اليه والاستمسك به والضرب على أيدي الذين يشاقونه ويخالفون عن أمره .

وفد كان الخلاص هذه المرة على يد رجل عظيم جمع بين وحي السماء ورجاحة العقل وقوة الارادة وحسن الاقناع والتبليغ ، هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي العربي .

ولد عليه السلام يوم 20 غشت سنة 570 بمكة المكرمة ، وكان والده عبد الله توفي وهو جنين في بطن أمه السيدة آمنة بنت وهب الزهرية ، وفي يوم سابع ولادته نحر جده عبد المطلب الجزور ودعا وجهاء قريش فحضرُوا وطعموا ، ولما علموا انه سمي حفيده محمدًا وهو اسم لم يكن مألوفاً عند العرب سألوه لم رغب عن أسماء آبائه ؟ فقال أردت أن يكون محموداً في السماء لله ، وفي الأرض لخلقه .

ودفعت آمنة وليدها الى حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية لترضعه ، فقد كان من عادة أشراف العرب المتبعة أن يبعثوا أبناءهم الى البادية في اليوم الثامن من مولدهم فلا يعودون الى الحاضرة حتى يبلغوا الثامنة أو العاشرة ،

وكان لمراصع بنى سعد شهرة عند أشراف مكة لحديثهم على الأطفال الذين يرضعهم وعنايتهم بهم وحسن تربيتهن لهم ، فنشأ محمد بن عبد الله في بيت حليلة وزوجها الحارث بن عبد العزى ببادية بنى سعد ، وكان بيت فقر وضعف حال ، فما كاد محمد يدخله حتى وجدت حليلة وزوجها خيره : سمعت غنمهما وزاد لبنها ، وبارك الله في كل ما عندهما ، وأقام هناك ينشئ من جو الصحراء الطلق روح الحرية والاستقلال النفسى ويتعلم من بنى سعد لغة العرب مصفاة أحسن النصفية حتى بلغ الخامسة من عمره فارجعته الى أمه اثر حادثة شق الصدر التى طهر فيها قلبه ونظف ليلتقى رسالة الله خالصاً ويؤديها مخلصاً تمام الاخلاص صابراً على ما يلقي فى سبيل تبليغها من أذى ويبث فى طريقه من أحجار وأشواك .

وكفل عبد المطلب حفيده وكان يحبوه يعطف زائد ويفدى عليه كامل حبه ويسبح حميل رعايته ، كان بنوه يجلسون حول فراشه قرب الكعبة اجلالاً له ، فاذا جاء محمد استندناه وأجلسه معه على فراشه وربت على طهره ، ولكن اليتيم الذى صاحب شطره محمداً منذ ولادته أبى الا أن يكون تاماً وهو فى طفولته الباكرة ، فماتت أمه آمنة بالابواء عندما ذهبت به الى المدينة لزيارة أخوال حده من بنى النجار ، ثم مات جده عبد المطلب ، فكفله عمه أبو طالب وأولاه حبه وعنايته ورعايته وحمايته التى استمرت بعد ذلك سبعين طويلاً الى أن مات ، وكان يفعل ذلك متأثراً مما يرى من نجابة ابن أخيه ودكائه وبره وطيب نفسه ، وصحبه معه الى الشام وسنه لا يعدو الثانية عشرة ، وعاش محمد مع عمه يعوم بما يقوم به من هم فى مثل سنه ، فاذا جاءت الأشهر الحرم أقام بمكة مع أهله أو خرج وإياهم الى الأسواق القريبة منها يستمع اشهاد اصحاب المذاهبات والمعلقات ، ويصغى الى بلاغتهم فى عزلهم وفجرهم وذكر أنسابهم ومغازيهم وكرمهم وفضلهم ، ثم يعرض ذلك على بصيرته تكرر منه ما لا تسيع وتقبل ما تراه جديراً بالقبول ، ويستمع الى خطب الخطباء ومنهم يهود ونصارى يعيبون على اخوانهم العرب شركهم وونيتهم ويدعونهم الى ما يعتقدون انه الحق من دين موسى ودين عيسى ، فيستفتى قلبه فى ذلك فيراه خيراً من عبادة الأصنام التى غرق فيها أهله ، وهكذا بدأ القدر يوجه نفسه الشريفة منذ نومة

أطواره الوجهة الصالحة وبهيته لليوم العظيم ، يوم الوحي الأول حين أمره ربه أن يقوم بهداية الناس الى الحق والى صراط مستقيم .

وكما عرف محمد طرق القوافل التجارية بالصحراء مع عمه أبى طالب، وحضر مع أهله أسواق العرب واستمع الى ما يلقى فيها من خطب وأشعار عرف الحرب والقتال فى سنوات مراهقته ، فقد وقف الى جانب أعمامه فى حرب الفجار التى دامت أربع سنوات بين قريش وهوازن ثم انتهت بعدها الى صلح ، ثم حضر بدار عبد الله بن جدعان التيمى حلف الفضول الذى تعاقدت فيه قريش وتعاهدت على أن تكون مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحرصوفة، وقد بقى محمد يذكر هذا الحلف بقية حياته ويقول عنه (ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار عبد الله بن جدعان حمر النعم ، ولو دعيت به لأجبت) .

وخلال فتوته ومراهقته وبداية شبابه لم يشترك محمد فى شىء مما كان يفعله الشبان فى سنه من تجارة وربى وشراب وتسرى ولم يأخذ من ألوان اللهو بنصيب كبير ولا صغير، ولم يكن ذلك منه عن عجز بدنى أو ضعف مادى، بل نشأ عن رغبة نفسه التائقة الى الكمال عن اللهو وتشوفه الى نور الحياة المنجلي فى كل مظاهر الحياة لمن هداه الحق اليها ، ولذلك دعاه أهل مكة جميعاً بالأمين لأنه ظهر منذ صباه بمظهر الكمال والرجولية وأمانة النفس ، وعرف بنقوب الدهن وحصافة الراى وعفة الجوارح واطالة التأمل والتفكير .

واشتغل محمد برعى الغنم لأهله وأهل مكة ، وكان يذكر رعيها مغتبطاً ويقول : (ما بعث الله نبياً الا راعى غنم) ويقول : (بعث موسى وهو راعى غنم ، وبعث داود وهو يرعى الغنم ، وبعثت وأنا أرى غنم أهلى بأجساد) ، ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره استأجرته خديجة بنت خويلد الاسدية للتجار بمالها فى الشام ، فسافر مع غلامها ميسرة وباع واشترى وربح ، وأسر قلب ميسرة بحلو شمائله وجميل معاشرته ، ولما عاد حدث ميسرة مولاته عن رقة شمائله وسمو نفسه وما شاهد خلال سفره معه من الخوارق والارهاصات العجيبة فرغبت فى الزواج منه ، وتم لها ذلك رغم فارق السن بينهما ، فبدأت صفحة جديدة من حياة محمد : صفحة الزوجية الموفقة الهنية ، والأبوة التى تحس بالآلام لفقد الأبناء مثل احساس محمد بالآلام فى الصغر لفقد الآباء .

وأقام محمد في بيت خديجة وقد أغناه الله بالزواج منها يشارك بنصيب في الحياة العامة بمكة ، فشارك في إعادة بناء الكعبة بعد ما صدع سبيل جدرانها ، وحكم بين بطون قريش عندما اختلفوا على من يضع الحجر الأسود في مكانه ، وقرت عينه بولادة ابنين وأربع بنات ، ولكن موت الابنين ترك في نفسه ونفس زوجته ما يتركه الموت في نفس كل أب وكل أم من أثر عميق ، ولما بدأ يدنو من الأربعين من عمره صار يتحنث في غار بأعلا جبل حراء الذي يبعد عن مكة فرسخين الى جهة الشمال فكان يقيم فيه طيلة شهر رمضان معنفاً في التأمل والعبادة ملتصقاً الحق مكتفياً بالقليل بعيداً عن ضوضاء الناس ومشاكل الحياة ، وبعد سنوات من انشغال نفسه بالحقائق العليا بدأ يرى في نومه الرؤيا الصادقة الذي يظهر اثناءها أمام بصيرته نور الحقيقة التي ينشد ويرى معها باطل الحياة وغرور زخرفها ، حتى اذا بلغ الأربعين كانت نفسه الشريفة خلصت من الباطل كله وامتلأت ايماناً و يقيناً ، واتجه الى الله بكل روحه أن يهدي قومه بعد ان تاهوا في دروب الضلال ، وبينما هو نائم بالغار يوماً جاءه ملك في يده صحيفة ، فقال له : اقرأ ، فقال : ما أنا بقارىء ، فأحس كأن الملك يخفه ثم يرسله ويكرر عليه الأمر ثلاث مرات ، ثم قال له : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) ، فقرأها وانصرف عنه الملك ، وقد نقشت الآيات في قلبه ، وكان ذلك بداية نزول القرآن وظهور دين الاسلام .

واستيقظ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه فزعاً مضطرباً ، ونزل الى بينه يرحف قلبه ويضطرب خوفاً وهلعاً ، فهدأت خديجة روعه وأزالته مخاوفه ، وانطلقت بعد ذلك الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان شيخاً مسناً مطلعاً على أخبار الانبياء ، فحكته له ما رأى زوجها وما سمع ، فأخبرها انه نبي هذه الأمة ، وأمرها أن تطلب منه الصبر والثبات ، فأشرق نور الايمان على قلبها وكانت أول المؤمنين بالدين الجديد .

وتتابع نزول الوحي بعد فترة انقطاع قصيرة ، واضطلع الرسول الأكرم بمهمة التبليغ ، وأسلم له قليل من أشراف مكة وبعض مستضعفيها من غرباء وموالي وعبيد ، بينما كفر به أغلب قريش وألقوا به وبأصحابه من الأذى

ما تشعمر لذكره الجلود ، مع أن الرسالة التي جاء بها رسالة حق وحير تعوم على الايمان باله واحد لا شريك له ، وعلى العمل الصالح الذي يضمن للانسان به حياة فصلى ويجعل افرادها يعيشون متساوين متحابين متعاونين ، وقد كان من الصعب على مجتمع قبلى متعصب أن يتخلى بسهولة عما ألفه من معتقدات وعادات ، ويقبل أداء حق الله فى النفس والمال ، ويسخى تسوية العبيد والاشراف ، وأخذ نصيب من مال الأغنياء ليرد على الفقراء ، فصبر النبي عليه السلام كل الصبر وصحابته الأولون على الأذى والعذاب ، وبذل جهده فى الدعوة والاقناع ، ولكن أشراف مكة لم تزد هم الدعوة الا غتواً ونفورا خصوصاً عندما يتعلق الأمر بثلب آلهتهم وتسفيه أحلامهم التى تقبل عبادة أحجار يصنعونها بأيديهم ولا تطبق لهم نفعاً ولا ضرراً ، وبعد ما قضى اثنتى عشرة سنة فى مكة داعياً مرشداً دون كبير جدوى هاجر الى يثرب التى كان الاسلام فشا فى أهلها من **أوس وخزرج** ، وكان وصوله اليها يوم الاثنين 20 شتنبر سنة 622 م (8 ربيع الأول) وعمره يومئذ 53 سنة ، فكانت الهجرة بداية التاريخ الذى شرع المسلمون يؤرخون به فيما بعد على عهد الخليفة عمر بن الخطاب .

وفى يثرب التى أصبحت تدعى بالمدينة تنفس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الصعداء ، وزالت المعوقات التى كانت تحول بينه وبين نشر الدعوة بين العرب من غير قريش ، فبدأ ينظم جماعة المسلمين تنظيمياً محكماً معتمداً على توفيق الله وما منحه من مهارة فى تأليف النفوس ولفها حول المثل العليا وتوجيهها نحو المعاصد المحمودة ، ومع أنه وجد أمامه عوائق أخرى فى المدينة من منافقين ويهود فانه استطاع التغلب عليها وإزاحتها من طريقه بالتدريج ، وبينما كان الوحي ينزل بالشرائع والأحكام فى المدينة كان لابد من الاستظهار بالقوة للدفاع عن النفس وحيطة الدين الجديد بسياج من الوقار والاحترام ، وقد نشبت سلسلة من الحروب بين حزب النبي وحزب الكافرين به حقق فيها المسلمون عدة انتصارات من أعظمها انتصارهم على كفار مكة فى معركة بدر التى بادت فيها قريش بخزى الهزيمة وعلا بعدها شأن النبي بين العرب وطار صيته كل مطار ، وقد كان الرسول يعانى ما يعانى فى ترويض النفوس الجامحة وسياسة الناس الذين شبوا على الفوضى والفوضى الانانية ،

ولكنه عليه السلام كان يذلل فى النهاية كل صعب ويلين كل جعد بما أوتى من الحكمة والاستقامة والفهم العميق للطبيعة البشرية ، ولما انتشرت دعوته وكثر أتباعه من العرب فكر عليه السلام فى الاتصال بالشعوب الخارجية لأن دعوته السامية ورسائله الخالدة لا تخص العرب وحدهم بل تشمل الانسانية جمعاء ، فأوفد على الملوك والأمراء والولاة رسلا يحملون اليهم رسالات تتضمن دعوتهم الى الاسلام وتحذيرهم من عاقبة الرفض والجحود ، فكان منهم من قبل الدعوة ومنهم من ردها رداً حسناً ومنهم من ردها رداً سيئاً ، وما زال أمره عليه السلام يعظم حتى أمكنه فى السنة العاشرة من هجرته أن يفتح مكة ويطهرها من الأصنام والأوثان ويقر بين أهلها دين التوحيد، وأثرها وفدت عليه وفود العرب مسلمة من القاصية والدانية ، فحج عليه السلام بالمسلمين حجة الوداع التى كمل فيها الدين وانتهى الوحي وساد الاسلام كل مكان بالجزيرة العربية ، وبعدها بقليل شعر عليه السلام بحمى تنتابه ، فاستأذن نساءه أن يمرض فى بيت عائشة فأذن له ، وما زال يتقلب به على فراش المرض حتى التحق بالرفيق الأعلام من الجنة يوم الاثنين 8 يونيو سنة 632 (12 ربيع الأول عام 11 هـ) راضياً مرضياً .

لقد كان محمد عليه الصلاة والسلام أكرم رجل أنجبته الانسانية وأعظم مصلح عرفته الدنيا ، وكان ظهوره من أعظم الأحداث التى سجلها العالم خلال تاريخه الطويل ، كما كان الدين الذى جاء به خاتم الأديان السماوية التى كان الحق سبحانه وتعالى يعين بها البشرية قبل أن تستكمل نموها الفكرى على تنظيم مجتمعاتها ، وسيبقى دين محمد فى عنق كل نسمة انسانية وحق احترامه واجباً عليها مهما امتدت الايام وتطاولت السنون لما أسدى لها من الخير ودلها على الصراط المستقيم .

عليه الصلاة والسلام .

بداية الاستيطان العربي بالمغرب

لا أنوى أن أعيد فى الصفحات التالية ما سبق لى الحديث عنه من أخبار الفتح العربى لبلاد المغرب فى الفصل الثانى من هذا القسم (I3I) وإنما أبغى الحديث فيها عن بداية استقرار العرب فيه واستعرا ب أهله ، سواء كانوا بحال جنود وموظفين يشبتون سلطة الخلافة الإسلامية فى ربوعه ويديرون أموره العمومية ويؤمنون مسالكه وطرقه ، أو كانوا بحال تجار ورجال أعمال يمشون فى مناكبه ابتغاء المال الكثير والربح الوفير ، أو كانوا بحال قبائل وعشائر استهواها ما سمعت عن سعة أرضه وخصب تربته وجمال طبيعته فشدت إليه الرحال وسارت بقضها وقضيضها تطوى الأرض إليه طياً حتى ألفت به عصا التسيار ، وطاب لها بين أهله المقام والاستقرار .

ومن نافلة الكلام ان نقول ان هذا الاستقرار مضافاً إليه انتشار الإسلام بين قبائل البربر كان أعظم حادث سجله تاريخ المغرب الطويل ، فقد كان من نتائج الأول امتزاج سكانه الأصليين بالعناصر العربية امتزاجاً وثيقاً واصطبأهم بصبغتها وتكلمهم بلغتها واستثناسهم الى ثقافتها ومدنيتها ، وكان من نتيجة الثانى اعتناقهم من غير استثناء لعقيدة سماوية ملأت قلوبهم وشغلت عقولهم ووجهت تفكيرهم وتصرفهم ، وهو أمر لم ينجح فيه فاتحون غير العرب فى قديم أو حديث .

ولقد بدأ تطلع المسلمين الى الاستيلاء على المغرب فى فجر الخلافة الباكر ، اذ لم يكده عمرو بن العاص يفرغ من فتح مصر حتى بدأ يعد العدة لفتح الأقطار التى تليها غرباً ، وكان قواده وجنوده يميلون الى مواصلة الفتح ونشر

كلمه الاسلام فى أقطار جديدة وبين قوم آخرين غير الذين دأبوا لحكمهم بوادى النيل ، وزاد فى حماسهم وتقوية عزائمهم ما وجدت طلائعهم الأولى التى اتصلت ببلاد المغرب فى سكانها من دعة ومسالمة ، وما أحرزت من مغانم ومكاسب بأقل جهد .

وكانت القبائل البربرية التى واجهها المسلمون لأول احتكاكهم ببلاد المغرب هى **لِوَاتَة** و **نِفُوسَة** و **نُفَرَة** و **هَوَاة** التى أسلست لهم مقادتها وأطاعتهم بسهولة وسارت معهم تدلهم على الطرق وتعينهم على الروم الذين انحصرت فيهم المقاومة بالمدن لأول الفتح ، وأظهر بربر برقة بالخصوص منتهى الاخلاص للحكم الجديد حتى ذكر البلاذرى من حديث محمد بن سعد عن الواقدي عن مسلمة بن سعيد عن اسحاق بن عبد الله بن أبى فروة : أنهم كانوا يعيشون بخراجهم الى والى مصر من غير ان ياتيهم حاث أو مستحث ، فكانوا أخصب قوم فى المغرب (132) .

وتفيد بعض الروايات ان اخلاص بربر برقة للحكم الاسلامى لم يكن نتيجة غزو وفتح وانما كان نتيجة ايمان واقتناع سبقا دخول العرب الى بلاد المغرب ، فقد روى الشطيبى أنهم أرسلوا رسلا منهم الى عمرو بن العاص قبل أن يخلص من فتح مصر يعرضون عليه الدخول فى الاسلام على يديه ، فاستطاع عمرو أن يعهم منهم ما يريدون بواسطة ترجمان نقل اليه كلامهم ، فأرسلهم الى عمر بن الخطاب الذى رحب بهم أجمل ترحيب لأن أحد الحاضرين أخبره أنهم البربر أولاد بر بن قيس عيلان (133) فسألهم عمر بن الخطاب عن عاداتهم وعلاماتهم فلما أخبروه بها بكى لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد تنبأ بفتح بلاد لأهلها هذه الصفات ، ثم حمد الله على ذلك ، وبعث الى عمرو يأمره ان يقدمهم على الجند ، وأعادهم الى بلادهم مكرمين محملين بالهدايا (134).

(132) فتوح البلدان ص 224 .

(133) ذكر ابن خلدون أن البربر الذين وعدوا على عمر بن الخطاب استنسوا فذكروا أنهم من أولاد مازيغ . انظر ص 264 من هذا الجزء .

(134) الجمان فى أخبار الزمان لمحمد الشطيبى المغربى ، (نسخة مخطوطة) .

ومثل ذلك يحكى عن صولات بن وزمار أميرمغراوة الذى هاجر الى المدينة المنورة أو أشخص اليها عند ما وقع أسيراً بين أيدي العرب لأول الفتح فاجتمع بأمير المؤمنين عثمان بن عفان وأسلم على يديه وحسن اسلامه ، فمن عليه عثمان ولقاء برأ وقبولا لمكانه من قومه ، وعقد له على عمله فاختص صولات هذا وسائر أحياء مغراوة بولاء عثمان وأهل بيته من بنى أمية ، وكانوا خاصة لهم دون قريش ، وظاهروا دعوة المروانيين بالاندلس رعيًا لهذا الولاء ، كما اختصت قبائل صنهاجة بالولاء لعلى بن أبى طالب وكان لها مقامات صدق فى نصرة بنيها والدفاع عن دعوتهم خلال القرون الأولى لظهور الاسلام بأرض المغرب .

وقد حار المؤرخون فى تحليل خضوع البربر للمغرب دون حرب ومبادرتهم الى ارسال الخراج بأنفسهم دون أن يستحثهم حاث أو يدخل بلادهم جاب ، فمنهم من عزا ذلك الى خوفهم من قوة العرب التى عرفوا بها من غاراتهم الأولى ثم من الطليعة التى أرسلها عمرو الى بلادهم بقيادة عقبة بن نافع ، ومنهم رأى ذلك الخضوع نتيجة حتمية للحكم البيزنطى الذى أنهك قواهم وصيرهم فى حالة عجز كامل عن المقاومة ، ولكن أحداً من المؤرخين الأوربيين على الخصوص لم يعز ذلك الخضوع الى العدل الذى ساس به المسلمون البربر والرحمة التى وجدها هاؤلاء فى كنفهم الشئ الذى جعلهم يرون فيهم هداة منفذين لا غزاة فاتحين .

وسار المسلمون يفتحون أرض برقة وطرابلس قرية قرية ومدينة مدينة ، وانحصرت المقاومة فى البيزنطيين الذين اعتصموا ببعض المراسى الساحلية والحصون الداخلية ، ومال البربر الى جانب المسلمين وقاتلوا فى صفوفهم ولم يقفوا موقف المتفرج كما فعل قبيل مصر اثناء اقتتال المسلمين والروم ، وكان من المتوقع أن يسير الفتح بسرعة عظيمة ويصل المسلمون الى المحيط الأطلسى فى أقصر مدة لولا أن منع عمر بن الخطاب وإليه عمرو بن العاص من مواصلة الزحف على افريقية بدعوى انها مفرقة غادرة مفدور بها ، فاضطر قائد الجيش الاسلامى الى الرجوع الى مصر من البلاد التى فتحها تاركاً حبل أمرها على الغارب .

على أن هذا التوقف لم يطل لحسن الحظ أمده ، إذ لم تمر الا فترة يسيرة على خلافة عثمان بن عفان حتى عزل عمراً بعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فبدأ والى مصر الجديد بمجرد وصوله اليها يتشوف الى العودة الى المغرب لانعام ما بداء سلفه من الفتح ، وصار يبعث المسلمين في جرائد من الخيل فيصيبون من اطراف افريقية ويغنمون ، ثم كتب الى الخليفة يستأذنه في السير اليها ويستتمده ، ويظهر أن عثمان اهتم بالأمر اهتماماً عظيماً ، فبدأ يستشير الصحابة ثم جمع اكابرهم فزينوا له مواصلة الفتح ، فاستنفر حينئذ المسلمين من جميع الجزيرة العربية لغزو افريقية فاستجابوا له وبدأوا يتوافدون زرافات ووحداً على الجرف ، وهو مكان يبعد ثلاثة أيام عن المدينة ، وأعان الخليفة الجيش الغازي بالف بمير من ماله الخاص يحمل عليهاضعفاء المجاهدين ، وفرق السلاح وحمل على الخيل ، وأمر للناس بالأعطيات .

ومن حسن الحظ أن النصوص التاريخية حافظت لنا على أسماء كبراء الصحابة واعداد مجاهدى القبائل الذين انضموا الى هذا الجيش المعروف في كتب التاريخ بجيش العبادة لاشتراك عدد من الصحابة المشهورين فيه يسمى كل واحد منهم بعبد الله ، فهم العناصر العربية الاولى المعروفة أصولها التى دخلت الى بلاد المغرب وكان لها في مشارفه استقرار ، وفي بداية تعرب أهله أيد وآثار ، فمن كان هذا الجيش يشمل عليه :

- بنو هاشم : عدة في مقدمتهم عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس .

- بنو تميم : عدة في مقدمتهم عبد الله بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن طلحة .

- بنو عدي : عدة في مقدمتهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن زيد بن الخطاب .

- بنو اسد : عدة في مقدمتهم عبد الله بن الزبير .

- بنو سهم : عدة في مقدمتهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد المطلب بن السائب بن وداعة .

- بنو أمية : عدة في مقدمتهم مروان بن الحكم وأخوه الحارث .
- بنو زهرة : عدة في مقدمتهم المسور بن مخرمة بن نوفل وعبد الرحمان بن الأسود بن عبد يغوث .
- بنو عامر : عدة في مقدمتهم السائب بن عامر بن هشام وبشر بن أرطاة .
- بنو هذيل : عدة منهم أبو ذؤيب خويلد بن خالد الشاعر ، وعبد الله بن أنس ، وأبو ذر الغفاري ، ومعاوية بن حديج ، ورويف بن ثابت ، وأبو زمعة البلوي ، وعقبة بن نافع الفهري .
- جهينة : 600 مجاهد .
- أسلم : 300 مجاهد .
- مزينة : 800 مجاهد .
- بنو سليم : 450 مجاهد .
- بنو الدليل { 500 مجاهد .
- ضمرة {
- غطفان { 700 مجاهد .
- أشجع {
- فزارة {
- بنو كعب : 400 مجاهد .

وقد تضخم عدد هذا الجيش الذي فصل عن الجوف في شهر أكتوبر سنة 647 م (محرم 27 هـ) بمن انضم اليه من الجند الذي كان مقيما بمصر حتى بلغ 20 ألفا ساروا جميعا مع عبد الله بن سعد الى افريقية وهزموا الروم وقتلوا قائدهم كريكوريوس (جرجير) بمكان قريب من سبيطلة ، ثم حاصروا فلولهم المنهزمة بحصن الجم ، لكن هذا الانتصار لم يكن من عواقبه استيطان العرب في افريقية ولو بحال حاميات عسكرية ، لأن عبد الله بن سعد رجع الى مصر بعد ان صالحه الروم على مال مشترطين عليه أن يرحل بمن معه من العرب ، فلم يول على البلاد التي فتحها أحدا ولم يتخذ بها قيروانا .

ومن القصص الطريفة التي يوردها المؤرخون لدى كلامهم على معركة سبيطة أن حرجير قائد جيش الروم أمر منادياً أن ينادى في الجيش : من قتل عبد الله بن سعد فله مئة ألف دينار وأزوجه ابنتي ! وكانت فاء جميلة تجيد الرماية وركوب الخيل ، فلما سمع عبد الله بن سعد النداء رد عليه بالنداء في معسكر المسلمين : ان من قتل حرجير من المسلمين فله ابنته ومن معها ، فيقال انها صارت بعد هزيمة الروم لعبد الله بن الزبير ، ويقال انها خرجت في سهم رجل من الأنصار ، فانصرف بها قد حملها على بعير له وجعل يرتجز :

يا ابنة حرجير تلقى نعلتك لقيت بالنحلة ثكلى ابتك
لتأخذن في الطريق عقبك لتسقين شرماء قربتك
شر عجوز بالحجاز ربك !

قالت : فما يقول هذا الكلب ؟ فأخبرت بذلك ، فألقت بنفسها عن البعير الذي كانت عليه فدق عنقها فماتت !

وسواء صحت هذه القصة أم لم تصح فقد أحببت ذكرها هنا لأنها تمثل من جهة عزة النفس ، وتسجل لنا من جهة أخرى أول شعر معروف قاله العرب وهم يفتحون بلاد المغرب .

وتوقف الفتح والاستيطان بعد الصلح ورجوع عبد الله بن سعد ، ولكن البلاد المفتوحة أولاً (برقة وطرابلس) ظلت على ولائها للمسلمين حتى في سنوات العتنة والتنازع على الخلافة بين علي ومعاوية ، ولم تسجل حركات معادية ولا نقض للعهود في الأراضي التي صالح عليها الروم المسلمين في جنوب القطر التونسي ووسطه ، فلما نفّض المسلمون أيديهم من الخلاف بعد مقتل علي وتملك معاوية ، وأعيد عمر بن العاص الى ولاية مصر استأنف هذا الفتوح وأرسل الى افريقية معاوية بن حديج على رأس جيش اسلامي يتركب من عشرة آلاف جنسدي فيهم عدد من كبار الصحابة والتابعين كعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير بن العوام ، وعبد الملك بن مروان ، ويحيى بن الحكم بن أبي العاص ، وعدة من أشرف قريش ونفر كبير من جند مصر ، فتغلب على جيش بيزنطي أرسل حديثا اليها ، وتقدم شمالا حتى أفضى

الى سهل تونس ، ونزل في مكان يسمى القرن اتخذه مركزاً لأعماله ، بنى فيه دوراً وحفر آباراً سميت بآبار حديج ، وهو من الأسماء العربية الأولى التي دُعيت بها أمكنة بأرض المغرب ، وكانت الأخبار استفاضت يومئذ بين البربر عن عدل المسلمين ورحمتهم ، فكانوا يرحبون بمقدمهم أجمل ترحيب ، سيما وأن الجيش الاسلامي كان يضم عدداً من اخوانهم بربر مصر وبرقة الذين كانوا يتكلمون لغتهم ويطلعونهم بواسطتها على فضائل الاسلام ويزينون لهم الايمان به ليرتفع مستواهم وينالوا خير الدنيا والآخرة .

ولما أسندت القيادة العامة الى عقبة بن نافع سنة 670 (50 هـ) وسار الى افريقية في عشرة آلاف فارس منهم 25 صحابياً أمعن النظر في سياسة الفتح وعواقبها ، ورأى أن الغرض الاسمي ليس هو تحقيق النصر والاستيلاء على الغنائم ولكنه التمكين لدين الله بين سكان البلاد المفتوحة وتوطيد أركان الحكم الاسلامي فيها ، غير أن ذلك لا يتأتى بغارات متقطعة ، وانما يتأتى بإقامة مستمرة في البلاد المفتوحة وإنشاء مدن اسلامية عربية بين البربر ينطلق منها الاشعاع الديني والثقافي اليهم ، وتنتهي معها حالة الشك والتردد التي كانت تجعل الطامعين منهم يسلمون عند ظهور القوة العربية ويكفرون عند مغيبها ، يضاف الى ذلك ان القوات الاسلامية وقد سيطرت تقريباً على القطر التونسي اصبحت بعيدة جداً عن مراكز انطلاقها ومخازن أمدادها فلم يكن بد من تأسيس مدينة اسلامية تكون مقر الادارة والقيادة على غرار المدن التي أنشأها المسلمون بالمشرق كالبصرة والكوفة بالعراق والفسطاط بمصر ، ليتمكن بعد تأسيسها مواصلة الفتح والتوغل في داخلية المغرب .

وقد استنشر عقبة أصحابه في الأمر وعبر لهم عن الدوافع التي تحفزهم الى بناء هذه المدينة قائلاً لهم : (ان افريقيا اذا دخلها امام تحوم أهلها بالاسلام ، فاذا خرج منها رجع من كان أسلم بها وارتسد الى الكفر ، وارى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة نجعل فيها عسكرياً وتكون عز الاسلام الى آخر الدهر) ومن الطبيعي ان يعجب اصحاب عقبة بالفكرة ويتحمسوا لها ، لأنهم بالاضافة الى الأسباب السياسية والاستراتيجية كانوا شديدي الشوق الى اقامة

أسرهم وحفظ متاعهم بمدينة حصينة قريبة من مجالات غزوهم ، بل بلغ بهم الحماس الى الاتفاق على ان يكون أهلها مرابطين فيها واقترحوا تقربها من البحر ليتم لهم أجر الجهاد وأجر الرباط ، ولكن عقبة ارتأى أن يكون موقع المدينة وسطاً بين الساحل والداخل حتى لا تكون عرضة لهجمات الأساطيل البيزنطية وغارات البربر ، واختار بنفسه الموقع واختط فيه مدينة القيروان وأشرف على بنائها مدة أربع سنوات (١ - 675) كان خلالها يفزو ويبعث السرايا ، فدخل في الاسلام كثير من البربر واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان واطمأنوا على المقام فثبت فيها الاسلام (١35) .

ويظهر أن رجال الحكم في دمشق لم يرضوا عن انصراف عقبة الى بناء القيروان رغم أن عمله كان رشيداً واستبطنوا وصول الفنائم والأسلاب التي كانت لا تخلو من روميات وبربريات جميلات ، فعزلوه بأبي المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد والى مصر الجديد الذي أساء معاملته ، ولكنه سلسك سياسته في توطئ العرب بصفة دائمة بافريقية ، ويقال انه نزل بقرية بربرية قرب القيروان تسمى تكروور أو تيكروان (١36) فبنى فيها ومصرها وجعل منها مدينة ثانية للعرب بالمغرب ، ومما يؤثر لأبي المهاجر انه عدل عن خطة عقبة السياسية والعسكرية التي كانت تتسم بشيء من الصرامة وجنح الى سياسة الرفق واللين والمداواة فاستطاع بها أن يستميل البربر ويصل في حملاته الى تلمسان حيث اكتسب كسيلة زعيم أووبة للاسلام واتخذة حليفاً وعاد به الى القيروان .

وبعد سبع سنوات عزل أبو المهاجر بعد ما مهد المغرب الأوسط بحسن سياسته ومهارة قيادته وكثر الاختلاط بين العرب والبربر ، وبدأ الزواج المختلط يؤتى ثمرات طيبة من نوع طارق بن زياد ، وأعيد عقبة بن نافع الى افريقية من جديد سنة 682 فجدد بناء القيروان وشيدها فعمرت وعظم شأنها ،

(١35) أسد الغابة لابن الأثير 3 : 184 .

(١36) ذكر بعض المؤرخين أن تيكروان بربرة كلمة قيروان المعربة .

ثم عزم على المسير الى المغرب الأقصى لنشر الاسلام بين اهله نابذاً سياسة
الموادعة والمداراة التى سلكها أبو المهاجر ونجح فيها غاية النجاح ، وقد
نصح أبو المهاجر عقبة بعدم المسير بنفسه والاكتفاء بتوجيه وال الى طنجة
قائلاً : (ليس بطنجة لك عدو ، لأن الناس قد أسلموا ، وهذا رئيس البلاد -
يعنى كسيلة - فابحث معه واليا (137) ولكن عقبة أبى الا أن يخرج بنفسه
مضيقاً بذلك فرصة كبرى لنشر الاسلام والعروبة بسرعة ودون كبير عناء ،
فسار على رأس جيش قوامه 15.000 جندي مخلفاً بالقيروان حامية صغيرة
تحت قيادة زهير بن قيس البلوى ، فافتتح مدن الزاب وحصونه مثل باغاية
والمسيلة ، وكان القتال يجرى مع الروم وحدهم ، ويظهر أن سياسة الشدة التى
سلكها عقبة جعلت جماعات من البربر تميل الى الروم ، فانه لم يكسب يصل
الى تيهرت حتى وجد نفسه أمام حلف كبير من الروم والبربر لم ير المسلمون
له مثيلاً من قبل ، ولكنه تغلب عليهم جميعاً بعد جهد جهيد وتوغل فى
المغرب الأقصى حتى بلغ طنجة ، فسارع يلىان صاحب تلك النواحي الى خطب
وده ، ثم ذهب عقبة الى ولىلى وتامسنا وقطع جبال درن الى السوس الأقصى
وانتهى الى وادى درعة وصحراء تافيلالت ، ولما انقلب راجعاً وبلغ مدينة طنبنة
سرح الجيش الى القيروان وبقي فى لمة من أصحابه ، وهنالك انقلب عليه كسيلة
الذى كان يعمى فى اهانتة خلال المسير مخالفاً عن أمر أبى المهاجر ، فحشد
أهله ونهى عنه واعترض عقبة قرب قرية تهودة فدافع وأصحابه حتى
استشهدوا سنة 683 ، وكان لهذه الهزيمة أثرها البعيد بالنسبة لاستيطان
العرب ببلاد المغرب ، فقد فر من القيروان جيش مصر بقيادة حنش بن عبد الله
الصنعاني لا يلوى على شئ ، وانسحب بعد ذلك جماعات أخرى من الجند
والعرب والموالي البربر الى طرابلس بقيادة زهير بن قيس البلوى الذى كان
يميل الى الإقامة والقتال ، ومشى كسيلة الى القيروان فدخلها وتآمر على من بقى
بها من الشيوخ والنساء والأطفال ، وعاملهم معاملة طيبة لأنه لم يرتد عن
الاسلام على ما يظهر ، وتقلص بدخوله اليها النفوذ العربى فى افريقية وما وراءها
من أرض المغرب .

(137) رياض النفوس للملكى ص 26 .

ولم تفد الحملة التأديبية التي قام بها زهير بن قيس ضد كسيله بعد ذلك بأربعة أعوام (688 م) وقتله فيها قرب ممش شيئاً في إعادة المد العربي الى افريقية وان ضمن بها الأمن للقيروان وأبعد عنها الأخطار ، فقد اضطر الى الرجوع الى برقة لما بلغه خروج اسطول رومي كبير من صقلية وارسائه على ساحلها ، واثناء هذا الرجوع ارتكب نفس الفلطة التي ارتكبها عقبة قبله عند رجوعه من المغرب الأقصى، فقد سلك الطريق الساحلي مع سبعين من جنوده تاركاً معظم الجيش سائراً في الطريق العام ، ولما أبصر جنود الروم يحملون سبى المسلمين من نساء وأطفال الى سفنهم خاض لانقاذهم معركة غير متكافئة كان فيها حتفه .

ولا يعرف بدقة ما صارت اليه أحوال افريقية والمغرب في فترة الأربع سنوات التي تلت مقتل زهير ، والظاهر ان القيروان بقيت اسلامية عربية لا تتعرض لأعمال عدائية من جانب الروم ولا من جانب البربر ، وان برقة استمرت كذلك يليها مولى لعبد العزيز بن مروان اسمه تليد ، فلما انتهت الأزمة الثانية للخلافة الاسلامية بمقتل عبد الله بن الزبير سنة 692 اتجه نظر الخليفة عبد الملك بن مروان الى المغرب ، فجهز جيشاً كبيراً عهد بقيادته الى حسان بن النعمان أحد مشاهير قواد الشام كما عهد اليه بولاية المغرب ، وهو أول قائد من أهل الشام يتولى الولاية والقيادة بالمغرب بعد ما كان الولاة والقادة قبله من جند مصر ، فسار حسان يجر وراءه جيشاً كثيفاً لم يدخل المغرب مثله من قبل ، اذ بلغ عدد جنوده 40 ألفاً ، ولما بلغ طرابلس زاد عدده بمن انضم اليه من عرب افريقية وطرابلس، وبعد ما أصلح من شأنه وقبل الفصول عن طرابلس عين قائدين يسيروا في مقدمته أحدهما عربي : محمد بن أبي بكير ، والثاني مغربي : هلال بن ثوران اللواتي ، ولاشك في أن انضمام عرب طرابلس الى الجيش يدل على استقرار جاليات عربية بمدنها الساحلية وقراها الداخلية ، كما يدل تعيين قائد من البربر على تمكن الاسلام من قلوب أهل القسم الشرقي من البلاد المغربية وعلى المساواة التي كان يعامل بها المسلمون الآتون من الجزيرة العربية اخوانهم الذين أسلموا حديثاً على أيديهم . ومشى حسان حتى بلغ القيروان وقد أضمر في نفسه أن يطبق خطة عسكرية اساسها مقابلة أعدائه من

روم وبربر كل على حدة حتى يسهل عليه التغلب على مقاومتهم ، ثم توجه الى قرطاجنة عاصمة افريقية القديمة على رأس جيشه فضرب عليها الحصار حتى اشتدت الوطأة على الروم فطلبوا الأمان ولما أوقف القتال هربوا في المراكب فلم يصب الا قليلا من ضعفائهم ، وبلاستيلاء على قرطاجنة صعد له شمال تونس ، ثم عاد الى القيروان لعلاج المجروحين واعداد العدة للمعركة الجديدة ، وخلال استراحة الجيش بها انعقد حلف بين عدد من القبائل البربرية تحت زعامة امرأة بربرية من قبيلة جواوة تسميها الروايات العربية الكاهنة تارة ، ودهيا بنت ماتيت بن تيفان تارة أخرى ، والظاهر أن الكلمتين معا وصفان لا اسمان ، وكيفما كان الأمر فقد كانت امرأة عجيبة تختلط في اخبارها لغرابتها الحقيقة بالاسطورة . وعندما خرج اليها حسان منفذاً الشطر الثاني من خطته بدأت هي في تنفيذ خطة عسكرية أخرى تتلخص في تخريب البلاد على نطاق واسع تأسيساً للعرب من المقام فيها ، وهي السياسة التي تعرف اليوم بسياسة الأرض المحرقة والتي لا يحجم القادة العسكريون في العصر الحديث عن تطبيقها اذا دعاهم داع ستراتييجي اليها ، فعندما اقترب حسان من حصن باغاية أمرت الكاهنة اتباعها بتخريبه حتى لا يعتصم به ويقم به حامية عربية ، ثم التقى الجيشان على عدوتي وادي نيني أحد روافد وادي مسكيانة فانهزم حسان هزيمة منكرة وترك في ميدان القتال عدداً كبيراً من شباب العرب وثمانين أسيراً فسمى الوادي وادي البلاء أو وادي العذارى تكديراً بالنكبة التي حلت بالمسلمين فيه .

وانسحب حسان الى ما وراء طرابلس حتى بلغ الى موضع قرب مدينة تاورغة يبعد 250 كلم عن طرابلس الى الشرق فأقام على آبار به سميت منذ ذلك العهد بآبار حسان ورمم بعض حصونه القديمة وبنى حصوناً جديدة . أما الكاهنة فيظهر انها لم تكن تحقد على المسلمين لأنها أطلقت اسراهم واستبقت منهم يزيد بن خالد الذي أعجبها جماله وشجاعته ورجاحة عقله فتبنته حسب التقاليد البربرية وجعلته مستشاراً لها ، ثم درست موقفها من العرب وعلمت أنهم لابد عائدون بعد حين كما فعلوا بعد الهزائم السابقة التي حلت بهم ، فقالت لمجلس شوراهما : (ان العرب انما يطلبون من افريقية المدائن والذهب

والعصه ، ونحن انما نريد منها المزارع والمراعى فلا نرى لكم الاخراب افريقية كلها حتى ييأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها الى آخر الدهر (138) فقام اتباعها يعذقون الشجر وينسفون العمران ، وكانت افريقية كما يحدث التاريخ ظلا واحداً من طرابلس الى طنجة ، وقرى متصلة ومدائن منتظمة حتى لم يكن فى اقاليم الدنيا اكثر خيرات ولا اوصل بركات ولا اكثر مدائن وحصونا من اقليم افريقية والمغرب ، مسيرة ألفى ميل ، فخربت الكاهنة ذلك كله (139) وقد أسفر هذا التخريب عن نتيجة عكسية فان الذين ايسوا من المقام فى البلاد كانوا هم الروم الذين ركب اكثرهم السفن ورحل عنها للاستقرار الدائم فى صقلية واسبانيا وايطاليا ، اما العرب الذين كان قائدهم حسان يطلع على ما يجرى فيها بواسطة خالد بن يزيد متبنى الكاهنة ومستشارها فانهم عادوا اليها سنة 698 مع جماعة من البربر البتر فاستقبلهم من يقى بها من الروم بحفاوة ، وخرجوا اليهم مستفيشين مما نزل بهم من الكاهنة ، ولم يقصر البربر كذلك فى الاحتفال بعودة العرب والترحيب وتحيزوا اليهم بشكل ايجابى وامدوهم بالرجال والأموال ، ولما قرب حسان من جبل أوراس حيث كانت تقيم الكاهنة انضم اليه ولداها بإشارة منها على ما يذكر ، ثم دارت المعركة الفاصلة التى قنلت فيها الكاهنة وانخضت شوكة المقاومة الأخيرة ضد المسلمين فنهدهم الطريق لاسنيطان العرب بصفة دائمة ببلاد المغرب ، وحسن اسلام البربر بعد أن ارتدوا ثلاث عشرة مرة .

ويعتبر حسان بن النعمان الفاتح الحقيقى للمغرب واول منظم للحكومة الاسلامية فيه ، فهو لم يكنف بخضد شوكة المقاومين واقناعهم بعدم جدوى المقاومة والحرب فى صد المسلمين عما جاءوا الى المغرب لأجله وهو نشر دين الله واعلاء كلمته بين سكانه ، وانما اهتم بعد ان تم له النصر العسكرى بشؤون الادارة والعمران الشئ الذى استقامت معه الحياة فى بلاد عاشت سنين طويلة فى فوضى واضطراب لا مثيل لهما ، فهو الذى أسس مدينة تونس وأنشأ بها

(138) البيان المغرب لابن عذارى ص 36 ط بيروت .

(139) البيان المغرب ص 36 .

مرسى جلب له من مصر ألف قبلى بنسائهم وأولادهم وكلفهم بصناعة سفن الجهاد وعمارتها ، والتفت الى القيروان عاصمة الولاية الاسلامية الجديدة فجدد مسجدها ، كما أنه أول من (دون الدواوين وصالح على الخراج وكتبه على عجم افريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية (140) ، واستألف البربر بأن جند منهم 12.000 جندي عقد عليهم لابنى الكاهنة ، كل واحد منهما على ستة آلاف فارس ، وأخرجهم مع العرب لتمهيد البلاد وقتال الكافرين ، ولم يكتف بذلك وباعطائهم حقهم من الفنائم ، بل رتب لهم أيضاً أعطيات تصرف لهم من بيت المال وأقرهم على ما بأيديهم من الأرض التي اعتبرها فتحت صلحاً لا عنوة ، وقسم المغرب خططاً لهم ، أى أنه اختص كل قبيلة بخطة تتصرف فيها وتؤدي مالها وتكون مسؤولة عنها ، وباختصار لم تشهد بلاد المغرب واليا حكيماً ولا قائداً رحيماً بعد أبى المهاجر عرف كيف يستميل البربر ويستألفهم بحسن سلوكه الا حسان بن النعمان الذى سوى التسوية كلها بين العربى والبربرى ولم يعتبر أحدهما غالباً حاكماً والآخر مفلوباً محكوماً .

ومن الطبيعى أن تبقى فى هذه الأزمنة المبكرة جماعات من البربر غير مسلمة خاصة فى المناطق الجبلية بالمغربيين الأوسط والأقصى ، وأن يكون اسلام من أسلم من البربر سطحيّاً فى معظم الحالات لانعدام لغة مشتركة للفهم والتفاهم ، فلا العرب كانوا قادرين على افهام البربر حقيقة الدين لجهلهم اللغة البربرية ، ولا البربر كانوا يستطيعون فهم تلك الحقيقة من العرب لعدم معرفتهم اللغة العربية ، أما الأمر الأول وهو اسلام من لم يسلم من البربر فقد عالجته الولاة الذين جاءوا بعد حسان بن النعمان من موسى بن نصير الى ادريس بن عبد الله الكامل وابنه ادريس الثانى اللذين تم على أيديهما اسلام بربر المغرب الأقصى ، واما المشكل الثانى فقد عالجته الخلفاء والولاة بانتخاب جماعة من فقهاء التابعين وانتدابهم لتعليم البربر القرآن وتلقيهم فى الدين ، وأول من فعل ذلك عقبة بن نافع الذى ترك بين البربر جماعة من الفقهاء يعلمون البربر احكام دينهم منهم صاحبه شاكر الذى ينسب اليه الرباط المشهور ، ثم موسى بن نصير متمم فتح الأندلس الذى انتدب عدداً من الفقهاء لتعليم البربر ، ومن الخلفاء عمر بن عبد العزيز الذى أرسل مع واليه اسماعيل بن عبيد الله المخزومي

عسرة من فهاء التابعين انبثوا بين البربر يعلمونهم أصول الدين ويبصرونهم بأحكامه ، ويلقنونهم مبادئ اللغة العربية التي لا يمكن فهم القرآن والسنة حق الفهم الا عن طريقها ، وقد أخذ عن هؤلاء التابعين جماعة من أهل البلاد كانوا يقصدونهم للتعلم عليهم بالقيروان وغيرها ثم يعودون الى قبائلهم فيولون القضاء وغيره من الوظائف والخطط الدينية ، وقد ذكرهم المالكي في رياض النفوس (141) .

ومما لا ريب فيه أن جميع العوامل كانت متوفرة لاسلام البربر كافة وتعربهم بسرعة وقيامهم بأكبر الأدوار في نشر الدين خارج بلادهم منذ انتصار حسان بن النعمان على الكاهنة وخلال مدة ولايته التي سلك فيها أفضل السياسات لاستئلاف البربر وامالتهم الى جانب الاسلام والعروبة ، يدل ذلك ان الجيش الاسلامي الأول الذي دخل الأندلس كان يقوده قائد من أهل البلاد طارق بن زياد ، وان معظم جنوده كانوا بربراً (12.000) ولم يكن فيه من العرب الا ثلاثمائة أو أقل ، وقد كان النصر السريع الذي أحرزه جيش طارق حافزاً لمن تخلف من البربر المسلمين على عبور البحر والاشتراك في الحرب والمساهمة في الغنم الوفير ، كما أن غلبة الروح الديني على الفتنج واختلاط الجيود العرب الذين جاءوا بعد مع موسى بن نصير بالجنود البربر وتأخيهم في ساحات القتال واقامة مراكز على طول الطريق بين القيروان وطنجة وسبنة لاستراحة الجند وحزن الميرة أدت كلها الى تنبئ اسلام البربر واظهارهم على العربي ، ومنذ ثم الفتنج أخذ العرب يفدون بكثرة على الأندلس للحرب والسكنى مارين ببلاد المغرب مخلصين بأهلها ، فازداد كل فريق معرفة بالفريق الآخر ، ولم يعد العربي في المغرب غريب الوجه واليد واللسان .

ولو بقيت الأمور تسير على ما كانت عليه أيام حسان لمشت حركة الاستيطان العربي واستعراب البربر بخطى سريعة ، ولكان من الممكن تعرب المغاربة قبل تعرب المصريين رغم قربهم من الجزيرة العربية ، ولكن حدثت بالشرق والمغرب في آن واحد أحداث كان من عواقبها تضاعف عند المهاجرين

العرب الى المغرب وظهور مذاهب دينية انتهت بانفصاله عن خلافة المشرق سياسياً مع بقائه مستمسكاً بالدين الجديد .

أما أحداث المشرق فكانت تتمثل في الخلافات الدينية التي قامت بين الشيعة والخوارج والخلافات السلالية التي قامت بين القيسية واليمينية ، والخلافات السياسية التي قامت بين العلويين والأمويين ثم بين هؤولاء وبنى العباس ، وما نشأ عنها من انصراف الخلفاء عن التفكير في المغرب وقلة الاهتمام بأموره .

وأما أحداث المغرب فكانت تتمثل في هذا اللون الجديد من السياسة الذي أراد الولاة بعد حسان أن يطبقوه فيه جهلاً وغروراً وترضية لرجالات الدولة بدمشقي وبغداد الذين لم تكن مطامعهم تقف عند حد ، وضدّاً على جميع الأسس التي يقوم عليها الدين الاسلامي من عدل ومساواة ورقى بالناس واحترام لانفسهم وأموالهم وصيانة لحريتهم وكرامتهم .

فقد أمعن موسى بن نصير في جمع السبي من ذكور وإناث ، حتى صار عبيده وأماؤه من البربر والروم يعدون بعشرات الآلاف ، وقد اندهش الحليفة الوليد بن عبد الملك الأموي لما أخبره موسى ان سبي مسكوما - مدينة قبيله أوروبية - وحدها بلغ مئة ألف ، فكتب اليه : (ويحك ، أظنها احدى كذباتك ! فان كنت صادقاً فهذا حشر الأمم) !

ولم يقف عسف الولاة عند حد السبي وتوجيه الفتيات الجميلات بالمشين الى الخلفاء والأمراء والوزراء بالمشرق بل تجاوزوه الى اهانة الناس ومعاملتهم بما يكرهون ، فقد بدا ليزيد بن مسلم لما قدم والياً على افريقيا سنة 722 م (103 هـ) أن يسم حراسه من البربر بميسم الذل ، فقام على المنبر خطيباً وقال : (اني رأيت ان اسم حرسى في ايديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها ، فأرسم في يمين الرجل اسمه ، وفي يساره حرسى ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس ، فاذا وقفوا على أحد أسرع لما امرت به) ولكن هذا الوالى الذي وصفه المؤرخون بأنه كان ظلوماً غشوماً كان أيضاً جهولاً

بمعية البربر وما صار لهم من اعتزاز بالدين الجديد ، فلم يكد حرسه يعلمون بنيه حتى استاءوا مما عزم عليه وقالوا (جعلنا بمنزلة النصارى) فلما خرج من داره لصلاة المغرب قتله فى مصلاه حرسى منهم يسمى حريز ، أما عمر بن عبد الله المرادى عامل طنجة من قبل عبيد الله بن الحبحاب فقد أداه الفرور الى التفكير فى تخميس البربر زعماً منه أنهم فى للمسلمين ، فكان فعله سبباً فى حدوث ثورة عارمة ما زالت تعظم وتنمو حتى أدت بالمغرب الى الاستقلال عن حكامه الشرقيين .

والحق أن الولاة لم يكونوا دائماً صادقين فيما يرتكبون من الظلم والعسف عن غريزة شخصية ، وإنما كانوا يدفعون فى كثير من الأحيان الى العنف دفعاً من رؤسائهم بالشرق ، فقد كان هاؤلاء يستحبون طرائف المغرب ويطلبونها من عمالهم بأفريقية فيبعثون لهم البربريات السنيات ، فلما افضى الأمر الى ابن الحبحاب مناهم بالكثير ، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان ، فاضطر الى التعسف وسوء السيرة كما يقول ابن عذارى (142) .

ومن أمثلة ظلم الولاة وجورهم التى ذكرها ابن خلدون أن الرؤساء بالشرق كان يطلبون من ولاة المغرب اتحافهم بأفريقية عسلية الألوان فكسان هاؤلاء يتغالون فى جمع ذلك من ماشية البربر ، حتى كانت الصرمة من الغنم تسهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه ، فكثرت عيشتهم بذلك فى أموال البربر وجورهم عليهم (143) .

والحق أيضاً أن البربر كظموا غيظهم وصبروا طويلاً على الظلم احتراماً لهاؤلاء الذين هدوهم الى الدين وابقاء على رابطة الخلافة التى تجمع بينهم وبين سائر المسلمين ، وقد بلغت بهم الثقة بالخلفاء الى الدرجة التى كانوا يقولون معها لا نخالف الأئمة بما تحنى العمال ، وإلى أنهم أرسلوا وفداً من عشرين رجلاً برئاسة ميسرة المدغرى ليبلغ الى الخليفة هشام شكواهم التى كانت تتلخص

(142) البيان المغرب ص 56 .

(143) تاريخ ابن خلدون 6 : 240 .

فى عدول الولاة والقواد عن تطبيق مبدأ المساواة بين العرب والبربر ، فقد صار
الفائد اذا عزا جهة أو حاصر مدينة قدم الجند البربرى وآخر الجند العربى ،
واذا استولى الجيش على غنيمة حرم البربر حقهم فيها بدعوى أن ذلك أخلص
لجهادهم ! فكان الوفد يريد أن يعرف أعز رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟ ولكن
بطانة السوء التى لم يكن يرضيها اجتماع الخليفة بالوفد حالت بينهم وبين
لقائه ، فرجع الى بلده غضبان أسفاً وصدق البربر بعدها ما كان يقوله لهم
العرب المناوئون لحكم بنى أمية من أن الولاة والقادة انما يعملون بأمر الخلفاء ،
فكان ذلك سبباً فى ظهور المذهب الخارجى بالمغرب وثورة ميسرة المدغرى
المعروف بالفقير (144) .

على أن ثورة البربر هذه المرة (740 م) لم تكن تعنى ثورتهم على الاسلام
ولا على العرب رغم حداثة عهدهم بهما ، بل كانت ثورة على السلطة الجائرة
فقط ، فقد بعوا مستمسكين بالدين كاشد ما يكون الاستمساك ، واستمروا على
مقتهم بالعرب المقيمين ببلادهم ، اذ على ايديهم تعلموا المذهب الخارجى ،
وبتشجيعهم على بنى أمية شقوا عصا الطاعة على الخلافة ، ولم يثبت أن البربر
اصطهدوا العرب خلال هذه الثورة وانما وثبوا فقط على الحاميات العسكرية التى
استمرت على ولائها للخلفاء ، ومع أن البربر حققوا انتصارات باهرة على القوات
العربية فان السلطة الخلافية بالشرق سربت لمحاربتهم الجيوش تلو الجيوش ،
فكان عدد العرب يتضخم بذلك فى الغرب بالتدريج والبلاد تصطبغ بصبغتهم
شيئاً فشيئاً ، ويكفى أن نعرف أن الجيش الأول الذى وصل لقمع الثورة بقيادة
كلثوم بن عياض القشيري فى يوليوز سنة 741 م (رمضان 123 هـ) كان يشتمل
على سبعين ألف مقاتل ، وان الجيش الثانى الذى أرسل فى السنة التالية
(يراير 742) كان يشتمل على 30 ألف لم يلبثوا أن عززوا بعشرين ألفاً آخرين ،
وقد أمكن بوصول هذه القوات أن تستعرب مدن بأسرها فى وقت مبكر كتمسان
وسبتة وطنجة وأصيلة علاوة على المدن التى سبقت الى التعرب مثل طرابلس
والقيروان وتونس وبلدان قسطنطية (شط الجريد) والزاب .

(144) ويلقبه خصومه بالحقير .

والجدير بالذكر أن دعاية قوية مصدرها عرب القيروان على ما يظهر استمرت بين المسلمين مرغبة اياهم في سكنى افريقية والمغرب مبينه ما اعد من الاجر والثواب لمن يربط فيهما ، ولم تبق مدينة من مدن المغرب الشهيرة الا نسبت الى الرسول أحاديث في بيان فضلها وفضل ساكنيها ، بل نسب الى الرسول حديث يذكر أن طائفة من امته عليه السلام لا يزالون ظاهرين على الحق بالمغرب لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة ، وعلى العكس من ذلك اختلقت أحاديث وآثار في ذم البربر والتنقيص من شأنهم شبيهة بالأحاديث والآثار التي اختلقت بالمشرق اختلاقاً للحط من قدر الفرس . أما الشعر فقد استعمل أيضاً من بعض العنصريين العرب بالمغرب والأندلس في هذا الغرض الخسيس وان كان بعض أبياته لا يخلو من طرافة ودعابة كقول من قال :

رأيت آدم في يومى فقلت له	أيا البرية ان الناس قد حكموا
أن البرابر نسل منك قال اذن	حواء طالق ان كان الذى زعموا

وقد كان لهذا الاستعلاء الذى يتنافى مع الدين القديم والعقل السليم رد فعل عنيف بعد ذلك لدى مستعربة البربر فنظموا الأشعار وكتبوا الرسائل وألغوا الكتب التى تعيب التفاخر بالأنساب وتبين ان الناس فى حكم الشرع والعقل سواء لا يتفاضلون الا بصالح الأعمال مما يعرف تفاصيله المتخصصون فى الآداب العربية بالمغرب .

وباختصار فان الحركات التى كانت تنهياً بالمشرق للاطاحة بحكم بنى أمية تهيأ مثلها بالمغرب وسبقها الى الظهور فى نهاية منتصف القرن الثامن الميلادى لاعلان استقلاله عنها ، فلم تكد الخلافة الأموية تلفظ أنفاسها حتى ظهرت الدول الوطنية المغربية : دولة بنى صالح بنكسور ودولة بنى مدرار بسجلماسة ودولة بنى رستم بتيهت ، ثم دولة بنى مروان بالأندلس ، ودولة الإدارة بفاس ، ودولة الأغالبة بالقيروان ، ولم تغد الجهود السياسية والعسكرية التى بذلها بنو العباس شيئاً فى ابقاء الولايات المغربية تابعة للخلافة كما كانت منذ الفتح الاسلامى الأول .

وفد استطاعت الدول الجديدة أن تثبت الأمن وتفرض السلطة ، وعملت من الساعات الأولى على تنظيم الحكومة والادارة فعين الوزراء والحجاب وانشئت الدواوين وعينت الجيوش وضربت السكة ، وأرسل العمال والقضاة والجبابة الى المدن والقرى ورتبت المسالح بالحدود والثغور ، وكان التنظيم يبنى على أسس عربية صرفة ويتعمد فيه تقليد نظام الخلافة في بغداد حتى لدى الدول البربرية الصرفة المنعزلة في الصحراء والبعيدة عن مجالات العرب كدولة بني مدرار بسجلماسة ، وقد أغرى قيام هذه الدول أنصارها الدينيين والسياسيين على الهجرة إليها من البلاد العربية ، فهاجر أنصار بني أمية زرافات ووحداناً الى الأندلس ، وهاجر الشيعة الى فاس للاقامة في كنف الادارسة ، وهاجر الخوارج الى سجلماسة وتيهرت ، واستمر الذهاب والآيب ما بين بغداد والقيروان نظراً للصلات الوثيقة التي كانت تربط امارة بني الأغلب بخلافة بني العباس ، وكان المهاجرون الى البلاد المغربية من طبقات ممتازة تنتمى في الغالب الى عالم الجيش والادارة والمال أو الى دنيا العلم والفقه والأدب ، وكذلك صار لكل خليفة أو سلطان أو أمير شعراء ينظمون مفاخره ، وكتاب يعبرون عن أغراضه ، ومعلمون يعلمون أمراء بينه ، وعلماء يحتجون بالدين لتثبيت سلطانه ، وفقهاء يعظون بحضرته ، ومؤلفون يكتبون أيامه وقائمه ، واقبل أهل البلاد الأصليون (البلديسون) يكرعون من مناهل العلم الصافية وحياض الأدب والثقافة الثرة ، تارة يكتفون عن كان بين ظهرائهم من العلماء والفقهاء المهاجرين، وتارة يسافرون لطلب العلم بمراكزه الكبيرة بالحرمين ومصر والشام والعراق فيعودون مملوئي الوطاب علماً وأدباً وحكمة ، وكان الحج الى بيت الله الحرام من أقوى الأسباب في اتصالهم بأئمة الفقه والأدب بأقطار الشرق وتقوية الصلات العلمية بينها وبين أقطارهم المغربية . وبالجمله فان القرن الثاني الهجري لم يكد ينصرم حتى كانت مدن الغرب الاسلامي كالقيروان وطبنة وتلمسان وتيهرت وسجلماسة وسبته وفاس وقرطبة وطليطلة وباجة وطرطوشة تنافس مدن الشرق الاسلامي كالفسطاط والقدس ودمشق والحرمين والبصرة والكوفة وبغداد علماً وأدباً وعمراناً وحضارة ، وحتى أخذت البلاد المغربية تسير بخطى ثابتة في طريق الاستعرا ب دون تعثر أو نكوص .

الزحف الثاني الكبير

مضت السنين تتلوها السنين على انتشار الاسلام بالمغرب ودخول العرب اليه واستقرار جماعات كثيرة العدد منهم به ، ولم يكن مر السنين وقيام الامارات والممالك العربية والبربرية الا ليزيد الاسلام قوة والعربية تمكيناً ، فان البربر منذ أسلموا حسن اسلامهم ولم تكن الفتن والثورات التي قاموا بها بالمغرب والأندلس منذ بداية القرن الثاني الهجري الا احتجاجاً على الظلم واستنكاراً لعيث الولاة .

وكان انتظام المغرب والأندلس في سلك المملكة الاسلامية وما شاع في الشرق جمال طبيعتهما ووفرة خيراتها وحسن نسائهما سبباً قوياً في هجرة عدد من قبائل الجزيرة وبادية الشام وما بين النهرين اليهما برسم المهاد أولاً والاستقرار ثانياً ، كما كان بعدهما عن مقر الخلافة مغرباً لعدد كبير من المضطهدين السياسيين والدينيين باللجوء اليهما ونشر العقائد والمذاهب التي عجزوا عن نشرها بمواطنهم الأصلية بين أهلها ، وكذلك احتضنت الأمة المغربية المذهب الخارجي ، وآوت ادريس بن عبد الله الكامل وأخذت بضمج المروانيين بعد ما قضى العباسيون على بني أمية ، ومع ان دخول هذه الشخصيات والمذاهب الى المغرب أحدث فيه كثيراً من الهيجان والاضطراب فانه كان أيضاً من العوامل القوية في شيوع اللغة العربية والاقبال على تعلمها ورواج الآراء المذهبية وانشغال العقول بها الى ان استقرت الحالة بظهور مذهب أهل السنة على ما عداه من المذاهب ، واقتداء الناس في العقائد بأبي الحسن الأشعري وفي الفروع بمذهب مالك بن أنس امام دار الهجرة ، باستثناء فئات قليلة من أعوان الدولة العبيدية الرسميين وشيعتها الكتاميين بافريقية .

على أن مصير هذه الفئات الشيعية الافريقية كان رهناً بحلول الظروف المناسبة ، لأن الشعب هناك كان سني الاعتقاد ، لا يومن بنسب العبيديين

العاطميين ولا يقبل ترهاتهم التي ذرت قرونها بالمغرب ثم وجدت في مصر بعد انشغالهم اليها مرتعاً خصيباً ، وقد كانوا لا تسنح لهم فرصة الا اهتبلوها للقضاء عليهم وحسم مادتهم، ففي سنة 1017 (407 هـ) ثار أهل القيروان بجماعة من الشيعة كانوا يسكنون درب المعلى منها فقتلوهم ونهبوا دورهم وأمتعتهم ثم امتدت الثورة عليهم الى البلدان فقتلوا حيثما ثقفوا ، وقتل أيضاً من لم يعرف مذهبه بالشبهة لهم ، ولم ينج من نقمة العامة حتى جماعاتهم التي خرجت بنسائها وأطفالها تريد الهجرة الى صقلية وجهات أخرى أكثر أمناً .

وفي الوقت نفسه كانت ظروف أخرى تهيأ في الخفاء للقضاء على المذهب الشيعي في المغرب واحداث القطيعة التامة بين بني عبيد المستخلفين بالقاهرة وبني باديس الصنهاجيين المتأمرين باسمهم بافريقية ، وقد نجح في خلق تلك الظروف واحد من أروع الوزراء وأقوم الفقهاء هو الفقيه علي بن أبي الرجال معلم المعز بن باديس الصنهاجسي الذي تولى الامارة سنة 1016 (406 هـ) وهو ابن ثمانية أعوام ، فلم يزل هذا الفقيه يقبح له المذهب الشيعي وينقص له قدر بني عبيد ويوجب اليه مذهب أهل السنة والجماعة ويزين له مذهب الامام مالك بن أنس الى أن اقتنع وأصبح يكره المذهب الشيعي ويمقت بني عبيد من غير أن يعلم الشيعة ولا أهل القيروان بذلك ، حتى بدرت منه بادرة سنة 1026 (417 هـ) انفضح بها معتقده وانكشفت سريرته ، فقد خرج في بعض الأعياد الى المصلى في زينته وحشوده ، فكبا به فرسه ، فذكر اسم الخليفتين أبي بكر وعمر متبركاً ، فسمعه الشيعة الذين كانوا في عسكره فمالوا اليه ليقتلوه ولكن عبيده ورجاله ومن كان يكتم المذهب السني من أهل القيروان أنقذوه ومالوا على الشيعة ميلاً واحدة فوضعوا السيوف في أعناقهم وقتلوا منهم ثلاثة آلاف حتى سمى الموضع الذي قتلوا فيه بركة الدم ، ثم صاح فيهم صائح الموت فقتلوا بجهات كثيرة من افريقية ، فأعلن الناس حينئذ بالمعتقد الحق ، ونادوا بشعار الايمان ، وحذفوا من أذان الصلاة جملة (حي على خير العمل) فأغضى الخليفة الظاهر وابنه المستنصر بعده عن ذلك ، واعتذر المعز بالعامّة فقبل عذره .

ومع أن الملوك الفاطميين كانوا لا يقتلون يخلعون على المعز بن باديس القاب الشرف والمجد كتلقيبه بشرف الدولة وعضدها تأليفاً لقلبه ، ويرسلون اليه الهدايا النفيسة وسجلات التشريف التي لم ينلها أحد غيره فإن المعز كان يحذرهم ويخشى بطشهم ، سيما بعد ما رأى كيف فعل أحد خلفائهم : الظاهر لاعزاز دين الله بأحد أمراء البربر : حسن بن علي بن دواس الكتامي الملقب بسيف الدولة وذو المجدين سنة 1023 (414 هـ) ، فقد أمر باحضاره الى القصر ، فدخله ولم يكن يدخله من قبل حذراً على نفسه ، فأخرج من ساعته مقتولا ، وأقام ثلاثة أيام ينادى عليه المنادي : هذا جزاء من غدر مواليه ! ثم دفع الى عبيده قدفوه .

ويظهر أن المعز بن باديس الذي كان يتمتع بدهاء كبير وحيلة واسعة فكر في التآمر على الفاطميين للاطاحة بحكمهم وراحة المتاربة وسائر المسلمين من جورهم ومخرفتهم ، ورأى ان ذلك أجدى عليه من الثورة السافرة عليهم واحرى ان يبلغه الى مقاصده وغاياته ، فأخذ يكاتب الوزير احمد بن علي الجرجاني وزير الظاهر العبيدي مستميلا ومعرضاً بالحزب معه عليهم ، يفعل ذلك رمزاً وتعرضاً لعله يرى منه قبولا له فيجد معه في السعي عليهم ، وكتب مرة الى الجرجاني بخطه قطعة تمثل فيها بقول القائل :

وفيك صاحبت قوماً لا خلاق لهم لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

يشير الى الفاطميين ويزعم أنه انما أبقي عليهم بعض الابقاء لأجل حبه فيه ، فلما وقف عليها الجرجاني قال : الا تعجبون من هذا الأمير ، صبي مغربي بربري يريد أن يخدع شيخاً بغدادياً عربياً ، واتهمه بأنه انما يكاتبه ليوقع بين الخليفة ووزيره ان عثر على هذه الرموز .

وكان الجرجاني هذا أحد رجال الدولة الفاطمية سياسة ودهاء وثقوب ذهن واستنارة بصيرة، وقد استوزره الظاهر الفاطمي ثم ابنه المستنصر، ومن عجيب أخباره أن الظاهر غضب عليه فأمر بقطع يديه لأمر استوجب القطع فقطعنا مما ، فخرج من فوره وجلس بالديوان لخدمته على عادته ، وقال ان أمير المؤمنين لم يعزلني ، وانما عاقبني بجنايتي ، فلما بلغ الظاهر ذلك استغفله

وشرف لديه ، وأقره في عمله ثم رفعه الى رتبة الوزارة بعدما كان في الدواوين ، وكان كثير المصادرة لأموال الولاة وأمتعتهم وربما صرح لهم بقوله : أبيتكم الا الخيانة ، فقال فيه محمد بن عبد الله الأنصاري الشاعر :

أحمد لسانك والتزم	طرق السلامة والصيانة
كم ذا تقول أبيتكم	الا الجناية والخيانة
أنراهم قطعوا يديهم	ك على النزاهة والأمانة !

وقد استبد بالدولة سنة 1023 (414 هـ) بعد وفاة ست الملك التي انتهضته الى ان توفي سنة 1044 (436 هـ) فولى الوزارة بعده الحسن بن علي اليازوري فخطابه الولاة من كل الآفاق ولم يولوه ، فانف من ذلك وعظم عليه ، وسامت الملائق بينه وبين شمال بن صالح صاحب حلب والمعز بن باديس صاحب افرقية اللذين كانا يحقدان عليه أشد الحقد ، وأدى الامر الى أن حلف المعز بن باديس ليخلص طاعة الفاطميين ويحولن الدعوة الى بني العباس ، فأرسل بيعته الى أبي جعفر عبد الله القائم بأمر الله العباسي ببغداد سنة 1048 (440 هـ) (145) وأمر بالدعاء له والرضا عن الخلفاء الأربعة والعباس وبقيّة العشرة ولعن بني عبيد فوق المنابر ، فابتهج الناس ايما ابتهاج بهذا التحول ، وعادوا الى أداء صلاة الجمعة بعد ما قطعوها دهرأ فزارأ من دعوة العبيديين حتى كان الرجل اذا بلغ الى المسجد قال سرأ : اللهم اشهد ! اللهم اشهد ! ثم يصرف فيصلّي الجمعة ظهراً ، ثم يبدل السكة سنة 1049 (شعبان 441 هـ) وسبك ما كان في بيت المال من الدنانير والدراهم التي عليها أسماء بني عبيد ومنع رواجها وقطع اسماءهم من الرايات والبنود ونشر الرايات السود وهدم دار الاسماعيلية ، وفي سنة 1051 (جمادى الثانية 443 هـ) جمع الخياطيين وأخرج لهم شقق الكتان من فندقه وأمرهم أن يصبغوها بالسواد ثم فصلوها نيابأ وكسا الفقهاء والقضاة والخطباء والمؤذنين بها وأخرج بهم في موكب حافل الى الجامع الكبير بالقيروان فأدوا فيه صلاة الجمعة وقد لبسوا شعار بني العباس.

145 ذكر ابن خلدون في التاريخ ان قطع المعز لدعوة بني عبيد وبيعته للعباسي كانا

ولم تكن تصرفات المعز بن باديس لتخفى على الفاطميين خطورتها خصوصاً بعد انضمام الأمير جبارة بن مختار سنة 1051 (443 هـ) اليه وكتب اليه بالسمع والطاعة واخبره انه واهل برقة ازالوا السابر التي كان يدعى عليها للبيديين وأحرقوا راياتهم وتبرأوا منهم ولعنوهم فى مساجدهم ودعوا للقائم بأمر الله العباسى ، ولكنهم لم يكونوا يقدرون على توجيه جيش الى افريقية لخضد شوكته واعادته الى طاعتهم أو تنحيته ، وبقي صنائع الدولة واولياء الدعوة من كنانة واجمين مرتبكين حتى خطرت للوزير اليازورى فكرة اعتقد انه يستطيع بتنفيذها الانتقام من المعز دون أن يجيش له جيشاً أو يتحمل فيه نصيباً ، وهى فكرة خطرت لسلفه الجرجرائى من قبل وعاجله الموت قبل اخراجها الى حيز العمل . فقد كانت بطون من قبيلة بنى هلال العربية من اثبج وجشم وربيعة ورياح وزغبة وعلى تقيم بصعيد مصر قد عم الدولة شرهم ، وأحرق البلاد شرهم ، فرأى اليازورى ان يغريهم ببنى باديس الصنهاجيين ويدفعهم لمحاربتهم نصرة للمذهب الشيعى ودفاعاً عن الدولة ، فان ظفروا بالمعز وصنهاجة كانوا اولياءها وعمالها بافريقية وسائر المغرب ، وان كانت الدبرة عليهم قوم اعوجاج صنهاجة بوسيلة أخرى .

والواقع ان اليازورى كان يستهدف من وراء توجيه العرب الى المغرب هدفين اثنين : أحدهما ظاهر هو الانتقام من صنهاجة ، والثانى خفى هو التخلص من هأؤلاء الأعراب الذين كانت اقامتهم بصعيد مصر تسبب للدولة الفاطمية كثيراً من المتاعب ، وتجعل السكان معرضين لعدوانهم باستمرار .

ولم يضع اليازورى وقته متدبراً ولا متردداً لعلمه أن الدولة ستفوز باحدى الحسنيين ان لم تفز بهما معاً ، فاما أن ينتصر الأعراب على صنهاجة ويعودوا الى مصر منتصرين فيكونون قد انتقموا للدولة من خصومها ، واما ان تهزمهم صنهاجة فيهيى من نجا منهم من القتل على وجهه بصحارى المغرب وبرقة فتلين قناتهم ويحول عن الدولة خطرهم ، واما ان ينتصروا ويطيى لهم المقام بالمغرب وحينئذ تكون الدولة قد ظفرت بالأعداء البعيدين وتخلصت من عناصر الفتنة القريبين . ففى سنة 1049 (441 هـ) استقدم اليازورى مشايخ العرب وأمراءهم وألان لهم القول وأجزل العطاء واعرب لهم عن رغبته فى توليتهم أعمال

افريقية ، ثم استنفر القبائل العربية لعبور النيل وكانوا ممنوعين منه وأعطى لكل واحد منهم بعيراً وديناراً وقال لهم قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس فلا تفتقروا ، ولم يرسم لهم خطة للعمل لعلمه أنهم لا يحتاجون الى وصية ، وكتب الى أهل افريقية يقول : أما بعد فقد انفذنا اليكم خيولاً فحولوا ، وارسلنا عليها رجالاً كهولاً ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ! فجاز العرب النيل أفواجاً أفواجاً وساروا الى برقة فنزلوا بها وفتحوا أمصارها واستباحوها وكتبوا لمن بقي من إخوانهم بشرقى النيل يرغبونهم في عبوره واللاحق بهم ، فأجازوا بعدما أعطوا دينارين لكل رأس وأخذ منهم أضعاف ما أخذوه ، ولما لحقوا بإخوانهم تقارعوا على البلاد ، فكان شرقها من حظ سليم ، وغربها من حظ بني هلال ، فأقامت قبيلة هيب من سليم وأحلافها من واحة و ناصرة و غمرة بأرض برقة ، وسارت قبائل بني هلال من ذياب ، و عوف ، و زغبة بعد ذلك الى افريقية والمغرب .

ولا يعرف بالتدقيق عدد الأعراب الذين عبروا النيل بقصد الدخول الى المغرب وتنفيذ السياسة الفاطمية فيه ، ويظهر أنهم لم يعبروه جميعاً وان عشائر كثيرة منهم قررت البقاء بأرض مصر واستمرت مقيمة بها بعد ذلك بقرون ، ولكن الدين ساروا الى المغرب منهم كانوا من قوة الأبدان والتمرس بالضراب والطماع والاستهانة بالموت والشره الى النهب والسلب بحيث كان وقوف أهل برقة في وجههم أمراً مستحيلاً ، فلذلك استسلموا لهم بعد ما رأوهم ينسفون عمرانهم ويخربون مدنهم كأجدابية وسرت وأسمرا والمدينة الحمراء ، ويوسعون لهم في الأرض التي تسعهم جميعاً صابرين على ما يتعرضون له يومياً من ظلم وعسف وارهاق .

ولقد كان من الممكن أن يقف الأمر عند هذا الحد ، ويكتفى الأعراب بالمقام في برقة ويقنع الفاطميون منهم بذلك ، تخلصاً من الأضرار التي كانوا يلحقونها بفلاحى مصر ومعناً لامتداد التمرد الى شرق حدود برقة لولا أن خطر المعز بن باديس ان يستخدمهم جنوداً ويستبدلهم بأبناء عمه الصنهاجيين ، فقد ساءت ظنونه في ذلك الوقت بصنهاجة وكرههم وحقد عليهم من غير أن يظهر لهم شيئاً من ذلك ، وحدث أن قدم عليه بعد مرور مدة على استقرار العرب

ببرقة مؤنس بن يحيى الصنبرى أمير وياح وكان سيداً فى قومه شجاعاً عاقلاً ، فطلب محله عند المعز وحلا فى عينيه واستخلصه لنفسه وأصهر اليه ، وشاوره يوماً من الأيام فى استقدام قبيله الرياحى لاتخاذهم جنداً فقبح له ذلك وحذره سوء عاقبته ، وعرفه بتفرق القوم واعتيادهم الفتن والفوضى وعدم انقيادهم الى الطاعة ، ولكن المعز لم يسمح له كلاماً وبقي يلح عليه فى استقدامهم حتى قال له ذات يوم : انما تريد انفرادك ، حسداً منك لقومك ! فعزم مؤنس على الخروج لاستنفار قومه بعد ما قدم للمعز العذر وأشهد بعض رجال دولته ، ثم سار متوجهاً اليهم ووعدهم وغطهم ووصف لهم كرامة السلطان والاحسان اليهم ، وما زال يرغبهم فى المسير اليه حتى قبلوا فتقدم هو فى ركب منهم لم يعهدوا نعمة ولا تمرسوا بحضارة ، فما كادوا يشاهدون اول قرية حتى استفزهم الطمع وتنادوا : هذه القيروان ! ونهبوها من حينها ، ولما بلغ الخبر الى المعز عظم ذلك عليه ، ولكنه ظل مع ذلك يشك فى صدق مؤنس وحسن نصيحته ، وقال انما فعل هذا ليصحح قوله ويظهر نصحه ، وأمر بالختم على داره وتثقيف أولاده وعياله حتى يعلم ما يكون من أمره ، فلما بلغ مؤنس ما فعل بأهله اشتد غضبه وعظم حنقه ، وقال : قدمت النصيحة فحاق الأمر بى ، ونسبت الخطيئة الى ، فكان أشد القوم ضرراً وأعظمهم نكايه فيما بعد .

وحاول المعز أن يتدارك الأمر بالسياسة ولكن بعد فوات الاوان ، فأخرج الفقهاء الى الأعراب يوصون ويعظون ، ويعرضون اليهود والشروط ، ويعلمونهم أن السلطان سرح عيالاتهم ورفع الثفاف عن أموالهم وأمتعتهم ، فأظهروا الاستجابة واستشعروا الطاعة ، واخذ الفقهاء عليهم عهداً ومواثيق فأرسلوا شيوخاً منهم الى المعز تأكيداً لما اتفقوا عليه مع الفقهاء ، ولكنهم ما لبثوا ان نكثوا اليهود وأمنعوا فى الأرض عيثاً وفساداً .

وظهر للمعز أن يختبر قوة العرب ، فسرح اليهم نخبة من جيشه النظامى هزموها شر هزيمة ، فاستشاط غضباً وتقبض على أخ لمؤنس الرياحى كان لا يزال مقيماً بالقيروان ، ولكنه ادرك ان الأمر جد ، وشعر بامارتة يحدث بها خطر لا يتقى منه بالانتقام المائل ، فقرر الاستجداد بحلفائه والأمراء من

قرايته ، فبعث بالصرىخ الى ابن عمه القائد بن حماد أمير القلعة فأمدّه بكنية من ألف فارس ، وكتب الى المستنصر بن خزرون أمير عقراوة الذى كان مستجعاً فى البادية فوصل اليه فى ألف فارس واستنفر جميع قبائل صنهاجه وزناتة ، وفى يوم الاثنين 13 أبريل سنة 1052 (10 ذى الحجة 443 هـ) عيد المعز عيد الأضحى ثم مشى فى اليوم التالى الى ناحية قرية تعرف ببني هلال ومعه جيشه النظامى وحلفاؤه ومن لف لفهم من الحشم والأتباع والأولياء وبقياء عرب الفتح ، فلما انتصف النهار جاءت الأخبار بقرب وصول العرب اليه فأمر جيشه الذى كان يبلغ عدده ثلاثين ألفاً بالنزول فى أوعار وأودية قرب جبل حيدران ، لكن فرسان العرب الذين كانوا يبلغون ثلاثة آلاف فقط عاجلهم قبل أن يتم النزول ، وما كاد القتال ينشب حتى تحيز عرب الفتح الى جهة الهالبيين للعصية القديمة ، وخذلت صنهاجة وزناتة ، ووصلت رماح العرب الى المعز ولم ينجه من الموت الا عبيده الذين استماتوا فى الدفاع عنه حتى فنى منهم خلق كثير فدأ له ، وأخيراً فر الى القيروان بعد ما هلك من رجاله ثلاثة آلاف ودخل المنهزمون أيضاً فى حالة يرثى لها وفقد من العسكر عدد كبير لم يعرف ما آل اليه أمرهم ، واستولى العرب على معسكر السلطان وحازوا ما فيه من المال والمتاع والكراع ، وفى هذه المعركة نظم الشاعر الرياحى على بن رزى قصيدته التى مطلعها :

لقد زار وهناً من أميم خيال وأيدى المطايا بالنميل عجال
والنسى يقول فيها :

وان ابن باديس لاكبر مالسك لعمرى ، ولكن ما لديه رجال
ثلاثون ألفاً منهم ، هزمتهم ثلاثة آلاف ، وذلك ضلال

ثم سار العرب بعد ذلك لحصار القيروان ، وجعل كل من سبق من شيوخهم الى قرية يسمى نفسه لأهلها ويؤمنهم ويعطيهم قلنسوته أو رقعة مكتوبة علامة يعرف بها غيره من الشيوخ انه سبقه ، ثم نكثوا عهودهم بعد ذلك فخرّبوا القرى وسلبوا أهلها جميع ما يملكون وتركوهم حفاة عراة يبيكون جوعاً وبرداً ، فضاقت الأرض بالقيروان على أهلها وانفض من حول المعز قرايته وأولياؤه ، فاضطر بعد سنين من الحصار الى مفاوضة شيوخ العرب وصاهر ثلاثة من أمرائهم ببنااته .

وانشاء الحصار كان العرب يوسعون رقعة نفوذهم ومناطق سلطانهم ،
ملكوا جميع الساحل وبلاد قسطنطينية وتقلب عائد بن أبي الغيث المرداسي أحد
أصهار المعز الثلاثة على مدينة تونس وسباها سنة 1054 ، وملك أبو مسعود من
شيوخهم مدينة عنابة صلحاً ، وفي سنة 1055 اقتسموا المغرب الأدنى الاقتسام
الأول فكانت طرابلس وما يليها من حظ بطون زُغبة ، وباجة وما يليها من حظ
مرداس ، ثم اقتسموه الاقتسام الثاني فكانت البلاد من تونس الى الغرب لبطون
هلال وهم : وياح ، و زُغبة ، و المعقل ، و جشم ، و قسرة ، و الأثيج ،
و الخلط ، و سفيان .

وفي يوم السبت 1 نونبر 1057 (1 رمضان 449 هـ) استولى الأعراب
على القيروان فخرّبوها وطمسوا معالم حسننها ، واستصفوا ما كان لآل بنكّين في
قصورها . وكان المعز قد انسحب منها قبل يومين تحت حماية خفير منهم هو
صديقه القديم مؤنس بن يحيى الصنبري أمير رياح الذي كان المعز أصهر اليه
في إحدى بيّاته وأنكحه إياها فسار في خفّارته الى المهديّة ونزل بها على ابنه
تميم ، وتعه العرب اليها فحاصروها وواصلوا التضييق على صنهاجة وزنّانة
بعد ذلك حتى غلبوهما على الضواحي ، واتصلت بينهم الفتن والحروب ، وأعزاهم
أمير تلمسان جيشاً بقيادة وزيره أبي سعدى خليفة اليفرنى فقلّبوه وقتلوه بعد
حروب طويلة بنواحي الزاب ، ولم تزل الفتن متتابة ، والحروب مسترسلة حتى
تم الغلبة للعرب على صنهاجة وزنّانة معاً ، وأطاعتهم جميع بلاد افريقيه
وجنوب المغرب الأوسط .

وكذلك نجحت السياسة التي رسمها الوزير الفاطمي الحسن بن علي
اليازوري للانتقام من المعز بن باديس ، ولكنه انتقام لم يكن لسوء الحظ قاصراً
عليه وحده ، بل شمل الأرض والانسان والحيوان جميعاً .

وكان الخليفة الفاطمي المستنصر لما سرح العرب الى افريقية عقد
لرجالهم على أمصارها ، وقلدهم أعمالها ، فعقد لموسى بن يحيى المرداسي على
القيروان وباجة ، ولقبيلة زُغبة على طرابلس وقابس ، وللعحسن بن سرحان على
قسطنطينية ، فلما ملكوا الأمصار ساموا أهلها الخسف والظلم فثاروا بهم
وأخرجوهم منها ، فاكتفوا بملك الضواحي وشدّدوا الخناق على أهل المدن .

والى هذا الحين كان المد العربي الجديد قد وصل غرباً الى عمالة
مسطينة واقليم الزاب ، وصار الملتحم بين العرب والبربر بجبال بنى
راشد وما وراءها من سهوب مزاب بالمغرب الأوسط ، وانعقد الصلح بين العرب
وبين الأمراء الصنهاجيين على أن يستقل الأولون بملك الضواحي والأرياف ،
وينفرد الآخرون بملك المدن ، ووضعت الحرب أوزارها مؤقتاً .

واحتال الصنهاجيون بعد ما أنهكتهم الحروب فى تفريق كلمة العرب
والتضريب بينهم ، واستغلال خلافاتهم القبلية لمظاهرة بعضهم على بعض ،
وحدث فى تلك الاثناء خلاف بين الأبيج و زغبة فظاهر الناصر بن علناس أمير
القلعة الأبيج على خصومهم من بنى عمهم ، واستنفر أمراء زناتة وكان فيهم
زيرى بن عطية المفراوى ملك فاس ، فاجتمعت صنهاجة وزناتة فى الأربس
وحررت بينهم وبين عرب رباح معركة طاحنة انهزمت فيها صنهاجة ، فاستبيحت
خزائن الناصر وفساطيطه ومضاربه ، وقتل أخوه القاسم ، ونحا هو الى مسنطينه
وعرب رباح فى اتباعه ، ثم لحق بالقلعة فتبعوه اليها وأمعنوا فى جنبائها عيناً
وتخريباً ، وعطفوا على ما هناك من المدن مثل طبنة والمسيلة فدمروها وشردوا
أهلها ، ومالوا على المنازل والقرى والضياح فتركوها قاعاً صفصفاً ، وغوروا
المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا فى الأرض الفساد حتى تركوا تلك الأفاليم
(أفقر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير) على حد تعبير ابن خلدون (١٤٦) .

وفد اضطر هذا الغزو القاسى دولة صنهاجة الى هجران قلعة بنى حماد
فاعدة الامارة الغربية ومقر حكومتها . فاخطت الناصر بن علناس مدينة بجاية
بالساحل ، ونقل اليها ذخيرته ومتاعه وأعدّها لنزله وجعلها عاصمة ملكه ،
ونزلها ابنه المنصور من بعده فأصبحوا فى مأمن نسبي بها ، نظراً لمنعة الجبال
المحيطة بها ، ووعورة مسالكها ، وصعوبة السير فيها على الرواحل العربية .

ولما صفا أمر المغرب لعبد المومن بن على سنة ١١٤٧ (٥٤١ هـ) وتلك
الاندلس كانت الأخبار ترد عليه باستمرار عن تفاقم الحالة بافريقية واختلاف

أمرائها واستطالة العرب عليها بالعبث والفساد ، فكان يتشوف الى حسم مادة
العوصى وتنبيذ النظام فى تلك البلاد التى طلع بها كوكب سعدة منذ التقى
فى بجاية احدى مدنها بامامه المهدي ، ويتطلع الى نظمها فى سلك الدعوة
الموحدية كما انتظمت أقطار المغربين الأقصى والأوسط والأندلس والصحراء ،
ولم يكن يشنيه عن النهوض اليها الا اقباله فى السنين الاولى من حياة الدولة
الجديدة على تنظيم الحكومة وترتيب الادارة والقضاء على الخوارج وتجهيز
الجيوش لصد عادية النصارى الذين تطاولوا على مسلمي الأندلس أثناء حروب
المرابطين والموحدين ، فلما كانت سنة 1151 هـ (546 هـ) نهض عبد المومن
لفتح ما بقى من المغرب الاوسط ، والمغرب الأدنى ، فاستولى على الجزائر
ووفد عليه فيها أبو الجليل بن شاكر أمير الأنبج وحباس بن مشيفر من أعيان
جشم فتلقاهما بالمسرة ، وغمرهما بالمبرة ، وعقد لكل واحد منهما على قومه ،
ثم استولى على بجاية وقلعة بنى حماد وقسنطينة ، فسمعت بذلك قبائل بنى
هلال المقبمة بافريقية فخفت مسرعة الى الغرب وعسكرت بظاهر باجة وتعاهد
شيوخها على محاربة الموحدين وانقاذ ملك بنى حماد ، وحينما كان الخليفة عبد
المومن بن على فى طريق عودته الى عاصمة ملكه بالمغرب الأقصى وافته الأخبار
بمسبرهم الى سطيف ، فارسل مدداً الى ابنه الأمير عبد الله والى بجاية وأمره
بملقاتهم وخضد شوكتهم ، فالتقى الفريقان بسهولة سطيف ودارت رحى الحرب
بينهم ثلاثة أيام ثم انتهت بانهزام العرب واستلحامهم وسبى نسايتهم وأسر
أننائهم وعسم أموالهم وأمتعتهم ، فكانت تلك أعنف صدمة تلقوها منذ دخولهم
الى بلاد المغرب قبل مئة عام (1147) وانرها راجعوا بصائيرهم ودخلوا فى دعوة
الموحدين واذعنوا لحكمهم ، ثم وفد على الخليفة بعد رجوعه الى مراکش
كبراؤهم فوصلهم ورجعوا الى قومهم مقتبطين .

وأقام عبد المومن على وفاق مع العرب الى أن تحرك من مدينة سلا يوم
الأحد 1 مارس 1159 هـ (10 صفر 554 هـ) وسار الى المغرب الأدنى لمعالجة أموره

(1147) انظر من هذه الانتصار رسالة كتبها أبو جعفر بن عطية من تلمسان على لسان مخدومه
الخليفة عبد المومن بن على الى أهل مراکش مؤرخة فى فاتح ربيع الأول عام 548 هـ (الأربعاء 27 مايو
1153 م) بالمجموع المسمى : مجموع رسائل موحدية ص 26 ط الرباط 1942 .

واستعادة مدينة المهديّة من أيدي النصارى الذين كانت وطأتهم البرية والبحرية مشددة بسببها على المسلمين باستمرار ، وأثناء حصاره للمهديّة الذي دام سبعة أشهر ظهرت من قبائل بني سليم ضروب من المناصرة والمشاقة والتعدي بجهات قابس ، فكان الخليفة يستدعيهم الى الجهاد معه ويستدنيهم منه ويهيب به الى نبذ العصيان والدخول فيما دخلت فيه جماعة المسلمين ، ويبعث لهم في ذلك المخاطبات البليغة والأشعار الرائقة كقصيدة صهره القاضي ابن عمران التينملي التي يقول فيها على لسان مخدومه :

أسليم دعوة ذي اخاء مرشد	هاد الى الحق المبين المسعد
ومذكر ما كان اسلاف لكم	فضلوا به أفعال كل مسدد
بجهاد أعداء الاله ، ونصرهم	لرسول ربهم النبي محمد
وتعرفوا أننا عليكم صبر	حتى يعود جواب هذا المنشد

لكنه كان يصبر ولا ترد عليه عنهم الا أخبار السوء ، فلما بلغه تماديهم في الفساد والفساد واستيلائهم على مدينة قابس واستباحتها بعث اليهم عسكرياً صخماً بقيادة قريبه ووزيره عبد السلام الكومي ، فاسترد المدينة واستأصل شافه بني سليم ، واستخلص بعد ذلك مدن الجنوب التونسي والاقليم الطرابلسي من أيدي المتغلبين عليها منهم ومن غيرهم ، ولما ثنى غنائه الى المغرب سسه II60 بلغه أن الأعراب عادوا الى الثورة والتشغب فصرح اليهم جيشاً من الموحدين نازلهم قرب القيروان وأوقع بهم وقتل كبيرهم محرز بن زياد العارعي من بني علي احدى بطون رباح (148) وخلال هذه الوقائع وأثناءها أدرك عبد المؤمن بثاقب ذهنه وسديد نظره أن عريضة الفتنة متأصلة في العرب لا يمكن تخليهم عنها ، فرأى أن يستغل طبيعتهم الحربية لمصلحة الدولة وطاقاتهم التحريية صد أعدائها الداخليين والخارجيين ، فاستلحق عدداً كبيراً منهم بمسكره ، ولم يعد من حركته الافريقية الى المغرب الأقصى الا وهو يجر وراءه من عرب رباح وجشم وعلوي وقبائلهم ما يضيق به الفضا ، على عدد الذباب وعدد الحصا (149) .

(148) انظر عن هزيمة العرب بافريقية رسالة من انشاء امي القاسم القالسي مؤرخة في يوم الاثنين 24 ربيع الثاني عام 555 هـ (2 مايو 1160 م) بعث بها عبد المؤمن بن علي من فخص متيحة الى اهل فاس ، في المجموع المسمى : مجموع رسائل موحديّة ص 113 .
(149) المي بالامامة - لابن صاحب الصلاة ص 144 .

وفد حركت انتصارات عبد المومن على عرب المغرب الأدنى ولاسيما
عرب رياح الذين كانوا أشد نكاية السنة شعراء دولته ، فبعثوا اليه أو أنشدوا
بين يديه بعد رجوعه قصائد يهنئونه فيها بالانتصار ، ويصفون ما حل بالعرب
من هزيمة وانكسار ، فمن ذلك قول الشاعر أحمد بن سيد الاشبيلي المعروف
باللص من قصيدة :

ضوء الصباح على سواد الغييب
نكثوا عهداً أبرمت في يعرب
ذهبوا من التأويل أخبت مذهب
أن الجهاد عليهم لم يكتب !
ففي أن سراها لبسق خلب
فاستنزروها وهي ملء السبب
منه ، ويؤسسه بميد المطلب
بالترب وهي متوطة بالكوكب
منه لكان القدر صعب المركب
أعلا المراقى في الجنب الأقرب
خلف كذاكي برقه المتلهب
أفمى اليباب استجمعت لتونب
أخذ البريء بها بذنب المذنب
فيهم لذى القلب الذكى القلب
الا أراها الطفل مثل الأشيب

فانت على شيع الضلال كما اتى
ومضت على حد الحسام اعسار
لما حداهم للجهاد مشمس
فكانما القى الكتاب اليهم :
ورأوا غماماً لم يشكوا - ضلة -
غطى على أبصارهم قدر الردى
والمرء يطمع بالمطالب ما دنت
ولربما حسب الفتى أطماعه
ولو أن غدرهم لذل نالهم
لكه أرقاهم من عسرة
بدرؤا بطوع كالحيا في طيسه
كالروض الا ان فسى احشائه
أولى لهم من بطشة قيسية (150)
قد كان في أولى الوقائع زاجر
لم لا ؟ وما ذكرت رياح يومها

ولم يكد عبد المومن يستلحق أولئك الأعراب بالجندية حتى بدأ يعلن
عن مراده فيهم ونيته في توجيههم الى القتال بالاندلس ، وصار يبعث لمسلمي
الجزيرة رسائل وقصائد يخبرهم فيها بما سيقوم به هاؤلاء العرب من جهاد
لأعداء الدين ، ويطمئنهم على مصيرهم في تلك البلاد ، وقد كانوا يومئذ في ضيق
شديد من تكالب النصارى عليهم ، فمن ذلك ما ورد في قصيدة بعث بها طي

(150) نسبة الى قيس عيلان جد عبد المومن بن علي حسب مزاعم بعض المؤرخين .

رسالة مؤرخه فى ربيع الأول عام 555 هـ (مارس 1160 م) من محله المنصوره
قرب مدينة قسنطينة الى اهل الأندلس :

فيا معشر الأشياخ من كل طالب نبشركم أنا اهتمامنا بأمركم ويصحبنا من خالص العرب معشر رأوا فى ذويهم عبرة فتيقظوا ستفرو بلاد الروم منهم عصابات فطوبى لأهل الغرب ما ذا يروونه جيوش ينصر الله تهى عليكم ويشجى بمرآها الأعداى كأنما ستعلم أرض الروم أى فوارس واى رجال للحروب اذا بدت وانا واياهم لحتم غلابنا	ومن حاسف للذكر ألفاظه سرد فلبتكم منا المسومة الجرد أنا بوا فما ردوا وتابوا فما ارتدوا وكان لهم فى غى غيرهم رشد ويحمى حى النوحيد من خيلهم جند ! لقد جل قدراً ان يحيط به الحد يروق بها وهد ويزهى بها نجد عليهم بها صم الشوامخ تنهد على ظهرها منهم اذا وفد الوفد أسود شرى يخشى ترايبها الأسد لهم ، وكلام الوحي ليس له رد !
--	---

وبر عبد المومن بوعد لاهل الأندلس ، فانه لم يمكث بالمغرب بعد
رجوعه من افريقية الا بقدر ما اعاد ترتيب الجيش وتسليحه ، وهباً ميرة
اجناده وعلف دوابه ، ثم عبر البحر الى الأندلس فى شهر نونبر 1160 م
(ذو القعدة 555 هـ) مصطحباً معه كتائب وفيرة العدد شديدة الشره الى الحرب
والقتال فلقت منظرهم وهم بحال من البداوة والفطرة ، وبأزياء حربية عربية
لم تؤلف رؤيتها - أنظار الناس ، فأعجبوا بهم واسنبشروا بمقدمهم ، ونظم
الشعراء فى تمجيدهم والاشادة بشجاعتهم وتجدتهم ، والتعبير عن الآمال المعلقة
عليهم القصائد الفر الطوال .

وبعدما تعرف عبد المومن على احتياجات الأندلس ورتب حاميات
تقيم فى ثغورها عاد الى المغرب فى أوائل عام 1161 م (556 هـ) فأقام بمراكش
سنة مكن فيها جيشه وحاشيته من الراحة والاستجمام ، وعكف هو فيها على
النظر فى الشؤون العامة ودمج العرب فى الجيش النظامى وتدريبهم على الفنون
الحربية واعدادهم للجولات المقبلة ، ثم كتب منهم كتائب بعث بعضها الى مختلف

المدن المغربية لحماية الرعية وتأمين السابلة وبعث كتائب أخرى الى الأندلس للرباط بالثغور وجهاد الأعداء ، فنزل بعضهم بجهات قرطبة ونزل بعض آخر بجهات اشبيلية مما يلى مدينة شريش ، وأبلى فى تلك السنة والسنة التى تليها أحسن البلاء فى حرب النصارى والثوار المنتزعين ببعض الجهات وحقت عليهم جميعاً انتصارات باهرة أطلقت بمدحهم السنة الشعراء ، فمن ذلك قول أبى العباس الجراوى يهنئ أمير المومنين عبد المومن بن على بأحد هذه الانتصارات ويذكر دور العرب فى تحقيقه :

لوراه موسى ما فعلت وطارق	زرياً بما لهما من الآسار
أتممت ما قد أملوه وفاتهم	من نصر دين الواحد القهار
بعراب خيل فوقهن اعسار	من كل مقتحم على الأخطار
أكرم بهن قبائلاً اقلالهما	فى الحرب يفيها عن الاكثار
وانظر اذا اصطمت كتابها الى	ما تحمد الكتاب فى الاسطار
لو أنها نصرت علياً لم تسرد	خيل ابن حرب ساحة الأنبار

ولما توفى عبد المومن بن على ليلة الخميس 17 مايو 1163 (10 جمادى الآخرة 558 هـ) سار ابنه وخلقه أبو يعقوب يوسف العسرى على نهجه فى جلب العرب من المغرب الأدنى واستئلافهم واستئناسهم والحاقهم بالجندية وتسخيرهم فى أغراض الدولة من حفظ أمن وقمع فتن وقتال أعداء بالحدود ، وكان يوجه لهم المخاطبات النثرية والشعرية التى تفعل فيهم فعل السحر فيستجيبون وينعادون ويردون عليه زرافات ووحداً بقضهم وقضيضهم وهم فى حالة من الاجهاد والعياء والجوع والعري والفوضى فيصلح أحوالهم ويكلهم الى المكلفين بشؤونهم من أمراء بيته أو قادة جنده فينظمونهم فى سلك الجندية ويدربونهم على الفنون الحربية حتى يصيروا أهلاً لخوض الحروب النظامية متمرسين باستعمال أسلحة غير الأسلحة التقليدية التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم القادمين بها من صعيد مصر وصحراء الجزيرة العربية ، وكان الخليفة اذا أراد توجيههم الى قتال أعدائه بالمغرب أو الأندلس يأمر شعراء دولته أن ينظموا اشعاراً حماسية فى مدحهم والاشادة بشرف أرومتهم ومضاء عزائمهم وكفايتهم فى الحروب وينشدوها على مسمع منهم تحميساً لهم وتشجيعاً وهو نوع من

الدعاية يستعمله اليوم خبراء الحرب البسيكولوجيون بوسائل تختلف شكلاً ولا تختلف موضوعاً ، فمن تلك الأشعار قصيدة احمد بن عبد السلام الفعجومي الجراوى الفاسى التالية يمدح بها قبائل بنى هلال ويحضهم على القتال :

على قدم الدنيا هلال بن عامر
بزهـر خصال كالنجوم الزواهر
وكم تركوا من غاية للأواخر
وكم فيهم من مثل عمرو وعامر
وكم قد أقالوا من جدود عوائر
ومن مثل فى الشرق والغرب سائر
وتقضى بتكبير النفوس النواير
كواكب أطراف الرياح الخواطر
ممالك شادتها ملوك الأكاسر
بخير عباد الله باد وحاضر
بأمثالها اكرم بها من مائر
وأول مجد شفعوه بأخـر
سريع الى صوت الصريخ مبادر
وناب وظفر من سنان وباتر
موارد موت ما لها من مصادر
على مثل فتخاء الجناحين كاسر
وان خفت الأبطال آخر صادر
حديد شبا الأنياب دامى الأظافر
ويقضى عليه دارعاً غير حاسر
الى الموت تصميم الليوث الحواذر
فانكم اهل النها والبصائر
على الكفر تبقى غامراً كل عامر
وتسكن أمواج البحار الزواخر
تعم به الدنيا وفود البشائر

أحاطت بغايات العلا والمفاخر
وزانوا سماء المجد بدءاً وعودة
أوائـلهم فى الجود والبأس غاية
وكم فيهم من مثل كعب وحاتم
وكم قد أقاموا من عروش موائل
وكم لهم من حكمة تبهر النها
ومن خطبة تستنزل العصم من عل
هم اطلعوا فى ليل كل عجاجة
هم مزفوا بالببيض كل ممزق
أجيبـت بهم فى آل ساسان دعوة
مائـر أسلاف تلاها بنوهم
وأخـر مجد شفعوه بأـول
لهم كل جلد فى الجلال مشمر
هربر عليه لبدـة من مفاضـة
إذا صال يوم الروع اورد قرنه
تعاين منه مثل باز مصرصر
إذا شبت الهيجاء أول وارد
يبادر منه القرن أغلب غالب
يشور اليه حاسراً غير دارع
بنـي عامر أنتم صميم فصموا
ولا تتوانوا فى حظوظ نفوسكم
ومن شكر آلاء الخليفة صولة
تميل الجبال الشم منها مخافة
ولا بد من يوم على الكفر أيـوم

دعاكم لما يحييكم وارث الهسدى
وأحزم من ساس الديانة والدنسا
الى أمره فى كل امر ونهيه
إذا نامت الأملاك عما يههها
فلا برج الاسلام منه مؤيداً
وإمام أشتات العلا والمفاخر
وأكرم مأمول واحلم قصادر
يروح ويفدو كل ناء وأمير
رعى الدين والدنيا له طرف ساهر
بمنصور رايات على الكفر ناصر

والحق أن القبائل العربية أغنت في جهاد نصارى الأندلس غناء لا مثيل له ، وخففت العبء عن أهل المغرب والأندلس الذين اضطلعوا به وحدهم قرونًا ، وإننا لنجد في المراسلات الحكومية والنصوص الأدبية الراجعة الى هذا العهد ما يشهد لهاؤلاء العرب الداخلين الى أقصى المغرب والأندلس بحسن النية وخلوص السريرة وصدق المزيمة على خدمة الدولة ومجاهدة الأعداء ، ونجترى فيما يلى بايراد أبيات من قصيدة بعث بها سنة 1167 (562 هـ) الأمير البطل عمر بن عبد المؤمن الى أخيه السلطان يوسف منشوقاً اليه وواصفاً عزوة جبل الكوكب بشمال المغرب وما حقق فيها العرب للخليفة من نصر على الناصر سبع بن منخفاد ، وهى من شعر عمر بن حربون :

سل الجبل المكرم حيث ضاهت
تلقننا بأشواق اليكسم
تطلع تحوكم حباً ووداً
حنباها بيمنكم كرامسا
إذا انتاشوا رماحهم تدلى
أباسة الضيم ان أمروا بامر
إذا قادتهم أبناء قيس (151)
لهايم العطايا لم يزالوا
الا لله منهم كل ذمير
يهش الى لقاء القرن حسي
يضم الى العشيرة كل خيمير

عباب البحر أنعمك الجسم
مشاهده المقدسة العظام
كما يتطلع البلد الحرام
على صهواتها عسب كرام
أحم النقع وانحط القتام
فكل عزيز كفر مستضام
فلا لخم تعد ولا جسام
يلف عليهم الجيش اللهام
يقبل سيفه الموت الزوام
كان الطعن بينهما ذمام
كما نجى عشيرته ضمام

وذلك ما جعل الخليفة يستدرج العرب بمختلف الوسائل - ومن اعطىها الشعر - الى دخول المغرب الأقصى والحق بالجندي و يستدعيهم بالحاج كلما نادى منادى الجهاد ، ففي سنة 1170 (566 هـ) لما عزم على القيام بالفتوة الكبرى الى الأندلس كتب اليهم يستدعيهم ويهيب بهم الى الفتوة ويصف ما هم عليه من الشجاعة والزعامة ، وكان من جملة ما خاطبهم به القصيدة التالية من شعر أبي بكر بن الطيفيل :

لغزو الأعداء واقتناء الرغائب
فقد عرضت للحرب جرد السلاهب
ولا تكتب العليا بغير الكتابب
على الهول ركاب ظهور المصاعب
وان أعرضت ذرقاً جمام المشارب
ويعرض عزاً عن جميع المكاسب
تحف بأطراف القنا والقواضب
وما جمعت من طاعن ومضارب
بطاعة أمر الله من كل جانب
وفيثوا الى التحقيق فيئة راغب
دعاء بريئاً من جميع الشوائب
ونؤثركم زلفى بأعلا المراتب
لكم فيه فوز من جميع المعاطب
عليكم وهذا عوده جد واجب
ولا تغفلوا أحياء تلك المناقب
ومهديه منكم بلا عيب عائب
ونسبته الدنيا بزلفى الأقارب
لتحنو عليكم باتصال المناسب
اذا كنتم فوق النجوم الثواب
بما لكم فيه صلاح المواقب
يشق سناء داجيات الغياهب
لكل منيب ناصح الجيب تائب
تمكن ما بين الله والترائب

أقيموا صدور الخيل نحو المضارب
وأذكوا المذاكى العاديات على العدا
فلا تقتنى الآمال الا من القنا
ولا يبلغ الغايات الا مصمم
يرى غمرة الهيجاء أعنب مشرب
ويأنف الا مكسباً من حسامه
ألا فابعثوهامة عرييبة
أفرسان قيس من هلال بن عامر
لكم قبة للمجد ، شدوا عمادها
وقوموا لنصر الدين قومة تائر
دعوناكم نبغى خلاص جميعكم
نريد لكم ما نبتغى لنفوسنا
فلا تزهدوا فى نيل حظكم الذى
نكم نصر الاسلام بدءاً ، فنصره
نقوموا بما قامت أوائلكم به
وقد جعل الله النبى وآله
وفزتم بتخصيص الخليفة بعده
وطائفة المهدي منكم ، وانها
ومن ذا الذى يسمو ليبلغ شاوكم
نصحناكم والنصح فى الدين واجب
وخاطبكم عنا بيان محصحص
هو الأمر أمر الله منج ومساعد
وفيه ذعاف للعداة اذا انتحى

وانتم على التخصيص اجدر من بنى
فانكم قيس ، وفرسان ربنا
خذوا حظكم فالامر جسد ، وانما
وقد فاز بالتقديم منكم معاشر
تحت بهم نحو البدار الى الهدى
فطاروا الى الداعي سراعاً كأنهم
فخصوا من التكريم والبر بالنى
فنالوا محل السبق فانفسحت لهم
وقد شاهدوا من حرمة الامر ما قضى
فما لكم والنوم عن خير همة
وتعطفكم بالمشرفية والقنسا
وما هي الا دعوة عز ذكرها
حذار ! فاعراض الفتى عن نجاته
وما الحزم الا طاعة الله انهما
نعذكم السيف الذى ليس ينثنى
ونجعلكم صدر القناة اذا غدت
وقد كان من اقوالكم ما علمتم
وليس خطيب الصديق قال فانبرى
وما خلق الاعراب اخلاف موعده
سنعلم من اوفى ومن خاس عهده
وتظهر احوال يروق سماعها

بذوقه بيتاً رفيع النوائب
على الأرض من قيس بغير مغالب
يكون بقدر الجدة قدر المناصب
بما قدموه من حميد المذاهب
عتاق جواد أو عتاق نجائب
قداح تلقى الفوز من رمى ضارب
يكون جديراً بالولى المصاقب
رياض الامانى سائحات المذائب
لهم بأمان من جميع النوائب
تقلص أفياء الشؤون الجواذب
منادح عز ساميات المطالب
فعز بها فى الله كل مصاحب
وتضييحه للحزم احدى المعايب
هى الحرم المناع من كل طالب
اذا ما نبا سيف براحة ضارب
تأطر ما بين الحشا والترايب
فان كان فعل فالرجا غير خائب
ولكن فعل الحر اصدق خاطب
ولكن صدق الوعد خلق الاعارب
ومن كان من آت الينا وذاهيب
فيرغب فى امثالها كل راغب

وحينما أبطأ العرب فى تلبية هذا النداء خاطبهم يستعجلهم ، ويبين
لهم نيته المازمة على الجهاد ويسترحلهم ، بالقصيدة التالية أيضاً وهى من
شعر ابن عياش (152) .

(152) نسب عبد الواحد المراكشى فى المذهب هذه القصيدة لعبد المؤمن بن على وعدها الأدباء
المعاصرون من شعره ، أما ابن صاحب الصلاة فحملها على كتابه المن بالامامة من شعر ابن عياش
وتوجيهها الى العرب على عهد الحليفة يوسف بن عبد المؤمن ، والظاهر ان رواية ابن صاحب الصلاة
اصح لانه مؤرخ معاصر تدل دقة اخباره وتسلسلها وما يقرنها به من وثائق كالرسائل الرسمية
والقصائد الشعرية على انها اصح من اخبار غيره .

أفيمسوا الى العلياء هوج الرواحل
وقوموا لنصر الدين قومة ثنائير
واسروا بنى قيس الى نيل غاية
فما العز الا ظهر أجرد سابح
وأبيض مأثور كان فرنسده
بنى العم من عليا هلال بن عامر
تعالوا فقد شدت الى الغزو نيسة
هي الغزوة الغراء والموعود الذى
بها تفتح الدنيا بها تبلغ المنسى
عزمننا وأمر الله لا بد واقمع
بجيش يضل الطير فى حجراته
وتحسر فيه الطرف من كل جانب
ويطلع ليل النقع فيه كواكبها
ويضحى به بحر الدماء مفجرا
بأيدى رجال قد وفوا بعهودهم
فما وهنوا يوماً ولا فل عزمهم
فطيروا اليها يا هلال بن عامر
ولا تحذعوا عن حظكم من اجابة
وتقطعكم صدر الندى اذا نبست
أهنا بكم للخير والله حسبنا
فما هننا الا صلاح جميعكم

وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل
وشدوا على الأعداء شدة صائل
من المجد تجنى عند برد الأصائل
تموت الصبا فى شدة المتواصل
على الماء محبوبك وليس بسائل
وما جمعت من باسل وابن باسل
عواقبها متصورة بالأوائسل
تنجز فى أفق المدى المتطاوول
بها ينصف التحقيق من كل باطل
على وقعة تودى بدين الفياصل
وتحجب عنه الشمس سحب القاطل
بحور دلاص عادمات السواحل
من البيض أو من مرهفات المناصل
بأسمر عسال وأبيض ناصل
وخاضوا لنصر الدين أمواج هائل
ولا حيرتهم معضلات النوازل
ثقالا خفافاً بين حاف وناعل
تبوئكم فى المجد أسنى المنازل
بمن لم يكن منكم صدور المحافل
وحسبكم والله أعدل عادل
وتسريحكم فى ظل أخضر هائل

ولما وصلت القصيدتان الى احياء العرب بنواحي القيروان والزاب
تناشدهما وأعجبوا بفصاحتهما وهزتهم الأريحية الاسلامية والحمية العربية
فاخذوا يتوجهون الى مراكز التجمع بضواحي بجاية ومعهم العمال والأمناء ، حتى
اذا اكتمل جمعهم سار بهم واليها الأمير السيد يحيى بن عبد المومن الى
المغرب ، وكان عند فرسانهم أربعة آلاف يضاف اليهم المشاة ومعهم من الدواب
والميرة والسلاح ما يجعل عن الحصر ، وعندما وصلوا الى تلمسان انضم
اليهم واليها الأمير السيد موسى بن عبد المومن بألف فارس عربى ومن عنده من

العساكر النظامية مشاة وركبانا ، فسار هذا الجيش الضخم تهتز الأرض تحت سنايك خيله وتصطك جنبات الفضاء بدقات طبوله ونغمات غيطاته ، ويظهر أن الخليفة قلق مما قد يحدثه ورود هؤولاء العرب الذين لم يألوا نظاماً في أعداد ضخمة على حاضرتهم ، فأرسل تعليمات مشددة الى أخويه بالطريق يأمرهما بالرفق في المشى والتزام النظام والمحافظة على الخيل ، ومر كل شيء بسلام خلال مراحل الطريق حتى وصلوا مراکش فاستبشر الخليفة بوصولهم ، واستعرضهم بالفحص المتصل بها يوم السبت 12 دجنبر 1170 (2 ربيع الثاني 566 هـ) وفي اليوم التالي أمر أشياخهم بالدخول عليه لتجديد البيعة وأخذ العهد وتمادى دخولهم الى يوم الأربعاء 30 دجنبر من العام المذكور . وبعد يومين شرع في اطعامهم ضيافة لهم على العادة العربية المألوفة ، فكان يدخل منهم كل يوم الى البحيرة المعدة للضيافة ثلاثة آلاف رجل فيطعمون ، ودام ذلك مدة خمسة عشر يوماً ، وبدرت من العرب خلال أيام الضيافة بوادر فوضى عدت سوء أدب منهم وجراً ، فقاطعهم الخليفة ثلاثة أيام ثم صفح عنهم ، وفي يوم الأحد 17 يناير 1171 أمر بتمييزهم في رجة قصره العتيق بدار الحجر داخل حضرته استعداداً للذهاب بهم الى الأندلس فكان يدخل منهم كل يوم قدر معلوم وخلال التمييز الذي استمر خمسة عشر يوماً كان الأعراب يدخلون في حال من الخصاصة والفوضى تضحك الحاضرين ، فكان الخليفة يفضي لهم عن كل ذلك ويأمر باصلاح حالهم واعطائهم ما يلزمهم من الكسوة والسلاح وتعيين القواد لكل فريق منهم ، لمعرفة بحاحتهم وضرورتهم ومبادرتهم الى طاعته وانقيادهم لخلافته ، ولما في نفسه من ارادة الجهاد بهم لأعداء الله تعالى فيتألف قلوبهم بذلك (153) ، وبعد توزيع المنح والصلوات عليهم وعلى أشياخهم وسائر الجنود تحرك الخليفة بالجميع من مراکش صبيحة يوم السبت 13 مارس ، وكاد العرب يقتتلون في الطريق بسبب تزاخمهم على عبور وادي أم الربيع لولا أن تدارك الخليفة الأمر بجهد وحكمة ، واثناء الاستراحة برابط الفتح ميزت القوات الموحدية من جديد ، وحضر على تمييز العرب الأمير يحيى والى بجاية يعينه عبد الله المالحى الذي كان يعرفهم ويضبط أنسابهم ، فكان عدد فرسان العرب وحدهم عشرة آلاف فارس ،

ثم أجاز البحر الى الأندلس فى يوم السبت 8 مايو 1171 (1 رمضان 566 هـ) وأقام فيها خمسة أعوام حقق خلالها أعمالا عمرانية وحربية كثيرة شارك العرب فى تحقيقها بحظ مرموق .

وإذا كان هاؤلاء العرب النازحون الى المغرب الأقصى قد استقاموا على الطريقة خلال هذه السنين فإن اخوانهم الذين أقاموا بمواطن قوتهم وعزتهم بأفريقية بقوا على عاداتهم فى الفوضى والاضطراب يظهرون الطاعة ويخفون العصيان ، ويسكنون اذا أحسوا بقوة الدولة ويتحركون اذا شعروا بضعفها ، وقد اضطر الخليفة يوسف الى الذهاب بنفسه الى قفصة سنة 1180 لتقويم اعوجاجهم والضرب على ايديهم وتأديبهم ، وكاد يذهب اليهم مرة ثانية سنة 1183 حينما أسر بنو سليم أخاه علياً قرب قابس لولا أن سرحوه مقابل مال فدى به نفسه وأصحابه ، وخلال تلك السنين لم يكن سيل العرب ينقطع عن المغرب ، فقد استلذوا رخاء العيش فيه والجهاد بالأندلس وما يدره عليهم من ربح وفير وغنم كثير ، حتى ذكروا أن أشياخهم الذين وردوا على الخليفة يوسف بالرباط سنة 1184 وهو يستعد للذهاب الى الأندلس شرطوا له على أنفسهم أن يحضروا لهذه الغزوة فى 130 ألفاً ما بين فارس وراجل .

على أن الفرصة سنحت لعرب المغرب الأدنى لاشباع نهمهم من الفتن والفوضى عقب وفاة الخليفة يوسف وتملك ابنه يعقوب المنصور (1184 م - 580 هـ) فقد خرج بساحله بنو غانية المسوفيون حكام جزائر الباليار من قبل المرابطين فاستولوا على بجاية فى الأول فانتقض العرب على الدولة وانضموا اليهم فاحتلوا بهم الجزائر ومليانة وحاصروا قسنطينة ، فسرح يعقوب المنصور لمحاربتهم الأمير عبد الرحمان بن عمر فى اعداد وافرة وجموع متكاثرة ، وشد عضد جيشه البرى بالأسطول ، ومع أن الأمير المذكور نجح فى استعادة جميع المدن المذكورة فانه لمن يتمكن من القضاء على رهوس الفتنة التى فر بها العرب الى شط الجريد حيث استجمعت قواها ونظمت صفوفها واعتزت بمن انضم اليها من الغز (1154) وأعادت الكرة من جديد على عمالة قسنطينة تجاذب الدولة

(1154) جماعات من الأرمن دخلوا الى المغرب فى أواخر القرن السادس الهجرى وملكوا طرابلس برئاسة أميرهم قراش ثم استرجعت منهم واستلمتهم سلاطين الموحدون ثم سلاطين عبد الوادى وبنى مرين بجيوشهم فيما بعد . ج المراز .

حبل السلطة فيه ، وفي سنة 1186 توالى على الخليفة أنباء مزعجة عن تضيق بسى
عانية والاعراب من حلفائهم على بلاد الجريد فنهض اليهم من مراکش يوم الأربعاء
15 دجنبر (3 شوال 582 هـ) ولم يصحب معه من عرب المغرب الا بنى زيان
من عرب وياح (155) رعيًا لقدم هجرتهم، وذلك احتياطًا من انضمامهم خلال القتال
الى اخوانهم للعصية ، ولما وصل الى تونس سرح اليهم الأمير يعقوب بن عمر بن
عبد المومن فى عسكر الموحدين ، فهزموه بوطا عمرة ، فلم يسع الخليفة الا
الخروج اليهم بنفسه ، فخرج من تونس فى يوم الأحد 6 شتنبر 1187 (فاتح
رجب 583 هـ) وعرج فى طريقه على القيروان فآلمه ما رأى من اندثار معاسنها
وخراب ماثرها واشجاء منظر مسجدها المبارك العتيق يعيش به اليوم وينعق
الغربان فأمر بتجديده وفرشه ، ثم سار حتى التقى بعل بن غانية وحلفائه من
العرب والغزبحامة دقيوس فهزمهم وفر على مجروحًا الى خيمة أعرابية عجوز
فمات بها وولى الثائرون عليهم أخاه يحيى مكانه . واطر هذه الواقعة استلحق
يعقوب المنصور الاغزاز بجيشه ، وأقام الى منتصف شوال بالجنوب التونسى
يعالج أمر الثائرين ، ثم عاد الى تونس ، ومنها ذهب الى المهدية فى شهر مارس
1188 (محرم 584 هـ) فأقام بها ريثما وضع للعرب قوانين يوقف عليها وربط
اشغالهم بها ، ثم عاد الى المغرب الأقصى فوجد عليه شيوخ العرب مبدلين توبنهم ،
فأمر بانتقال عرب وياح وجشم من بنى هلال بن عامر الى سكناه فنزل
الأولون ببلاد الهبط (جبال) وأزغار (الغرب) ما بين طجة وسلا ،
ونزل الآخرون بتامسنا والحوز ما بين سلا ومراكش ، وكان قصده
من هذا الترحيل كسر شوكة اخوانهم بأفريقية من جهة وتقوية جيشه
بهم من جهة ثانية ، ولكن كل ذلك لم يفد شيئًا ، فان الأولين أمعنوا فى العيث
والفساد حتى هم سنة 1194 بالمسير اليهم لما توالى عليه رسائل أبى سعيد
بن أبى حفص مخبرة باستفحال ضررهم وتوالى تواطنهم مع الثوار من بنى غانية
لولا انشغاله بجهاد نصارى الأندلس فى تلك السنة ، كما ان اخوانهم الذين
انتقلوا الى سكنى المغرب الأقصى شرعوا يقومون فيه بأعمال الشغب الغريزية

(155) كذا ذكر ابن صاحب الصلاة فى المى بالإمامة ، وذكر ابن خلدون فى تاريخه (6 : 45)
ان المنصور صحب معه زغبة من الهلايين وجهود الأتبع ، والغالب ان رواية ابن صاحب
الصلاة أصح .

فيهم بعدما كثر عددهم واصبحت لهم فيه مواطن عامرة بهم وحدهم، وهذا ما جعله يقول عند وفاته : ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي الا على ثلاث وددت اني لم افعلها : الأولى ادخال العرب من افريقية الى المغرب مع اني أعلم انهم أهل فساد، والثانية بناء رباط الفتاح انفقت فيه بيت المال وهو بعد لا يعمر ، والثالثة اطلاق اسارى الاراك ولا بدلهم ان يطلبوا بنارهم (156) ومع هذا الندم فانه اوصى بالعرب خيراً وهو يوجد بانعاسه الاخيرة وطلب من الموحدین أن يداروهم ويلطفوهم ويحسنوا اليهم غاية الاحسان ، ويشغلوهم بالحركات ولا يتركوهم للمعلقة والراحات !

وكذلك صار المغرب مملوءاً من أدناه الى أقصاه بالعرب ، وسكانه الأولون من بربر وعرب فتح مزاحمين بهم فيه ، وصارت علامة التمايز بين القبائل الأصلية والأخرى الطارئة كلمة (بنى) وكلمة (أولاد) ، فكل قبيلة يبتدىء اسمها ببنى مثل بنى ورياغل هي من قبائل البربر ، وكل قبيلة يبتدىء اسمها بأولاد مثل أولاد جامع هي عربية الأصل .

وقد كان لهذا الزحف العربى الثانى الكبير آثار بعيدة المدى فى حياة المغرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية ، ولا تزال هذه الآثار تطبعها الى الآن ، ويلاحظ بآدى ذى بدء أن هذه الآثار كانت سلبية فى النصف الشرقى من البلاد ، أى الى منتهى ما بلغه العرب فى زحفهم الأول وهو المغرب الأدنى بأسره وما حاذاه من شرق المغرب الأوسط ، فقد انقض الأعراب على تلك البلاد كالطوفان الغامر والذهب المتأجج والجراد الكاسح ينسفون المدن ويخربون القرى ويفجرون الآبار ويعذقون الأشجار ويمعنون فى قتل السكان دون تمييز بين محارب ومسالم ، ولا بين رجل وامرأة ، وكبير وصغير ، حتى تقلصت بوصولهم الى ذلك الجزء من أرض المغرب ظلال الحضارة وذوت أدواح المدنية وأصبحت حواضر برمتها كانت مفخرة من مفاخر الاسلام ومآثر العروبة مثل القيروان وقلمة بنى حماد وطبنة والمسيلة وغيرها خراباً ويباباً ، وغاض معين العلم والأدب والفقه والتأليف والتصنيف

فى تلك الجهة بعد ما كانت ينابيعها فياضة واسواقها نافقة ومعاهدها عامرة ، وهذا ما جعل أهل البلاد قاطبة عربهم وبربرهم تنقبض صدورهم من وصول هؤلاء الأعراب وتنعوز السنتهم لمجرد ذكرهم ويضربون المثل فى الشؤم والشقاء بالنسوب اليهم فيطلقون كلمة (كمبى) نسبة الى كعب وكلمة (زغبى) نسبة الى زغبة على كل شقى منحوس ، وحتى انبرى مؤرخ عربى وطنى نبهه هو عبد الرحمان بن خلدون الحضرمى يحمل عليهم وعلى أمتهم تلك الحملات العنيفة ويحكم عليهم وعليها احكاماً قاسية فى تاريخه متأثراً مما عاين من آثار وحشيتهم وثمار همجيتهم .

أما النتائج الايجابية فهى كثيرة أيضاً ، ومن أهمها أن البلاد المغربية أخذت شكلها القومى الجديد ، وصارت لها لغة جديدة يتخاطب بها العوام بعد ان كان استعمال اللغة العربية قاصراً على الدواوين الرسمية وبعض الحواضر التى أنشأها عرب الفتح وترعرعت فى حضن العروبة ، ومن الثابت تاريخياً أن اللغة البربرية بقيت هى السائدة فى المغربين الأقصى والأوسط الى الزحف الثانى الكبير ، وان خطب الجمع فى حاضرة عربية مثل فاس ، وفوق منبر جامع اسلامى كبير مثل جامع القرويين كانت تلقى باللغة البربرية الى ما بعد قيام دولة الموحدين ، ولكن دخول العرب هذه المرة جعل السيادة للغة العربية على جميع بلاد المغرب ، كما جعل أهل البلاد الأصليين تتلاقح دماؤهم بدماء عناصر قوية جديدة تشترك معهم فى كثير من خلال الحسن وخصال السوء ، فكان لذلك أكبر تأثير على الأجيال المغربية التى ولدت فيما بعد جسمانياً وفكرياً .

ونحن عندما نقول اللغة لا نعنى بها لغة القرآن الفصحى المعربة ، وانما نعنى بها العربية العامية التى نتحدث بها الآن ، فالعرب الذين دخلوا الى المغرب فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى واعطوه طابعه القومى الحالى لم يكونوا يتكلمون لغة فصحى مغربة ولا كان آباؤهم يتكلمونها قبل قرون ، وانما كانوا يتكلمون لهجة عربية خاصة هى التى اقتبسها منهم أهل المغرب وصاروا يتحدثون بها مثلهم مضيفين اليها كلمات محلية قليلة غير مغيرين من حروفها ولا نبراتھا الصوتية الا ما فرضت طبيعة مناطقهم البربرية

تغييره ، وقد كان لهذه اللغة أو اللهجة أدب خاص بها يتمثل في أشعارها وأزجالها وحكمها وأمثالها التي تصور حياة أهلها وتسجل وقائعهم وتخلد بعض حكاياتهم الغرامية كقصة الجازية الشهيرة .

ودخل الى المغرب مع هاؤلاء الأعراب عدد كبير من أهل الصعيد المصرى والأرمن والترك والتحق بهم فيما بعد عدد كبير آخر من السودان ومهاجرى الجزيرة الأندلسية فكان لكل ذلك آثاره وعواقبه ، كما تسرب اليه معهم عدد كبير من وسائل العيش وأدواته التي لم تكن معروفة فيه من قبل كالخيمة مثلاً ، وكثير من النظم والعادات التي تلائم حياة الرحل ولا تلائم حياة المستقرين ، كنظام (الدوار) الذى هو عبارة عن مخيم مستدير الشكل تسكنه عشيرة أو عمارة أثناء إقامتها وتحمل خيامه وأدواته أثناء طعنها .

وعلى الجملة فإن الزحف العربى الثانى الكبير على بلاد المغرب لم يكن يصارعه فى قوة فعاليته وسرعة تأثيره الا الزحف الأول الصغير ، كلاهما أعطى للمغرب شيئاً وكيف حياة أهله تكييفاً حاسماً ، فالزحف الأول أعطاهم العقيدة والإيمان ، والزحف الثانى أعطاهم اللغة والقومية .

وبعد ، فمن يكون هاؤلاء الأعراب الذين زحفوا على المغرب هذا الزحف الكبير وأثروا فيه وفى أهله كل هذا التأثير ؟ وما هى أنسابهم وشعوبهم ومبائلهم ؟

أَنَسَابُ الْعَرَبِ الدَّاخِلِينَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَبَعْضُ أَخْبَارِهِمْ

غلب إطلاق اسم بني هلال على جميع العرب الذين دخلوا المغرب في منتصف القرن الحادى عشر حتى ليظن الظان انه لم يدخله شعب من العرب سواهم ، والحقيقة أن شعوباً عربية أخرى دخلته مع بنى هلال وبعدهم ، وان بنى هلال أنفسهم لم يكونوا يرجعون الى أرومة واحدة ، بل كانت معهم قبائل وبطون كثيرة أضيفت اليهم وهى لا تجتمع معهم فى نسب .

ويمكن رد جميع القبائل والبطون العربية التى دخلت المغرب الى ثلاثة شعوب .

أ - بنو هلال

ب - المعقل

ت - بنو سليم

ونفصل فيما يلى القول فى أنساب هذه الشعوب موردين بعض أخبارها قبل دخولها الى المغرب وأثناءه .

1 - بنو هلال

أما بنو هلال فجدهم الذى ينسبون اليه هو هلال بن عامر بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر (157) .

كانت مواطنهم فى الجاهلية ببساتط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان ، وكان يسكنهم فيها بنو نعيم بن عامر ، وبنو جشم ، فلما جاء الاسلام

(157) جبهة أنساب العرب ص 273 .

وتوسع العرب فى الفتوح انتقلوا جميعاً الى بادية الشام وسكنوا الحزيرة
الفراتية ، فكان بنو نمير بنواحي حران ، وبنو هلال بناحية دمشق ، واستثمروا
مقيمين هناك يتكسبون من فلاح الأرض ورعى الماشية تارة ، ومن الغزو وقطع
الطريق أخرى ، وكان خلفاء بنى العباس يبعثون لهم البعوث تلو البعوث لئلا يحرهم
وكف عاديتهن عن المسافرين ولا سيما حجاج بيت الله الحرام .

ولما استولى شيعة الفاطميين على الشام وانتزعوه من أيدي القرامطة
واعادوهم الى البحرين ، نقلوا بنى هلال هأؤلاء الى صعيد مصر وأنزلوهم بالعدوة
الشرقية من نهر النيل ، فأضروا بالبلاد وساموا أهلها الذل والهوان .

ومن المؤكد تاريخياً ان قبيلة من شعب هلال تدعى بنى قسرة كانت
تسربت الى المغرب قبل زحف جمهورهم عليه ، ولها فى الحكاية عن دخولها
اليه طرق فى الخبر غريبة يكاد القادح فيها والمستريب أن يرمى عندهما بالخلط
والجنون ، منها حكاية الجازية بنت سرحان الشهيرة مع شريف مكة شكر بن
أبى الفتوح التى عفت عن خبر عزة وكثير ، وليلي وقيس المجنون ، وهى أصل
قصة أبى زيد الهلالي الشهيرة ، وسترد لدى الكلام عن بنى قرة ، وقد استوطن
بنو قرة هأؤلاء أرض برقة بعدما تغلبوا على مقاومة قبائل لواتة ومزانة وزنانة ،
وكان لهم بها وبمصر تشغييات على الحاكم بأمر الله الفاطمى قتل منهم بسببها
جماعة وأحرقهم بالنار لفسادهم ، ونبخ فيهم معلم للقرآن يدعى أبا ركة زعم
انه الوليد بن هشام من ذرية عبد الرحمان الداخل الأموى فبايعوه وألحقوا
الهزائم بالجيوش الفاطمية تحت رايته الى ان ظفر به وبهم سنة 397 هـ .

وأقام جمهور بنى هلال بشرق النيل الى أن خطرت للوزير الفاطمى
الحسن اليازورى فكرة اجازة العرب الى المغرب تخلصاً من شرهم وانتقاماً
من الممز بن باديس ، فكانت بطون بنى هلال أول من عبر النيل وسار اليه ،
وكان فيهم من غيرهم كثير من فزارة واشجع وجشم وسلول ومقل وعمرة
وبنى ثور وعنوان وطروود اندرجوا فى الأبيح خاصة وصاروا وياهم شيئاً واحداً .

وكان من أشرفهم عند دخولهم الى المغرب الحسن بن سرحان أخو
الجازية الموما إليها ، وأخوه بدر ، وفضل بن ناهض ، وثلاثتهم من بطن دويد

بن الأثبج ، وماضى بن مقرب من بنى قرة ، وسلامة بن رزق من بنى كئير ،
وشبان بن الأحمير وأخوه صليصل من بنى عطية ، وذياب بن غانم من بنى ثور
ومؤنس بن يحيى من بنى صنبر بطن من بطون مرداس رياح لا مرداس سليم ،
وزيد بن زيدان وينسبونه فى الضحاك ، وسليمان بن عباس من حمير
وسواهم كثير .

أما تشعب بنى هلال الى قبائل و بطون وتفاصيل أخبارهم بعد دخولهم
الى المغرب فقد تقدم بعضها وسيرد بعضها فى هذا الفصل والقسم الثالث من
هذا الكتاب .

2 - المعقل

نسب هذا الشعب من العرب الداخلين الى المغرب خفى مجهول عند
الجمهور ، ويعدهم نسابو العرب من بطون هلال وليس ذلك بصحيح ، أما هم
فيدعون أنهم من آل البيت من ذرية جعفر بن أبى طالب ، وهو ادعاء غير مسلم
به لأن الطالبيين والهاشميين أهل اقامة وحضر وليسوا أهل بادية وانتجاع ،
ورجح ابن خلدون أن يكونوا يمنيين ، لأن من هاؤلاء بطنين يسمى كل واحد
منهما بالمعقل على ما ذكره ابن الكلبي وغيره ، أحدهما من قضاة والآخر من
مدحج ، والغالب أنهم من هذا البطن الأخير .

وقد كان عرب المعقل يسكنون قرب البحرين مع القرامطة قبل دخولهم
المغرب ، ولما دخلوه لم يكن عددهم يتجاوز المئتين ، فاعترضهم بنو سليم
فتحيزوا الى الهلاليين ونزلوا بآخر مواطنهم مما يلى وادى ملوية ورمال
تافيلالت ، وجاوروا زناته فى القفار فعفوا وكثروا وانتشروا فى صحراء المغرب
الأقصى فعمرروا أطرافها وتغلبوا على فياقيها وحالفوا زناته بها فى جميع الأوقات ،
ولم يسبق منهم بافريقية الا جمع قليل اندرج فى جملة بنى كعب بن سليم
وصاروا أعوانهم المخلصين .

ولما طلع الزناتيون الى التل ، وأسسوا مملكتهم بفاس وتلمسان
وامارات أخرى صغيرة بالمغرب الأوسط تفرد عرب المعقل بالصحراء ونمو

فيها سواً كبيراً بمن انضاف اليهم من القبائل من غير نسيهم مثل العمور وأشجع والشقة والمهايا والشعراء والصباح وبنى سليم ، فملكوا القصور التي اختطتها زناتة وفرضوا الضرائب على حراطينها وصارت يدهم الطولى بجميع الاقطار الصحراوية الواقعة بين المحيط الاطلسي وتيديلكت .

وقد اشتهر عرب المعقل هاؤلاء باحترام الأنفس والأموال وامتنثال أوامر المخزن (الحكومة) فلم يكونوا ينتهكون حرمة الناس ولا يعترضون القوافل التجارية بأذى أو مكروه ، الشئ الذي جعل سلاطين المغرب يقدرونهم حق قدرهم ويجازونهم على ذلك بالاقطاعات المديدة والمطايا العديدة .

3 - بنو سليم

هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . من أوسع بطون مضر وأكثرها جموعاً ، كانت مواطنهم الاولى بسحد ، وكانت الرئاسة عليهم فيها لبنى الشريد بن عصيه بن خفاف بن بهثة بن سليم ، ولما أدركهم الاسلام كان منهم عناد ، ومن بطونهم المشهورة قبائل عصية ورعل وذكوان الدين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتكوا بأصحابه ، ثم أسلموا وخاضوا فيما خاضت فيه بقية القبائل العربية من شؤون الخلافات والمتوح ، وصاروا في عهد الخلافة العباسية أولى فتنة وبغى ، تبلغ بها الجسارة الى الاغارة على المدينة نفسها ، فكان العباسيون يسرحون الكتائب لمحاربتهم والايقاع بهم ، فيذعنون الى الطاعة ويخلدون الى السكينة في قفارهم بقدر ما يستجمون وينتعمشون فيعودون الى حالهم ، وبلغ من كراهية أحد خلفاء بنى العباس لهم أنه نهى ابناً له عن التزوج منهم .

ولما ظهر القرامطة غمسوا أيديهم في فتنتهم ، وحالفوا أبا الطاهر وبنه أمراء البحرين مع بنى عقيل بن كعب ، فلما ذهبت ريحهم وانقرض أمرهم اعتنق بنو سليم مذهب الشيعة وتقلبوا على البحرين بدعوتهم لما أن القرامطة كانوا متشيعين ، واستمروا سادة هناك حتى قام بنو الأصفر بدعوة العباسيين ، فانتزعوا البحرين باسمهم من أيدي بنى سليم في أيام بنى بويه وطردوهم عنها

ملحفوا بصعيد مصر وأقاموا به مع بقية الأعراب حتى أجازهم الوزير اليازورى الى افرىة مع العرب الهلايين ، فاستوطنوا برقة و جهات طرابلس زمناً ثم ساروا الى افرىة والمغرب وكان لهم - شعباً وقبائل وبطوناً - وقائع وأحداث سبى ذكر بعضها وسيدكر البعض فى هذا الفصل وفى القسم الثالث من هذا الكتاب .



شعوب بني هلال

بنو هلال أحد الشعوب العربية الثلاثة الداخلة الى المغرب ، لكنهم كانوا من كثرة العدد وتعدد البطون بحيث غطى اسمهم على اسمى الشعبين الآخرين .

ويشتمل هذا الشعب على عدد كبير من القبائل ، بعضها ينتمى اليه حقيقة بالنسب ، وبعضها نسبه في غيره ولكنه محسوب منه ومضاف اليه ، ومن هذه القبائل قبائل آكلتها الحروب اثناء الزحف وبعده فاندثرت ولم يبق منها الا اسمها يذكر بها ، ومنها قبائل عفت وتناسلت وتمت فصارت لها البطون والأفخاذ الكثيرة ، فارتفعت من رتبة القبائل الى رتبة الشعوب .

ويمكن حصر شعوب بني هلال الأصليين والمضافين فيمن يلي :

١ - الأتبج

ب - جشم

ت - رياح

ث - زغبة

ج - عوف

ونستعرض فيما يلي كل شعب من هذه الشعوب ذاكرين قبائله ، وموردين نبذاً من أخبارها .

١ - الأتبج

أبوهم الأتبج بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال كانوا أوفر عدداً من غيرهم وأكثر بطوناً فكان لهم التقدم بذلك على سواهم .

من قبائلهم :

١ - **دريد** : أعز قبائل الأنبج وأعلامهم كعباً ، وكانت رئاسة الأنبج كلها للحسن بن سرحان منهم عند دخولهم الى افريقية ، واستقروا ما بين عنابة وقسنطينة الى طارف مصقلة وما يحاذيها من القفر ، ولهم بطون كثيرة مثل **أولاد عطية** و**أولاد سرور** ، و**أولاد جبار الله** ، و**توبة** ، ولكل بطن عمارات وعشائر ، منهم قبيلة قوية بتونس معروفة بالاسم الأصل ، أما البطون فقد ارتفعت بدورها الى مرتبة القبائل وهي معروفة بأسمائها الى الآن .

ب - **كرفة** : بنو كرفة بن الأنبج ، كانت لهم جموع وقوة اثناء الزحف الكبير ، وسكنوا في البداية حياض جبل أوراس مما يلي شرقه ، ونقل منهم الموحدون بطوناً الى المغرب الأقصى ، والحفصيون بطوناً أخرى الى تونس ، وربما يصلون في النجعة الى تخوم الزاب ، بطونهم كثيرة مثل **أولاد نابت** ، و**الكلبية** ، و**الشبه** ، و**السرحانية** .

ت - **لطيف** : أولاد لطيف بن سرح بن مشرف بن أنبج كانوا ذوي كثره ونجعة الى أن غلبهم **النواودة** على الضواحي فعجزوا عن الطعن وسار من سار منهم الى المغرب مع جمهور الأنبج ونزلت بقيتهم ببلاد الزاب وعمرؤا منها المدن والقرى مثل الدوسن ، وغريبو ، وتهودة ، وتنومة ، وبادس . وكانت فيهم عنجهية منذ رئاستهم القديمة استمرت لاصقة بهم الى عهد ابن خلدون ، وللطيف بطون كثيرة ارتفعت الى درجة قبائل ، منها **اليتامي** : ذوو مطرف ، وذوو أبي الخليل ، وذوو جلال أولاد كسلان بن خليفة بن لطيف ، ومنهم **اللقامنة** أولاد لقمان بن خليفة بن لطيف ، ومنهم **أولاد جرير** ، و**أولاد نزار** ، ومزنة الذين يرجع اليهم نسب **بنو مزني** المشهورين بأرض الزاب .

ث - **مقدم** : أولاد مقدم بن مشرف بن أنبج ، كانوا ذوي قوة وعدد بين الأناجب ، ولما مالوا الى بني غانية وشقوا عصا الطاعة على الموحدين اشخصهم يعقوب المنصور مع جيش الى المغرب وأسكنهم بسيط تامسنا منه .

ج - **الضحاك** : بنو الضحاك بن مشرف بن أنبج ، كانوا يسكنون بالزاب الى ان غلبهم **النواودة** عليه وصيروهم في جملتهم .

ح - العاصم : أبناء عاصم بن مشرف بن أثبج ، كانوا من القبائل التي انضمت الى بني غانية فنقلهم الموحدون الى المغرب وانزلوهم ببسيط تامنسا .

خ - العمور : هاؤلاء من العرب الملحقين ببني هلال ، ويظن انهم من ولد عمرو بن عبد مناف بن هلال اخوة بني قرة بن عبد مناف ، وليسوا من ولد عمرو بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال الذي تنتمي اليه رياح وزغبة والأثبج ، اذ لا علاقة بين الفريقين ، وقد يكون انتماؤهم الى عمرو بن ربيعة بن عبد الله بن هلال ، وكل ذلك معروف ذكره الكلبي ، ولم تكن لهم في المغرب رئاسة ولا ناجعة تظعن لقلعة عددهم واختلاف كلمتهم ، وفيهم فرسان وأكثرهم رجالة ، وكانوا يسكنون بالضواحي والجبال ما بين جبل اوراس شرقاً وجبل بني راشد غرباً في الجهات المقابلة للحضنة والصحراء ، أما المناطق الشمالية فكانوا يتحامونها خوفاً من سطوة الحكومات ، فلذلك بقوا قريبين من مواطن العفر والجذب .

وهم ينقسمون الى بطنيين كبيرين : بني قرة وبني عبد الله ، وكل بطن يقسم بدوره الى عمائر وعشائر ، وهم معروفون اليوم باسمهم الأصلي وباسماء فروعهم ، وأكثريتهم موجودة على الحدود الجزائرية المغربية مما يلي العبن الصفراء ووحدات فكيك .

عباض : أبناء عياض بن مشرف بن أثبج ، كانوا مقيمين ببادية المغرب الأدنى ثم غربوا ونزلوا الجبل الذي فيه قلعة بني حماد وغلبوا قبائله على أمرهم، وسكنوه بطوله من الشرق الى الغرب ما بين ثنية غنية والقصاب الى وطن بني يزيد بن زغبة ، فالولهم مما يلي غنية **المهايا** ، وبعدهم **المرتفع** و **الخراج** من بطونهم ، ولكل منهم فروع كثيرة سيرد تفصيل الكلام عليها في القسم الثالث من هذا الكتاب .

بني قرة : قبيلة متسعة لكنها متفرقة في المدن والقبائل وحدانا ، كانوا يسكنون قرب بسكرة متصلين غرباً الى مواطن غمرة ، وفيهم بطون كثيرة سيقع الكلام عليها في القسم الثالث .

2 - جشم

أبو هذا الشعب هو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، واندمجت فيهم قبائل أخرى من الأنبج كبني قرة والمقدم والعاصم فعدوا منهم وغلب اسم جشم عليهم جميعاً .

نقل الموحدون جمهورهم الى المغرب الأقصى وأسكنوهم بسيط تامسنا والحوز ما بين سلا ومراكش فتخلوا منذ ذلك التاريخ عن عادة النجعة والريادة واستقروا متكسبين بملح الأرض واستيلاء الماشية .

من أشهر قبائلهم :

1 - **بني جابر** : كانت مواطنهم بسفح جبل تادلة يسهلون الى البسيط تارة ويأوون أخرى الى قننه وهضابه اذا أحسوا بتهديد ، وكانت رئاستهم على عهد بني مرين في **ورديفة** من بطونهم ، ومن الناس من يجعل نسبهم في زناته أو لواقه مستدلين على ذلك بمجاورتهم للبربر .

ب - **الخلط** : هذا القبيل معدود من جشم من غير أن يكون من نسبهم ، فهم أبناء المنتفق من بني عامر بن عقيل بن كعب ، كانوا شيعا للقرامطة بالبحرين ثم ارتحلوا الى مصر فافريقية عندما غلبهم عليها بنو أبي الحسين التغلبيون القائمون بدعوة العباسيين ، ثم دخلوا الى المغرب مع الأعراب ونقلهم يعقوب المنصور الى المغرب الأقصى فأسكنهم بسيط تامسنا ، وكانت لهم فتن وحروب مع سلاطين الموحيدين وبني مرين واستقروا بأخرة حيث هم الآن من بسيط الغرب قرب القصر الكبير مختلطين فيه بقبيلة **طليق** .

ت - **سفيان** : أدخلهم يعقوب المنصور الى المغرب الأقصى فسكنوا أولا قرب آسفي ، ثم انتقلوا الى الشمال فسكنوا في بسيط الغرب حيث هم الآن وبقي **العارث** و**الكلاية** من بطونهم ينتجعون أرض السوس وقفاره ويطلبون بلاد حاحة من المصامدة فبقيت فيهم لذلك شدة وباس ، ومن أشهر بطونهم **أولاد جرمون** و**أولاد مطاع** .

3 - رياح

هو رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر .

كان هذا الشعب من أعز قبائل بني هلال نفراً وأوفرهم جمعاً عند دخولهم الى بلاد المغرب ، وكانت رئاستهم على عهد الزحف لمؤنس بن يحيى الصنبري الذي أصهر اليه المعز بن باديس ببنته ، ثم كان من أشد العرب نكابة وأكثرهم ضرراً أثناء حصار القيروان لمعرفته بعوراتها ، ونقل منهم يعقوب المنصور قبائل قوية الى المغرب الأقصى .

قبائل رياح كثيرة ارتقى كل واحدة منها الى مرتبة شعب ، ونعرض فيما يلي أهمها :

أ - **الخضر** : أولاد الخضر بن عامر بن رياح ، وقيل عامر بن يزيد بن مرداس بن رياح وقيل غير ذلك ، كانت رئاستهم في **أولاد تامر** بن علي بن تمام بن عمار بن خضر بن عامر بن رياح ، وكان بنو مرين مختصين بحلف هذا القبيل .

ب - **مرداس** : بنو مرداس بن رياح ، أكبر بطون رياح على الإطلاق وأكثرهم ذكراً أثناء الزحف الكبير ، وهم قوم مؤنس بن يحيى صاحب المعز بن باديس وصهره ، ومن أشهر بطونهم قبيلة **الخواودة** العظيمة وفروعها الكثيره بالمغرب الأوسط ، **وأولاد صنبر** قوم مؤنس بن يحيى المتقدم ، **وأولاد مسلم** ، **وأولاد عامر** بن يزيد الذين منهم **بنو موسى** و**بنو جابر** ، و**سودان** ، و**مشهور** (**المشاهرة**) و**معاوية** ، مواطنهم مجاورة لتوزر بشط الجريد .

ت - **أولاد سعيد** : بنو مالك بن رياح ، كانت رئاستهم في **أولاد يوسف** ، ومن بطونهم **أولاد عيسى** ، ومع هذا القبيل لغائف من العرب من غيرهم مثل **المخادمة** و**الفجور** و**نفاث** .

ث - **أولاد مسلم** : بنو مسلم بن عقيل بن مرداس بن رياح ، ينتسب بعضهم الى الزبير بن العوام ، ويقول من ينكر عليهم ذلك انما هو الزبير بن

المهايا أحد بطون عياض من عرب الأثيج ، ورئاسة هذا الفريق في أولاد جماعة تارة تكون في أولاد شكر وتارة في أولاد زوارة ، وإلى هذا البطن ينتمي سعادة القائم بالسنة في رباح في بداية القرن الثامن الهجري .

4 - زغبة

ينتمي هذا الشعب إلى زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر .

كانت لهم كثرة وعزة عند دخولهم إلى المغرب ، وتغلبوا في الأول على نواحي طرابلس وقابس وقتلوا سعيد بن خزرون من ملوك مغراوة بطرابلس ، ولم يزلوا مقيمين هناك إلى أن ملك الموحدون إفريقية وثار بنو غانية المسوفيون بها فتحيزت زغبة إلى الموحدين فرعوا لهم ذلك وصيروهم يداً واحدة مع بربر بنى بادين في حماية المغرب الأوسط من ابن غانية واتباعه ، فصارت مجالاتهم ما بين المسيلة وقبلة تلمسان في القعار ، واستقروا بنو بادين وسائر زناته بالتلول .

ولما ملك بنو مرين فاس وبنو عبد الواد تلمسان واستقرت زناته بالمدن دخلت زغبة إلى التل وتغلبوا على أهله وفرضوا الاتاة على أكثرهم ، وخلت مواطنهم بالقفر منهم فعمرها عرب المعقل وغلبوا على من بقي من زغبة هناك وجعلوا عليهم خفارة يؤدونها من الأبل ، ولكن قبائل زغبة تعاقدوا على رفع هذا الذل عنهم فرفعوه ودفعوا بنى المعقل عن وطنهم فاستقروا به لسا منهم الزناتيون من وطئ التل ، فلما فشلت ربيع الزناتيين بكثرة الخوارج وتعدد الثوارت عادت زغبة إلى التلول واستطالت بها وغلبتهم عليها واقطعتهم الحكومات أكثرها ترضية واستظهاراً واتقاء لشرهم فانهم كانوا أشد العرب ضرراً حتى صار الناس يتطهرون إذا ذكر اسمهم لأنه نذير شؤم ونحس وصارت كلمة (زغبى) نسبة اليهم تعادل كلمة مشؤوم منحوس .

تشتمل زغبة على خمس قبائل كبيرة ارتفعت كل منها إلى مرتبة شعب :

١ - حصين : ينقسمون الى بطنين كبيرين ، جندل وخراش ، فمن جندل أولاد خنفر ، ورئاستهم في بني خليفة ، وسادتهم أولاد خشعة ، ومن خراش أولاد مسعود رئاستهم في أولاد رحاب ، وأولاد فرج رئاستهم في بني خليفة ، وأولاد طريف المعروفون بالمعاينة رئاستهم في أولاد عريف ، ولا يزال هذا الفريق يعرف باسمه الأصلي في المغرب الأقصى والمغرب الأوسط ، ففي المغرب الأقصى يوجدون بحوز مدينة سلا ، وفي المغرب الأوسط يوجدون بحوز بجاية ، كما تعرف بطونهم فيها أيضاً .

ب - بني مالك : يعرفون باسمهم الأصلي في المغرب الأقصى ومواطنهم فيه تقع باقليم القنيطرة بسهول الغرب حيث تقع قرينا سوق الأربعاء ، وأحدكورت ، ومن بطونهم سويد والعطاف ، والديالم ، والهبرة ، وصبيح ، وغريب .

ت - بنو عامر : مواطنهم الكبرى حول مدينة وهران ودخلت جماعات منهم الى المغرب الأقصى فاستقرت قرب سلا ، والعرائش ، وطنجة ، وقرب فاس مع قبيلة شراكة ، ومن بطونهم الشهيرة بنو يعقوب وبنو حميد وبنو شافع .
ث - عروة : وهم بطان : النصر (أولاد خليفة والخماننة ، وشريفة ، والسحاري) وخميس (عبيد الله ، وفرغ ، ويقتان) ولكل منهم بطون وعمائر كثيرة .

ج - بنو يزيد : كانت لهم مكانة بين قبائل زغبة لشرفهم وكثرتهم وللدول بهم عناية ، ومنهم بطون كثيرة مثل حميان ، وجواب ، وبنو كرز ، وبنو موسى ، والمرابعة ، والخشنة ، والكارمة .

شعوب معقل

يزعم المعقليون انهم هاشميون من ذرية جعفر بن ابي طالب ، ويعدهم النسابون العرب من بطون هلال ، ورجح ابن خلدون أن يكونوا من ولد معقل واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحارث من بطون مذحج اليمنيين .

يذكر نسابتهم أن معقل جدّهم خلف ولدين : سحير ومحمد ، فولد سحير عبيد الله جد ذوى عبيد الله ، وثعلب جد الثعالبة ، وولد محمد مختاراً جد ذوى حسان والشبانات ، ومنصوراً جد ذوى منصور ، وجلالا وسالماً وعثمان الذين منهم قبيلة الرقيطات الشهيرة بناحية سوس .

1 - الثعالبة

كانوا يسكنون أولاً بجبل تيطرى حيث مدينة أشير ، ثم غلبهم عليه بنو توجين فانتقلوا الى فحص متيجة المجاور لمدينة الجزائر فسكنوه تحت حماية قبيلة ملكيش ، وقد تبع ملوك بنى عبد الواد هذه القبيلة بالقتل والسبي والنهب الى ان دثرت فى نهاية القرن الثامن الهجرى ولم يبق لها منذ ذلك التاريخ وجود .

والى هذه القبيلة ينتسب علامة الجزائرى سيدى عبد الرحمان الثعالبي المتوفى سنة 1470 بالجزائر صاحب المؤلفات الشهيرة .

2 - ذوى حسان

بنو مختار بن محمد بن معقل ، كانت مواطنهم فى الأول بنواحي ملوية الى ان اسنصرهم على بن يدر الزكندري صاحب السوس بسد الموحديين

فصارحوه وارتحلوا اليه بطعونهم وحمدوا مواطن سوس فأقاموا بها لعدم المزاحم وصارت مجالاتهم بها وغلبوا جزولة وأصاروهم فى جملتهم ومن طعنهم ووضعوا الاناوات على المدن والقرى الموجودة بها وببرية شنكيط وكانت رئاستهم فى **اولاد ابي الخليل** منهم .

أكثرية ذوى حسان توجد اليوم بصحراء شنكيط ووادى الذهب ، وهم بها ينقسمون الى أربعة أقسام : **أولاد احيى** من عثمان ، وهم سكان أدرار ، مستقرون وقد ينتجمون ، **واد وعيش** الدين يسكنون تكانت فى أغلب الأوقات ، **والتراوذة** سكان القبلة أى الأراضى الممتدة من اكيدى والعقل الى حدود السنيغال **وأولاد عبد الله** أو **البراكنة** وهم متفرقون ، منهم من يسكن شمامة وهم أبناء السيد ، ومنهم من يسكن فيما بين امشتيل وأفلوط وهم أبناء أحمد اكيدى ، وبعضهم يسكن الرك ، أى القاع وهم ابن هيبية ، وأبناء نفماش .

3 - ذوى منصور

أولاد منصور بن محمد بن معقل ، وهم معظم قبائل **العقل** وجمهورهم كانت مواطنهم تخوم المغرب الأقصى من قبلته ما بين ملوية ودرعة يجاورهم ورأىها الى الجنوب اخوانهم **ذوو حسان** .

وهم ينقسمون الى أربع قبائل :

أ - **اولاد حسين** : كانت لهم العزة على ذوى منصور كافة ، ورئاستهم فى أولاد خالد بن جرمون ، وكانت مجالاتهم وسيطرتهم على الأراضى الواقعة خلف جبال الأطلس ما بين سبلماسة وسوس .

ب **أولاد ابي الحسين** : اخوة المتقدمين ، الا انهم عجزوا عن الظعن معهم فسكنوا قصوراً بالقفر ما بين تافيلالت وتيكورارين (كورارة) .

ت - **المنبات** : كانت مواطنهم مجاورة لأولاد حسين من جهة الشرق ومجالاتهم بتافيلالت وصحرائها ، وقد يصعدون فى التل مع نهر ملوية حتى يبلغوا مصبه بالبحر الأبيض ويفرضون على أهله الضرائب والاتاوات ، وهم يطلقون على انفسهم اسم **المنابذة** والنسبة اليه منبهى .

ت - **العمارة** : أولاد عمران بن منصور اخوة المتقدمين ، كانت مواطنهم ومجالاتهم مثل مواطن المناجيه ومجالاتهم ، ورثاستهم في العصر المريني كانت في **أولاد مظفر** منهم يرادهم فيها **أولاد عمارة** .

ويطلق على العمارة والمينات معا اسم **الأحلاف** ، وبهذا الاسم تدعى اليوم قبيلة باقليم وجدة .

4 - **ذوى عبيد الله**

كانت مواطنهم ما بين تلمسان ووجدة الى مصب وادي ملوية بالبحر ومنبع وادي زا (صاع) بالجنوب ، وتنتهى رحلتهم فى القفار الى قصور ثوات وتمنطيت ، وربما عاجوا شمالا الى تساييت وكوراة ، وكانوا يجاورون **بنى عامر** ، ولهم معهم ومع **بنى عبد الواد** قبل الجاه والسلطان فتن وحروب موصولة صاروا بسببها أحلافاً لبنى مرين ، ولما ضعفت الدولة توطنوا التلول وتملكوا وجدة وبدرومة ومواطن **بنى يزناسن** و**بنى سنوس** ومديونة اقطاعاً من السلطان وفرصوا على أهلها الضرائب وصارت لهم جبايتها ، كما فرضوا على مرسى هنيى ضريبة الاحازة (الزطاطة) منه الى تلمسان فلا يسير المسافر بينهما ايسام حلولهم بساحها الا فى خفارتهم وعلى صربية معلومة يؤديها اليهم .

وينقسم ذوو عبيد الله الى بطنيين كبيرين : **الخراج والهراج** .

والخراج من أولاد خراج بن مطرف بن عبيد الله ، وكانت رئاستهم فى **أولاد عبد الملك** منهم ، ولهم قبائل كثيرة من أشهرها :

ا - **الجماعة** : بنو جموان بن خراج

ب - **المطارفة** : بنو مطرف بن خراج

ت - **العثامنة** : بنو عثمان بن خراج

ث - **الفسل** : بنو غاسل بن خراج ، وهم معروفون الى اليوم بهذا

الاسم مستقرون بجماعة الرمشى شمالى تلمسان .

وكانت مع هذه القبائل ناجعة تسمى **المهايا** ينتسبون تارة الى المهايا بن عياص المقدم ذكره لدى الكلام على الأثبيج من شعوب بنى هلال ، وينتسبون تارة أخرى الى المهايا بن مطرف فيكونون اخوان المطارقة من هذا القبيل .

اما الهراج فمن ولد الهراج بن مهدي بن محمد بن عبيد الله ، كانوا يسكنون الى الغرب من مواطن بنى عمهم الخراج مجاورين لبنى منصور ، واكبر قراهم قرية تاويرت الشهيرة ببسيط أنكاد ، وخدمتهم كانت في الغالب مع بنى مرين ، وفي الأقل مع بنى عبد الواد ، ورثاستهم في اولاد يعقوب بن هبا بن هراج ، واشهر قبائلهم :

ج - اولاد فكرون

ح - اولاد مرين

خ - اولاد مناد

5 - الرقيطات

ينتمون الى جلال وسالم وعثمان ابناء مختار بن محمد بن معقل ، كانوا بادية لنوى حسان ينتجعون معهم باقليم سوس ، وما زالت بقاياهم بناحية رودانة منه يعرفون باسمهم الأصلي الرقيطات .

6 - الشبانات

اولاد شبانة بن مختار بن محمد بن معقل ، كانوا يسكنون باقليم سوس مع اخوانهم ذوى حسان ، وينقسمون الى بطنين كبيرين : بنى ثابت واولاد علي ، ما زال الشبانات معروفين باسمهم الأصلي ، داخل شعب الشراودة بناحية سيدي قاسم من اقليم القنيطرة بالمغرب الأقصى ، ومنهم بطون مندرجة في قبيلة الودايا بحوز فاس ، واخرى بناحية الصويرة وناحية تادلة وناحية الجديدة .

شعوب بني سليم

بنو سليم هم الشعب الثالث من الشعوب العربية الداخلة الى المغرب ، وقد استقروا في الأول باقليمى طرابلس وبرقة ، ولم يدخلوا الى المغرب حتى تمكن اخوانهم الهاليون والمعلليون من ناصيته ، واستولوا على حواضره وبواديها .
اما شعوبهم فهي الآتية :

1 - دباب

احلف في نسبهم ، ف قيل انهم بنو دباب بن ربيعة بن زعب الأكبر بن نصر بن حفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ، وقيل غير ذلك .

من قبائلهم :

١ - **أولاد احمد** : كانوا ينتجعون ما بين برقة وطرابلس ، واسمرت منهم أحياء غربي قابس .

ب - **أولاد يزيد** : كانوا يجاورون الأولين في الموطن ، وليس يريد اسماً لأبيهم ولا لرجل بالمرّة ، وإنما هو اسم حلفهم انتسبوا به الى مدلول الزيادة ، وهم أربعة بطون : **الصهبة** بنو صهب بن جابر بن قائد بن رافع بن دباب **والعمارة** بنو حمران بن جابر ، **والخرجة** بطن من آل سليمان بن رافع أخرجهم اخوانهم من موطنهم بمسلاته فحالفوا الأولين ونزلوا معهم ، **والأصابعة** نسبة الى رجل ذى أصبح زائد ، ودباب يطعنون في نسبهم ويذكرون انهم خارجون عنهم .

ت - **النوايل** : أولاد نایل بن عامر بن جابر ، مواطنهم ملاصقة لقابس ، ومنهم القبيلة الشهيرة المستقرة قرب مدينة الجلفة بعمالة الجزائر .

ث - **أولاد سنان** : بنو سنان بن عامر اخوة المتقدمين ، منهم قبيلة مستقرة قرب قالمة بعمالة فستطينة من المغرب الأوسط .

ج - أولاد وشاح : بن عامر ، كانت فيهم رئاسة دباب وهم يفسسون الى بطنين كبيرين : **المحاميد** بناحية قابس وبلاد نفوسة وحرب ، **والجوارى** بضواحي طرابلس وذنزور وغريان ومغر ، ومن أولاد وشاح أيضاً **أولاد حريز** بن تميم بن عمر بن وشاح ، **والجواوبة والعمور** وهم غير عمور الهلايين حسب بعض الأقوال .

ح - أولاد سليمان : بنو سليمان بن هيب بن رابع بن دباب ، مواطنهم قبلة مغر وغريان .

خ - أولاد سالم : بن هيب أخى سليمان المتقدم ، وبطنهم **الأحامد** **والعمائم وأولاد مرزوق والعلانة** وهاؤلاء يجاورون العزة من غرب برقة **والشابنة** من هواردة المقيمين .

ويلحق بفبائل دباب قبائل أخرى مختلف فى أصلها تجاورهم من جهة القبلة ، مثل **ناصره** المتوطنون بفزان وودان ، **والعزة** جيرانهم فى الشرق المتوطنون بافليم برقة ، وتسمى بلادهم برنيق ، وهم يلبفون فى النجعة الى بلاد السودان .

2 - زعب

بضم الزاى وسكون العين ، وضبطها الاجدابى بالكسر ، وكذلك ينطق بها الفصحاء من الأعراب .

ذكر ابن خلدون نقلا عن ابن الكلبي انهم بنو زعب بن نصر بن حفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم ، وذكر التيجانى فى رحلته انهم ينسبون الى زعب الأصفر ابن زعب الأكبر بن جرو بن مالك ، يجتمعون مع دباب فى هذا المعنى ، يقول الدبابيون انهم منهم ، يريدون القرب الذى بينهم فى النسب ، وقد تبين من كلامه ان زعباً الأكبر ولد ولدين : زعباً الأصفر وربيعة أبا دباب ، فدباب هو ابن أخى زعب الأصفر ، واذا تداعى الزعبيون بزعب فانما يعنون به الأصفر ولو عنوا الأكبر لدخلت معهم فى ذلك دباب ، ولكانت دباب من زعب .

وقال الرشاطى عن زعب بكسر الزاى وعين مهمله ،

وقال ابن ماكولا فى الاكمال : والى اليوم منهم خلق بالحجار زعبون
ولهم غفارة فى طريق مكة .

بقيت من هذا الشعب قبيلة بشط الجريد زارها عبد الله النيجانى
وذكرها فى رحلته .

3 - عوف

بنو عوف بن بهثة بن سليم .

كانت مواطنهم من وادى قابس بجنوب القطر التونسى الى عنابة بالمغرب
الأوسط ، وكانوا ينقسمون الى جذمين عظيمين : مرداس وعلاق .

فمن قبائل مرداس :

أ - أولاد جامع : فيهم كانت رئاسة علاق .

ومن قبائل علاق :

ب - أولاد يحيى : وهم ينقسمون الى ثلاثة بطون : حمير ودلاج
ورياح ، فمن حمير كروم وترجم وهذا الأخير هو والد قبيلة بنى كعب بن احمد
بن نرجم المعروفين بالكعوب الذين يضرب المثل بالمنسوب اليهم فى الشؤم
مثل المنسوب الى زغبة فى قبائل هلال ، وكانت رئاستهم فى أولاد شبيحة ،
ومن بطون رياح قبيلة حبيب .

ت - حصن : ينقسمون الى بطنين عظيمين : أولاد على وحكيم
والعريقان معروفان الى اليوم بالقطر التونسى .

4 - هييب

بنو هييب بن بهثة بن سليم .

كانت مواطنهم بأقصى شرق برقة مما يلى حدود مصر .

من قبائلهم :

أ - شماخ كان لها المزق قبائل هييب لكونها حازت خصب برقة الذى
منه المرج ، ومن أشهر قبائل شماخ بنو حميد الذين كانوا بأجدابية ونواحيها .

- ب - **بنو لبيد** : كانوا يسكنون الى الشرق من مواطرز سماح الى العقبة الكبيرة ، وكانت بين العريقين فتن وحروب موصولة .
- ت - **محارب** : الى الشرق من بنى لبيد فى اتجاه العقبة الصغيرة .
- ث - **شمال** : الى الشرق من بنى لبيد فى اتجاه العقبة الصغيرة .
- ج - **بنى عزاز** : ويدعون أيضاً **العزة** فيهم كانت رئاسة قبيلنى شمال ومحارب .

قال ابن خلدون : وجميع بطون هيب هذه استولت على اقليم طويل خربوا مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية الا لأشياخهم ، وفى خدمتهم بربر ويهود يحترفون بالفلاحة والتجر ، ومعهم من **رواحه** و**فزاره** أمم .



مواطن القبائل العربية

كما يصعب على المؤرخ رسم خريطة تحدد بتدقيق مواطن البربر ومجالاتهم من أرض المغرب يصعب عليه أيضاً رسم خريطة مماثلة تحدد بنفس الدقة مواطن العرب ومجالاتهم منها ، ويرجع السبب في ذلك الى ان القبائل العربية والبربرية اختلطت خلال هذه الأربعة عشر قرناً من اسلام المغرب اختلاطاً قوياً بالصهر والحلف والجوار ، وتعرب منها بربر وتبربر منها عرب ، وكثرت الدعوى في النسب والاستلحاق من طرف والخلع والجحود من طرف آخر ، وغلبت العاطفة والهوى على طائفة من المؤرخين وأوقع الوهم طائفة أخرى منهم في أخطاء وأغلاط حتى صارت التفرقة بين جماعة وجماعة أمراً صعباً ، وأصبح الباحث كلما أراد شيئاً من ذلك تواجهه حقيقة وجود أمة مغربية متماسكة متداخلة الأصول العربية والبربرية .

ولو جاز الاعتماد على اللغة وحدها واتخاذها مقياساً للتمييز بين سلالة وسلالة لكان جميع الليبيين والتونسيين عرباً لأنهم لا يتكلمون اليوم غير العربية ، ولو حاز أيضاً أن تكون أسماء القبائل المغربية دالة وحدها أيضاً على أصولها لجعلنا بنى مطير ووهونة مع العرب مع أنهم بربر ، وجعلنا ادوعل ومدلش وتجكانت مع البربر مع أنه لا خلاف في ان الأولى علوية والثانية أموية ، والثالثة حميرية .

ومع ذلك فان في الامكان الكلام على مواطن العرب اعتماداً على عدد من المقاييس مجتمعة كاللغة والتسميات والنصوص التاريخية وأقوال السكان أنفسهم ، وسنذكرها ونذكرهم مغفلين ذكر القبائل الأخرى العربية لساناً البربرية أصلاً التي سبق الكلام عليها وعلى مواطنها في الفصل السابق .

فببلاد برقة والتخوم المغربية - المصرية تقيم قبائل هيب من بنى سليم وتنجع ، يخلط معهم من العرب غيرهم لفائف من فزادة ورواحه ،

وأشهر قبائل هيب شماخ الذين حازوا خصب برقة ومرجها فكان لهم العدد والعز بسبب ذلك ، يجاورهم شرقاً بنو لبيد ، وقبيلتا شمال ومجاور للنان كانت رئاستهما فى بنى عزاز المعروفين أيضاً بالعزة ، ويجاورهم غرباً بنو حميد سكان أجدابية ونواحيها .

والى الغرب من موطن هيب ومجالاتها تسكن قبائل بنى سليم الأخرى وتغطى مواطنهم جميع الاقليم الطرابلسى وتمتد الى قابس وشط الجريد ، ومن أشهر قبائلهم هناك الزعبيون بنو زعب الأصغر بعين مهملة والمحاميد والجواري ، ومن قابس تمتد مواطنهم ومجالاتهم فى اتجاه شمالى غربى الى ناحية عنابة بالمغرب الأوسط يجاورهم قبائل سلمية منهم كحكيم وأولاد على والكعوب وطرود ورياح ، وقبائل حلالية مثل دريد الاثيجيين .

وفى المغرب الأوسط تحتل القبائل العربية أكثرية عمالة قسنطينة ، وفى الشمال يوجد بنو مرداس السلميون قرب عنابة وعطية فى ناحية جيجل ، ودريد بن تبسة ووادي الزناتى ، وكرفة قرب العين البيضاء ، وأولاد ماضى قرب برج بوعريرج ، يليهم أولاد صولة فى الزاب ، واللواودة بين الزاب والحضنة ، وأولاد سعيد والمخادمة وأولاد جلال ، وفارس ، وعامر ، فى الهضاب العليا والصحراء .

والى الغرب منهم يسكن بقايا الثعالب بسهل منبجة ، وأولاد ماضى ورياح وبنى منصور والخشنة وجواب ويزيد وهريح وسليمان حول سور الفزلان ، والبراز والمطاف وجندل جنوب مليانة وعلى سهول شلف ، وتسكن قبائل نزلوية ، وعمراوة ، والعبيد حول بلاد الجرجرة الجبلية ، بينما يقيم فى الجهة المقابلة للصحراء أولاد نايل وبنو زيان .

أما عمالة وهران فقد تعربت من قديم ، وصارت جميع قبائلها تتكلم العربية ، ومن أشهر قبائلها عربية الأصل بنو عامر والدوائر والزمول بين وهران وتلمسان ، والحشم غربى مدينة معسكر ، ومجاهر قرب مستغانم وصهيب وفليتة قرب الاصنام ، والفسل ورياح وأولاد ميمون قرب تلمسان ، وأولاد

النهار خلفها . ويسكن فى أقصى جنوبها بنى مطهر وأولاد سيدى الشيخ كما يسكن الخلافات وأولاد خالد والجعافرة وأولاد الشريف ما بين الساحل وفرندة وسعيدة .

وبجوار هاؤلاء فى المغرب الأقصى ما بين نهر تافنا ووادى ملويسة توجد قبائل عربية كثيرة مثل المهايا وحميان والعمور والاحلاف والشجع وبنى وكيل يحاذيهم فى الجنوب ذوى منيع وأولاد جريس والنواصر والغنامة سكان ناحية بشار ، وبعد ما تفصل قبائل جبال تازة التى بعضها بربرى وبعضها متعرب بين شرق المغرب وغربه تظهر القبائل العربية مع ظهور السهول مثل أولاد الحاج وأولاد جامع والحيانة والودايا بناحية فاس، تجاورهم فى الشمال الغربى القبائل العربية الكبرى التى تحتل سهول الغرب من طنجة الى سلا مثل سفيان وبنى مالك والخلوط وطلق وعامر وحصين ، والقبائل العربية الكبرى الأخرى التى تسكن سهول الشاوية والحوز مثل زعير والشاوية والرحامنة وأحمر ، ومن يحاذيهم شرقاً من قبائل تسكن سهول تادلة مثل بنى خيران وورديفة وبنى عمير وبنى موسى .

اما أقصى الجنوب فهو موطن قبائل العقل التى منها المنابهة والشبانان والرقيطات والودايا وأولاد دليم وأولاد يحيى وأولاد جراد ومن أكبرها شعب ذوى حسان الذى تنتشر قبائله فوق سهوب أقاليم موريطانيا والساقية الحمراء ووادى الذهب وتوات ، وتصل فى مجالاتها بها الى نهر النجير ونهر السنغال .



خاتمة

وبعد فهذه نظرة مجملة على جغرافية الوطن المغربى وتاريخه ، ولمحة مختصرة عن أصول سكانه وطبائعهم وعاداتهم فسى معاشهم ، واستعراض لشعوبهم وقبائلهم ومواطن اقامتهم ومجالات نبعثهم ، وقد بذلنا الجهد فسى التحقيق وعملنا الوسع فى ترتيب المواضيع ترتيباً عقلاً حتى يمكن الرجوع اليها بسهولة للاستفادة أو النقد .

وبذلك ينتهى القسم الأول من هذا الكتاب ، يتلوهُ القسم الثانى الذى يرتب القبائل المغربية بحسب المواطن التى كانت تقيم بها عند بزوغ عصر النهضة الحديثة فى الثلث الأول من القرن الماضى ، مع بيان بطون كل قبيلة وذكر الأماكن التى توجد بالأرض التى تقيم بها أو تظعن فيها من مدن عامرة وقرى مأهولة ، ودواوير محصنة .

والرجاء فى الحق سبحانه وتعالى أن يهبنا من صحة البدن وثقوب الذهن وصبر النفس ما نستطيع أن نتم به هذا العمل القيم ليتأتى النفع وتعم الفائدة .

انه نعم المولى ونعم النصير .



من مراجع هذا الفصل :

- ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام .
لبطرس البستاني - بيروت 1953
- الأنيس المطرب ، بروض القرطاس ، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينته فاس .
- لعلي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي - فاس 1303
- الاستقصا ، لأخبار دول المغرب الأقصى .
لأحمد بن خالد الناصري - الدار البيضاء 1956
- ايليغ قديمة وحديثة .
لمحمد المختار السوسي - الرباط 1966
- البيان المغرب ، في أخبار الأندلس والمغرب .
لابن عذارى - تطوان 1965 - بيروت 1967
- تاريخ الأدب العربي .
لأحمد حسن الزيات - القاهرة
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث .
لمبارك بن محمد الهلالي الميلي - بيروت 1963
- جمهرة أنساب العرب .
لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي - القاهرة 1962
- حياة محمد .
لمحمد حسين هيكل - القاهرة 1935
- رحلة التيجاني .
لعبد الله بن محمد التيجاني - تونس 1958
- كتاب العبر ، وديوان الممتدا والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ،
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) .
لعبد الرحمان بن خلدون الحضرمي التونسي - بيروت 1961

- معالم تاريخ الجزيرة العربية .
لسعید عوض باوزير - بيروت 1966
- مجموع رسائل موحدية .
لكتاب الدولة المومنية - الرباط 1941
- المن بالامامة على المستضعفين .
لعبد الملك بن صاحب الصلاة - بيروت 1965
- المعجب ، في تلخيص اخبار المغرب .
لعبد الواحد المراكشي - سلا 1938
- المغرب ، في ذكر بلاد افريقية والمغرب .
لعبد الله بن عبد العزيز البكري - باريس 1965
- المفصل في الادب العربي .
لجماعة من الاساتذة - القاهرة 1934
- الوسيط ، في تراجم ادباء شنجيط .
لاحمد بن الامين الشنجيطي - القاهرة 1958
- شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوى .
لمحمد الفاسي - الرباط 1957

— G. Marçais : Les Arabes en Berberie



الفهارس

- * المواضيع
- * الأعلام الجغرافية
- * الأعلام الانسانية الفردية
- * الأعلام القبلية والجنسية
- * الكتب
- * الخطأ والصواب

فهرس

مواضيع الكتاب

محتلة

هـ	مقدمة المؤلف
I	وطن القبائل المغربية (نظرة جغرافية عامة)
2	- الاسم
3	- الموقع والحدود
4	- المساحة وعدد السكان
7	- السطح
8	- الجبال
9	- السواحل
9	- الأنهار
10	- الطقس
13	- النبات
15	- الثروات الطبيعية
18	- الصناعة
19	- الميزانيات
20	- التجارة الخارجية
22	- الدخل الكامل
23	- السياحة
23	- الطرق السيارية
24	- السكك الحديدية

محتوى

24	- المراسى
24	- المطارات
	- الأقسام : (المغرب الأدنى - المغرب الأوسط - المغرب الأقصى)
25
26	- حب المشاركة للمغرب
29 المغرب الأدنى

1 (المملكة الليبية :

29	- موقعها وحدودها
29	- مساحتها
29	- سطحها
30	- طقسها
32	- عدد سكانها
32	- أقسامها الإدارية
32	- إنتاجها الزراعى
33	- ثروتها المعدنية
34	- صناعتها
34	- تجارتها الخارجية
35	- طرقها
35	- نظامها

2 (الجمهورية التونسية :

36	- موقعها وحدودها
36	- سطحها
37	- ساحلها
38	- طقسها
38	- نباتها

صحيفة

- 39 - عدد سكانها
- 39 - أقسامها الإدارية
- 39 - إنتاجها الزراعي
- 43 - ثروتها المعدنية
- 44 - صناعتها
- 45 - تجارتها الخارجية
- 47 - طرقها
- 48 - نظامها
- 49 - المغرب الأوسط (الجمهورية الجزائرية)
- 49 - موقعها وحدودها
- 49 - مساحتها
- 49 - ساحلها
- 50 - سطحها
- 52 - طقسها
- 53 - نباتها
- 53 - أقسامها الإدارية
- 54 - سكانها
- 55 - إنتاجها الزراعي
- 58 - إنتاجها المعدني
- 59 - إنتاجها الصناعي
- 60 - طرقها
- 60 - تجارتها الخارجية
- 61 - نظامها

محتوى

63	المغرب الأقصى (المملكة المغربية)
63	- موقعها وحدودها
64	- مساحتها
64	- سطحها
66	- طقسها
68	- مياهها
70	- سواحلها
71	- تربتها
72	- نباتها
74	- غاباتها
75	- فلاحتها
77	- حيوانها
78	- صيدها
78	- معادنها
79	- صناعاتها
80	- تجارتها الخارجية
81	- عدد سكانها
81	- أقسامها الادارية
82	- طرقها
82	- أشهر مدنها
83	- نظامها
83	- أقاليمها السلبية
89	عصور التاريخ المغربى
	عصر ما قبل الاسلام
90	- دولة قرطاجنة البونيقية

صحيفة

- 96 - الحكم الروماني
- 101 - الحكم الفندالي
- 103 - الحكم البيزنطي
- 105 العصر الاسلامي :
- 106 - بداية الفتح العربي لبلاد المغرب
(دول المغرب الأقصى)
- 115 - الدولة الادريسية
- 119 - الامارات الزناتية أو المغرب بين المروانيين والمبيديين
- 123 - الدولة المرابطية
- 126 - الدولة الموحدية
- 129 - الدولة المرينية
- 132 - الدولة الوطاسية
- 134 - الدولة السعدية
- 137 - الدولة العلوية
- 142 (دول المغرب الأوسط)
- 142 - الدولة الرستمية
- 144 - الدولة الحمادية الصنهاجية
- 146 - الدولة الزيانية العبد الوادية
- 151 - الحكم التركي
- 158 (دول المغرب الأدنى)
- 158 - الدولة الأغلبية
- 161 - الدولة المبيدية
- 165 - الدولة الزييرية الصنهاجية
- 168 - الدولة الحفصية
- 172 - الحكم التركي

محتلة

177

العصر الحديث

- 177 - الجزائر في العصر الحديث
- 194 - تونس في العصر الحديث
- 210 - ليبيا في العصر الحديث
- 219 - المغرب الأقصى في العصر الحديث

246 - المغاربة القدماء

252 - الهجرات الى المغرب

261 - البربر

262 - معنى كلمة بربر

265 - اصول البربر

280 - المجتمع البربري

292 - اقسام البربر

297 - البربر البتر

301 - البربر البرانس

303 - شعوب البتر

313 - شعوب البرانس

337 - مواطن البربر في القديم

العرب :

344 - اصل العرب

344 - موطنهم

345 - اقسام العرب

349 - تاريخ العرب قبل الاسلام

353 - المجتمع العربي

361 - محمد رسول الله

367 - بداية الاستيطان العربي بالمغرب

386 - الزحف الثاني الكبير

- 412 - أنساب العرب الداخلين الى المغرب وبعض اخبارهم .
- 417 - شعوب بني هلال
- 424 - شعوب المعقل
- 428 - شعوب بني سليم
- 432 - مواطن القبائل العربية
- 435 - خاتمة
- 439 - الفهارس



فهرس

الأعلام الجغرافية *

ا

- آبار حديج 373
- آبار حسان 377
- آسيا (القارة) 105 - 248 - 273 - 276 - 279 - 344 - 353
- آسيا الجنوبية 271
- آسيا الغربية 228 - 270 - 271
- آسيا الوسطى 106 - 158
- آيت ورير (أرض) 325
- أبراريس (دوار) 334
- ابن الكفيف (دوار) 316
- الأواء 362
- أبو رقراق (وادي) 10 - 69 - 73 - 100 - 117 - 323
- أبو مدفع (بومدفع) 307
- أيريا (شبه جزيرة) 258 - 273 - 275 - 283
- الاتحاد السوفياتي 43 - 217
- أجأ (جبل) 346
- أجداية 215 - 391 - 430 - 433

(*) حذفنا من هذا المهرس كلمات المغرب ، والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى والمريمية والجزائر (القطر) وتونس (القطر) التي تتكرر كثيراً في صفحات الكتاب .

- أحياد (مكة) 363
- أحدكورت 423
- أدرار 227 - 425
- الأراك 409
- الأرال (بحر) 270
- الأربصى 162 - 395
- الأربعاء (قرية) 333 - 334
- أرزيو 24 - 330
- أرشكول 118
- أزمور 134 - 329
- أزغار 322 - 408
- أزفون (مرسى) ط الزفون
- الأطلس (بلاد - جبال) 1 - 2 - 4 - 8 - 10 - 12 - 14 - 64 -
67 - 70 - 72 - 73 - 75 - 116 - 247 - 253 - 258 - 276
329 - 425
- الأطلس التلى 8 - 9 - 50 - 51
- الأطلس الريفى 65
- الأطلس الكبير 65 - 66 - 67 - 69 - 123 - 126 - 134 - 322
- الأطلس المتوسط 65 - 67 - 69 - 73 - 74 - 124 - 312 - 322
340 -
- الأطلس الصحراوى 8 - 9 - 51
- الأطلس الصغير 66 - 73
- الأطلس الساحلى 8 - 65 - 74
- أڭدير 24 - 69 - 71 - 78 - 81 - 86 - 134 - 324 - 326
- أڭدير (حى بتلمسان) 116
- أڭرسلوين 322
- اڭلمان سيدى على 10

- أثلين (جبل) 66
- أئيدى 425
- الألب (جبال) 94
- الألزاس 181
- ألمانيا 180 - 188 - 217 - 224 - 225 - 228 - 263
- ألمانيا الغربية 35 - 101
- أم الربيع (رادى) 10 - 69 - 117 - 228 - 324 - 406
- أمريكا 43 - 74 - 248
- الأمريكتان 3
- أمزميز 79 - 324
- أمشتيل 425
- أنجرة (جبال) 8
- الأندلس 3 - 101 - 114 - 116 - 118 - 121 - 122 - 124 - 125
- 127 - 128 - 129 - 130 - 131 - 133 - 143 - 151 - 159 - 160
- 168 - 170 - 171 - 174 - 249 - 268 - 293 - 296 - 299
- 308 - 310 - 312 - 313 - 315 - 320 - 322 - 323 - 332 - 369
- 379 - 380 - 384 - 385 - 386 - 395 - 396 - 398 - 399 - 400
- 402 - 403 - 406 - 407 - 408 - 411
- أنطابلس 107
- أنكاد 75 - 137 - 154 - 340 - 427
- أنكترا 35 - 42 - 43 - 84 - 93 - 212 - 215 - 217 - 222
- 223 - 224 - 226
- أنفا 139
- الأصنام 52 - 53 - 317 - 433
- أصيلة 74 - 118 - 133 - 134 - 138 - 220 - 237 - 383
- أغمات 123 - 124
- الأغواط 137
- أفريكا 2 - 96 - 97 - 116

- افريقيا (القارة) 3 - 5 - 7 - 47 - 63 - 71 - 104 - 158 -
212 - 249 - 250 - 262 - 272 - 274 - 275 - 277
- أفريقيا الجنوبية 250
- أفريقيا الصغرى 2
- أفريقيا الغربية 87 - 225 - 227
- أفريقيا الشرقية 253 - 276 - 272 - 274
- افريقيا الوسطى 93
- أفطوط 425
- أفكان ط فكان
- أفغال 134
- أقبو 319
- أسبانيا 5 - 9 - 52 - 63 - 70 - 78 - 83 - 84 - 85 - 86 -
94 - 95 - 99 - 101 - 115 - 140 - 152 - 153 - 172 - 178
221 - 222 - 223 - 224 - 225 - 226 - 227 - 228 - 229 - 243
249 - 250 - 258 - 277 - 378
- اسطنبول 153 - 154 - 155 - 170 - 173 - 176 - 200 - 210 -
211 - 213
- الاسكندرية 107 - 163 - 184 - 240 - 268
- اسلام بول 103
- أسمر 391
- أسنى 327
- أسفى 17 - 24 - 68 - 69 - 71 - 78 - 80 - 81 - 82 - 134 - 420
- اشبيلية 101 - 128 - 400
- الأشكل (بحيرة) 10
- أشير 122 - 144 - 145 - 165 - 166 - 424
- الأودير (نهر) 101
- أوراس (جبل) 8 - 51 - 104 - 111 - 113 - 305 - 318
338 - 339 - 340 - 378 - 418 - 419

- أوروبا 7 - 36 - 43 - 47 - 69 - 114 - 132 - 140 - 142 -
- 158 - 163 - 195 - 199 - 219 - 222 - 223 - 235 - 247 -
- 248 - 249 - 250 - 257 - 270 - 271 - 273 - 275 - 287 -
- أوروبا الجنوبية 10 - 14 - 76 -
- أوروبا الغربية 101 - 250 -
- أوروبا الشمالية 3 - 93 - 271 -
- أوروبا الوسطى 76 -
- أورشلیم 259 -
- أستراليا 74 -
- ایجه (بحر - أرخبيل) 258 - 275 - 277 - 283 -
- ايطاليا 9 - 35 - 43 - 46 - 93 - 163 - 199 - 212 - 213 -
- 214 - 215 - 216 - 217 - 218 - 256 -
- ايطاليا الجنوبية 93 - 96 - 225 - 228 - 249 - 262 -
- ایكجان 162 -
- إیکلی 64 -
- إیکیدی (عرق) 4 -
- ایمفوت 70 -
- ایفیان 192 -
- ایش 225 -

ب

- باب ایلان (مراکش) 327 -
- باب المندب 272 - 352 -
- باب وشتاة 303 -
- بابل 249 - 259 -
- البابور (جبال) 50 - 162 -
- باجة 39 - 46 - 169 - 385 - 394 - 396 -
- بادس (جزيرة - مدينة مغ) 5 - 9 - 85 - 243 - 306 -

- بادس (جزا) 418
- بادو (جبل) 8
- بادية العرب 344
- بادية الشام 273 - 346
- بارباريا (الولايات الباربارية) 8 - 262
- باربارياس 263
- باريس 52 - 180 - 182 - 185 - 187 - 199 - 201 - 202 -
209 - 217 - 230 - 231 - 233 - 239 - 242
- باطنة 53
- الباليار (جزائر) 153 - 173 - 407
- باماكو 64 - 193
- باني (جبل) 8 - 66
- باغاية III - 161 - 318 - 340 - 375 - 377
- بجاية 51 - 57 - 58 - 102 - 127 - 145 - 148 - 149 - 152 - 154
257 - 305 - 318 - 321 - 329 - 331 - 334 - 336 - 340 - 395
396 - 404 - 406 - 407 - 423
- بجاية (وادي) 335
- البحر الأحمر 3 - 254 - 264
- البحر الأخضر 266
- بحر الأندلس 266
- البحر البلطي 101
- بحر الزقاق 8 - 71 - 258
- البحر المتوسط 3 - 11 - 38 - 47 - 52 - 72 - 77 - 85 - 91 -
93 - 94 - 106 - 117 - 118 - 121 - 147 - 148 - 149 - 151 -
155 - 197 - 251 - 256 - 257 - 259 - 260 - 261 - 271 - 272
277 - 279 - 308 - 312 - 325 - 329 - 340 - 350 - 425
- البحرين 348 - 357 - 413 - 414 - 415 - 420
- بيدر 365

- برباط (فحص) 322
- بربرة 263
- البرتغال 78 - 83 - 85 - 86 - 127 - 135 - 224
- برج بوغريج 433
- برج منايل 334
- بركة الدم 387
- برنيق 429
- برقة (ولاية - اقليم) 3 - 4 - 5 - 25 - 29 - 30 - 31 - 32 - 35
- 93 - 97 - 107 - 108 - 109 - 112 - 113 - 211 - 213 -
- 214 - 215 - 217 - 218 - 227 - 266 - 268 - 305 - 315
- 338 - 339
- برسة 91
- البرواقية 165
- البريجة 135 - 139
- بريطانيا العظمى 46 - 263 - 218
- بريكة 336
- البريني (جبال) 94
- بزو 285
- بطليوس 124
- بطن ذات عرق 347
- بطوية 330
- بطوية (ساحل) 307
- بلاد الاغريق 271
- بلاد البربر 269
- بلاد اليونان 339
- بلجيكا 56 - 224
- بلزمة 161 - 162 - 318 - 340
- بنزرت 24 - 29 - 41 - 43 - 48 - 110 - 172 - 257

- بنغازى 24 - 32 - 35 - 211 - 212 - 213
- بنيادم 215
- بنى بهدل (سد) 55
- بنى ملال 82
- بنى مصاف 58
- بنى سنوس (أرض) 426
- بنى هلال (قرية) 393
- بنى ونيف 225
- بنى يزناسن (أرض) 118 - 426
- البصرة (مغ) 118 - 167
- البصرة (عرا) 373 - 385
- بصرة الذبان 118
- بصرة الكتان 118
- بغداد 159 - 160 - 161 - 164 - 167 - 385 - 388
- بقوية (ساحل) 85
- بسكرة 11 - 13 - 56 - 179 - 307 - 419
- بشار 58 - 224 - 225 - 226 - 434
- بهت (وادى) 70
- بوردو 239
- بونسة 285 - 287
- بويلان (جبل) 65
- البويرة 331
- الببيان (جبال) 50
- البيت الحرام 348
- بيت المقدس 259 - 269 - 357
- بيروت 250 - 255
- بيزانسي 103

- بين نقطة 103 - 104
- البيض 11 - 13 - 321 - 331
- البيضاء 32

ت

- تادلة 69 - 70 - 72 - 75 - 121 - 123 - 124 - 305 - 322
- 427
- تادلة (جبل) 420
- تارودانت طر رودانة
- تازارين 333
- تازة 25 - 65 - 67 - 82 - 119 - 299 - 306 - 310 - 311 - 312
- 313 - 322 - 334 - 341
- تاكرارت (بسيط) 305
- تاكمدارت 134
- تالا ايفاسين (دوار) 319
- تامسنا 117 - 123 - 124 - 322 - 325 - 375 - 408 - 418 -
- 419 - 420
- تافنا (وادي) 10 - 55 - 84 - 118 - 138 - 139 - 156 - 178
- 220 - 308 - 340 - 434
- تافيلالت 310 - 340 - 375 - 414 - 425
- تاسالة 52 - 310
- تاورغة 377
- تاويرت 130 - 147 - 427
- تبرسق 36
- تبسة 58 - 316 - 433
- تبوعصامت 137
- تجموعت (قمة) 8
- التحت (وادي) 55

- ترارة (جبال) 8 - 118 - 285 - 309 - 340
- تركة (جبل) 65
- تركبا 155 - 173 - 195 - 197 - 199 - 212 - 213 - 214 - 215
- تركيست 65
- ترنانه (مدينة) 118
- ترهونة 303
- تطوان 82 - 83 - 140 - 164 - 222 - 233 - 307 - 310
- 326
- تكروور 374
- نكانت 424
- نكراوت 126
- تلرازة 64
- تلمسان 25 - 50 - 51 - 53 - 54 - 65 - 111 - 115 - 116
- 118 - 120 - 121 - 124 - 125 - 126 - 129 - 130 - 131 - 135
- 137 - 138 - 139 - 140 - 143 - 145 - 147 - 149 - 150
- 151 - 152 - 154 - 166 - 172 - 178 - 192 - 220 - 285
- 308 - 309 - 310 - 311 - 333 - 340 - 374 - 383 - 385 - 394
- 396 - 405 - 414 - 422 - 433
- تلمسان (جبال) 8 - 50 - 52
- تمزذكت 147
- تمنطيت 426
- تنس 5 - 122 - 145
- تنسيفت ط. نسيفة
- تنومة 418
- تفرسيت 330
- تساييت 4 - 426
- التشاد 29 - 274
- تهامة 347

- تهودة 112 - 375 - 418
- قسوات 4 - 70 - 224 - 225 - 252 - 310 - 340 - 426 - 434
- توبقال (جبل) 66
- توزر 421
- تونس (مدينة) 11 - 24 - 25 - 37 - 38 - 39 - 42 - 47 -
- 91 - 96 - 113 - 153 - 160 - 161 - 163 - 169 - 170 - 172 -
- 173 - 174 - 175 - 205 - 207 - 208 - 209 - 336 - 378 -
- 383 - 408 - 418 - 430
- تونس (خليج) 36
- تيجيكجة 226
- تيجيس 307
- تيدغين (جبل) 65
- تيديكلت 224 - 225 - 415
- تيزي وزو 331 - 334
- تيطري (جبل) 165 - 175 - 424
- تيگروان III - 374
- تيگريگرة 74
- تيگورارين ظ ثورارة
- تيماء 356 - 357
- تيميمون 225
- تينجيس 97 - 98 - 257
- تيندوف 87
- تينملل 127 - 128 - 324
- تيساوت (وادي) 69
- تيسوكة (جبل) 65
- تيهرت 53 - III - 117 - 120 - 129 - 142 - 143 - 162 -
- 166 - 266 - 309 - 319 - 338 - 340 - 375 - 384 - 385

ث

— ثنية المعدن 322

— ثنية غنية 419

ج

— الجابية 106

— جامع الأندلس بفاس 116 — 118 — 122

— جامع حسان بالرباط 128

— جامع الزيتونة بتونس 161 — 171 — 198

— الجامع الكبير بتونس 161

— الجامع الكبير بالقيروان 389 — 408

— جامع الكتبيين بمراكش 128

— جامع القرويين بفاس 116 — 118 — 122 — 410

— جبال بني سمير 225

— جباله (أرض) 67 — 69 — 408

— الجبل الأخضر 29 — 31 — 32 — 35

— جبل بني راشد 310 — 395 — 419

— جبل طارق 3 — 49 — 66 — 67 — 71 — 84 — 220 — 223 — 249 —

259 — 273

— جبل الكوكب 402

— جبل موسى 249

— جبل نفوسة 143

— جبل غزوان 412

— جبل وجدة 310

— الجبيلات 65

— الجديدة 68 — 71 — 81 — 82 — 135 — 139 — 220 — 330 — 427

— جرادة 78

— جراوة (مدينة) 118

- حرب (جزيرة) 9 - 38 - 110 - 153 - 154 - 172 - 174 - 274 -
285 - 286
- الجرجرة (جبال) 8 - 50 - 179 - 309 - 433
- جرمانيا 101
- الجرف (ع) 108 - 109 - 370 - 371
- الجزائر (مدينة) 11 - 24 - 25 - 50 - 51 - 52 - 53 - 57 -
60 - 125 - 127 - 152 - 153 - 155 - 157 - 165 - 177 -
187 - 192 - 193 - 194 - 331 - 332 - 333 - 334 - 335 -
340 - 396 - 407 - 424 - 428
- جزائر ملوية ط ملوية
- الجزائر الخالدات 9 - 220
- جزائر الهند الشرقية 249
- الجزائر (دوار) 336
- الجزيرة الخضراء 80 - 229
- جزيرة العرب 104 - 105 - 106 - 109 - 254 - 268 - 272 -
273 - 277 - 288 - 344 - 345 - 348 - 349 - 350 - 351 -
352 - 353 - 356 - 357 - 366 - 370 - 376 - 380 - 386 - 413
- جकारتا 208
- الحلاز 199
- جلقة 12 - 428
- جلولا 110
- الجم 109 - 110 - 391
- الجمهورية الرومانية 96
- الجمهورية العربية المتحدة 29 - 84
- جندوبة 39
- جندين (وادي) 319
- الجنوب العربي 276 - 283 - 346
- جنوة 163

- جنوبيا 98
- جعبوب 35 - 214
- جفارة (سهل) 29 - 30 - 34 - 37
- الجوف 350
- جيان 101
- جيتوليا 95 - 253 - 292
- جيجل 97 - 152 - 162 - 318 - 319 - 320 - 321 - 334 - 404
- 433

ح

- الحاجب (جبل) 283
- حاحة (أرض) 134 - 420
- حامة دقيوس 408
- حاسي بلال 78
- حاسي البيضاء 193
- حاسي تينجوب 193
- حاسي الرمل 59
- حاسي مسعود 58
- الحبشة 251 - 253 - 254 - 263 - 276 - 283 - 344 - 352 - 357
- حبيبات (جزيرة) 9
- الحجاز 137 - 298 - 344 - 346 - 348 - 350 - 351 - 372 - 430
- حجر النسر 116 - 118 - 120
- حجرة بادس ظ بادس
- حجرة الجزائر 149
- حجرة نكور ظ نكور
- حران 413

- حرب (أرض) 429
- الحرمان الشريفان 167 - 385
- حريب 277
- حلب 389
- حلق الوادي 172 - 173 - 174
- حماة 161
- الحمامات 41
- الحمامات (خليج) 38
- حمام ريفة 307
- حمام ملوان 333
- حضرموت 277 - 288 - 346 - 350
- الحضنة 58 - 419 - 433
- الحسيمة 65 - 71 - 82 - 85 - 117 - 321 - 330 - 334 --
- حوران 344 - 357 - 359
- الحوز 124 - 322 - 408 - 434
- حيان (جبل) 65
- حيدران (جبل) 393
- الحيرة 346 - 350

خ

- خديجة (قمة للا) 8 - 50
- خريبكة 79 - 82
- الخليج البربري 263
- خليج العرب 363
- الخليج الفارسي 350
- خليج سرت ظ سرت
- الخمس 32 - 213
- الخمير (جبال) 8 - 36 - 38 - 197

- حنيفرة 69 - 285

- خيبر 356

د

- الداخلة (اقليم) 86 - 229

- الدار البيضاء II - 13 - 24 - 25 - 68 - 71 - 78 - 81 -

83 - 139 - 225 - 227 - 233 - 237 - 239 - 241 - 316

- الدار البيضاء (مطار - ج) 60

- الدانوب 101 - 263

- الداورة (وادي) 10 - 70

- دبدو 321

- درب مسوفة (تلمسان) 333

- درن (جبال) 4 - 8 - 64 - 267 - 327 - 331 - 335 - 375

- درنة 32 - 213

- درعة 123 - 134 - 137 - 267 - 327 - 341 - 425

- درعة (وادي) 8 - 70 - 75 - 113 - 223 - 305 - 326 - 329

375

- دكالة (أرض) 66 - 70 - 72 - 75 - 322

- دلس 51 - 145 - 149 - 321

- دمشق 106

- الدنمارك 93 - 224

- الدويرات (جبال) 37

- ديان بيان فو 209

ذ

- ذراع قبيلة (دوار) 336

- ذو المجاز 356



- رأس أدار 37
- رأس بوجادور 223
- رأس تالا تينزار (دوار) 336
- رأس جوبى 71
- رأس كبدانة 84
- رأس غير 65
- رأس سكين (دوار) 314
- رأس شبرتال 71
- الرباط 26 - 66 - 68 - 69 - 79 - 81 - 83 - 100 - 117 - 127
- 128 - 131 - 229 - 232 - 233 - 234 - 238 - 239 - 242 - 271
- 323 - 330 - 333 - 396 - 406 - 407 - 409
- رباط تازة 130
- رباط الفتح ط الرباط
- رباط شاكر 379
- الترجمة 215
- رجة الحلفاوين (تونس) 175
- الرك 425
- الرملة 160
- الرمشى 426
- رفراف 41
- رقادة 161 - 162 - 163
- رشكون (جزيرة أرشكول أيضاً) 19
- رودانة 69 - 326 - 427
- روما 94 - 95 - 96 - 97 - 99 - 100 - 102 - 262
- روسادير 257
- ريدان 350
- الريف (أرض) 65 - 112 - 124 - 141 - 184 - 203 - 229 -
- 252 - 307 - 322 - 325 - 330 - 338 - 340

ز

- الزاب (ج زبيان) 55 - 104 - III - 112 - 121 - 160 - 305
- 338 - 340 - 375 - 383 - 394 - 395 - 405 - 418 - 433
- زارزيتن 59
- زاكورة 308
- زالنخ (جبل) 303 - 332
- زاغز الغربي 10 - 51
- زاغز الشرقي 10 - 51
- الزاوية 32
- زاوية الدلاء 136 - 137 - 138
- زاوية زرهون 118
- زاوية الشيخ حسين السيجومي 174
- زبيد 347
- زرهون (جبل) 341
- زرود (وادي) 37
- زكار (جبل) 58
- الزلاقة 124
- زمور (أرض) 74 - 316
- زمورة 331
- الزناغة (فثك) 255
- زنزور 429
- زعير (أرض) 74 - 323
- زغوان (جبال) 8
- الزفون (مرسى) 304
- زوارة 311 - 320
- زواغة (سهل) 312
- زواوة (أرض) 160 - 181 - 220 - 252 - 304 - 307 - 309

- زوسفانة (وادى) 70
- الزويتينة 215
- زويلة 305 - 339
- زيان (بلاد) 69 - 74
- زيدور (فحصى) 50
- زيسز (وادى) 70

ط

- الطائف 356 - 357 - 412
- طارف مصقلة 418
- طبرق 10 - 35
- طبرقة (جزيرة) 9 - 96
- طننة 158 - 162 - 375 - 385 - 395 - 409
- طرابلس (مدينة - اقليم) 3 - 4 - 5 - 11 - 14 - 24 - 25 - 26
- 29 - 30 - 31 - 32 - 33 - 35 - 37 - 100 - 102 - 107 - 108
- 109 - 113 - 154 - 155 - 160 - 165 - 173 - 174 - 197
- 199 - 210 - 211 - 212 - 213 - 214 - 215 - 216 - 217
- 218 - 226 - 261 - 284 - 288 - 299 - 303 - 305 - 306
- 308 - 309 - 311 - 315 - 317 - 320 - 338 - 339 - 369
- 372 - 375 - 376 - 377 - 378 - 393 - 394 - 407 - 416
- 422 - 428 - 429 - 433
- طرابلس الشام 91
- طرطوشة 385
- طرفاية 64 - 71 - 82 - 86 - 223 - 243
- طليطلة 124 - 385
- طنجة 13 - 24 - 47 - 66 - 68 - 71 - 78 - 81 - 82 - 83
- 97 - 98 - 103 - 111 - 113 - 114 - 124 - 127 - 138 - 220
- 221 - 224 - 225 - 227 - 228 - 229 - 237 - 257 - 266 - 267
- 268 - 319 - 320 - 375 - 378 - 380 - 383 - 408 - 423 - 434

- الطواهر (كدية) 65
- طولون 157
- طونكة (بحيرة) 10

ظ

- ظفار 350
- الظهرا 14
- الظهرا (جبال) 8 - 338

ك

- الكاريير مسترال 241
- كاليدونيا الجديدة 181
- الكاف 39
- الكاف الأخضر 165
- كبا 316
- كتامة (أرض) 74
- كرط (وادي) 70 - 329 - 341
- الكرنك 263
- كريغلة 323
- كناريا (أرخبيل) 9 - 66
- الكنج 267
- كندا 81
- كندر (جبل) 283 - 312
- الكمبة - 352 - 357 - 362 - 364
- الكفرة 35
- كورسيكا 93 - 94 - 100 - 140 - 242
- كولومب - بشار ظ - بشار
- كومة 93

- الكونفو 228

- الكوفة 373 - 385

- كيس (وادي) 63 - 118

ك

- الكابون 234

- كرينويتش 36 - 49 - 229

- كلاوة (جبال) 8

- كندافة (جبال) 8

- الكور (جبال) 66

- كورارة 425 - 426

- كيگو (وادي) 44

- كير (وادي) 64 - 65 - 70

ل

- لاو (وادي) 70

- لبة 305 - 339

- لبنان 14 - 26 - 91 - 236

- لكوس (وادي) 10 - 69 - 303

- للا مغنية 63 - 221 - 304

- لماية (قرية) 309

- لميس III

- لمدية 53 - 157 - 329 - 332 - 340

- لوباري 32

- لوبيا 249 - 251 - 253 - 339

- اللورين 181

- لوگران 192

- ليبيا 2 - 5 - 7 - 8 - 14 - 20 - 21 - 23 - 24 - 29 - 30 - 31
32 - 33 - 34 - 36 - 47 - 49 - 93 - 191 - 199 - 210 - 211
211 - 241 - 218 - 217 - 216 - 215 - 214 - 213 - 212 - 211
251 - 249 - 241 - 218 - 217 - 216 - 215 - 214 - 213 - 212
- ليكسوس 257

م

- ما بين النهرين 249 - 375 - 386
- مارب 250 - 346 - 350
- مالقة 85
- مالي 84 - 87 - 274
- ماسيليا 95
- ماسيسيليا 95
- ماهون 173 - 193
- المتلوي 43
- متيجة (سهل) 9 - 25 - 50 - 179 - 305 - 424 - 433
- مجردة (وادي) 10 - 40
- مجمع (وادي) 25
- مجنة 356
- المحمدية (جزا) 145 - 163
- المحمدية (مغ) ظ فضالة
- المحيط الأطلسي 3 - 4 - 6 - 9 - 10 - 12 - 25 - 63 - 65 - 66
67 - 68 - 69 - 70 - 71 - 86 - 87 - 93 - 95 - 98 - 100
111 - 116 - 125 - 159 - 229 - 247 - 249 - 258 - 261 - 264
271 - 305 - 322 - 323 - 325 - 329 - 338 - 369 - 415
- المحيط الهادي 181
- المحيط الهندي 263
- المخازن (وادي) 221
- المدحوس (جبل) 8

- مدريد 224 - 225 - 243
- مدنين 39
- مدغشقر 209 - 242
- المدينة الحمراء 391
- المدينة المنورة 108 - 110 - 357 - 362 - 365 - 369 - 415
- مديونة (أرض - جزا) 426
- مرادة 34
- مراکش 11 - 13 - 26 - 47 - 65 - 68 - 72 - 82 - 83 - 124 -
- 125 - 126 - 127 - 128 - 130 - 134 - 138 - 145 - 147 -
- 169 - 171 - 227 - 239 - 309 - 324 - 325 - 326 - 327 - 328 -
- 332 - 333 - 340 - 396 - 399 - 406 - 408
- المرة (وادي) 64
- مرتيل 70 - 71
- المريج 430 - 433
- مرزوق 35
- مر الظهران 356
- مرناق 41
- المرسى 197
- المرسى الكبير 149 - 156 -
- مرصالة (وادي) 37
- مرسيليا 232
- المرية 145
- مزاب 274 - 286
- المزمة 65 - 85 - 117 - 330
- مطباطة (جبال) 37 - 310 - 339
- مطير (سد بني) 40
- مكناسي 67 - 68 - 74 - 75 - 82 - 83 - 138 - 234 - 307 - 312

- مكة 115 - 162 - 346 - 347 - 348 - 351 - 352 - 356 - 357 -
361 - 362 - 363 - 364 - 365 - 366 - 413 - 430
- مكنون (جبل) 66
- ملالة 335
- ملاقي (سد) 40
- ملوية (وادي) 10 - 25 - 65 - 69 - 70 - 84 - 97 - 98 -
119 - 120 - 146 - 228 - 229 - 284 - 312 - 338 - 340 - 414
- 424 - 425 - 426 - 434
- ملوية (جزائر) 5 - 9 - 84 - 221 - 243
- مليانة 25 - 307 - 329 - 333 - 407 - 433
- مليتة (سهل) 9
- مليلية 71 - 82 - 83 - 85 - 141 - 220 - 228 - 243 - 257
- 307 - 330
- المملكة المغربية 5 - 6 - 8 - 43 - 63 - 66 - 68 - 74 - 75 -
78 - 80 - 81 - 191 - 224
- ممشي 112 - 376
- منداس (وادي) 316
- منزل أبي زريفة 41
- المنطقة الاستوائية 353
- المنصورة (تلمسان) 130 - 148
- المنصورية 163 - 164 - 166
- منصورية (جزيرة) 9
- منف 252 - 254
- المنستير 27 - 38 - 43 - 48
- منوبة 41
- المصامدة (جبال) 126

- مصر 28 - 102 - 106 - 107 - 108 - 109 - 110 - 111 - 112 -
- 159 - 162 - 164 - 166 - 184 - 212 - 214 - 215 - 216 -
- 226 - 249 - 251 - 252 - 253 - 259 - 266 - 267 - 268 -
- 272 - 273 - 275 - 288 - 303 - 308 - 339 - 345 - 350 -
- 368 - 369 - 370 - 371 - 372 - 373 - 374 - 375 - 376 -
- 430 - 420 - 413 - 385 - 381 - 379
- .. مصر العليا 213
- .. مصر الجنوبية 276
- .. مصراتة 211 - 214
- 159 - 162 - 164 - 166 - 184
- .. المعدنوس (جزيرة) 9 - 223
- .. معسكر 120 - 433
- .. الممورة 73 - 136 - 220
- .. معين 350
- .. مفر 429
- .. معنية (للا) ط للا مغنية
- .. مقرين 43
- .. مستغانم 53 - 154 - 433
- .. مسجد المهدى بتينملل 324
- .. مسجد عقبة (القيروان) 161
- .. مسراتة 35 - 316
- .. مسكيانة 113
- .. مسكيانة (وادي) 377
- .. مسلاتة 214 - 317 - 328
- .. مسقط 276
- .. المسون 112
- .. المسيلة 163 - 164 - 319 - 329 - 336 - 340 - 375 - 395 - 409
- .. مشرع حمادى 70

- مشروع الكلية 70
- مشرية 57
- المشور (تلمسان) 154
- المهدية (تو) 38 - 127 - 154 - 163 - 164 - 167 - 394 - 397
408
- المهدية (مغ) 69 - 128 - 138
- موريتانيا 5 - 84 - 87 - 95 - 96 - 97 - 98 - 224 - 434
- موريتانيا الطنجية 98 - 99 - 102 - 292
- موريتانيا القيصرية 98 - 292
- مولاي يعقوب 79
- موسى (جبل) 65
- موسى وصالح (جبل) 65
- مبللة 111 - 162 - 167 - 318 - 340
- الميلية 321
- مينا (وادي) 305
- ميورقة 268
- المية (وادي) 10

ن

- نابل 39 - 41
- نابولي 195
- الناظور 80 - 82
- الناموس (وادي) 10
- نافارين 176
- نجد 292 - 346 - 347 - 348 - 415
- نجران 357
- النجير 29 - 261
- النجير (نهر) 334

- نخلة 350
- ندرومة 118 - 178 - 285 - 426
- النرويج 224
- نكور (حجرة) 5 - 9 - 85 - 117 - 120 - 243 - 384
- النمسا 224
- نفزاوة (أرض) 306
- نفزة 43
- نفوسة (جبل) 4 - 8 - 29 - 37 - 429
- النفيضة 208
- نفيس (وادي) 70
- نسيغة (وادي تنسيفت أيضاً) 69 - 75 - 324
- نفاوس 318 - 340
- النوبة (بلاد) 288
- نوميديا 95 - 97 - 104 - 258 - 292
- النيسل 3 - 4 - 167 - 253 - 271 - 305 - 368 - 391 - 413
- نيني (وادي) 113 - 377

ص

- صبراتة 107
- صبرة 107 - 163 - 308
- الصحراء 2 - 7 - 10 13 - 14 - 37 - 39 - 49 - 51 - 58 - 59 -
- 63 - 66 - 67 - 70 - 72 - 74 - 114 - 123 - 124 - 127 - 137
- 143 - 188 - 208 - 214 - 234 - 255 - 257 - 280 - 286 -
- 287 - 293 - 299 - 309 - 315 - 330 - 332 - 333 - 335 -
- 395 - 396 - 414 - 419 - 433
- الصحراء الجزائرية 182
- صحراء الجزيرة العربية 400
- الصحراء الكبرى 273 - 329 - 341
- الصحراء الليبية 107 - 261

- صحراء المغرب الأقصى 414
- الصحراء المغربية 182 - 255 - 311 - 317 - 390
- الصخيرة 59
- صرصر (جبل) 320
- صرواح 350
- صلدای 102 - 257
- صنعاء 350
- صفرو (جبل) 8 - 66 - 79
- الصعيد (مصر) 390 - 400 - 411 - 413 - 416
- صفاقس 24 - 38 - 39 - 41 - 43 - 96 - 197 - 305 - 327
- صفرو 307 - 309 - 310 - 312
- صقلية 3 - 93 - 94 - 102 - 128 - 159 - 161 - 165 - 256 -
- 268 - 315 - 376 - 378 - 387
- صقلية (مضيق) 9 - 36
- الصوادي (دوار) 311
- صور 91 - 92 - 93 - 257
- الصومال 263
- الصويرة 11 - 68 - 69 - 71 - 79 - 81 - 121 - 139 - 324
- 427
- الصويرة (جزيرة) 9 - 221
- صيدا 91
- الصين 159

ع

- العباد (حومة بتلمسان) 147
- العباسية 143 - 159
- عبدة 66 - 70 - 72 - 75
- عدن (خليج) 263

- العبيد (وادي) 69 - 70
- المرائش 69 - 71 - 136 - 138 - 220 - 257 - 423
- العراق 160 - 254 - 255 - 344 - 346 - 348 - 373 - 385
- عرفة 356
- عرق ايكيدى ظ ايكيدى
- العرق الغربى الكبير 4
- العرق الشرقى الكبير 4
- عرق شيش 4
- العريش 106
- عكاظ 356
- عمان 346 - 357
- العمور (جبال) 8 - 51
- عمى موسى 312
- عنابة 24 - 51 - 54 - 100 - 102 - 103 - 146 - 149 - 173 -
- 257 - 287 - 308 - 317 - 318 - 319 - 333 - 340 - 394 -
- 418 - 430 - 433
- عنابة (سهل) 50
- عنتر (جبل) 64
- العمبة 255
- العقبة الكبيرة 431
- العقبة الصغيرة 431
- العقل 425
- عقوبة (حصن) 109
- عوثقة 98
- العوينة (مطار)
- العياشى (جبل) 66 - 67
- عين اسحاق 120
- عين بسام 331 - 332

- العين البيضاء 320 - 433
- عين الدراهم 38
- عين الدنيا 50
- عين ماضى 137
- عين صالح 223
- العين الصفراء 225 - 419
- عين فكان ظ فكان
- العيون 86

غ

- غات 35
- غار حراء 364
- الغال (بلاد) 93 - 99 - 101
- غدامس 4 - 35 - 299 - 311 - 338
- الغرب 9 - 65 - 66 - 75 - 322 - 408 - 420 - 423 - 434
- غرناطة 101 - 133
- الغرغار (وادى) 10
- غريان 32 - 215 - 317 - 429
- غريب (سد) 55
- غريبو 418
- غريس (سهل) 9
- غريس (وادى) 70
- غرزة 352
- الغزوات 24 - 221
- غزوان (جبل)
- غليزان 55 - 147 - 331
- غمارة (جبال) 8 - 329
- غمر ذى كنفة 347

- عساسة (مرسى) 307 - 330

- غيس (وادى) 70

ف

- فارسى 259 - 352

- فاندلوسيا 101

- فاس 26 - 27 - 65 - 66 - 67 - 68 - 69 - 74 - 75 - 79 - 82

- 116 - 117 - 118 - 120 - 121 - 122 - 124 - 125 - 133 -

138 - 139 - 141 - 144 - 146 - 164 - 166 - 167 - 222 - 224

239 - 303 - 307 - 310 - 331 - 312 - 314 - 316 - 320 - 322

331 - 332 - 333 - 334 - 335 - 384 - 385 - 395 - 397 - 410

414 - 423 - 434

- فاس الحديدى 130 - 228 - 229

- فج مزالة 321 - 335

- فسح 115

- فدك 357

- الفرات 344

- فرنسدة 434

- فرنسا 35 - 43 - 45 - 46 - 56 - 59 - 60 - 61 - 62 - 63 - 76

78 - 81 - 83 - 84 - 86 - 93 - 99 - 101 - 140 - 156 -

157 - 170 - 176 - 179 - 180 - 181 - 182 - 183 - 184 -

185 - 186 - 187 - 188 - 189 - 190 - 191 - 192 - 193 -

195 - 197 - 198 - 200 - 201 - 202 - 204 - 205 - 206 -

207 - 208 - 209 - 212 - 217 - 218 - 220 - 221 - 222 -

223 - 224 - 225 - 226 - 227 - 228 - 229 - 230 - 232 - 234

235 - 236 - 238 - 239 - 240 - 242 - 243 - 249 - 284

- فزارة (بحيرة) 308

- فزاز (جبال) 124

- فزان 4 - 5 - 23 - 25 - 29 - 30 - 33 - 34 - 35 - 214 -

217 - 218 - 429

- فكان 120

- فثيگ 63 - 225 - 255 - 331
- فلسطين 81 - 181 - 256 - 267 - 270 - 278 - 297 - 298
- 344
- فم الفررة 56
- فنيقيا 91 - 93 - 255 - 271 - 278
- فصالة أو (المحمدية) 24 - 71 - 78 - 79 - 81 - 139 - 307
- الفضة (وادي) 55
- الفسطاط 373 - 385
- فونتى (حصن) 134
- فيردوست (جبل) 66
- الفيستولا (نهر) 101
- الفيوم 163

ق

- قابس 24 - 47 - 59 - 109 - 198 - 305 - 394 - 397 - 407
- 422 - 428 - 422 - 430 - 433
- قابس (خليج) 38 - 39 - 43
- قادس 86
- القالة 52 - 157
- قالمة 96 - 100 - 334 - 428
- القاع 425
- القاهرة 167 - 190 - 191 - 207 - 218 - 387
- القدس 385
- قرطاجنة 90 - 91 - 92 - 93 - 94 - 95 - 96 - 98 - 100 -
- 102 - 103 - 104 - 105 - 111 - 113 - 257 - 259 - 377
- قرطاجنة (اسبانيا) 101
- قرطبة 164 - 385 - 400
- القرن 373

- القرن الافريقي 274
- قرنا 350
- القرضابية 214
- قرقنة (جزائر) 9 — 38
- قزوين (بحر) 270
- القل 52 — 318 — 340
- قلعة بنى حماد — 144 — 146 — 166 — 336 — 340 — 393 — 395 — 396 — 409 — 419
- قلعية (أرض) 70
- قمودة 109
- قمونية 27 — 109
- القنادسة 58
- القنصرة (سد) 70
- القنيطرة 69 — 71 — 81 — 82 — 423 — 427
- العصاب 419
- القصارين 39 — 198
- قصبة تونس 160 — 161 — 169 — 173 — 174 — 175
- قصر أميون ببجاية 145
- قصر باردو 174 — 197
- قصر البديع بمراكش 135
- قصر حسان 305 — 339
- قصر دار الباي بتونس 175
- قصر دار السلام بقلعة بنى حماد 145
- قصر دنهاجة 320
- القصر الكبير 135 — 314 — 320 — 420
- قصر الكوكب بقلعة بنى حماد 145

- قصر اللؤلؤة ببجاية 145
- قصر الملك بقلعة بني حماد 145
- قصر المنار بقلعة بني حماد 145
- قصر منوبة 175
- قصر عبد الكريم 320
- القصر العتيق (مراکش) 406
- القصر القديم 161
- قصر قرطاجنة 209
- قصر السوق 82
- القصور (طرا) 213
- القصور (جبال) 8 - 37 - 51
- قصور كتامة 320
- قعط 254
- ففصة 39 - 43 - 407
- القسطنطينية 103 - 114
- قسنطينة 11 - 25 - 37 - 51 - 53 - 54 - 102 - 103 - 127 -
- 146 - 147 - 157 - 162 - 172 - 179 - 181 - 185 - 186 - 189
- 306 - 318 - 319 - 320 - 321 - 395 - 396 - 399 - 407 - 418 -
- 428 - 433
- قسطنطينية 383 - 394
- قوصرة (جزيرة) 9
- القيسروان 37 - 39 - III - 113 - 144 - 148 - 159 - 160 -
- 162 - 163 - 166 - 167 - 172 - 173 - 197 - 266 - 307
- 339 - 374 - 375 - 376 - 377 - 378 - 380 - 383 - 384 - 385
- 387 - 392 - 393 - 394 - 397 - 405 - 408 - 409 - 421

س

- الساحل 37 - 38 - 41 - 172 - 394
- الساحل (سهل) 9

- سارنو (وادى) 55
- السانية (مطار) 60
- الساقية الحمراء 5 - 86 - 223 - 229 - 243 - 434
- الساورة (وادى) 10 - 54 - 70 - 311
- سايس (سهل) 9 - 75
- سبأ 350
- سبتة 5 - 65 - 71 - 82 - 83 - 95 - 99 - 103 - 113 - 117 -
- 121 - 124 - 131 - 138 - 141 - 164 - 166 - 222 - 243 -
- 249 - 319 - 380 - 383 - 385
- سبرت 107
- سبها 32 - 35
- سبو (وادى) 10 - 66 - 69 - 73 - 75
- سبيطة 37 - 150 - 109 - 110 - 371 - 372
- سبلماسة 113 - 117 - 123 - 136 - 137 - 162 - 164 - 219 -
- 266 - 307 - 311 - 322 - 340 - 341 - 384 - 385 - 425
- سخالين (جزيرة) 271
- سرة عسير 347
- السراغنة (أرض) 324
- سرت 35 - 36 - 391
- سرت (خليج) 4 - 14 - 30 - 32 - 93 - 249
- سرت (صحراء) 34
- سردانية 94 - 102 - 195 - 263 - 268
- سطات 82 - 316
- سكاندينافيا 208
- سكرة 41
- سكوما 381
- سكيكة 319 - 333
- سطيف 54 - 162 - 189 - 304 - 318 - 319 - 320 - 340 - 396

- سلا 25 — 69 — 122 — 131 — 146 — 323 — 396 — 408 — 423 — 434 —
— سلاتة 53 —
— سلامين 93 —
— السلمية 161 —
— سلعات (جبل) 79 —
— سلوق 216 —
— سمير 71 —
— السند (نهر) 263 — 270 —
— السنغال 87 — 220 — 261 — 274 — 425 —
— السنغال (وادي) 123 — 226 — 434 —
— سعيدة 54 — 57 — 434 —
— سعيدة (جبال) 8 — 146 —
— السعيدية 71 —
— سوتول 96 —
— السودان 4 — 29 — 123 — 124 — 125 — 135 — 258 — 266 —
— 273 — 287 — 329 — 332 — 429 —
— سور الفزان 433 —
— سوريا 95 — 116 — 161 — 184 — 236 — 253 — 256 — 271 —
— 272 — 273 —
— سوماته (أرض) 118 —
— سوماح (وادي) 10 —
— سوق أربعاء الغرب 423 —
— سوس 123 — 134 — 137 — 138 — 268 — 274 — 286 — 308 —
— 322 — 324 — 326 — 327 — 331 — 332 — 341 — 420 — 424 — 425 —
— 427 —
— سوس (وادي) 69 — 115 — 121 —
— السوس الأقصى 266 — 267 — 299 — 375 —
— سوسة 38 — 39 — 43 — 103 — 110 — 163 — 257 —

- السويد 224
- السويس (خليج) 254 - 272
- سويسرا 56
- سيدى ابراهيم (ج) 178
- سيدى بلعباس 120
- سيدى بلعباس (سهل) 58
- سيدى حرازم 79
- سيدى حمودة (دوار) 311
- سيدى عقبة 112
- سيدى غانم 79
- سيدى فوج (شبه جزيرة) 157
- سيدى قاسم 70 - 79 - 427
- سيدى سليمان 70
- سيدى يفتى 5 - 86 - 222 - 229 - 243
- سيرة 103
- سيرو (جبل) 66
- سيزاريا 98
- السين 185
- سينا (صحراء) 106

ش

- شالة 121
- الشام 91 - 93 - 150 - 160 - 162 - 183 - 254 - 257 - 268 -
- 269 - 273 - 278 - 282 - 297 - 344 - 345 - 346 - 350 -
- 351 - 356 - 357 - 362 - 363 - 376 - 385 - 386 - 413
- الشاوية (أرض) 9 - 66 - 72 - 75 - 228 - 322 - 323 - 434
- الشراط (وادى) 228

- الشركة (دوار) 311
- الشرق 26
- الشرق الأوسط 258 - 270
- شرشال 51 - 98 - 149 - 306 - 317
- شريك (شبه جزيرة) III
- شريش 400
- شط الجريد 10 - 37 - 42 - 305 - 306 - 338 - 339 - 383 -
- 407 - 408 - 421 - 433
- شط حميان 10 - 51
- شط الحضنة 29 - 30 - 34 - 37 - 104
- الشط الغربي 10 - 51
- شط العرب 273
- شط الفرسة 37
- شط فجاج 37
- الشط الشرقي 10 - 51
- شلف 9 - 124 - 143 - 145 - 267 - 310 - 333 - 338 - 340 -
- 433
- الشلية (قمة) 8
- شمامة 425
- شنترين 127
- شنگيط 87 - 224 - 252 - 425
- شنمار 255
- الشعباني (جبل) 36
- شعبة اللحم 152
- شفشاون 65
- شيشاوة 285

هـ

- الهبط (جبال) 307 - 317 - 408
- هبونة 100 - 102 - 103 - 257
- هرك (شبه جزيرة) 330
- هكار 51 - 280 - 318
- الهند 159 - 253 - 254 - 267 - 356
- هنين 149 - 426
- هولاندة 35 - 224
- هيمار 93 - 94

و

- وادى البلاء 377
- وادى الذهب 5 - 86 - 223 - 229 - 243 - 425 - 434
- وادى زا (صاع) 426
- وادى زم 79
- وادى الزناتى 433
- الوادى الكبير 97 - 333
- وادى اللبن 334
- الوادى المالح 152
- وادى المخازن 135 - 136
- وادى العذارى 377
- وادى القرى 356 - 357
- وادى السفلات 332
- وانسيفن (وادى) 323
- وجسدة 63 - 75 - 82 - 83 - 121 - 122 - 130 - 137 - 147 -
- 178 - 220 - 227 - 321 - 426
- ودان 35 - 429

- ورزازات 82 - 311 - 325 - 327 - 331 - 333 - 335
- ورگلة 339
- ورغة (وادي) 314 - 317 - 325 - 331 - 335
- وزان 285 - 303 - 322 - 332
- وطن زناتة 311
- الوطن القبلي 41
- الولايات المتحدة الأمريكية 35 - 43 - 79 - 139 - 156 - 184 -
- 207 - 208 - 217 - 218 - 224
- ولماسي 79
- وليلي 101 - 118 - 375
- الوزنة 58
- ونشريس (جبال) 8 - 50 - 52 - 121 - 145
- ونيف (بنى) 64
- وهران 11 - 24 - 51 - 53 - 54 - 60 - 67 - 120 - 121 -
- 125 - 139 - 145 - 148 - 149 - 152 - 154 - 156 - 179
- 192 - 194 - 305 - 312 - 313 - 316 - 423 - 330 - 340 - 433
- وهران (سهل) 50
- الويدان (بين) 70

ى

- يثرب 346 - 356 - 357 - 365
- يداس (وادي) 321 - 334
- يدوغ (جبل) 8
- يزناسن (جبال بنى) 69 - 70
- اليمن 105 - 253 - 254 - 266 - 269 - 272 - 275 - 276 - 277 -
- 278 - 314 - 344 - 345 - 346 - 347 - 350 - 351 - 356 -
- 357
- اليمن الجنوبي 274

- ينبوع النخل 134 - 137 - 219
- يفتى طه سيدي يفتى
- يسر (قرية) 335
- يسر (وادي) 308 - 332 - 333
- يسر الويدان (دوار) 331
- يسلي (وادي) 66 - 140 - 142 - 178 - 221 - 222
- يسوماتن (قرية) 307



فرسى

الأعلام الانسانية الفردية

I

- آدم 384
- آمنة بنت وهب الزهرية 361 - 362
- ابراهيم بن تاشفين 125
- ابراهيم الخليل 347 - 357
- ابراهيم الشريف (الآغا) 174
- أبرعة الحبشى 352
- ابن حبيب 28
- ابن حرب 400
- ابن حزم 306 - 316 - 320
- ابن حمادو البرنسى السبتي (محمد) 27
- ابن خلدون ط عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي
- ابن الرومي 28
- ابن الكلبي 318 - 328 - 414 - 429
- ابن ماكولا 430
- ابن النحوى 328
- ابن صاحب الصلاة ط عبد الملك بن صاحب الصلاة
- ابن عبد الحكم 339
- ابن عذارى 382
- ابن عمران التتملى (القاضى) 397

- ابن عياش 404
- ابن غانية
- ابن سعيد 28
- أبو بكر بن الطفيل 403
- أبو بكر الصديق 104 - 106 - 387
- أبو البهار الصنهاجي 121
- أبو الجليل بن شاكر 396
- أبو جعفر بن عطية 396
- أبو حمارة ظ الجليلي اليوسفي الزرهوني
- أبو حفص ظ عمر بن يحيى الهنتاتي
- أبو الحسن الأشعري 81 - 129 - 386
- أبو حسون ظ علي بن محمد الشيخ الوطاسي
- أبو ذر الغفاري 371
- أبو ركوّة 413
- أبو زكرياء الحفصي ظ يحيى بن عبد الواحد الحفصي
- أبو زمعة البلوي 371
- أبو زيان الأول العبد الوادي (السلطان) 148
- أبو زيان الزعاطشي (القائد) 179
- أبو طالب بن عبد المطلب 362 - 363
- أبو مدين الهواري 62
- أبو مسعود 394
- أبو المهاجر دينار (مولى مسلمة بن مخلد) 111 - 112 - 374 - 375 - 379
- أبو عبد الله بن أبي المجد 327
- أبو عبيد البكري ظ عبد الله بن عبد العزيز البكري
- أبو عمارة 182
- أبو عمران الفاسي 332
- أبو العيش بن القاسم كنون الادريسي 116

- أبو القاسم القالمي 397
- أبو سعيد بن أبي حفص 408
- أبو يعقوب البادسي 306
- أجانا بن يحيى بن ضريس (أبو زناتة) 310 - 311
- الأجدابي 429
- أحمد باي 176
- أحمد البدوي 182
- أحمد بن عبد السلام الففجومي الجراوي 400 - 401
- أحمد بن علي الجرجرائي 388 - 390
- أحمد بن سيد اللص الاشبيلي 398
- أحمد بن مصلي التلمساني ط مصالي الحاج
- أحمد بوضربة 183
- أحمد حسن الزيات 360
- أداس 315 - 303
- أدريان بلت 218
- ادريس الأول ملك ليبيا 35 - 215
- ادريس الأول بن عبد الله الكامل 115 - 159 - 312 - 341 - 379 - 386
- ادريس الثاني بن ادريس الأول 115 - 116 - 118 - 379
- ارم بن سام 345
- ألفونس جوان ط جوان (المرشال)
- ألفونسو كونت دي برسيلوس 85
- ألفونسو السادس 124
- اليسع بن مدرار 162
- امرؤ القيس 347
- أملكار 94
- أنوشروان 346
- أصناك بن برنس ط صنهاج بن برنس
- أفريقش 318

- اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة 368
- اسحاق الوري (الأوربي) 114
- أسد روبال 95
- أسرباس 91
- اسماعيل بن ابراهيم 347 - 358
- اسماعيل بن عبيد الله المخزومي 379
- اسماعيل بن الشريف العلوي (السلطان مولاي) 316
- الأشعري ظ أبو الحسن الأشعري
- أورب بن برنس (أبو وربة) 313
- أورناباس 104
- أوريغ بن برنس (أبو وريفة) 314 - 315 - 303
- أوغسطين (القديس) 100
- أيلان بن بر بن قيس بن عيلان 327
- أيلان بن مصمود (أبو هيلانة) 327

ب

- البادسي ظ أبو يعقوب البادسي
- بختنصر 93 - 259 - 269
- بدر بن سرحان 413
- بربر بن كسلوجيم بن مصرايم بن حام 266
- بر بن قيس عيلان 269 - 295 - 297 - 298 - 300 - 368
- برنس بن سفجو 295
- بروكلمان 256
- بريم (الخنرال) 222
- بطوليمي 97
- البكري ظ عبد الله بن عبد العزيز البكري (أبو عبيد)
- بلات 182
- البلاذري 368

- بلقيس 350
- بلقين بن زري 296 — 332 — 333
- بليسي (المرشال) 238
- بسر بن أرطاة 107 — 371
- البشير الإبراهيمي 186
- البهاء بنت دهمان 297
- بوانكاري 184
- بوكوس الأول 76 — 77
- بوكوس الثاني 97
- بونصو 232
- بونيفاس (الكونت) 99 — 101
- بوغود 97
- بوفير 254
- بوسكي 262
- بيجو (المرشال) 220 — 238
- بيگيدير 233
- بيلاسيدية 99
- بيليزير 103
- بيغماليون 91 — 257
- بيغن 218
- بيسمارك 181
- بيدرو نافارو (القائد) 85

ت

- تاكفاريناس 97
- تاشفين بن علي اللمتوني (السلطان) 125
- ترغاش بن ولهاص بن يطفة بن تغزاو 308
- تليد مولي عبد العزيز بن مروان 376

- تماضر 297 - 298
- تمرين بنت مجدل 297
- تمصيت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبت 309
- تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي (الأمير) 167 - 394
- تميم اليفرنى (الأمير) 122 - 323
- التهامى المزوارى الكلاوى (الباشا) 239
- تومس (الفرعون) 255
- تيتوس (الامبراطور) 259
- التيجانى 429
- تيصكى العرجاء بنت زحيك بن مادغيس الأبت 315 - 328

ث

- ثمال بن صالح 389
- الثعالبي ط عبد الرحمان الثعالبي
- ثعلب بن سحير 424

ج

- الجازية بنت سرحان 411 - 413
- جالوت 278 - 266 - 268 - 269 - 278
- جبارة بن مختار 390
- الجراوى ط أحمد بن عبد السلام الجراوى
- الجرجرائى 27
- جرجير 104 - 105 - 109 - 110 - 371 - 372
- جرجى زيدان 149
- جرجيس 262
- جزول (أبو جزولة) 267
- جليمير 102 - 103
- جمال الدين الأفغانى 198

- جناحه 110
- حنسيق 99 - 102
- جعفر بن أبي طالب 414 - 424
- جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن 420
- جوان (الجنرال الفونس) 207 - 238 - 240
- جوانفيل (الأميرال) 221
- جوبا الثاني 97
- جوليان (الكونت) ط يوليان الغماري
- جونو (الأميرة) 91 - 257
- جوستينييان 102 - 104
- جوهر الصقلي 117 - 121 - 164
- جيراردان 232
- الجيلالي اليوسفي الزرهوني (أبو حمارة) 225 - 226 - 228

ح

- الحاج عمار 183
- الحارث بن الحكم 109 - 371
- الحارث بن عبد العزى 362
- الحارث بن عمرو 346
- الحاكم بأمر الله الفاطمي 413
- حام بن نوح 248 - 250 - 260 - 265
- حامد بن حمدان الهمداني 120
- حباس بن مشيفر 396
- حباسة بن يوسف (القائد) 163
- الحبيب بورقيبة 48 - 204 - 206 - 207 - 208 - 209 - 210
- حذيفة بن بدر الذبياني 254
- الحلبي (أبو عبد الرحمان) 27
- حليلة السعدية 361
- حماد بن بلغيث الصنهاجي (الأمير) 144 - 166 - 366

- حمامة بن المعز بن عطية المفراوى 122 - 144
- حمودة باشا بن مراد (الباي) 174
- حمودة بن علي (الباي) 175
- حميد بن يصيلتين الكتامي 120
- حنش بن عبد الله الصنعاني 112 - 375
- حنو (الوزير) 254
- حسان بن ثابت 345
- حسان بن النعمان 113 - 376 - 377 - 378 - 379 - 380 - 381
- حسن أغا 153 - 154
- الحسن الأول بن محمد بن عبد الرحمان العلوى (السلطان - مولى) 140 -
- 141 - 223 - 224 - 225
- حسن باشا بن خير الدين 154
- الحسن بن دواس الكتامي 388
- انحسن بن محمد الادريسي (الحجام) 120
- الحسن بن كُسنون 116 - 121 - 164
- الحسن بن محمد العلوى (الأمير - مولى) 227 - 238 - 242
- الحسن بن المهدي العلوى (الأمير - مولى) 237 - 238
- الحسن بن عبد الله الزياتى (السلطان) 149 - 154
- الحسن بن علي اليازورى 167 - 389 - 390 - 394 - 413 - 416
- الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الصنهاجى (الأمير) 167
- الحسن بن قاسم العلوى (الداخل) 137
- الحسن بن سرحان 394 - 413 - 418
- **الحسن الثانى** 83 - 193 - 243
- حسن قورصو 154
- الحسين آيت أحمد 190
- حسين باشا بن محمود باشا (الباي) 176 - 194
- حسين بن علي (الأغا) 174 - 175
- الحسين بن علي بن أبى طالب 161

- حسين داي (آخر ولاية الترك بالجزائر) 157 - 177
- حيدر باشا 173

خ

- خالد الادريسي الهاشمي (الأمير) 184 - 187
- خالد بن يزيد القيسي 113
- خبور بن المثنى 314
- خراج بن مطرف بن عبيد الله (أبو خراج) 426
- خديجة بنت خويلد الاسديّة 363 - 364
- خزرون الزناتى 166
- خليفة اليفرنى (أبو سعدى) 394
- الخضر بن عامر 421
- خويلد بن خالد (الشاعر أبو ذؤيب) 371
- خير الدين (القائد) 152 - 153 - 154 - 172
- خير الدين أغا 194
- خير الدين باشا (الوزير) 196
- خيممكن 93

د

- دالكاوديتى (الكوندى) 154
- داوود (النبى) 255 - 268 - 269 - 278 - 363
- دباب بن ربيعة بن زعب الأكبر (أبو دباب) 428
- دراس بن اسماعيل 27
- درغوث باشا 154
- الدقى (أبو مسلم) 27
- دهمان بن عيلان 297
- دهميا بنت ماتيت بن نيفان (الكاهنة) 377
- دواس بن صولات (أبو حميد) 319

- دوبرا 267
- دوبرفال شارل (القنصل) 196
- دوگول (الجنرال) 188 — 192
- دولس 182
- دونات (الراهب) 102 — 287
- دوناس بن حمامة المغراوي 122
- دي بورمون (الجنرال) 177
- ديلكاسي 226
- ديفال (قنصل فرنسا) 157

ذ

- ذو الجدين الشيباني 254
- ذو نواس الحميري 350
- ذو القرنين III

ر

- راشد (مولى ادريس الاول) 114
- الرباب بنت حيدة 297
- ريعة بن كلب 424
- رمادي 238
- رمضان السويحلي 214
- رمسيس الثاني 263
- رضوان بن عبد الملك (أبو نعيم) 137
- الرشاطي 429
- رشيد رضا 230
- رشيد بن الشريف العلوي (السلطان) 138
- رود 294
- رومالوس 96

- رويفع بن ثابت 371
- رياح بن أبي ربيعة بن نهيك 421
- الريان بن الوليد 254
- ريحان المكناسي 120
- رينيو 228

ز

- زانا ط أجانا (أبو زنانة)
- زايد بن لوا الاصغر 340
- الزبير بن المهايا 421
- الزبير بن العوام 421
- زحيك بن مادغيس الأبتري 297 - 303
- زعب الاصغر بن زعب الأكبر بن جرو بن مالك 430 - 433
- زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك (أبو زغبة) 422
- زهير بن قيس البلوي 112 - 113 - 375 - 376
- زياد بن أبيه 294
- زيادة الله بن الأغلب 159 - 160 - 161 - 162
- زيدان بن أحمد المنصور السعدي (السلطان) 135
- زيري بن مناد الصنهاجي 165
- زيري بن عطية المغراوي 121 - 166 - 395

ط

- طارق بن زياد الليثي 114 - 374 - 380 - 400
- طالوت (شاوول) 255
- الطبري ط محمد بن جرير الطبري
- طراخان 98
- الطيب العقبي 186

ظ

- الطاهر لاعزاز دين الله الفاطمي (الخليفة) 27 - 387 - 388

ك

- كارل ولهم لخماني 276
- كارلوس الخامس 153 - 172
- كافينياك (الجنرال) 238
- الكاهنة 113 - 377 - 378 - 380
- كتام بن برنس (أبو كتامة) 302
- كحول بن دالي (المفتي) 187
- كريميو 181
- كطوط بن لوا الأصغر 304
- كلثوم بن عياض 383
- كلوديوس 97 - 98
- كلوزيل (المرشال) 194
- كنزة الوردية (زوجة ادريس الأول) 116
- كنعان بن حام 256 - 270
- كسافيي كابولاني 226
- كسلان بن خليفة بن لطيف 418
- كسيلة 111 - 112 - 374 - 375 - 376
- كشك محمد (الاميرال) 176
- كهلان بن أبي لؤي 268 - 295
- كوتسينا 104
- كوريبوس 287
- كومود

ك

ك

- كابريل بيو 236

- گرازيانى 216
- گريگوريوس الثانى 104 - 105 - 109 - 371
- گوتيى 276 - 293 - 294
- گورو 227
- گى مولى 209
- گيوم (الجنرال) 240 - 241 - 242

ل

- لاموريسيير (الجنرال) 178 - 238
- لافيجرى (الكاردينال) 181 - 203
- لاروذ بن سام 345
- لمت (ابو لمتونة) 267
- لمت (ابو لمطة) 267
- لغمان بن خليفة بن لطيف (ابو اللقامنة) 418
- لقوط الغمارى 123
- لسان الدين بن الخطيب ط محمد بن الخطيب السلماني
- لوا الأكبر بن زحيك 299 - 304 - 315
- لوا الأصغر (أبو لواتة) 304
- لوسيان سان 202
- ليلى صاحبة المجنون 413
- ليوطى (المرشال) 228 - 233
- ليون بلوم 184 - 186 - 187 - 206 - 232

م

- مادغيس الأبتى 292 - 297 - 303
- مارسى (وليام) 294
- مازيخ بن كنعان بن حام 264 - 266 - 268 - 270
- مالك بن أنس الأصبحى (الامام) 81 - 123 - 124 - 167 - 323 - 386 - 387

- مالك بن المرحل 267
- المالكي 380
- المامون بن أحمد المصور السعدي (السلطان) 135
- المامون بن هارون الرشيد العباسي (الخليفة) 160
- المامون الموحدي 169
- مانديس فرانس 209
- مؤنس الصنبري 392 - 394 - 414 - 421
- ماصل بن لؤي الأصفر 304
- ماضي بن مقرب 414
- ماست (الجنرال) 207
- ماسيگلي 236
- ماسينيسا 96
- مجنون ليلي 413
- محرز بن زياد الفارغي 397
- محمد رسول الله 104 - 105 - 324 - 348 - 351 - 352 - 361 - 362 - 363 - 364
- محمد الأمين باي 176
- محمد باشا باي 195
- محمد باشا حانية 200
- محمد البرتغالي الوطاسي (السلطان) 133
- محمد بكداش 156
- محمد بن ادريس الثاني الحسني 116 - 117
- محمد بن أبي بكر 376
- محمد بن تومرت الهرغي (مهدي الموحدين) 125 - 126 - 127 - 129
- محمد بن جرير الطبري 266 - 268 - 298
- محمد بن الحسن الوزاني 233 - 234
- محمد بن حسين باشا 176

- محمد بن حسين باي 175
- محمد بن خزر المفراوى
- محمد بن الخطيب السلماي (لسان الدين) 132 — 307
- محمد بن مبارك بن حفيد الحسنى 137
- محمد بن مرزوق التلمسانى (الخطيب) 132
- محمد بن معفل 324
- محمد بن مقاتل العكي 158 — 159
- محمد بن عبد الحليل التنسى 150
- محمد بن عبد الرحمان العلوى (السلطان — سيدى) 140 — 222 — 223 — 224
- محمد بن عبد الكريم الخطابى 203
- محمد بن عبد الله ط محمد رسول الله
- محمد بن عبد الله الأنصارى الشاعر 388
- محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوى 139
- محمد بن عثمان 156
- محمد عرفة العلوى 242
- محمد بن علي العمرانى (نقيب الشرفاء — السلطان) 133
- محمد بن الفتح الشاكر لله (الأمير) 117 — 164
- محمد بن سعد 368
- محمد بن الشريف العلوى (السلطان — مولاى) 137 — 138
- محمد بن يوسف (السلطان) ط محمد الخامس
- محمد الحبيب باي 200 — 203 — 204
- محمد الحلوى بن يحيى الوطاسى 132
- محمد الخامس 140 — 142 — 209 — 230 — 235 — 239 — 242 — 243
- محمد الخيضر 190
- محمد المنصف باشا باي 207
- محمد المقرانى (الباشاغا — الحاج) 181

- محمد المقرئ التلمساني (القاضي) 132
- محمد الناصر باي 202
- محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدى (الخليفة) 127 - 145 - 168
- 366 - 397
- محمد نديم باشا 211
- محمد النفس الزكية الحسنى 114
- محمد الصادق باي 176 - 197
- محمد الصالح المزالى 209
- محمد عبده 198
- محمد على 204
- محمد المياشى (المجاهد) 136
- محمد الغالب بالله السعدى 135
- محمد القائم بأمر الله السعدى 134
- محمد السنوسى 198
- محمد الشطيبى 268
- محمد شتيق 208
- محمد الشيخ بن يحيى الوطاسى 132 - 133
- محمد الشيخ السعدى 133 - 134
- محمد اليزيدى 234
- محمود باشا باي 176
- محسن بن القائد بن حماد الصنهاجى 144
- مختار بن محمد بن معقل 424
- مخلد بن كيداد اليفرنى 103 - 120 - 165
- مراد باشا 174
- مرداس بن رياح 421
- مرسيل بيروتون 206 - 232 - 233
- مروان بن الحكم 371
- مزدلى (القائد) 124

- مزطار (أبو مزطارة) 267
- مزنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار 297
- المطلب بن عبد مناف 348 - 352
- المكتفى العباسي (الخليفة) 162
- المكي بن عزوز 198
- ملد بن أوريغ 315
- مليران 202
- المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب 420
- المنذر بن ماء السماء 346
- منذر بن سعيد البلوطي 308
- المنصور بن أبي عامر 121
- منصور بن محمد بن معقل (أبو ذؤي منصور) 425
- المنصور بن الناصر بن علناس الصنهاجي (الأمير) 395
- مصالة بن حبوس 120
- مصالي الحاج 185 - 188 - 189
- مصطفى باشا 173
- مصطفى باي 176
- مصطفى خوجة 175
- مصطفى داي (الحاج) 156
- مصطفى كامل 198
- مصكاب (والد مطماطة الملقب بمطماط) 310
- مصمود بن برنس (أبو مصمودة) 267 - 302 - 322
- مضاض الجرهني 347
- مضر بن نزار بن معد بن عدنان 297
- معاوية بن حديج 120 - 371 - 327
- معاوية بن أبي سفيان 110 - 372
- معد بن اسماعيل العبدي ط المعز لدين الله الفاطمي

- المعز بن باديس 166 - 167 - 387 - 388 - 390 - 391 - 392 - 393 - 394
421 - 413
- المعز بن زيبرى المغراوى 122
- المعز لدين الله الفاطمى (معد بن اسماعيل العبيدى) 117 - 164 - 165 - 166
- معنصر بن المعز بن زيبرى المغراوى 122
- مغراو (أبو مغراوة) 267
- مقر بن أوريخ 315 - 316
- المستنصر بن أبى زكرياء الحفصى 170
- المستنصر بن خزون 393
- المستنصر الفاطمى 167 - 387 - 388 - 394
- مسلم بن عجيل بن مرداس 421
- مسلمة بن مخلد 111
- مسلمة بن سعيد 368
- المسعودى 167 - 268
- المسور بن مخرمة بن نوفل 371
- المسور بن السكاسك 314
- مسوف (أبو مسوفة) 267
- المسيح 105
- مسينيسا 95
- المهدي بن تومرت 323 - 326 - 327 - 335 - 396
- موانبى (الجنرال) 228
- موريس 182
- موريس فيوليت 184 - 185
- موسى (النبى) 350 - 362 - 363 - 400
- موسى بن أبى العافية 120
- موسى بن نصير 113 - 379 - 380 - 381
- موسى بن عبد المومن بن على (الأمير) 405
- موسى بن يحيى المرداسى 394

- مرسولينى 215
- ميمون بن حمدون (الوزير) 145
- ميناووس 252
- ميسرة (غلام خديجة) 363
- ميسرة المدغرى 382 — 383

ن

- نابليون بونابرت 156 — 157
- نابليون الثالث 580
- الناصر الموحدى ظ محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدى
- الناصر بن علناس الصنهاجى (الأمير) 144 — 195 — 330 — 395
- الناصر المروانى ظ عبد الرحمان الناصر المروانى
- النعمان بن حمير 267 — 269
- نفوس بن زحيك (أبو نفوسة) 299 — 308 — 315
- نوگيس (الجنرال) 233
- نوح (النبى) 260
- نوفل بن عبد مناف 348
- نطط بن لوا الأصغر 304

ص

- الصادق دندان 183
- صالح (النبى) 350
- صالح بن طريف 322 — 323
- صالح رايسى 154
- صلاح الدين البكوش 290
- صليصل بن الاحيمر 414
- صنهاج بن برنس (أبو صنهاجة) 302 — 328
- صنهاج بن المثنى الحميرى 328

- صنهاج بن عاميل 328
- صنهاج بن بصوكان بن افرىش 328
- صفوان بن ادريس (أبو بحر) 259
- صولات بن وزمار 369
- الصولى 266

ض

- الضحاك بن مشرف بن أثيج (أبو الضحاك) 418
- ضريس بن زحيك 299 - 308 - 315

ع

- عائد بن أبى الغيث المرداسى 394
- عائشة بنت أبى بكر الصديق 366
- عائشة بنت محمد العلوية (الأميرة - للا) 238
- العادل بن المنصور الموحدى 169
- عامر بن عبد الله بن يوسف المرينى (السلطان أبو ثابت) 130
- عاصم بن مشرف بن أثيج 419
- العباس بن عبد المطلب 389
- عداس فرحات 187 - 188 - 189 - 192
- عبد الحميد بن باديس 185
- عبد الحق بن محيو المرينى (السلطان) 129 - 130 - 132
- عبد الحفيظ بن الحسن العلوى (السلطان - مولاى) 227 - 228
- عبد الحى الكتانى 242
- عبد الدار بن قصى 348
- عبد الرحمان بن ادريس بن يوسف بن عبد المومن بن على الكومى 169
- عبد الرحمان بن الاسود الزهرى 371
- عبد الرحمان بن خلدون الحضرمى 2 - 4 - 132 - 304 - 306 - 307 - 308 - 310
- 318 - 319 - 320 - 322 - 325 - 327 - 329 - 334 - 338 - 339 - 368
- 382 - 389 - 395 - 408 - 410 - 414 - 418 - 424 - 429 - 431

- عبد الرحمان بن رستم 117 - 124 - 309
- عبد الرحمان بن عمر بن عبد المؤمن بن علي 407
- عبد الرحمان بن هشام العلوي (السلطان - مولاي) 139 - 178 - 220 - 222
- عبد الرحمان الثعالبي 424
- عبد الرحمان الحفصي 169
- عبد الرحمان الداخل المرواني 159 - 413
- عبد الرحمان الناصر المرواني 117 - 120 - 313
- عبد الكريم بن سليمان 226
- عبد الله بن أبي بكر الصديق 370
- عبد الله بن أنس 371
- عبد الله بن اسماعيل العلوي (السلطان - مولاي) 139
- عبد الله بن جدعان التيمي 363
- عبد الله بن الزبير بن العوام 109 - 110 - 112 - 370 - 372 - 376
- عبد الله بن زيد بن الخطاب 370
- عبد الله بن طاهر 160
- عبد الله بن طلحة 370
- عبد الله بن عباس 370
- عبد الله بن عبد المؤمن بن علي الكومي (الأمير) 127 - 396
- عبد الله بن عبد المطلب 348 - 361
- عبد الله بن عبد العزيز البكري (أبو عبيد) 266 - 268 - 287 - 297 - 307 - 314 - 319 - 320 - 323 - 325
- عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص 169
- عبد الله بن عمر بن الخطاب 370 - 372
- عبد الله بن عمرو بن العاص 370
- عبد الله بن سعد بن أبي سرح 108 - 109 - 370 - 371 - 372
- عبد الله بن ياسين الجزولي 123 - 323
- عبد الله الملقى 406

- عبد الله الغالب بالله السعدي 135
- عبد الله القائم بأمر الله العباسي (أبو جعفر) 389 - 390
- عبد المؤمن بن علي الكومي (الخليفة) 125 - 126 - 127 - 145 - 146 -
- 167 - 290 - 309 - 392 - 396 - 397 - 398 - 399 - 400
- عبد المطلب بن السائب بن وداعة 370
- عبد المطلب بن هاشم (شعبة) 348 - 352 - 361 - 362
- عبد الملك بن محمد الشيخ السعدي (السلطان) 135
- عبد الملك بن مروان الأموي (الخليفة) 112 - 113 - 372 - 376
- عبد الملك بن صاحب الصلاة 397 - 404 - 408
- عبد العزيز بن الحسن الملوي (السلطان - ملوي) 223 - 225 - 227
- عبد العزيز بن مروان 376
- عبد العزيز بوتفليقة 193
- عبد العزيز الثعالبي 199 - 200 - 201 - 202 - 203
- عبد العزيز الحمصي 170
- عبد العزيز الملزوزي 131
- عبد القادر بن محيي الدين الادريسي (الأمير) 140 - 178 - 179 - 220
- عبد القادر المغربي 230
- عبد القادر السايح 188
- عبد السلام الكومي 397
- عبد شمس بن عبد مناف 348
- عبد شمس بن يشجب 346
- عبد الواحد بن أبي حفص 168
- عبد الواحد المراكشي 404
- عبد الوهاب بن رستم 162
- عبيد الله بن الحبحاب 382
- عبيد الله بن عباس 370
- عبيد الله بن سحير المعقل (أبو ذؤيب عبيد الله) 424

- عبید الله الشيعی (المهدی) 120 — 161 — 162 — 163 — 320
- عبدة بن قيس العقيل 299
- عثمان باشا بن علی (البای) 176
- عثمان بن المنصور بن عبد العزيز الحفصي 170 — 172 — 173
- عثمان بن عفان (الخليفة) 108 — 110 — 121 — 147 — 369 — 370
- عثمان بن يفراس بن زيان (السلطان) 148
- عثمان دای 173
- عجيسة بن برنس (أبو عجيسة) 302 — 336
- عجيسة بن دوناس 122
- العربي التبسي 186
- عروبة بن يوسف الكتامي 319
- عروج (القائد) 152 — 172
- العزيز بن المنصور الحمادي الصنهاجي (الأمير) 142 — 335
- عزيز المصري 213
- علاء الفاسي 223 — 224 — 227
- عليج علی 155
- علوان بن بر بن قيس بن عيلان 297
- علي باشا باي 175
- علي باشا الثاني 210
- علي باشا حانبه 199 — 200
- علي بن أبي الرجال 387
- علي بن أبي طالب (الخليفة) 110 — 369 — 372
- علي بن حسين باشا باي 175
- علي بن خليفة 197
- علي بن رزق الرياحي 393
- علي بن زيان 132
- علي بن محمد بن ادريس (الملقب بحيدرة) 116
- علي بن محمد الشيخ الوطاسي (أبو حسون) 133

- علي بن غانية المسوفى 408
- علي بن غذاهم المساهلي الماجري 196
- علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي 167
- علي بن يدو الزكندري 424
- علي بن يوسف بن تاشفين 125
- علي بوشوشة 198
- علي رضا باشا 211
- علي العلوي (الأمير - مولاي) 178
- عليشة ديدون 91 - 257
- عمر بن أبي ربيعة 419
- عمر بن ادريس الحسني 116
- عمر بن الخطاب (الخليفة) 106 - 107 - 108 - 264 - 365 - 368 - 369
- 387
- عمرو بن ربيعة 419
- عمرو بن كلثوم الثعلبي 359
- عمر بن لحي الخزاعي 357
- عمر بن عامر بن مزيقا 346
- عمرو بن العاص 106 - 107 - 108 - 367 - 368 - 369 - 371 - 372
- عمر بن عبد المومن بن علي 402
- عمر بن عبد مناف 419
- عمر بن عثمان 198
- عمر بن حربون 402
- عمر بن قيس بن عيلان 298
- عمر بن يحيى الهنتاتي (أبو حفص) 168 - 327
- عمر المختار 213 - 215 - 216
- عمران بن منصور بن محمد بن معقل (أبو العمارنة) 426
- عمليق بن لاوود بن سام 255

- عقبة بن نافع 107 - 108 - 109 - 111 - 112 - 369 - 371 - 373 - 374
- 375 - 376 - 379
- عوف بن بهثة بن سليم (أبو عوف) 430
- عياد بن أبي شفرة الوديعي 139
- عياض بن مشرف بن أثيج 419
- عيلان بن مضر 297
- عيسى بن مريم (النبي) 362
- عيسى بن يزيد المكناسي 117

غ

- غمار بن اصاد بن مصمود 325
- غمار بن مصمود (أبو غمار) 325
- غمار بن سطات بن مليل بن مصمود 325
- غلازر 346
- عليوم الثاني 227

ف

- فاتن بن تمصيت 309
- فتوح بن دوناس المخرأوي 122
- فرانكو (الخنرال) 233
- فرحات حشاد 208 - 240
- فلاتير 182
- فضل بن ناهض 413
- فهر بن مالك 348
- فون هورن جوستل 276
- فيلبي 263

ق

- القائد بن حماد الصنهاجي (الأمير) 144 - 393
- القائم بأمر الله العباسي 167

- القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الثاني 116
- فباز الفارسي 346
- قبط بن حام 266
- قطفير 254
- قطوبال 250
- قلج علي باشا 173
- قنطور بنت يقطان الكنانية 255
- نصي بن كلاب 348 - 351
- قيس بن عيلان 269 - 297 - 299 - 300 - 398 - 402 - 403 - 404 - 405

س

- السائب بن عامر بن هشام 371
- سائق بن سليمان المظماطي 267 - 295 - 305 - 306 - 316 - 317 - 318
- سابور (الملك) 348
- سارة 255
- سالمون 104
- سام بن نوح 248 - 256 - 344
- سان لوى (ملك فرنسا) 170
- سبع بن منخفاد 402
- ست الملك 389
- ستيغ 184
- سحير بن معقل 324
- سدرات (ابو سدراة) 334
- سرجي 250
- سكرديد بن زوغى الوريى 313
- سكور (ابو هسكورة) 267 - 328
- سلامة بن رزق 414
- سلسطس 258
- سليم العثماني (السلطان) 152 - 153 - 170

- سليمان الباروني 214
- سليمان بن داوود (النبي) 269 - 350
- سليمان بن محمد بن عبد الله (السلطان - مولاي) 139
- سليمان بن عباس الحميري 414
- سليمان بن وانسوس 312
- سمگان بن يحيى بن ضريس (أبو زواغة) 311 - 320
- سمفون بن يزنان الزناتي (أبو القاسم) 117
- سنان باشا 173 - 210
- سنخ كارغ 254
- سعد بن أبي وقاص 26
- سعيد بن خزون المفراوى 422
- سعيد بن عبد الله المنداسى 316
- سفورزا 218
- سفيان بن عيينة 26
- سيباستيان (الدون - ملك البرتغال) 135
- سيرانو (الخنرال) 84
- سيبينون (ايميليان) 95

ش

- الشاذلى خير الله 204
- شاکر (صاحب عقبة) 379
- شبان بن الأحيمر 414
- شبانة بن مختار بن محمد بن معقل (أبو الشبانان) 427
- الشريف بن على العلوى (مولاي) 137
- الشطيبى ط محمد الشطيبى
- شكر بن أبى الفتوح 413
- شكيب أرسلان 230
- الشنفرى 357

- شعبان (الداي) 156
- شعيب (النبي) 350
- شيبه بن هاشم ط عبد المطلب بن هاشم

هـ

- هاجر 347
- هادريان 98
- الهادي شاكرو 208
- هارون الرشيد 114 - 159
- هانيء بن بكور الضريسي 267 - 295
- هانز هولفريتز 276 - 277
- هاشم 348 - 351 - 352
- انهرج بن مهدي بن محمد بن عبيد الله 427
- هرقل 104
- هلال بن ثوران اللواتي 376
- هشام المؤيد المرواني 121
- هوار بن أوريج (أبو هواة) 315 - 316 - 317
- هود (النبي) 350
- هونيرك (الملك) 102
- هيب بن بهثة بن سليم 430
- هيركوليس (الملك) 258
- هيرودوتس 259 - 260 - 263 - 280
- هيريو 184
- هيلديريك 102

و

- واگاث بن زولو 332
- الواقدي 368
- ورتانطق بن منصور بن مصالة 335
- ورتجين (أبو بني ورتجين) 267

- ورقة بن نوفل 364
- ورستيف بن يحيى بن ضريس 312
- ولسون 184 - 200
- الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي 114 - 381
- الوليد بن هشام 413
- ولهاص بن يطوفت 308

ي

- يابباس 104
- اليازوري طه الحسن بن علي اليازوري
- يافث بن نوح 248 - 250 - 265
- يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي 167
- يحيى بن الحكم بن أبي العاص 372
- يحيى بن زيان الوطاسي (أبو زكري) 132
- يحيى بن محمد بن ادريس الحسنى 116 - 120
- يحيى بن ضريس 309 - 310
- يحيى بن عبد المومن بن علي الكومي (الأمير) 406 - 407
- يحيى بن عبد المنعم الحاحي 136
- يحيى بن عبد الواحد الحفصي (أبو زكرياء) 145 - 169 - 170
- يحيى بن العزيز الحمادي 145 - 146
- يحيى بن غانية المسوفي 408
- يحيى بن يحيى الوطاسي 132
- يدا بن يعلا اليقرني 121
- يزيد بن خالد 300 - 327 - 378
- اليزيد بن محمد بن عبد الله العلوي (مولاي) 139
- يزيد بن مسلم 381
- اليزيد بن معاوية 111
- يطوفت بن نفزاو 306 - 307

- يعرب بن قحطان 345 — 346 — 398
- يعلا بن أبي محمد اليفرنى 313
- يعلا بن عبد الله بن بكار اليفرنى 120 — 121
- يعقوب بن عبد الحق المرينى (السلطان) 129 — 131 — 290
- يعقوب بن عمر بن عبد المومن بن على الكومى (الأمير) 408
- يعقوب الرستمى 143
- يعقوب المنصور الموحدى (الخليفة) 127 — 130 — 407 — 408 — 418
- 420 — 421
- يفراسن بن زيان (السلطان) 147 — 148
- يقشان بن ابراهيم 255 — 266 — 269
- يسودة بن كنام 319
- يشجب بن يعرب 346
- يوحنا (القديس) 210
- يوليان الغمارى 113 — 375
- يوغورطة 96
- يوسف (النبى) 254
- يوسف بن تاشفين 122 — 123 — 124 — 130 — 290
- يوسف بن الحسن العلوى (السلطان — مولاى) 229
- يوسف بن عبد المومن الموحدى (الخليفة) 127 — 167 — 400 — 402
- 404 — 407
- يوسف بن يعقوب المرينى (السلطان) 130 — 131 — 148
- يوسف المستنصر 127
- يوسف الصنهاجى (الأمير) 144
- يوسف الوراق 295
- يوشع (النبى) 255 — 268

فهرس

الأعلام القبلية والجنسية *

ا

- الاراميون 344
- الأباضيون 143
- الأبيرون (الأيران أيضاً) 250 - 258
- الأتراك ط الترك
- الأترسك 256 - 260
- الاتروريون 93
- الأئج 390 - 394 - 395 - 396 - 408 - 413 - 417 - 418 - 419 - 420
- 422
- أجانة 319
- الأحامد 429
- الاحباش ط الحبش
- الاحلاف 426 - 434
- أولاد احمد 428
- أولاد أحمد اكندى 425
- بنى احمد 334
- آل حسين ط الحسينيون

* اعتبرنا فى ترتيب هذه الأسماء القبلية والجنسية الأسماء التى ينسب إليها فقط فأيت مرعاد وأولاد جامع وبني عامر يبحث عنها فى حروف الميم والجيم والعين وهلم جرا .

- أولاد أبي الحسين 425
- أولاد أحي 425
- الأخصاص 283
- الأدارسة (بنو ادريس - الإدريسيون) 116 - 117 - 118 - 119 - 120
- 159 - 166 - 314 - 384 - 385
- اداسة 298 - 303 - 315
- بنو ادريس ط الأدارسة
- ادا وزداغ ط زداغة
- اد وعلى ط (العلويون)
- اد وعيش ط الميشيون
- اركيش 270
- الأرمن 106 - 158 - 258 - 407 - 411
- أرغن ط هرغة
- الأزد 116 - 346
- أزداجة ط وزداجة
- اكودة (أكورة - اكورة ؟) 305
- الألمانيون 59 - 207 - 215
- بنو أمامة 297
- الامريكيون 207 - 235
- الأمويون 116 - 121 - 161 - 165 - 296 - 349 - 369 - 371 - 381 - 383
- 384 - 385 - 386
- بنو أمية ط الأمويون
- أميم 345
- انجرة 319
- انجفة ط منجافة
- اندارة (أنداوة ؟) 303
- أندرة (واندرة ؟) 303
- الإنكليز 196 - 212 - 215 - 217 - 223 - 235

- أنمار 47
- أنوغة ط ونوغة
- الاصابة 428
- أصادة ط صادة
- أصادن ط صادة
- بنو الأصفر 415
- الأعراش 336
- الأعشاش 283 - 304
- الأغالبة 143 - 160 - 161 - 162 - 384
- الاغريق 94 - 257 - 282 - 292
- آل الاغلب ط الاغالبة
- بنو الاغلب ط الاغالبة
- الاسبانيون 65 - 83 - 84 - 85 - 86 - 127 - 131 - 133 - 135 - 136
- 138 - 149 - 152 - 153 - 154 - 156 - 170 - 172 - 173 - 184 - 229
- 233
- بنو أسد 346 - 349 - 354 - 370
- بنو اسرائيل ط الاسرائيليون
- الاسرائيليون 255 - 268 - 270 - 298 - 357
- أسلم 371
- أسيل 316
- أشجع 138 - 371 - 413 - 415
- الاشوريون 344 - 357
- اهل تيارت 333
- اهل وادي نفيس 324
- اهل الواسطة ط الواسطيون
- الاورافريكان 249
- اوربة ط وربة
- الأوربيون 26 - 54 - 155 - 172 - 181 - 183 - 241

- أوريفه ط وريفة
- اوطيطة 303
- أوكتة 312
- الأوليميديون 260
- اوفاس 319
- الأوسى 346 - 365
- الأوسز 256 - 260
- ايراد 347
- بنو ايان 319
- الايشوييون 2
- ايزناكن ط صهاجة
- الايطاليون (الطليان أيضاً) 32 - 33 - 158 - 196 - 198 - 199 - 207 ..
- 212 - 213 - 214 - 215 - 217
- أبلان ط هيلانة
- ايلزرگن 326
- ايملوان ط ملوانة
- ايمورى 260
- اينگفو ط منجافة
- الاينو 271
- ايصادن ط صادة
- اينهاگن ط صنهاجة
- ايفشتالن ط فشتالة

ب

- البابليون 93 - 344
- بنو باديس ط الباديسیون
- الباديسیون 44 387 - 390 - 422
- بارباچيا 263

- المباسك 250
- بجاية 145 - 314 - 330
- بجاوة 330
- بجيلة 348
- البراز 433
- البراكنة (أولاد عبد الله) 226 - 425
- البرانس 165 - 313
- البربر 260 - 261 - 292
- البربر البتر 303 - 320 - 323 - 348 - 267 - 292 - 293
- البربر البرانس 320 - 323 - 338 - 267 - 292 - 293 - 301
- البرتغاليون 83 - 130 - 131 - 133 - 134 - 135 - 221
- برغواطية 117 - 123 - 322 - 323 - 325 - 328
- بطوية 316 - 330 - 335 - 341
- بطوية ط بطوية
- بكر 346 - 348 - 354
- آل بلقين 394
- بلي 317 - 346
- بفرية 300
- بني بشير 334
- البهاليل 309
- بهراء 346
- البونيقون 93
- البوشيمان 250 - 272
- بنو بويه 415
- بيانة (بيانة) 317
- البين نطيون 103 - 104 - 106 - 107 - 110 - 113 - 369

ت

- تاجكانت 432
- تارغة 330
- بنو تامر 421
- التباينة 262 — 268 — 270 — 318 — 346 — 350
- ترجم 430
- بنو نجين 424
- التحنو 273
- الترازة 425
- الترك 83 — 84 — 103 — 106 — 133 — 135 — 136 — 137 — 139 — 140 — 141
- 153 — 154 — 155 — 158 — 170 — 171 — 174 — 175 — 194 — 210 — 212 — 214 — 215 — 411
- ترهونة ط رهونة
- التلاغة 314
- تلكانة 330
- بنى تليلان 321
- النمحو 273
- بنو تمصيت 299
- تمود 345 — 350
- بنو تميم 349 — 354 — 357 — 370
- تنوخ 346
- تغزوت 334
- تغلب 346 — 347 — 348 — 357 — 359
- التسول 120 — 338
- التوارك 4 — 182 — 294 — 330
- التواركة ط التوارك
- توبة 418
- تينملل 323 — 324 — 326 — 328

ث

- النعالية 424 - 433

- بنو ثور 413 - 414

ج

- اولاد جاب الله 418

- بنى جابر 420 - 421

- اولاد جامع 409 - 430 - 434

- الجدارى 429 - 433

- جدانة 304

- جديس 345

- جذام 266 - 346 - 357 - 402

- اولاد جرار 434

- جراوة 113 - 259 - 339 - 377

- جرم 346

- جرمانة 305

- جرمة 107

- اولاد جرمون 420

- جرهم 345 - 347 - 351

- اولاد جرير 226 - 418 - 434

- جزولة 253 - 302 - 314 - 331 - 327 - 425

- اولاد جلال 433

- ذو جلال 418

- ذو أبى الجليل 418 - 425

- أولاد جماعة 422

- بنو جمع بن عمرو 349

- بنى جناد 307

- جندل 423 - 433
- الجعافرة 433
- الجعاونة 426
- دنو جعد 331
- جشم 390 - 394 - 396 - 397 - 408 - 412 - 413 - 417 - 420
- جهجوكة 314
- جهينة 346 - 371
- جواب 423 - 433
- الجواوبة 429
- الجيتول 258 - 260
- جبيلة 319 - 320

ح

- اولاد الحاج 434
- حاحة 134 - 324
- الحارث 357
- الحارث 420
- بنو الحارث بن فهر 348
- آل حام ظ الحاميون
- الحاميون 260 - 267
- الحبش 350 - 352 - 344
- حبيب 430
- بنو حجر 347
- الحراطين 286 - 415
- الحراكتة 320
- اولاد حريز 429
- حكيم 430 - 433
- بنو حماد ظ الحماديون

- الحماديون 144 — 145 — 146 — 330 — 331 — 396
- الحمارنة 428
- حميان 182 — 423 — 434
- حميان الجنبية 225
- بنو حميد 331 — 423 — 430 — 433
- حمير 262 — 267 — 269 — 270 — 278 — 307 — 318 — 328 — 346 — 357 —
- 430 — 414 — 359
- حصن 430
- حصين 323 — 423 — 434
- الحضنة الشرقية 336
- بنو حفص ظ الحفصيون
- الحمصيون 148 — 149 — 153 — 169 — 170 — 171 — 172 — 137 — 338 —
- 418
- بنو حسان 325
- ذوو حسان 332 — 424 — 425 — 427 — 434
- آل حسين ظ الحسينيون
- اولاد حسين 425
- الحسينيون 176
- الحشم 433
- الحياينة 434

خ

- اولاد خالد 434
- اولاد خالد بن جرمون 425
- خشم 347
- الخراج 419 — 426 — 427
- خراش 423
- الخرجة 428

- خزاعة 346 - 348 - 351
- الخزرج 116 - 346 - 365
- الخلافات 434
- الخلط 420
- بنى خلفون 308
- الخلوط 394 - 434
- بنى خليل 331
- بنى خليلي 331
- اولاد خليفة 423
- بنى خليفة 423
- الخماننة 423
- خميس 423
- خندف 348
- اولاد خنفر 423
- بنى خنوس 334
- الخضر 421
- الخشننة 423 - 433
- اولاد خشعة 423

د

- دباب 391 - 428 - 429
- بنى بودرار 309
- بنى دركول 331
- بنى دركون 331
- درنة 309
- دريد 413 - 418 - 433
- دكالة 266 - 324
- دكالة البيضاء 324

- دكالة الحمراء 324
- الدلاثيون 137
- دلاج 430
- اولاد دليم 333 434
- بنو دمر 311
- دنهاجة 319
- الدواير 305 - 433
- دونة ؟ 309
- الديالم 423
- بنو الديل 371
- ديقوسة 314

ذ

- ذبيان 354
- ذكوان 415
- الذواودة 418 - 421 - 433

ر

- ربعة 347 - 348 - 357 - 358 - 390
- اولاد رحاب 423
- الرحامنة 434
- رگرائسة 324
- رعل 415
- رغيوة 314
- الرقيطات 424 - 427 - 434
- رقيطة 308
- بنو رستم ط الرستميون
- الرستميون 117 - 162 - 384

- رهونة 303 — 314 — 325 — 432 —
— رواحة 391 — 431 — 432 —
— رياح 390 — 392 — 394 — 395 — 397 — 398 — 408 — 414 — 417 — 419 —
421 — 430 — 433 —
— الروم 103 — 104 — 106 — 108 — 110 — 110 — 111 — 113 — 350 — 352 —
368 — 369 — 371 — 372 — 373 — 376 — 378 — 381 —
— الروم البيزنطيون 90 —
— الرومان 2 — 90 — 94 — 95 — 96 — 97 — 99 — 100 — 102 — 103 — 259 —
282 — 357 —
— ريفة 314 —

ز

- زاتيمة 306 —
— بنى زحيك 315 —
— زداعة (ادا وزداغ) 375 —
— زردبزة 319 —
— الزرقبون 326 —
— بى زروال 306 — 331 — 341 —
— بنى زرويل 331 —
— زكاره 317 —
— زكاوه 317 —
— بنى زلدوى 319 —
— بنو زمال 332 —
— زمور 308 — 341 —
— بنى زمور 308 —
— زمورة 308 —
— زناتة (الزناتيون) 119 — 121 — 124 — 127 — 146 — 148 — 151 — 165 —
166 — 167 — 267 — 270 — 295 — 296 — 301 — 305 — 311 — 313 — 320 —
321 — 323 — 339 — 340 — 393 — 394 — 395 — 413 — 414 — 415 — 420 —
422 —

- الزناتيون ط زناتة
- الزناتة (صنهاجة) 322 - 331 - 341
- الزنوج 260
- الزعاطشة 179
- زعير 323 - 434
- زغاوة 332
- زغبة 390 - 391 - 394 - 395 - 408 - 410 - 417 - 419 - 422 - 423 - 430
- زهجوكة ط جهجوكة
- زهكوجة ط جهجوكة
- زهيلة 306
- زوارة 311 - 320
- زوازة 320
- زواغة 311 - 320 - 323 - 340
- زواوة 165 - 179 - 270 - 311
- زبان 282
- بنو زبان 433
- بنو زبان (رياح) 408
- بنو زبان (العبد الواديون) 131 - 154
- الزبانيون (العبد الواديون) 149 - 150
- آل زيري ط الزيريون
- بنو زيري ط الزيريون
- الزيريون 144 - 164 - 167 - 168 - 296 - 311

ط

- الطالببيون 414
- طرود 413
- اولاد طريف 423

- دُليق 420
- طسم 345
- الطوارق ط التوارك

ك

- كنعان 267
- الكعوب ط بنى كعب

ك

- الكارامنتيون 260
- كدالة 332
- كُدانة 304
- كسميرة 324
- كسميرة الجبل 324
- كسميرة الفحص 324
- كزولة ط جزولة
- كلاوة 325
- كلاوة الجنوبية 325
- كلاوة الشمالية 325
- كنفيسة 325 — 328
- الكوليون 284
- كومية 127 — 293 — 309 — 318 — 340

ل

- اللاغطان 287
- لبنو لبيد 431 — 433
- اللتين 96 — 103
- لخم 266 — 346 — 402

- لطيف 418
- لماية 309 - 340
- لمتونة 122 - 123 - 267 - 314 - 330 - 335 - 336
- لمدية 314 - 332
- لمطة 267 - 302 - 314 - 327 - 332
- اللقامنة 418
- لشوة 317
- لهانة 316
- لهيصة 319
- بنو لوا 299
- لواتة 107 - 266 - 270 - 276 - 299 - 304 - 305 - 338 - 341 - 368 -
- 413 - 420
- اللوبيون 258 - 260
- آل ليديا 260
- الليغوريون 256

م

- بنى ماجر 311
- مارب 346
- بنو مازن 281
- ماطوسة 308
- الماكاي 260
- المالطيون 198
- بنى مالك 423 - 434
- اولاد ماضى 433
- الماغريون 103
- ماغوس 325
- ماواسى 316

- ماوطن 319
- متنان 332
- متوسة 320
- متوسين 320
- مجاهر 433
- بنى مجر 306
- بنى مجرو 306
- المجوس 357
- محارب 431 - 433
- بنو محارب بن فهر 349
- المعاميد 429 - 433
- بنى محمد 305
- المخادمة 421 - 433
- بنو مخزوم 349
- بنو مدرار 117 - 119 - 311 - 384 - 385
- مدلاوة 325
- مدلش 432
- مدغرة 310 - 340
- مدين 345 - 350
- مديونة 138 - 159 - 310 - 340 - 341
- مذحج 346 - 414 - 424
- المرابطون 119 - 122 - 123 - 124 - 125 - 126 - 128 - 129 - 145
- 323 - 332 - 333 - 396 - 407
- المربعة 423
- مراد 346
- المراديون 174
- مربع 433
- المرتفع 419

- مرداس 394 - 414 - 421 - 430 - 433
- اولاد مرزوقي 429
- مريسة 306
- آيت مرغاد ظ مرغادة
- مرغادة 333
- بنو مروان ظ المروانيون
- المروانيون 119 - 121 - 122 - 143 - 166 - 167 - 369 - 384 - 386
- اولاد مرين (مزين ؟) 427
- بنو مرين (المرينيون) 128 - 129 - 131 - 132 - 133 - 136 - 146 -
- 148 - 149 - 150 - 151 - 170 - 311 - 338 - 407 - 420 - 421 - 422
- 423 - 426 - 427
- مزاة 304 - 313
- مزطارة 266 - 267
- بنى مزكردة 332
- مزنة 418
- بنو مزنى 418
- مزعنة 333
- بسى مزوارت 334
- مزيات 314
- مزيانة 314
- مزبته 304 - 371
- اولاد مطاع 420
- المطارفة 426
- دوو مطرف 418
- بنو المطلب 349
- مطباطة 310 - 316 - 339 - 340 - 341
- مططرة 310
- بنى مطهر 434

- بنو مطير 432
- اولاد مظفر 426
- بنى مكلا 335
- مكلات 307
- مكلاثة 270 - 306
- مكناسة 119 - 312 - 316 - 340
- مكنونة 308
- المثلثون 293 - 330 - 332 - 333 - 335 - 341
- ملكيش 424
- ملوانة 333 - 334
- ملوثة 319
- ملوزة 319
- ملوسة 319
- مليابة 333
- مليلة 316 - 317
- المنابهة 434
- بنو مناد 427 - 331
- المنادرة 346
- المنبات 425 - 426
- منداسة 316
- بنى منكلات 179
- بنى منصور 427 - 433
- دوو منصور 424 - 425
- ذوو منيع 226 - 434
- مصمودة (المصامدة أيضا) 124 - 171 - 267 - 302 - 321 - 322 - 323
- 324 - 325 - 326 - 327 - 328 - 329 - 331 - 334 - 338 - 340 - 341
- 420
- معاد 319

- معاوية 421
- المعايدة 423
- معد 347
- مغانة 305
- مخيلة 309 - 310 - 340 - 341
- مقدم 418 - 420
- بنى مقر 317
- مسالمة 319
- بنى مستارة 266
- مسرات 316
- مسراتة 316
- مسراى 316
- مسطاسية 313
- بى مسكن 313
- بنى مسكور 308
- اولاد مسلم 421
- اولاد مسعود 423
- مسعاوة 325
- بى مسسميرة 333
- مسوفة 267 - 333 - 407 - 422
- المشابنة 429
- المشاهرة 421
- المهايا 182 - 415 - 419 - 427 - 434
- موالين النوالات 283
- الموحدون 125 - 126 - 128 - 129 - 130 - 146 - 171 - 309 - 311 -
- 323 - 324 - 326 - 328 - 396 - 407 - 408 - 410 - 418 - 420 - 422
- 424
- الموريتانيون 293

- بني موسى 421 — 434
- اولاد ميمون 423
- الميبد 258

ن

- اولاد نايل 433
- اولاد نابت 418
- ناصرة 391 — 429
- الناسامونيون 260
- بنو ناسجة 332
- بنو النجار 362
- ندرومة 309
- اولاد نزار 418
- نزيوة 433
- بنو النظير 357
- بنو نمير 412 — 413
- بنو نصر 133
- النضر 423
- اولاد نغماش 425
- نقات 421
- نفاسة 314
- نفاوة 299 — 306 — 307 — 308 — 339
- نفزة 266 — 306 — 368
- نفوسة 107 — 143 — 259 — 299 — 308 — 339 — 368
- اولاد النهار 433
- النواصر 434
- النوايل 428
- النوبيتشي 276
- النورمانديون 127 — 128 — 145 — 167

- انثوميد يون 293

- بنو نوفل 349

ص

- صادة 323

- بنو صالح 117 - 384

- بنو صالح بن طريف 323

- الصباح 415

- صبيح 423

- الصدف 116

- صدقورة 309

- صدينة 310 - 341

- صطعورة 309

- بنو صمادح 145

- بنو صنبر 414 - 421

- صنبرة 303

- صنهاجة (الصنهاجيون أيضا) 123 - 124 - 127 - 164 - 165 - 167 -

168 - 253 - 266 - 267 - 268 - 280 - 295 - 296 - 302 - 311 - 314 -

316 - 318 - 324 - 327 - 328 - 329 - 330 - 331 - 332 - 333 - 334 -

335 - 336 - 338 - 340 - 341 - 350 - 369 - 390 - 391 - 393 -

394 - 395

- صنهاجة البر 329

- صنهاجة الجنوب 334 - 341

- صنهاجة الذل 329

- صنهاجة الظل 329 - 333 - 334

- صنهاجة مصباح 329 - 333

- صنهاجة العز 329

- صنهاجة غدو 329 - 333

- صنهاجة القبلة 329 - 333 - 334

- منهاج السراير 321 - 329 - 334
- منهاج الشمس 329 - 333
- سفارة 309
- الصهبة 428
- صهيب 333
- اولاد صولة 433
- بنو صولان 332
- الصيدونيون 260
- الصيغال 256
- انصهيونيون 181

ض

- الصحاك 414 - 418
- ضريسة 299 - 309 - 310 - 320
- ضمرة 371

ع

- بنى عابد 309
- عامر 323 - 333 - 334
- اولاد عامر 421
- بنى عامر 138 - 371 - 104 - 423 - 426 - 433
- بنو عامر بن لؤى 349
- عاملة 314 - 346
- العاصم 419 - 420
- بنو العباس ط العباسيون
- العباسيون 144 - 158 - 161 - 162 - 384 - 386 - 389 - 413 - 415 - 420
- عبدة 134 - 324

- بنو عبد الدار 348 - 349
- أولاد عبد الله ط البراكنة
- بني عبد الله 419
- أولاد عبد الملك 426
- بنو عبد مناف 348 - 349
- عبد القيس 348
- بنو عبد الواد 130 - 131 - 146 - 147 - 148 - 149 - 150 - 151 - 311
- 407 - 422 - 424 - 426 - 427
- العبيد 433
- عبيد البخاري 138
- عبيد الله 423
- بنو عبيد الله ط العبيديون
- دور عبيد الله 426
- العبيديون (بنو عبيد أيضاً) 116 - 119 - 120 - 144 - 161 - 164 - 165 -
- 167 - 387 - 389 - 390
- العثمانة 426
- العثمانيون 155 - 156 - 157 - 158 - 195
- عجيسة 302 - 336 - 340
- العدنانية 344
- العدنانيون 359
- عذرة 323 - 346
- عدوان 413
- بنو عدي 370 - 390 - 397
- بنو عدي بن كعب 349
- العرب 344
- العرب البائدة 345
- العرب المستعربة 345
- العرب العاربة 345

- أولاد عريف 423
- بني عزاز ط العزة
- العزة 413 - 429 - 431 - 433
- عزوزة 304
- أولاد بوعزيز 330
- العطاف 423 - 433
- أولاد عطية 311 - 418
- بنو عطية 414 - 433
- عك 347
- المكارمة 423
- آيت وعلال ط علالة
- علالة 333
- علاق 430
- العللونة 429
- العلويون 136 - 137 - 141 - 142 - 205
- العلويون (اد وعلى) 432
- أولاد على 427 - 430 - 433
- اد وعلى ط العلويون
- بنو على 397
- العمائم 429
- العمارنة 426
- العماليق 255 - 267 - 269 - 270 - 278 - 245 - 294
- اولاد عمارة 426
- عمران 334
- بني عمران جبالة 334
- بني عمران السفلية 334
- عمراوة 433
- الممور 182 - 415 - 419 - 429 - 434
- الممور الغرابة 225

- بنى عمير 434
- عنزة 348
- بنو عصام 117
- عصية 415
- بنو عقيل بن كعب 415
- بنو عشرة 146
- عوف 391 - 417 - 430
- عياض 336 - 419
- آل عيلام 260
- أولاد عيسى 421
- اد وعيش ط العيشيون
- العيشيون (اد وعيش) 425

غ

- بنو غانية 407 - 408 - 418 - 419 - 422
- غرسن 318 - 319
- غريب 423
- الغز 407
- بنو غزية 281
- غطفان 346 - 371
- غمارة 65 - 122 - 270 - 306 - 325 - 326 - 328 - 341
- غمرة 391 - 413 - 420
- الغنامة 434
- غسان (الغساسنة أيضا) 182 - 266 - 346 - 357
- غساسنة 307
- الغسل 426 - 433
- غسمان 319
- غيائة 338
- غيفاية 326 - 328

ف

- آل فارس ظ الفرس
- الفاروسيون 158
- الفاطميون 117 - 144 - 166 - 167 - 295 - 296 - 387 - 388 - 390 -
- 391 - 413
- فاصلة ؟ 304
- أولاد فرج 423
- الفجور 421
- الفرنسيون 26 - 40 - 54 - 55 - 59 - 64 - 65 - 87 - 139 - 170 - 176 -
- 178 - 179 - 180 - 181 - 182 - 183 - 184 - 187 - 191 - 196 - 197 -
- 198 - 212 - 228 - 229 - 231 - 233 - 234 - 235 - 237 - 238 -
- العرس 93 - 106 - 116 - 248 - 258 - 260 - 282 - 348 - 300 - 352 -
- 357 - 358 - 384 - 433
- فرسان مالطة 174
- فرغ 423
- فزارة 371 - 413 - 431 - 432
- بنى فزاز 322
- مطوكة 266
- اولاد فكرون 427
- فل 317
- فلان 319
- فلانة 320
- فلدن 317
- فلسطين 270
- فليته 433
- الفندال ظ الوندال
- الفنيقيون 90 - 91 - 93 - 157 - 219 - 282 - 344 - 349 -
- فشتالة 334

ق

- قبائل الواسطة 139
- القبط 106 - 109 - 254 - 260 - 267 - 268 - 273 - 276 - 304
- القحطانيون 345
- القرامطة 394 - 413 - 414 - 415 - 420
- بنو قرة 394 - 413 - 414 - 419 - 420
- القرطاجنيون 92 - 93 - 49 - 95 - 282 - 350
- بنو قريظة 357
- قريش 266 - 267 - 298 - 339 - 348 - 351 - 361 - 363 - 364 - 365
- 369 - 372
- قطورا 347
- قلعية (كَلْمِيَّة) 65 - 307
- قمصانة 317
- قنص 346
- بنو قنسيلا 321
- قصاعة 314 - 346 - 357 - 414
- بنو قينقاع 357
- قيسي 116
- قيسي عيلان 348

س

- الساحل القبلي (قبيلة) 319 - 336
- اولاد سالم 429
- آل سام ط الساميون
- الساميون 260 - 267
- آل ساسان ط الساسانيون
- الساسانيون 401

- ميا (الميثيون أيضا) 346
- سنات 316
- ستيتن 321 - 331
- أهل ستيتن ظ ستيتن
- السحاري 423
- آيت سدرات ظ سدراتة
- سدراتة 304 - 305 - 333 - 339
- سدراتة الجبل 333
- سدويكتش 321
- سراي 317
- السرحانية 418
- اولاد سرور 418
- سطات 316
- سطة 316 - 334
- سطط 316
- سطفورة 340
- السكاسك 270
- سكساوة 308 - 325 - 328
- سكتانة 328
- سكورة ظ هسكورة
- السلاف 103
- السلمييون 167
- سلول 413
- بني سليب 334
- بنو سليم 167 - 371 - 391 - 397 - 407 - 412 - 414 - 415 - 428 -
- 432 - 433
- سليمان 433
- اولاد سليمان الشراكة 333

- السليمانيون 118
- آيت سمگان ط سمکانه
- سمکانه 311
- سملالة (السملاليون ايضا) 138
- اولاد سنان 428
- بنو سنوس 138
- بنو سعد 134 - 362
- السعديون 133 - 136
- اولاد سعيد 304 - 421 - 433
- سفيان 323 - 333 - 394 - 420 - 434
- بنو سهم بن عامر 348
- السودان 411 - 421
- سودان افريقيا 279
- سومائة 307
- سويد 423
- اولاد السيد 425

س

- بنو شافع 423
- الشاوية 304 - 323 - 434
- الشبانان 138 - 424 - 427 - 434
- الشبه 418
- الشجع (أشجع أيضا) 434
- الشراودة 427
- شراقة (شراكة) 310 - 423
- بنو الشريد 415
- شريفة 423
- اولاد الشريف 434

- اولاد شكر 422
- الشلوح 264
- شماخ 430 - 431 - 432
- شمال 431
- الشياظمة 134 - 324
- بنو شيبان 354
- بنى بوشيب 334
- اولاد سيدى الشيخ 179 - 182 - 434
- الشطة 415
- الشعراء 415

هـ

- بنو هاشم ط الهاشميون
- الهاشميون 349 - 370 - 414 - 424
- الهبرة 423
- هتروقة ؟ 303
- هتروقة ؟ 303
- هداعة 303
- بنو هديل 371
- الهراج 426 - 427
- هرغة (ارغن ايضا) 323 - 326
- هزرجة 326
- هزميرة 326
- هكاره 317 - 341
- بنو هلال ط الهالليون
- الهالليون 144 - 145 - 146 - 167 - 341 - 369 - 390 - 391 - 393 - 394
- 401 - 403 - 405 - 408 - 412 - 413 - 414 - 416 - 417 - 419 - 420
- 421 - 424 - 428 - 430

- همدان 346
- همنانة (ينتى أيضاً) 328 — 326 — 168
- هنجافة 330 — 334
- هنزرة ؟ 303
- هنزولة 303
- هسكورة 216 267 — 302 — 314 — 327 — 335
- هسكورة القبلة 335
- هسكورة الغل 325 — 335
- هشتيوة 321
- هوازن 363
- هواره 107 — 138 — 270 — 298 — 301 — 303 — 308 — 313 — 314 — 315 —
316 — 318 — 324 — 325 — 338 — 339 — 341 — 368 — 429
- الهوتنتوت 232
- عيب 391 — 430 — 432 — 433
- اولاد هيبة (ابن هيبة ايضاً) 425
- هبزونة ؟ 303
- الهيكسوس 254 — 349
- هيلانة 267 — 327
- هيواره 318

و

- بنى واطيل 311
- آيت واوذكيت ط وذكيتة
- بنو وانسوس 312
- وانوغة 330 — 335
- آيت وارث وعلى 335
- بنو وارث 335
- بنو وارثن 335

- الواندال 99 — 100 — 101 — 102 — 103 — 104 — 260 — 275
- الواسطيون 139
- وتريكة 335
- الوداية 138 — 427 — 434
- ودرنة 309
- ودغروس 307
- وربة 115 — 293 — 301 — 313 — 314 — 340 — 374 — 381
- ورتاكت 318
- ورتانطق ظ ورتنطق
- بنو ورتجين 267
- ورتناج 312
- بنو ورتنطق 332 — 335
- ورجين 317
- بنو ورجين 317
- وردين 307
- ورديفة 420 — 434
- وركلاوة 226
- وركول 307
- ورغروسة 307
- ورغوس 307
- ورفجومة 339
- ورفل 316
- ورفلة 317
- ورسطيف 317
- ورسين 320
- ورسيف 307
- بنو ورياگل 335
- بنو ورياغل 330 — 335 — 341 — 409

- آيت وريبيل ط وريبلة
- وريبلة 313
- وريكة 327
- وريفة 301 - 314 - 315
- وزداجة 301 - 313 - 340
- وزكيتة 326 - 327
- بنو وطاس ط الوطاسيون
- الوطاسيون 132 - 133 - 134 - 136
- بنى وكيل 434
- ولهاصة 118 - 308 - 340
- ونيجة 314
- آيت ونير ط ونيرة
- ونيرة 308
- ونيفن 316 - 317
- آيت وفلة 317
- وسيف 307
- آيت وسيف 308
- بنى وسيف 308
- وشتاتة 303 - 341

ى

- آل يافت ط اليافثيون
- اليافثيون 260
- يحصب 116 - 328
- اولاد يحيى 430 - 434
- اولاد سيدى يحيى 316
- بنو يحيى 299
- بنى يزناسن 137

- يزيد 334
- اولاد يزيد 423 — 328
- بنو يزيد بن زغبة 419
- بنو يطعت 306
- بنو يلول 309 — 318
- آيت يموّر ظ يمورة
- يمورة 333
- بنو يناوة 318
- ينتي ظ هنتاتة
- بنو ينطاس 319
- بنى ينهل 314
- اولاد يعقوب 423 — 327
- بنو يفرن ظ اليفرنيون
- انيعرنيون 119 — 120 — 121 — 122 — 340
- يقطان 423
- بنو يستين 321
- يسودة 318
- اليونانيون 158 — 176 — 260 — 262 . 339 — 349 — 357
- أولاد يوسف 421
- اليقشمانيون 255
- الظل ظ صنهاجة الظل 333 — 334



فهرس

الكتب والمجلات والجرائد

I

- الاستبصار ، فى عجائب الأمصار - لمؤلف موحدى مجهول 25 - 88
- اتعاف اهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الامان - لاحمد بن أبى الضياف 244
- الاستقصا ، لأخبار المغرب الأقصى - لاحمد بن خالد الناصرى 25 - 88
- 137 - 244 - 342 - 436
- أخبار المهدي بن تومرت - لأبى بكر الصنهاجى المعروف بالبندق 323
- أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام - لبطرس البستاني 436
- الاكمال - لابن ماكولا 430
- الأمة 185
- الانثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث - لرافل لنتون ، ترجمة عبد المالك الناشف 342
- الأنساب ، فى معرفة الأصحاب - لمؤلف مجهول 334 - 335 - 342
- الأنيس المطرب ، بروض القرطاس ، فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس 244 - 342 - 409 - 436
- الاعلام بمن حل مراكش واغمت من الاعلام - للعباس بن ابراهيم التعارجى المراكشى 342
- افريقيا الشمالية فى العصر القديم - لمحي الدين المشرفى 244
- الاقدام 184

- أسد الغابة في تمييز الصحابة - لابن الأثير 374
- أسفى وما اليه - لمحمد بن أحمد العبدى الكانونى 342
- ايليج قديما وحديثا - لمحمد المختار السوسى 436

ب

- البصائر 186
- البيان المغرب ، فى أخبار الأندلس والمغرب - لابن غذارى 378 - 379 - 342 - 436

ت

- تاريخ الأدب العربى - لآحمد حسن الزيات 360 - 436
- تاريخ الجزائر العام - لعبد الرحمان الجيلالى 244 - 342
- تاريخ الجزائر فى القديم والحديث - لمبارك بن محمد الهلالى الميلى 342 - 436
- تاريخ الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى - لعلال العاسى
- تاريخ اللغات السامية - لبروكلمان 256
- تاريخ المغرب العربى - لمحمد على دبور 244 - 342
- تاريخ المغرب العربى - للدكتور سعد الدين زغلول عبد الحميد 244 - 342
- تاريخ هيرودوتس 263
- تطور الجنس البشرى - للدكتور محمد السيد غلاب 342
- التطورات السياسية فى المملكة المغربية - لدوكلاس آى . اشعورد 244
- تونس الجديدة - لصالح الدين التلاتلى 88
- تونس الشهيدة - لعبد العزيز الثعالبى 200
- تونس وفرنسا - لعبد المجيد المطوى 244
- التونسى 199

ج

- الجريدة الرسمية الجزائرية 192
- الجزائر العربية - لاحسان حقى 244
- العجمان ، فى أخبار الزمان - لمحمد الشطيبى 368

- جوهرة أنساب العرب - لعلي بن احمد بن حزم الأندلسي 269 - 297 - 299
- 304 - 305 - 307 - 316 - 320 - 342 - 412 - 436
- جنى زهرة الآس ، فى بناء مدينة فاس - لعلي الجزنائي 88
- الجغرافية الافريقية القديمة 258
- جغرافية المدن المغربية - لحسان عوض
- الجغرافية المصورة للمغرب الجديد - تأليف عمر السباعي 88
- جغرافية المغرب وسائر الوطن العربي - لابراهيم حركات 88
- جغرافية الوطن العربي - للدكتور فيليب رافلة واحمد سامي مصطفى 88

ح

- الحاضرة 198
- حبيب الأمة 198
- الحبيب بورقيبة : حياته وجهاده - لكتابة الدولة التونسية في الاخبار والارشاد 244
- البحر 204
- حروب يوغورطة - لسليستس 258
- الحياة 231
- حياة محمد - لمحمد حسين هيكل 346

د

- دائرة المعارف - لبيستاني 263
- دائرة المعارف الفرنسية 88

ر

- رحلة التيجاني - لعبد الله بن محمد بن احمد التيجاني 342 - 436
- رياض النفوس 375 381

ز

- زاد المسافرين ، وغرة معيا الادب السافر - لأبي بحر صفوان بن ادريس 259

ط

— طبقات الأمم 249

ز

— كتاب الجزائر 88 — 244

— كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ،

ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) 88 — 244 — 343

250 — 255 — 256 — 261 — 262 — 270 — 278 — 286 — 291 — 299 — 305

307 — 317 — 320 — 321 — 322 — 326 — 327 — 335 — 368 — 382 — 389

395 — 408 — 410 — 436

ل

— ليبيا بين الماضي والحاضر — لحسن سليمان محمود 245

343 — 404 — 437

م

— مجموع رسائل موحدية 396 — 397 — 437

— مدنية المغرب العربى فى التاريخ — ل احمد صفر 245

— المن بالامامة على المستضعفين — لعبد الملك بن صاحب الصلاة 397 — 404

406* — 408 — 437

— معالم تاريخ الجزيرة العربية — لسعيد عوض باوزير 437

— المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب — لعبد الواحد المراكشى 25 — 88 — 245

343 — 404 — 437

— المغرب — لابن حمادو 27

— مغرب (مجلة) 231

— المغرب فى بداية العصور الحديثة — للدكتور صلاح العقاد 245

— المغرب ، فى ذكر بلاد افريقية والمغرب (المسالك والممالك) لعبد الله

بن عبد العزيز البكرى 307 — 320 — 323 — 325 — 343 — 457

- المغرب في عشر سنوات - وزارة الأنباء 88
- المفصل في الأدب العربي 437
- المسألة المغربية - لمحمد خير فارس 245
- المستقبل التونسي 198
- موجز التاريخ العام للجزائر - لعثمان الكعك 287 - 343

ن

- نبد تاريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى (منتخب من كتاب مفاخر البربر) 296 - 328 - 343
- نظرات في تاريخنا القومي - للحاج محمد بنونة 343
- نظم الدر والعقيان ، في بيان شرف بني زيان ، ومن ملك من سلفهم الاعيان ، فيما مضى من الأزمان - لمحمد بن عبد الجليل الننسى 150
- نضال ملك - لمحمد الرشيد ملين 245

ص

- صوت النونسي 204
- صوت الشعب 204

ع

- العلم النونسي 204
- العمل النونسي 204 - 206
- عمل الشعب 331
- العناصر الحقيقية لاقليمية المغرب العربي - لمحمد الغربي 277
- العقيدة - لسعيد بن عبد الله الهنداسي 316

ف

- فتح العرب للمغرب - لحسين مؤنس 245
- فتوح افريقية والاندلس - لعبد الرحمان بن عبد الحكم 339 - 343
- فتوح البلدان - للبلاذري 368

ق

- القصيدة اليوحناوية 287
- قيام دولة المرابطين — للدكتور حسن احمد محمود 296 — 343

س

- السلام 231
- السنة 186
- السعادة 225

ش

- شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوى — لمحمد الفاسى 437
- الشريعة 186
- الشهاب 186

و

- الوسيط ، فى تراجم أدباء شنجيت — ل احمد بن الأمين الشنقيطى 437

ي

- اليمن من الباب الخلفى — ل هانز هولفريتز 276

- Algérie - Tunisie (Les Guides Bleus).
- Le Grand Maghreb Arabe - Comité Permanent Consultatif du Maghreb.
- Maroc (Les Guides Bleus)
- Population Légale du Maroc (Le Recensement Démographique Juin 1960).

F. Weisgerber - Au Seuil du Maroc Moderne - Rabat 1947

H. Terrasse - Histoire du Maroc - Casablanca 1950.

— Maréchal Juin - Le Maghreb en Feu - Paris 1957

— J. L. Meège - Le Maroc et l'Europe - Paris 1961.

— G. Granval - Ma Mission au Maroc - Paris 1956.

— P. B. de Latour - Vérité sur l'Afrique du Nord - Paris 1956.

— Répertoire Alphabétique des tribus et douars de l'Algérie
Alger 1879.

— Répertoire Alphabétique des tribus et douars - Communes
de l'Algérie - Alger 1900.

Répertoire Alphabétique des Confédérations des tribus des
Fractions de tribus et des Agglomérations de la Zone Française
de l'Empire Chérifien - Rabat 1939.

Répertoire Alphabétique des Agglomérations de la Zone
Française de l'Empire Chérifien - Rabat 1941.

— G. Marçais - Les Arabes en Berberie.



جدول الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
12	17	تنفع	ينفع
14	16	الأراضى	السهوب
17	15	الانتاج المغربى	انتاج المغرب
17	16	ومدخراتها	ومدخراته
53	24	المدينة	لمدية
62	5-6	ومنذ شهر يونيو سنة 1966	ومنذ 19 يونيو 1965
70	15	وادي نفيس	وادي أم الربيع
72	25	الانقلابية والاستوائية	الصحراوية والانقلابية
120	23	كيدان	كيداد
147	6	المحمدية	الناصرية
157	24	المدينة	لمدية
219	13	الربية	الريبة
224	22	موريطا	موريتانيا
243	28	وحجرة نكور	وحجرة نكور وحجرة بادس
247	23	سلالات جنسية خليطة	سلالات خليطة
250	2	Baslones	Bascones
259	2	هرفل	هرقل
266	9	التوراة	التوراة
266	20	تاهرت	تيهت
283	8	ايبيريا	ايبيريا
285	26	افريقيا	افريقية

ص	س	خطا	صواب
287	27	لابن عبيد	لأبى عبيد
295	25	tho veil	The veil
308	4	دحية	يحيى
313	12	أوزاع بالمغرب الأقصى	قبيلة شهيرة بريف المغرب الأقصى
323	15	الموحدين	المرابطين
331	8	أكرو	أكزول
338	20	تاهرت	تيهت
340	25	تاهرت	تيهت
343	3	الخضرمى	الحضرمى
344	38	تردف	ترادف
345	4	ترادف	ترادفان
346	14	فسكن	فسكنت
346	15	وعاش	وعاشت
350	13	الدول	الأول
352	2	الرمانية	الرومانية
372	21	عمر	عمرو
327	24	يزيد بن خالد	خالد بن يزيد
382	22	تحنى	تجنى
382	24	المعرب	المغرب
386	9	الشرق جمال	الشرق عن جمال
391	7	فأجازوا	فجازوا
391	11	ذياب	دباب
391	24	ومعناً	ومنعاً
399	17	الشرة	الشره
419	8	الكلبى	ابن الكلبي

تتّ الطبع :

- انبعث أمة - الجزء 13

- الحسن الثاني - ملك المغرب

تأليف :

روم لاندو - تعريب بنحمان الداودي

الطبعة الملكية - الرباط

A. BENMANSOUR

Historiographe du Royaume du Maroc

TRIBUS
du
MAGHREB

(Prix du Maroc 1968)

TOME I



IMPRIMERIE ROYALE - RABAT

1968